موسوعة
الحقوق الإسلامية

بقلم
سعد يوسف أبو عزيز

المكتبة التوفيقية

موسوعة

الحقوق الإسلامية

بقلم
سعد يوسف محمود أبو عزيز

الجزء الأول

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

جميع الحقوق محفوظة

جميـــع الحقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **لمكتبة التوفيقية (القاهرة-مصر)** ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزءًا أو تسجيله على أشرطة كاسيت او إدخاله عـــلى الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًا .

Copyright ©
All Rights reserved

Exclusive rights by Al Tawfikia Bookshop (Cairo-Egypt) No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 - 5922410
Fax : 6847957

إشراف
توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى وَصّى عباده بتقواه، ووعد بالجنة من خافه وراقبه واتقاه ورجاه، وأنذر وخوّف وتوعد بالنار من أذنب وعصاه.. القائل:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

وبعد، فإن صلة الإيمان بالعمل كصلة الخلق بالسلوك.

فإذا آمن الإنسان بالله العظيم، وأيقن باليوم الآخر، وصدّق بما جاء به المرسلون، دفعه ذلك -لا محالة- إلى استرضاء ربه، والاستعداد للقائه، والاستقامة على صراطه.

كما أن الشجاع فى ميادين الخطر يقدم، والكريم فى مواطن البذل ينفق، والصادق فى أداء الحديث يتحرّى الحق.. إلخ.

وعسير -بل مستحيل- أن يهبط الإنسان بحقيقة الدين عن هذا المستوى، أو أن يفهم من كتاب الله وسنة رسوله ما يغاير ذلك.

بيد أن أعداء الإسلام -وقد عجزوا عن هزيمته فى ساحات القتال- لم تعيهم الحيل لسحقه فى عقر داره.

فدسُّوا على المسلمين من يصور لهم الإسلام كلمة لا تكاليف لها، وأمانى لا عمل معها.

فالمرء إذا غمغم بين شفتيه بكلمة التوحيد، تحصَّن وراءها، فأصبح يسيراً عليه، ألا يقوم إلى واجب، وألا ينتهى عن مُحرَّم!!.

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

وقد زعم هؤلاء المغفلون: أن الدين يَنُصّ على ذلك!

ألا ساء ما يصنعون.

ولو فرضنا أن حزبًا ما، تقدم إلى الناس وقد أضاف إلى جملة المواد التى تبين للجماهير منهاجه وتوضح أغراضه، مادة أخرى تُصرّح أو تلمّح، بأن لكل منتمٍ للحزب ألا يعمل بمبادئه وألا يتقيّد بتعاليمه، لقال الناس أجمعون:

هذا هو العبث والمجون!

فكيف نتهم الإسلام بأنه يحمل فى ثناياه ما يهدمه؟

وكيف ننطلق إلى نصوصه نبحث بينها عن (المادة) التى تبيح الخروج عليه واللعب به؟

وكيف ندعى أن الأعمال أمر كمالى بحت، لا يضير نقصانه؟

أولئك هم الحمقى:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(١).

وعلى رءوسهم يقع التفريط الهائل فى إقامة حدود الله وأداء فرائضه.

وما أصاب المسلمين من كوارث ونكبات عندما فهموا دينهم على ذلك النحو الأبتر.

أمة تعتبر العمل من (الكماليات) الخفيفة. كيف يقوم لها دين؟

أو تقوم بها دنيا؟

● روى ابن أبى الدنيا عن علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-، قال:

«يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة، وهى خراب من الهدى، وعلماؤهم شرّ من تحت أديم السماء، منهم خرجت الفتنة، وفيهم تعود»(٢).

(١) سورة الأعراف: ٥١.

(٢) الداء والدواء (٥٢).

● ومن مراسيل الحسن: «إذا أظهر الناس العلم وضيّعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا الأرحام، لعنهم الله -عز وجل- عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم»(١).

● وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: أنه أخذ حصاة بيضاء، فوضعها فى كفِّه، ثم قال:

«إن هذا الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة». ثم أخذ كفًّا من تراب، فجعل يذره على الحصاة حتى واراها، ثم قال:

«والذى نفسى بيده، ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما دفنتُ هذه الحصاة!!»(٢).

● وكان الإمام يحيى بن معاذ الرازى يقول:

«الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والدين جميل فلا تلوثه بآثامك».

● وروى ابن أبى شيبة عن حذيفة بن اليمان، قال:

كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما تنفرج المرأة عن قُبلها لا تمنع من يأتيها؟

قالوا: لا ندرى.

قال: لكنى والله أدرى، أنتم يومئذٍ بين عاجز وفاجر».

إن الله تعالى جعل العمل الصالح رسالة الوجود ووظيفة الأحياء، وجعل السباق فى إحسانه سرّ الخليقة ودعامة الحساب.

وما من آية فى كتاب الله ذكرت الإيمان مجرّدًا، بل عطفت عليه عمل الصالحات، أو تقوى الله، أو الإسلام له، بحيث أصبحت صلة العمل بالإيمان آصرة لا يعروها وهن.

فإذا عقدت مقارنة بين الهدى والضلال، جعل الإيمان والعمل جميعًا فى كفة، وجعل الكفر فى الكفة الأخرى.

---

(١) الداء والدواء (٥٢).

(٢) رواه ابن وضّاح فى كتاب «البدع والنهى عنها». اتحاف الجماعة للتويجرى (٢/ ٧٤).

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾(١).

إن الأعمال هى التى توزن فى الدار الآخرة.. وهى التى تميل بالإنسان إلى النعيم أو الجحيم.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾(٢).

إننا نعرف تاريخ أمم هلكت بسوء عملها. ونعرف أن الله نقم على قوم لوط -مثلاً- لارتكابهم الفاحشة، وعلى قوم شعيب -مثلاً- لبخسهم المكيال والميزان، وقد عرفنا مصاير أولئك الفاسقين.

فهل أمتنا -وحدها- هى التى تريد أن ترتكب السيئات، دون حذر أو وجل؟.

ليس الإسلام بدعًا من الشرائع السابقة، فيوجب الإيمان دون العمل.

بل إن القرآن الكريم ليقص علينا عبر السابقين لنتعظ منها، ثم لنسمع قول الله بعد ذلك:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

إن النصوص الهادية إلى تلازم الإيمان والعمل كثيرة، يزخر بها القرآن وتستفيض بها السنة، وتقر الحق فى نصابه، وترسم لكل مسلم غايته، وتخط له مكانته، وتقرع الآذان بذلكم الأمر الحاسم:

---

(١) سورة غافر: ٥٨.

(٢) سورة الأعراف: ٨، ٩.

(٣) سورة يونس: ١٣، ١٤.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)(٢).

إن محاولة فصل الإيمان عن العمل هى دعوة للانسلاخ من الدين بالكلية.. وهى دعوة خبيثة من عمل الشيطان، ومخطط أثيم لإقصاء تعاليم الإسلام عن الحياة.. وإبادة مبادئه من الوجود!

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«سيجىء أقوامٌ فى آخر الزمان، تكون وجوههُم وجوه الآدميين، وقلوبُهم قلوب الشياطين، أمثال الذئاب الضوارى، ليس فى قلوبهم شىء من الرحمة، سفّاكون للدماء، لا يَرعُون عن قبيح، إن تابعتهم واربوك، وإن تواريتَ عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتمنتهم خانوك، صبيهم عارم، وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الاعتزاز بهم ذُل، وطلب ما فِي أيديهم فَقْر، الحليُم فيهم غاو، والآمِر فيهم بالمعروف متّهم، والمؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم مُشرف، السنّة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم، فَيدعو خيارُهم، فلا يُستجاب لهم»(٣).

ومعنى: «لا يرعون عن قبيح»: هو بكسر الراء، أى: لا يكفون عنه ولا يتحرجون من إتيانه.

وقوله: «واربوك» قال ابن الأثير: خادعوك، من الورب، وهو الفساد.

وقوله «صبيهم عارم» أى: شرس، وقيل: خبيث شرّير.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) عقيدة المسلم للغزالى ص ١٤٥ بتصرف.

(٣) رواه الطبرانى فى «الصغير» و«الأوسط»، قال الشيخ التويجرى: وهو حديث ضعيف، ومع ذلك فهو مطابق لحال كثير من المنتسبين إلى الإسلام فى زماننا غاية المطابقة. إتحاف الجماعة (٢/٣٨).

وقوله «**وشابهم شاطر**» قال الجوهرى: الشاطر: الذى أعيا أهله خبثًا، والمعنى المتباعد عن الاستواء.

فالإسلام شرعه الله تعالى لضبط حركة الحياة.. وتقويم سلوك الإنسان.. وأى دعوة تقوم على غير هذا، هى دعوة هدّامة.. تدعو للمروق من الدين.. وإبطال مفعوله!

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(١).

وهذا الكتاب «**الحقوق الإسلامية**» دعوة لتقويم سلوك الإنسان وضبط حركة حياته.. ودعوة للربط بين الإيمان والعمل الصالح فـ«**الدين المعاملة**» ولا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له..

فإحياء هذه الحقوق بين المسلمين.. تعنى إحياء الدين.. وتعنى ربط الأرض بالسماء.. ووصل الإنسان بخالقه.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢).

فما أجمل الدنيا فى ظل الإسلام.. وما أطيب الحياة مع الله..

وما ساد الأوائل الدنيا.. وما وصلوا إلى جنة الله إلا بعد أن صدقت أعمالهم أقوالهم.. وضبط الإسلام أحوالهم وحركاتهم..

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الكهف: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

(٣) سورة النور: ٥٥، ٥٦.

فهيا -معاشر المسلمين- إلى الإيمان والعمل الصالح.. هيا.. إلى الله تعالى وإلى أحكامه.. هيا إلى حيث الرحمة.. وإلى حيث النعيم.. إلى صلاح الحال.. وراحة البال.. إلى سعادة الدنيا والآخرة..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[١].

وها هو ربكم الرحيم يفتح لنا كل ليلة أبواب رحمته!!

● عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من الذي يدعونى فأستجب له؟

من الذي يسألني فأعطيه؟

من الذي يستغفرني فأغفر له؟

فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[٢].

● وأخرج أبو نعيم في الحلية[٣] عن الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- أنه قال: ما من ليلة اختلط ظلامُها، وأرخى الليلُ سِربالَ سترها إلا نادى الجليل جلّ جلاله:

«من أعظم مني جوداً والخلائق لي عاصون وأنا لهم مراقب.

أكلئوهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني.

وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم.

أجود بالفضل على العاصي وأتفضل على المسيء.

من ذا الذي دعاني فلم ألبه؟

---

(١) سورة محمد: ٢.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢/٦٦)، ومسلم (٧٥٨) وغيرهما.

(٣) حلية الأولياء (٨/٩٢).. والحديث ذكره ابن رجب في جامع العلوم (٣١٢) شرح حديث رقم (٢٤).

أم من ذا الذى سألنى فلم أعطه؟

أم من ذا الذى أناخ ببابى فنحيته؟

أنا الفضل ومنى الفضل، وأنا الجواد ومنى الجود، وأنا الكريم ومنى الكرم.

ومن كرمى أن أغفر للعاصين بعد المعاصى.

ومن كرمى أن أعطى العبد ما سألنى وأعطيه ما لم يسألْنى.

ومن كرمى أن أعطى التائب كأنه لم يعصنى.

فأين إلى غيرى يهرب الخلائق؟.

وأين عن بابى يلتجئ[1] العاصون؟».

اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت، أنت أعلم بالحال والشكوى، وأنت قادر على كشف البلوى..

يا من سترت الزلات، وغفرت السيئات، ارحم عبادًا غرهم طولُ إمهالك، وأطمعهم كثرةُ أفضالك، وذلّوا لعزّك وجلالك.

اللهم إنا نعوذ بك من بدن لا ينتصب إليك، ونعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، ونعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، ونعوذ بك من عين لا تبكى إليك.

والآن نشرع فى المقصود:

(١) فى رواية: «ينتحى» بدلاً من: «يلتجئ».

الحق الأول والثانى:

حق الله على العباد
وحق العباد على الله

الحق الأول والثانى:

حق الله تعالى على العباد وحق العباد على الله

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، قال:

كنت رِدْفَ(١) النبىّ -صلى الله عليه وسلم- ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرَّحْل(٢) فقال:

«يا معاذ بن جبل».

قلتُ: لَبَّيْكَ(٣) رسولَ الله وَسَعْدَيْكَ(٤).

ثم سار ساعةً ثم قال:

«يا معاذَ بْنَ جَبَل».

قلتُ: لبيك رسول الله وسعديك.

ثم سار ساعةً ثم قال:

«يا معاذ بن جبل».

قلتُ: لبيك رسول الله وسعديك.

قال: **«هل تدرى ما حقُّ الله على العباد؟»**.

قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم.

---

(١) الردف والرديف: هو الراكب خلف الراكب.

(٢) قوله: «ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل»: أراد المبالغة فى شدة قربه ليكون أوقع فى نفس سامعه لكونه أضبط.

(٣) لبيك: قال النووى: «والأظهر أن معناها إجابة لك بعد إجابة للتأكيد. وقيل: معناه قربًا منك وطاعة لك. وقيل: أنا مقيم على طاعتك. . . وقيل غير ذلك».

(٤) ومعنى سعديك: أى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة.

قال: «فإن حقَّ الله على العبـاد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا» ثم سار ساعة ثم قال:

«يا معاذ بن جبل».

قلتُ: لبيك رسولَ الله وسعدَيْك.

قال: «هل تدرى ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟».

قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال: «أَنْ لا يُعذِّبَهُم»(١).

وفى رواية ثانية:

عن معاذ -أيضًا- قال:

كنتُ رِدْفَ رسول الله -ﷺ- على حِمار يقال له «عُفَيْرٌ» قال:

فقال: «يا معاذ تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟».

قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن حق الله على العبـاد أن يعبدوا الله ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا».

قال: قلتُ: يا رسول الله أفلا أُبشر الناس؟.

قال: «لا تبشرهم فيتَّكِلُوا»(٢).

ومعنى حق الله تعالى على العباد ما يستحقه عليهم مُتَحتَّمًا عليهم.

وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة.

والحديث.. عظيم الشأن.. يعظم شأن التوحيد.. ويُعلى من مقام العبادة.. ويحارب الشرك وينفّر منه.. ويبّن عظيم فضل الله تعالى على عباده الذين أفردوه -سبحانه- بالعبادة والاستعانة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «كتاب الإيمان» (٤٨) (٣٠).
(٢) صحيح: متفق عليه.

ويجيب عن سؤالين هامين

الأول: ما حق الله على العباد؟

والثانى: ما حق العباد على الله إذا عبدوه ووحّدوه؟

وحول هذين الحقين يدور حديثنا فى السطور القادمة بإذن الله تعالى.

أولاً: حق الله تعالى على العباد

وهذا الحق هو أعظم الحقوق وأجلّها قدراً.. وهو يدور على أصلين:

الأول: عبادته سبحانه.

والثانى: توحيده عزّ وجلّ.

وقبل الحديث عن هذين الأصلين.. لابد من الحديث أولاً عن عدة أمور:

الأمر الأول: من هو الله تعالى؟

«الله» هذا الاسم الكريم عَلَمٌ على الذات المقدسة التى نؤمن بها ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا.

والله -تبارك وتعالى- أهل الحمد والمجد، وأهل التقوى والمغفرة، لا نحصى عليه ثناءً، ولا نبلغ حقه توقيراً وإجلالاً.

لو أن البشر -منذ كتب لهم التاريخ، وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة- نسوا الله وكفروا به، ما خدش ذلك شيئًا من جلاله، ولا نقص ذرّة من سلطانه، ولا كفّ شعاعًا من ضيائه، ولا غض بريقًا من كبريائه، فهو -سبحانه- أغنى بحَوْله وطَوْله، وأعظم بذاته وصفاته، وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وَهْمُ واهم، أو جهل جاهل!.

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه، وذهل عن أُخراه، وتنكّر لربه إن ضَيْر ذلك يقع على أمّ رأسه، ولن يضر الله شيئًا.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾(١)(٢).

الأمر الثانى: الدليل على وجوده سبحانه:

وجود الله تعالى من البداهات التى يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدى إليها بطبيعته. وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة.

ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جداً قد يُعطل الرؤية، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد!.

﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٣).

فالله تعالى موجود، والدليل على وجوده «**العقل**» و«الحس» و«**الفطرة**» و«**الشرع**».

أولاً: الدليل العقلى:

فالدليل العقلى على وجود الله عزّ وجلّ أن نقول:

هذا الكون الذى أمامنا ونشاهده على هذا النظام البديع الذى لا يمكن أن يضطرب ولا يتصادم ولا يسقط بعضه بعضاً بل هو فى غاية ما يكون من النظام ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ** ﴾(٤)، فهل يعقل أن هذا الكون العظيم بهذا النظام البديع يكون خالقاً لنفسه؟ كلا لا يعقل، لأنه لا يمكن أن يكون خالقاً لنفسه إن معنى ذلك أنه عدم أوجد موجوداً، ولا يمكن للعدم أن يوجد موجوداً، إذن فيستحيل أن يكون هذا الكون موجداً لنفسه، ولا يمكن أيضاً أن يكون هذا الكون العظيم وجد صدفة، لأنه على

---

(١) سورة الحج: ٣، ٤.
(٢) عقيدة المسلم للغزالى (١٤).
(٣) سورة إبراهيم: ١٠.
(٤) سورة يس: ٤٠.

نظام بديع مضطرد وما جاء صدفة فالغالب أنه لا يضطرد ولا يمكن أن يأتى صدفة(١).

ويذكر عن الإمام أبى حنيفة -رحمه الله- وكان معروفًا بالذكاء أنه جاءه قوم دهريون يقولون له:

أثبت لنا وجود الله.

فقال: دعونى أفكر، ثم قال لهم:

إنى أفكر فى سفينة أرست فى ميناء دجلة وعليها حمل فنزل الحمل بدون حمَّال، وانصرفت السفينة بدون قائد!!.

فقالوا: كيف تقول مثل ذلك الكلام فإن ذلك لا يعقل ولا يمكن أن نصدقه؟

فقال: إذا كنتم لا تصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، كيف يمكن أن تصدقوا أنها وجدت بدون موجد؟!

وقد أشار الله -تعالى- إلى هذا الدليل العقلى بقوله:

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾(٢).

● وسئل أعرابى فقيل له: بم عرفت ربك؟

والأعرابى لا يعرف إلا ما كان أمامه فقال:

البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟

بلى.

---

(١) أركان الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٦).

(٢) سورة الطور: ٣٥.

ولله دَرُّ القائل:

كل العجائب صنعة العقل الذى هو صنعة الله الذى سوّاكا
والعقل ليس مدرك شيئًا إذا ما الله لم يكتب له الإدراكا
لله فى الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداكا
ولعل ما فى النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك
والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيرًا لها أعياكا
قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافى الأمراض من أرداكا؟
قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما عجزت فنون الطب: من عافاكا؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذى أهواكا؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام: من يقود خطاكا؟
قل للجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى: ما الذى يرعاكا؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة: ما الذى أبكاك؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله: من ذا بالسموم حشاكا؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السمّ يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدًا وقل للشهد من حلاكا؟
وإذا رأيت الحى يخرج من حنايا ميت فاسأله: من أحياكا؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخفى عن عيون الناس من أخفاكا؟
قل للنبات يجف بعد تعهد ورعاية: من بالجفاف رماكا؟
وإذا رأيت النبت فى الصحراء يربو وحده فاسأله: من أرباكا؟

● ● ●

وإذا رأيت البدر يسرى ناشرًا أنواره فاسأله: من أسراكا؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبعد كل شىء ما الذى أدناكا؟
قل للمرير من الثمار من الذى بالمر من دون الثمار غذاكا؟
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله: من يا نخل شق نواكا؟
وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار: من أوراكا؟
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحًا قمم السحاب فسله من أرساكا؟

وإذا ترى صخراً تفجر بالمياه فسله: من بالماء شق صفاكا؟
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلا ل جرى فسله: من الذى أجراكا؟
وإذا رأيت البحر بالملح الأجا ج طفى فسله: من الذى أطفاكا؟
وإذا رأيت الليل يغشى داجيًا فاسأله: من يا ليل حاك دُجاك؟

• • •

وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا فاسأله: من يا يصبح صاغ ضحاكا؟
هذى عجائب طالما أخذت بها عيناك وانفتحت بها أذناكا؟
والله فى كل العجائب ماثل إن لم تكن تراه فهو يراكا؟
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذى بالله جلّ جلاله أغراكا؟

لا ريب فى وجود الله:

البيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة، فهى تمسخها وتشرد بها، وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج.

وذاك سر انصراف فريق من الناس عن الإيمان والصلاح، وقبولهم للكفر والشرك! مع منافاة ذلك لمنطق العقل وضرورات الفكر وأصل الخلقة.

قال تعالى فى الحديث القدسى:

«إنى خلقتُ عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم»(١).

إن الإيمان بوجود الله هو نداء الفطرة السليمة.. ورحم الله ابن عطاء الله عندما قال فى بعض مناجاته:

«إلهى كيف يُستدلُّ عليك بما هو فى وجوده مُفْتَقرٌ إليك؟ أيكونُ لغيرك من الظهور ما لَيس لك، حتى يكونَ هو المُظْهرَ لك؟! متى غبْتَ حتى تحتاجَ إلى دليل يَدُلُّ عليك، ومتى بَعُدْتَ حتى تكونَ الآثارُ هى التى تُوصلّ إليك؟»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم.
(٢) الحكم العطائية (٢/ ٢٩٣).

تَبَصَّر حين كان لك التَّبصُّر
وفى ذات الإله دع التفكر
وإن تُرِد المُهيمن حين تذكر
تأمل فى نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس فى البرية مشرقات نجوم فى الدياجى لامعات
بطول الدهر دومًا سابحات إلى ما لست أدرى طائرات
يطير بها له الجرم السميك

رياض مونقات منعشات وألوان لعينك مدهشات
وأزهار تروقك مبهجات على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

ثانيًا: الدليل الحِسّى:

وأما الدليل الحسى: فهو ما نشاهده من إجابة الدعاء مثلاً فالإنسان يدعو الله ويقول: «يا الله» فيجيب دعاءه، ويكشف سوءه ويحصل له المطلوب وهو إنما قال: «يا الله» إذن هناك رب سمع دعاءه وأجابه، وما أكثر ما نقرأ نحن المسلمين فى كتاب الله أنه استجاب لأنبياء الله ﴿**وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾[1] ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾[2]. والآيات فى هذه كثيرة والواقع يشهد بهذا.

(١) سورة الأنبياء: ٧٦.
(٢) سورة الأنبياء: ٨٣، ٨٤.

ثالثًا: الدليل الفطرى:

وقد تقدم ذكر بعضه.. فالإنسان بطبيعته إذا أصابه الضرّ قال: «**يا الله**» حتى إننا حُدِّثنا أن بعض الكفار الموجودين الملحدين إذا أصابه الشىء المهلك بغتة يقول على فلتات لسانه: «يا الله» من غير أن يشعر، لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرّب -عزّ وجل-:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(١).

رابعًا: الدليل الشرعى:

وأما الأدلة الشرعية فحدّث ولا حرج، كل الشرع إذا تأمله الإنسان علم أن الذى أنزله وشرعه هو الرب -عزّ وجل- قال الله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**(٢). فائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله عزّ وجل موافقًا تمامًا لمصالح العباد دليل على أنها من عند الله عز وجل وما تقدم من أدلة يَرُدّ على من زَعَم أن العالم خلق صُدْفة!!.. ولمزيد من الإيضاح:

يقول الشيخ الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا... جزافًا...!!

فوضع الأرض أمام الشمس مثلاً.. ثم على مسافة معينة. لو نقصت -بحيث ازداد قربها من الشمس- لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان...

ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض. وهلك كذلك

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

الزرع والضرع. . . أفتظن إقامتها فى مكانها ذاك لتنعم بحرارة مناسبة جاء خبط عشواء؟

وحركة المد والجزر التى ترتبط بالقمر!!

أفما كان من الممكن أن يقترب القمر من أمّه أكثر فيسحب أمواج المحيطات سحبًا يغطى به وجه اليابسة(١) كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شىء؟

من الذى أقام القمر على هذا المد المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك؟.

إننا على سطح هذه الأرض نستنشق «الأوكسچين» لنحيا به ونطرد «الكربون» الناشئ من احتراق الطعام فى جسومنا.

وكان ينبغى أن يستنفد الأحياء -وما أكثرهم- هذا العنصر الثمين فى الهواء. فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدًا. . .

لكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ «الكربون» ويعطى بدله «أوكسجين» وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوفه اللطيف الحيوان والنبات جميعًا!!

أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه؟

إننى أحيانًا أسرح الطرف فى زهرة مخططة بعشرات الألوان. ألتقطها بأصابع عابثة من بين مئات الأزهار الطالعة فى إحدى الحدائق. . ثم أسأل نفسى: بأى ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف وحدها. إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التى تبدو هنا مخففة. وهنا مظللة. وهنا مخططة. وهنا منقطة. وأنظر إلى أسفل. إلى التراب الأعفر الذى أطلع هذه الألوان. إنه -بيقين- ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها.

هل الصدفة هى التى أشرفت على ذلك؟ أى صدفة؟

---

(١) اليابسة: الأرض.

إن المرء يكون غبيًّا جدًّا عندما يتصور الأمور على هذا النحو . . .

وألوان الزهرة هذه ملاحظة شكلية ساذجة بالنسبة إلى ملاحظة قصة الحياة فى أدنى صورها.

إن إنشاء الحياة فى أصغر خلية يتطلب نظامًا بالغ الإحكام.

ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق «جزئ» فى جسم دودة حقيرة فضلاً عن خلق جهازها الهضمى أو العصبى.

فما بالك بخلق هذا الإنسان الرائع البنيان الهائل الكيان.

ثم ما بالك بخلق ذالكم العالم الرحب. . . ؟؟

لماذا يطلب منى -إذا رأيت ثوبًا مخيطًا أنيقًا- أن أتصور خيطًا قد دخل من تلقاء نفسه فى ثقب إبرة ثم إبرة اشتبكت من تلقاء نفسها فى نسيج الثوب وأخذت تعلو وتهبط صانعة الصدر والذيل والوسط والأكمام والأزرار والفتحات والزركشة والمحاسن. . . إلخ.

إن إحالة الأمور على المصادفات ضرب من الدجل العلمى يرفضه أولو الألباب. . .

لنفرض أن الآلة الكاتبة فى أحد الدواوين وجدت بجوارها ورقة مكتوب عليها اسم عمر ماذا يعنى هذا. . . ؟

أحد أمرين: أقربهما إلى البداهة وهو أن خبيراً بالكتابة طبع الاسم على الورقة.

والأمر الثانى: أن حروف الاسم تجمعت وترتبت وتلاقت هكذا جزافًا.

إن الفرض الأخير معناه من الناحية العلمية ما يأتى:

الابتداء بكتابة العين. أو سقوط حروفها وحده على الورقة دون وعى يجوز بنسبة (١) إلى (٢٨). -وهو عدد حروف الهجاء العربية-.

وسقوط حرفى العين والميم معًا يجوز بنسبة (١) إلى ٢٨×٢٨ . .

ونزول الحروف الثلاثة بعوامل الصدفة المحضة يجوز بنسبة (١) إلى ٢٨×٢٨×٢٨ أى بنسبة (١) إلى ٢١٩٥٢ .

وليس أغبى فكرًا ممن يترك الفرض الوحيد المعقول ويؤثر عليه فرضًا آخر لا يتصور وقوعه إلا مرّة بين اثنتين وعشرين ألف مرة. . .

والصدف حين تخط على القرطاس كلمة عمر أقرب إلى الذهن من تصور الصدف هذه تخلق قطرة ماء فى المحيطات الغامرة. أو حبة رمل فى الصحارى الشاسعة. . .

إن العلم برىء من مزاعم الإلحاد. ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء»[(١)].

وعجيب أمر هذا الشاعر البائس[(٢)] الذى لا يدرى شيئًا:

جئت لا أعلم من أين، ولكنى أتيت
ولقد أبصرتُ قُدَّامى طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقى؟
لستُ أدرى
أجديد أم قديم أنا فى هذا الوجود؟
هل أنا حرّ طليق أم أسير فى قيود؟
هل أنا قائد نفسى فى حياتى أم مقود؟
أتمنى أننى أدرى ولكنى
لستُ أدرى

---

(١) عقيدة المسلم (١٩ - ٢١).

(٢) هو: إيليا أبو ماضى من قصيدة طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) ص١٠٦. . ومن الغريب أن بعض أهل الفن يغنيها على الرغم ما فيها من كفر!!.

وطريقى ما طريقى؟ أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟
أأنا السائر فى الدرب أم الدرب تسير؟
أم كلانا واقف والدهر يجرى؟!
لستُ أدرى
ليت شعرى وأنا فى عالم الغيب الأمين
أترانى كنت أدرى أننى فيه دفين.
وبأنى سوف أبدو وبأنى سأكون
أم ترانى كنتُ لا أدرك شيئًا؟
لستُ أدرى
أترانى قبلما أصبحتُ إنسانًا سويًّا
كنت محوًا أو محالاً أم ترانى كنتُ شيئًا
ألهذا اللغز حل؟ أم سيبقى أبديًّا
لستُ أدرى.... ولماذا لستُ أدرى؟
لستُ أدرى

أى حيرة هذه؟! وأى قلق تجلبه هذه المجاهيل للنفس الإنسانية؟! ألا يستحق أبناء هذا القرن الذين فقدوا المعرفة بالحقائق الكبرى التى لا تستقيم حياتهم إلا بها -ألا يستحقون هذه الهموم التى تملأ النفس وتسبب الأوجاع والعُقد النفسية؟!

وأين هؤلاء من المسلم الذى يدرى ويعرف معرفة مستيقنة كل هذه الحقائق، فإذا به يجد برد اليقين. وهدوء البال، وإذا به يسير فى طريق مستقيم إلى غاية مرسومة يعرف معالمها، ويدرى غايتها.

واستمع إلى الشاعر البائس يتحدث عن الموت والمصير:

إن يكُ الموت قصاصًا! أيُّ ذنب
للطهارة؟
وإن كان ثوابًا، أي فضل للدعارة؟
وإذا كان وما فيه جزاء أو خسارة
فلم الأسماء إثم وصلاح؟
لستُ أدرى
إن يك الموت رقادًا بعده صحو طويل
فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل؟
ولماذا المرء لا يدرى متى وقت الرحيل؟
ومتى ينكشف الستر فيدرى؟
لستُ أدرى
إن يك الموت هجوعًا يملأ النفس سلاما
وانعتاقًا لا اعتقالاً وابتداء لا ختاما
فلماذا لا أعشق النوم ولا أهوى الحماما؟
ولماذا تجزع الأرواح منه؟
لستُ أدرى
أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور؟
فحياة، فخلود، أم فناء فدثور؟
أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور؟
أصحيح أن بعض الناس يدرى؟
لستُ أدرى

إن أكن أُبعثُ بعد الموت جُثْمانًا وعقلاً.
أترى أُبعث بعضًا أم ترى أبعث كُلاًّ.
أترى أبعث طفلاً أم ترى أبعث كهلاً؟
ثم هل أعرف بعد البعث ذاتى؟
لستُ أدرى

إنه لا يدرى إلى أين المصير ومصير الإنسان يهمه ويعنيه، ويريد أن يطمئن على ذاك المصير، ونحن نرى لوعة الشاعر وأساه، لأنّه لا يدرى إلى أين يصير؟ وماذا سيصير؟ إنه الضلال، الضلال عن الحقيقة، إنَّه الشقاء: شقاء القلب المثقل المكدود، الذى أتعبه المسير، وكم فى الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس الضّال بعضهم يستطيع أن يفصح عن شقوته، وحيرته، وبعضهم يحس ويعانى وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية.

«لستُ أدرى» تلك هى الإجابة عن التساؤلات الخالدة، وليست هى قولة شاعر فحسب «فسقراط» الفيلسوف الذى يُعدُّ من عمالقة الفلاسفة، يقول بصريح العبارة:

«الشىء الذى لا أزال أجهله جيداً أننى لستُ أدرى» بل إنَّ «اللا أدرية» مذهب فلسفى قديم.

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدرى، يدرى من أين جاء، وإلى أين المصير، يدرى لماذا هو موجود وما دوره فى هذا الوجود يدرى ذلك حقًّا وصدقًا وفرق بين من يدرى ومن لا يدرى

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١)(٢).

---

(١) سورة الملك: ٢٢.

(٢) العقيدة فى الله، د. عمر الأشقر (١٢-١٥).

الأمر الثالث: معنى كلمة «لا إله إلا الله»:

معنى «**لا إله إلا الله**» أى لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(١).

مع قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾(٢).

فصح أن معنى الإله هو المعبود، ولهذا لما قال النبى -ﷺ- لكفار قريش «**قولوا لا إله إلا الله**» قالوا:

﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾(٣).

وقال قوم هود: ﴿**أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾(٤).

وهو إنما دعاهم إلى «**لا إله إلا الله**» فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفى الإلهية عمّا سواه وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهى عن اتخاذ غيره معه إلـهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفى والإثبات، كما رأيت رجلاً يستفتى أو يستشهد من ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفت ولا شاهد، المفتى فلان والشاهد فلان، فإن هذا أمر منه ونهى، وقد دخل فى الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذر والسجود،

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة ص: ٥.

(٤) سورة الأعراف: ٧٠.

وجميع أنواع العبادة، فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بـ«**لا إله إلا الله**» إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص(١).

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-:

«الإله هو الذى يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاءً وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا فى إخلاصه فى قول «**لا إله إلا الله**» ونقصًا فى توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك» ا.هـ.

وقال الإمام البقاعى:

«لا إله إلا الله، أى انتفى انتفاءً عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف» ا.هـ.

الأمر الرابع: التعريف بأركان الإيمان:

دلّ كتاب الله تعالى وسنة رسوله -ﷺ- على أن العقيدة الصحيحة تتلخص فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه، فهذه الأمور «الستة» هى أصول العقيدة الصحيحة. . .

وأدلة هذه الأصول الستة من القرآن: قوله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾(٢).

---

(١) الشهادتان للشيخ عبد الله بن جبرين (١٦، ١٧).

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

ومن الأحاديث:

ما رواه مسلم فى «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن جبريل -عليه السلام- سأل النبى -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، فقال له:

«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه».

وهذه الأصول الستة: يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده فى حق الله سبحانه وفى أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

شرح الحديث:

أولاً: الإيمان بالله

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أن تؤمن بالله**» والإيمان بالله -عز وجلّ- يتضمّن بأربعة أمور:

الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبية الله، والإيمان بألوهية الله، والإيمان بأسمائه وصفاته.

أولاً: الإيمان بوجود الله:

وقد تقدم الحديثُ عن ذلك قريبًا.

ثانيًا: الإيمان بربوبيته:

ومعنى (الرب): أى الخالق، والمالك، والمدبر، فهذا معنى ربوبية الله -عز وجل- ولا يغنى واحد من هذه الثلاثة عن الآخر، فهو الخالق الذى أوجد الأشياء من عدم ﴿**بَدِيعُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾(١).

فالذى أوجد الكون من العدم هو الله الخالق، المالك أى خلق الخلق وانفرد بملكه له، كما انفرد بخلقه له، كذلك أيضًا منفرد بالتدبير، فهو المدبر لجميع الأمور وهذا بإقرار المشركين، فإنهم إذا سُئلوا من يدبر الأمور؟

---

(١) سورة البقرة: ١١٧.

فسيقولون: «الله» فهو المنفرد بالتدبير ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾(١).

سئل أعرابى: بم عرفت ربك؟

قال: بنقض العزائم وصرف الهمم.

فالإنسان يعزم أحيانًا على الشىء عزمًا وتصميمًا أكيدًا وفى لحظة يجد نفسه قد عزم على تركه ونقض العزم، وقد يهم الإنسان بالشىء متجهًا إليه ثم ينصرف بدون سبب، وهذا يدل على أن للأشياء مدبرًا فوق تدبيرك أنت، وهو الله عزّ وجلّ.

ثالثًا: الإيمان بألوهيته:

وهو أن يؤمن الإنسان بأنه سبحانه هو الإله الحق، وأنه لا يشاركه أحد فى هذا الحق لا ملك مقرب ولا نبى مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هى الدعوة إلى قول: «لا إله إلا الله» ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٢).

لو أن أحدًا آمن بوجود الله، وآمن بربوبية الله، ولكنه يعبد مع الله غيره فلا يكون مؤمنًا بالله حتى يفرده سبحانه بالألوهية.

رابعًا: الإيمان بأسمائه وصفاته:

الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة فى كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بما دلّت عليه من المعانى العظيمة التى هى أوصاف لله -عزّ وجل- يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه فى شىء من صفاته كما قال تعالى:

---

(١) سورة السجدة: ٥.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١).

وقال عزّ وجل: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله -ﷺ- والتابعين لهم بإحسان، وهى التى نقلها الإمام أبو الحسن الأشعرى -رحمه الله- فى كتابه «المقالات عن أصحاب الحديث وأهل السنة» ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان.

قال الأوزاعى -رحمه الله-: سئل الزهرى ومكحول عن آيات الصفات فقالا: أمروها كما جاءت.

وقال الوليد بن مسلم -رحمه الله-: سئل مالك، والأوزاعى، والليث ابن سعد وسفيان الثورى -رحمهم الله- عن الأخبار الواردة فى الصفات، فقالوا جميعًا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقال الأوزاعى -رحمه الله-: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله سبحانه على عرشه ونؤمن بما ورد فى السنة من الصفات.

ولمّا سُئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن شيخ مالك -رحمة الله عليهما- عن الاستواء، قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق».

ولما سُئل الإمام مالك -رحمه الله- عن ذلك قال:

«الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» ثم قال للسائل:

«ما أراك إلاّ رجل سوء!» وأمر به فأخرج.

وروى هذا المعنى عَن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-.

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة النحل: ٧٤.

وقال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك -رحمه الله-:

«نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه».

وكلام الأئمة فى هذا الباب كثير جدًا... ومن أراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنّة فى هذا الباب مثل كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب «التوحيد» للإمام الجليل محمد بن خزيمة، وكتاب «السنّة» لأبى القاسم اللالكائى الطبرى، وكتاب «السنة» لأبى بكر بن أبى عاصم، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، وهو جواب عظيم الفائدة قد أوضح فيه -رحمه الله- عقيدة أهل السنة...

وبطلان ما قاله خصومهم[(١)].

قال الشيخ العثيمين:

«وموقفنا من الإيمان بأسماء الله وصفاته، أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وأن ننزه هذا الإثبات عن محظورين عظيمين وهما:

التمثيل، والتكييف، ودليل ذلك السمع والعقل قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[(٢)]، ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ**﴾[(٣)]، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[(٤)] والنصوص فى هذا المعنى كثيرة.

أما العقل، فإننا نقول: لا يعقل أبدًا أن يكون الخالق مماثلاً للمخلوق لما بينهما من التباين العظيم، فالخالق موجد، والمخلوق مُوجَد، والخالق أزلى أبدى الوجود، والمخلوق جائز الوجود قابل للفناء بل هو فان. قال تعالى:

﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾[(٥)].

قال بعض السلف -رحمهم الله- إذا قرأت هذه الآية:

---

(١) العقيدة الصحيحة للشيخ ابن باز -رحمه الله- (ص ٨، ٩).

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة النحل: ٧٤.

(٤) سورة مريم: ٦٥.

(٥) سورة الرحمن: ٢٦، ٢٧.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. فلا تقف عليها فصلها بما بعدها ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. ليتميز الفرقان المبين بين الخالق والمخلوق، وليعرف كمال الله -عز وجل- ونقص ما سواه.

لكن لو قال لنا قائل مما وصف الله به نفسه إن له وجها كما قال سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾. وأنا لا أعقل من الوجه إلا مثل وجه المخلوق فيلزم من إثبات الوجه لله التمثيل، لأن القرآن عربى والوجه هو ما يتعارف بين الناس وأكمل الوجوه وجوه البشر، فوجه الله كوجه الإنسان مثلاً فماذا نقول له؟

نقول له: إن هذا الفهم فهم خاطئ، لأن الوجه هنا مضاف إلى الله، والمضاف بحسب المضاف إليه فوجه الله يليق بالله، ووجه الإنسان يليق بالإنسان. ونقول له أيضًا:

أنت لك وجه والأسد له وجه والهر له وجه، فإذا قلنا وجه الإنسان ووجه الأسد ووجه الهر، فهل يلزم من ذلك التماثل؟ فلا أحد يقول: إن وجهه يماثل وجه الهر أو الأسد أبدًا.

إذن نعرف من هذا أن الوجه بحسب ما يضاف إليه، فإثباتنا لصفات الله -عز وجل- لا يستلزم أبدًا المماثلة بين الخالق والمخلوق بدليل السمع وبدليل العقل.

التكييف: أى أن صفات الله -عزّ وجل- لا تكيف تقديرًا بالجنان ولا نطقًا باللسان، ودليل ذلك سمعى وعقلى أيضًا.

الدليل السمعى: قوله تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(١). فمن كيَّف صفة من صفات الله فقد قال على الله ما لا يعلم.

أما الدليل العقلى لامتناع التكييف، فإننا نقول:

لا يمكن لأى إنسان أن يعرف كيفية الشىء إلا بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه.

---

(١) سورة طه: ١١٠.

مثل: لو أنى شاهدت مسجلاً بعينه فإنى أعرف كيفيته لأننى شاهدته بعينى، أو مشاهدة نظيره مثل أن يأتينى رجل ويقول:

عندى سيارة واشتريتها موديل ٨٨ مثلاً، وصفتها كذا ولونها كذا، فإنه يمكننى معرفة هذه السيارة، مع أنى لم أشاهدها، لأنى أعرف نظيرها وأشاهده.

ومثال الخبر الصادق عندى مثل: أن يأتينى رجل ويقول عندى بعير صفته كذا وكذا، وعليه الوسم الفلانى، فهذا عرفت كيفيته بالخبر الصادق.

إذا طبقنا هذه القاعدة العقلية على صفات الله -عز وجل- فإنه لا يمكن أن نعرف صفات الله -عزّ وجل- بهذه الوسائل الثلاث، لأننا لم نشاهد ولم نشاهد نظيراً ولم نخبر عنه.

ولهذا قال بعض العلماء إذا قال لك الجهمى:

إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟

فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، فعلينا أن نؤمن بما بلغنا وأن نمسك عما لم يبلغنا ونظير ذلك قول مالك -رحمه الله- حين سأله سائل: «**الرحمن على العرش استوى**» كيف استوى؟

فأطرق الإمام مالك برأسه تعظيمًا لهذا السؤال... ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التى تعتبر ميزانًا لجميع الصفات قال له:

«الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فكل من سأل عن كيفية صفة من صفات الله قلنا له:

أنت مبتدع فوظيفتك أن تؤمن بما بلغك وتسكت عما لم يبلغك»[1].

---

(١) أركان الإيمان (١٨-٢٢) بتصرف.

ثانيًا: الإيمان بالملائكة

الملائكة: عالم غيبى خلقهم الله -عز وجل- من نور[(١)] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾[(٢)]، يقومون بأمر الله، ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[(٣)].

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، فهذا مرتبته فى الدين، ومن أنكر الملائكة فهو كافر، لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين.

كيف نؤمن بالملائكة؟

نؤمن بهم أولاً: بأسماء من عَلمنا اسمه منهم، ثانيًا: بأوصاف من علمنا وصفه، ثالثًا: بأعمال من علمنا عملهم.

أولاً: نؤمن بأسماء من علمنا اسمه: كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومالك ورضوان، وملك الموت، ومنكر ونكير.

فجبريل وميكائيل وإسرافيل كل منهم موكل بما فيه الحياة.

فجبريل موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحى، لأن جبريل هو الذى جعله الله تعالى وكيلاً فى نزول الوحى على الرسل، كما قال تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[(٤)].

وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الأجساد عند البعث.

وأما ميكائيل: فهو موكل بالقطر والنبات وبالقطر والنبات تكون حياة الأرض ولهذا جمع النبى -ﷺ- بين هؤلاء الملائكة فى حديث استفتاح صلاة الليل، فكان يستفتح صلاة الليل بقوله:

«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السمٰوات والأرض

---

(١) رواه مسلم فى «صحيحه» عن النبى -ﷺ- قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم**».

(٢) سورة الأنبياء: ٢٠.

(٣) سورة التحريم: ٦.

(٤) سورة الشعراء: ١٩٣، ١٩٤.

عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

وأما «مالك» فهو موكل بالنار لقوله تعالى عن أهل النار:

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾(٢).

وأما «رضوان» فموكل بالجنة واسمه هذا ليس ثابتًا ثبوتًا واضحًا كثبوت مالك لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم، والله أعلم.

وأما السادس (ملك الموت) وقد اشتهر أن اسمه عزرائيل، لكنه لم يصح. إنما ورد هذا فى آثار إسرائيلية لا توجب أن نؤمن بهذا الاسم فنسمى من وكل بالموت بـ «ملك الموت» كما سماه الله عزّ وجل فى قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٣).

والسابع والثامن وهما: «منكر ونكير» وهما الملكان اللذان يسألان الميت فى قبره وقد ورد فى ذلك حديث فى الترمذى ضعفه بعض العلماء وقال:

إنه لا يمكن أن يطلق اسم «منكر ونكير» على الملائكة الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٤).

على كل حال فهما الملكان اللذان يسألان الميت عن ربه ودينه ونبيه.

ثانيًا: الإيمان بأوصاف من علَمْنا وصفه:

علمنا بما صح عن النبى - ﷺ - أنه رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق(٥)، وهذا يدل على عظمته، ومع

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤).

(٢) سورة الزخرف: ٧٧.

(٣) سورة السجدة: ١١.

(٤) أركان الإيمان ص٢٧.

(٥) روى الإمام أحمد فى «المسند» عن ابن مسعود، قال: رأى رسول الله - ﷺ - جبريل فى صورته وله ستمائة جناح، كلّ جناح منها قد سدّ الأفق. يسقط من جناحه التهاويل «الأشياء المختلفة الألوان» من الدّر والياقيت» قال ابن كثير فى هذا الحديث: إسناده جيد (البداية ١/ ٤٧).

ذلك فإنه من الممكن أن يأتى على غير هذه الصفة، كما أتى فى صورة رجل شديد البياض شديد سواد الشعر، وجاء مرة على صورة دحية الكلبى. وقد تمثل جبريل بشرًا لمريم بنت عمران كما قال تعالى:

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(١).

وأخبرنا رسول الله -ﷺ- عن أحد حملة العرش، فقال:

«أُذن لى أن أُحدِّث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام»(٢).

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس، قال:

قال رسول الله -ﷺ-:

«أُذن لىِ أن أُحَدِّث عن أحد حملة العرش، رجلاه فى الأرض السُّفلى، وعلى قَرْنه العرْش، وبين شحمة أُذنيه وعاتقه خفَقان الطير سبعمائة عام، يقول «أى الملك»**: سبحانك حيث كنت»**.

ثالثًا: الإيمان بأعمال من عَلِمنا عملهم:

وقد تقدم ذكر بعض ذلك.. ومن أهم ما يجب الإيمان به أن نؤمن بأن كل شخص معه ملكان يكتبان عمله كما قال الله تعالى:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٣). رقيب حاضر من هؤلاء الملائكة فإياك أيها المسلم أن يكتب هذان الملكان عنك ما يسوؤك يوم القيامة فكل شىء تقوله وتتلفظ به فإنه مكتوب عليك **﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾** سواء كان لك، أو عليك أو لغوًا لا لك ولا عليك، فاحرص يا أخى على ضبط اللسان حتى لا يكتب عليك كلمات تسوؤك يوم القيامة.

---

(١) سورة مريم: ١٧.

(٢) **صحيح:** رواه ابن أبى حاتم وقال: «تخفق الطير»، قال محقق مشكاة المصابيح: إسناده صحيح (٣/ ١٢١)، وصححه الشيخ الألبانى. الصحيحة (١/ ٧٢).

(٣) سورة ق: ١٧، ١٨.

«قصة»:

لما دخلوا على الإمام أحمد -رحمه الله- وكان مريضًا فإذا هو يئن أنين المريض فقيل له:

يا أبا عبد الله: إن طاووسًا -وهو أحد التابعين-(١) يقول:

«إن أنين المريض قد يكتب عليه».

فأمسك الإمام أحمد عن الأنين!!.

ثالثًا: الإيمان بالكتب

الركن الثالث وهو الإيمان بكتب الله -عزّ وجلّ- التى أنزلها على الرسل، وما من رسول إلا أنزل الله معه كتابًا قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾(٢).

• كيف نؤمن بالكتب؟

الإيمان بالكتب أن نؤمن بما علمنا اسمه باسمه، والذى علمنا اسمه من هذه الكتب:

القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى إن قلنا إنها غير التوراة، وما لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

وما صح من الكتب السابقة نقبل خبره بدون تفصيل.. أمّا بالنسبة للأحكام الواردة فيها ففيه تفصيل:

فما كان فى القرآن فإنه يلزمنا التعبد به وما كان مخالفًا لشريعتنا فإننا لا نعمل به لا لأنه باطل بل هو حق فى زمنه لكنه نسخ بشريعتنا ومثال ما يخالف شريعتنا ما ذكره القرآن:

---

(١) راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين» ط. المكتبة التوفيقية.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾(١).

فاليهود حرم الله عليهم كل ذى ظفر مثل الإبل وكذلك كل ذى رِجْل غير مشقوقة أى ما لها أصابع، ومن البقر والغنم حرم الله عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، فهذا منسوخ بشريعتنا، فإن الله تعالى قد أحل لنا ذلك.

وأما مثال ما وافق شريعتنا فكثير مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢).

وأما ما لم يرد شرعنا بخلافه ومثاله الأخذ بقرينة الحال:

كحكم سليمان بين المرأتين المتنازعتين، حيث دعا بالسكين ليشقه بينهما فوافقت إحداهما وامتنعت الأخرى فحكم به للتى امتنعت مع أنها الصغرى، لأن امتناعها دليل على أنها أمه(٣).

وهذا لم يرد مثله فى شرعنا بعينه، وإن كان قد ورد ما يدل على اعتبار القرائن من حيث الجملة، ولكن القول الراجح فيه: أنه شرع لنا، وأننا نعمل به لما ذكرنا من الدليل من القرآن.

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**بينما امرأتان معهما ابنان لهما، إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لا تشقه، فقضى به للصغرى**».

رابعًا: الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة، والرسل ينقسمون إلى قسمين رسل من البشر ورسل من الملائكة:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾(٤).

والرسول البشرى تعريفه عند الجمهور: أنه من أوحى إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وأول الرسل نوح -عليه السلام- وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾(٢).

والدليل على أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- خاتمهم قوله تعالى:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٣).

فإن قلت: هل آدم رسول أم لا؟

فالجواب: أنه ليس برسول لكنه نبى، كما جاء فى الحديث الذى أخرجه ابن حبان فى «صحيحه» عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال:

قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟.

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا».

قلت: مَنْ كان أولهم؟.

قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله، أنبى مرسل؟.

قال: «نعم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وسواه قُبُلاً(٤)، يا أبا ذر: أربعة سُريانيون: آدم، وشيث وأخنوخ وهو إدريس، وهو أول مَنْ خط

---

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) سورة النساء: ١٦٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٤) قُبلاً: يعنى عيانًا.

بالقلم. ونوح، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك يا أبا ذر، وأول أنبياء بنى إسرائيل: موسى، وآخرهم عيسى -عليه السلام-، وأول المرسلين: آدم، وآخرهم محمد».

قلتُ: يا رسول الله كم كتاب أنزل الله عزّ وجلّ؟

قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله عزّ وجلّ على شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل أن ينزل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان».

قلتُ: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟

قال: «كانت أمثالاً كلها، كان فيها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إنى لم أبعثك تجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لتردّ عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن تكون له ساعات: ساعة يناجى فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فى صنع الله -عز وجل- إليه، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنًا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة فى غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظًا للسانه، ومَنْ يحسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

قلتُ: يا رسول الله، ما كانت صحف موسى؟

قال: «كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو يلهو، وعجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبتُ لمن أيقن بالحساب غداً كيف لا يعمل»(١).

---

(١) أخرجه ابن حبان فى «صحيحه»، والطبرى مختصراً فى «التاريخ» (١/ ١٥١). وابن كثير فى «البداية» (٢/ ١٥١).

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر

ويشتمل أمورًا:

١- الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

فالإيمان بعذاب القبر يدخل فى الإيمان باليوم الآخر، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

ووجه الدلالـة قوله: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ ﴾. حال توفيهم: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾، وهم وإن كانوا لم يدخلوا الجنة التى عرضها السمـوات والأرض لكن دخلوا القبر الذى فيه نعيم الجنة(٤).

وأما عذاب القبر فثابت أيضًا بالقرآن.

قال تعالى -فى آل فرعون-:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾(٢)، فقوله: «يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا» هذا قبل أن تقوم الساعة ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٤).

ووجه الدلالة مـن قوله: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾. لأن «ال» هنا للعهد

(١) سورة النحل: ٣١، ٣٢.

(٢) أركان الإيمان للشيخ العثيمين ص ٤٠.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

(٤) سورة الأنعام: ٩٣.

الحضورى لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١]. أى اليوم الحاضر وهو يوم وفاة هؤلاء الظالمين.

وفى السنة أحاديث كثيرة صحيحة تثبت عذاب القبر ونعيمه، منها:

عن هانئ مولى عثمان بن عفان، قال:

كان عثمان -رضي الله عنه- إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته فقيل له:

تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى؟

فقال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**القبر أول منزل من منازل الآخرة. فإن نجا منه فما بعده أيسر. وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه**»، وقال -صلى الله عليه وسلم-:

«**ما رأيت منظراً قطّ إلا والقبرُ أفظع منه**»[٢] أخرجه الترمذى وقال:

هذا حديث حسن غريب. وأخرجه رزين وزاد:

قال هانئ: سمعتُ عثمان ينشد:

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة   وإلا فإنى لا إخالك ناجياً[٣]

قلتُ: وأحاديث عذاب القبر ونعيمه متواترة.. يقول شارح الطحاوية:

«وقد تواترت الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم فى كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به فى هذه الدار، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتى بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا».

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) **حسن**: رواه الترمذى، وابن ماجه، وقال الشيخ الألبانى: حسن. صحيح الجامع (٨٥/٢).

(٣) تيسير الوصول (٣٠٦/٣).

وقال في موضع آخر: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول -ﷺ- مراده من غير غلو ولا تقصير»(١).

وقال الإمام القرطبي:

«وأنكرت الملاحدة ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة، واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئًا مما أخبرت به النصوص»(٢).

وهؤلاء كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وقد ظن هؤلاء أن أبصارهم يمكن أن ترى كل شيء، وأن أسماعهم يمكن أن تسمع كل شيء، ونحن اليوم نعلم من أسرار الكون ما كانت أسماعنا وأبصارنا عاجزة عن سماعه ورؤيته، ومن آمن بالله صدّق خبره.

٢- الإيمان بالبعث بعد الموت:

والبعث: هو إحياء الموتى. قال تعالى:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٣).

وعن أبي رُزين العقيلي -رضي الله عنه- قال:

قلتُ: يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك؟

قال: «**أما مررت بوادي قومك جَدْبًا. ثم مررت به يهتز خَضِراً؟**».

قلتُ: نعم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٠ - ٤٥١).

(٢) التذكرة (١٢٥).

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٤.

قال: «**فتلك آية الله فى خلقه. كذلك يحيى الله الموتى**» رواه أحمد.

والمعنى: أما مررت بوادى قومك حال خلوه من النبات ثم مررت به بعد أن اخضر بالنبات؟ كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة.

والبعث هنا إعادة وليس تجديدًا، كما قال تعالى:

﴿**قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾(١).

لأنه لو كان خلقًا جديدًا لكان الجسد الذى يعمل السيئات فى الدنيا سالمًا من العذاب، ويؤتى بجسد جديد فيعذب، وهذا خلاف العدل، فالنص والعقل قد دلّ على أن البعث ليس تجديدًا ولكنه إعادة، ولكن يبقى النظر كيف تكون إعادته، والإنسان ربما يموت، فتأكله السباع، ويتحول من اللحم إلى الدم فى الحيوان الآكل وروث وما أشبه ذلك؟

فيقال: إن الله على كل شىء قدير يقول للشىء كن فيكون... والواجب على الإنسان فى الأمور الخبرية الغيبية هو التسليم.

٣- الحشر:

وهو سَوْق الناس إلى مكان الحساب فتجتمع الوفود فى هذا اليوم المشهود ليسأل كلّ عن عمله ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«**يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حُفاة عُراة غُرْلاً**» ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾(٣) «**ألا وإنّ أوّل الخلائق يُكسى**

(١) سورة يس: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة الزلزلة: ٧، ٨.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٤.

يوم القيامة إبراهيم -عليه السلام-، **ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابى. فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**(١). فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢). وقال: «**فيقال لى: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول سحقًا سحقًا**». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

٤- الإيمان بالحساب:

وهو توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم أقوالاً وأفعالاً واعتقادات تفصيلاً بعد أخذهم كتبهم إلا من استثنى. وكيفية التوقيف أمر غيبى.. تقف الخلائق خمسين ألف سنة(٣) شاخصة أبصارهم، منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا يُنظر فى أمورهم!!!

قال الإمام الحسن: «ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرّها واشتد لفحها».

واعلم أنّ من طال انتظاره فى الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم خاصة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما سُئل عن طول ذلك اليوم فقال:

«والذى نفسى بيده إنه لَيُخفَّفُ على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يُصلّيها فى الدنيا»(٤).

---

(١) قوله: «ما أحدثوا بعدك» المراد بهم أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يكفروا ببدعتهم. وقيل: المراد المنافقون والمرتدون.

(٢) سورة المائدة: ١١٧، ١١٨.

(٣) قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج: ٤].

(٤) **حسن**: أخرجه أبو يعلى والبيهقى فى «الشعب» وحسنه «العراقى. هامش الإحياء (٤/٥١٥).

فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك، فاعمل فى أيام قصار لأيام طوال تربح ربحًا لا منتهى لسروره.

ولله در القائل:

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إذا كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت وإذا ... خلت الديار فما بها معمور
الوحوش لدى القيامة أحشرت ... وتقول للأملاك أين نسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت ... من حور عين زانهن شعور
وإذا الموءودة سئلت عن شأنها ... وبأى ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه ... طىّ السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدى لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ... وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور؟

والناس فى يوم الحساب متفاوتون (فمنهم) من يحاسب حسابًا يسيرًا يُعرض عمله عليه. فيطلعه الله على سيئاته سرًا بحيث لا يطّلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة.

(ومنهم) من يناقش الحساب. بأن يُسأل عن كل جُزئية ويُطالب بالعذر والحُجة، فلا يجد عذرًا ولا حجة فيهلك مع الهالكين. ويأمر الله تعالى مناديًا ينادى عليه بسيئات أعماله، فيفتضح بين الخلائق.

فعليك أيها العاقل أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتبادر بالأعمال الصالحة قبل الفوات، وتصل ما بينك وبين ربّك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتؤمن بالحساب وتستعد له.

هذا «واعلم» أنه سيشهد على العاصى أحد عشر شاهدًا فى هذا اليوم المشهود: اللسان، والأيدى، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة الكرام، والمال. قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[3][4].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[5]. فقال:

«أتدرون ما أخبارها؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا» قال:

---

(١) سورة النور: ٢٤.

(٢) سورة فصلت: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة ق: ٢١.

(٤) «سائق» ملك يسوقها إلى المحشر «وشهيد» يشهد عليها بما عملت. قاله عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيما رواه الحاكم وابن المنذر.

(٥) سورة الزلزلة: ٤.

«فهذه أخبارها»(١).

وعن أنس -رضي الله عنه-، قال:

ضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«هل تدرون مم أضحك؟».

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تُجرنى من الظلم؟

يقول: بلى.

فيقول: إنى لا أجيز اليوم على نفسى شاهداً إلا منى.

فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا والكرام الكاتبين شهودًا.

فيختم على فيه ويقول لأركانه: انطقى، فتنطق بأعماله ثم يُخلّى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكُنّ وسُحقًا فعنكن كنتُ أُناضل» رواه مسلم.

وأخرج أبو نعيم عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«ما من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه:

يابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل خيرًا أشهد لك به غداً فإنى لو مضيتُ لن ترانى أبدًا، ويقول الليل مثل ذلك»(٢).

وعن أبى سعيد -رضي الله عنه- أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إنّ هذا المال خضر حلو، ونعم هو لمن أعطى منه المسكينَ واليتيم وابن السبيل، وإنه من يأخذه بغير حقّه كان كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة» رواه مسلم.

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى وصححه.

(٢) المشهور أنه من كلام الحسن البصرى -رحمه الله-.

٥- الإيمان بالميزان:

وهو ذو كفتين ولسان (كالميزان المعهود)[١] توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى دفعة واحدة والصّنج مثاقيل الذر والخردل، تحقيقًا لإظهار تمام العدل.

قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٢].

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: ذكرتُ النارَ فبكيتُ. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ما يبكيك؟»**.

قلتُ: ذكرتُ النار فبكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا:**

عند الميزان حتى يُعلم أيخفّ ميزانه أم يثقل.

وعند الكتاب حين يقال: «هاؤم اقرءوا كتابيه» حتى يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه أم في شماله، أم من وراء ظهره؟

وعند الصراط إذا وُضع بين ظهري جهنم حتى يجوز» أخرجه أبو داود[٣].

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إن الله -عز وجل- يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر.

فيقول: أتنكر من هذا شيئًا؟

---

(١) ذُكر الميزان عند الحسن فقال: «له لسان وكفتان». فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٧٥٥).

فيقول: لا يا رب.

فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول الله -عز وجل-: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم.

فيُخرجُ له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فيقول: احضر وزنك.

فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟

فيقول: إنك لن تظلم.

فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة. فطاشت السجلات وثقلت البطاقة. ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»(١).

وروى الحاكم عن سلمان الفارسى -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟

فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقى.

فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(٢).

٦- الإيمان بالصراط:

والصراط: جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله. فمنهم من يمرُّ كلمح البصر، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس هرولة، وناس حَبْواً، وناس

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (٢/٦٥٦).. رقم الحديث (٩٤١).

زحفًا، وناس يتساقطون فى النار. وعلى جوانبه كلاليب لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(١).

وقد غيرت هذه الآية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾. أحوال الصالحين، فأسهرت ليلهم، وعكرت عليهم صفو العيش، وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات.

● كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمى لم تلدنى.

فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام.

قال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون(٢).

● وعن الحسن البصرى -رحمه الله- تعالى، قال:

قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟

قال: نعم.

قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟

قال: لا.

قال: ففيم الضحك؟

قال: فما رئى ضاحكًا حتى لحق بالله(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه-، قال:

---

(١) سورة مريم: ٧١، ٧٢.

(٢) خبر صحيح: أخرجه أبو نعيم (٤/ ١٤١).

(٣) خبر صحيح: أخرجه الطبرى (١٦/ ٧٤).

قال رسول الله -ﷺ- : **«يمرُّ الناسُ على جسر جهنم وعليه حَسَكٌ وكلاليب وخطاطيف تختطفُ الناسَ يمينًا وشمالاً وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سَلّم اللهم سَلّم فمن الناس من يمرّ مثلَ البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمرّ كالفرس المَجْرى، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشى مشيًا، ومنهم من يَحبو حبواً، ومَنهم من يزحفُ زحفًا، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يَحْيَوْن، وأما ناسٌ فيُؤْخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فَحمًا ثم يؤذَنُ فى الشفاعة»**(١) .

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال:

سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **«الصراط كحدِّ السيف أو كحدِّ الشَّعْرة، وإن الملائكة يُنْجُونَ المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل -عليه السلام- لآخذ بحجزتى وإنى لأقول: يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير»**(٢) .

فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلاً عن حدّة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رءوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومُرْتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يمينًا وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار والرسول -عليه السلام- يقول: **«يا رب سَلّم سَلّم»**

والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل

---

(١) الحديث متفق عليه مع اختلاف ألفاظه.

(٢) **ضعيف**: أخرجه البيهقى فى «الشعب» وقال: هذا إسناد ضعيف، قال: وروى عن زياد النميرى عن أنس مرفوعًا **«الصراط كحد الشعرة -أو كحد السيف-»** قال: وهى رواية صحيحة. اهـ.

عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا ما كنتُ أخافه فيا ليتنى قدّمت لحياتى! يا ليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلاً! يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً! يا ليتنى كنت ترابًا! يا ليت أمّى لم تلدنى! وعند ذلك تختطفك النيران -والعياذ بالله- وينادى المنادى ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[1]. فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم، وإن كنت مؤمنًا وعنه غافلاً وبالاستعداد له متهاونًا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه!

فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه -وإن سلمت- فناهيك به هَوْلاً وفزعًا ورعبًا!.

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطوّل فيها فكرك فإن أسلم الناس من أهوال القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة.

٧- الإيمان بالشفاعة:

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والشهداء والصّديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة فى أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه[2]، فكن حريصًا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحتقر آدميًا أصلاً فإن الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله، ولا تستصغر معصية أصلاً فإن الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه، ولا تستحقر أصلاً طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه فى طاعته فلعل رضاه فيه.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٨.

(٢) أنكر بعض المعاصرين «الشفاعة»!!.. وليس معهم إلا الجهل.

وشواهد الشفاعة فى القرآن والأحاديث كثيرة:

قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾(١).

روى عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله -ﷺ- تلا قول إبراهيم -عليه السلام- ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾(٢). وقول عيسى -عليه السلام- ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾(٣). ثم رفع يديه وقال:

«أمتى أمتى» ثم بكى، فقال الله -عزّ وجل-:

«يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟».

فأتاه جبريل فسأله فأخبره -والله أعلم به- فقال:

«يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك»(٤).

وفى صحيحى البخارى ومسلم وسنن الترمذى عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبىّ دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة -إن شاء الله- من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»(٥).

أنواع الشفاعة:

دلت الأحاديث الثابتة على نوعين من أنواع الشفاعة:

الأولى: شفاعة مقبولة: مثل:

---

(١) سورة الضحى: ٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ١١٨.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم.

(٥) **صحيح**: انظر: جامع الأصول (١٠/٤٧٦) رقم الحديث (٨٠١١).

● الشفاعة العظمى، وهى المقام المحمود، الذى يرغب الأولون والآخرون فيه إلى الرسول -ﷺ- ليشفع إلى ربه كى يخلص العباد من أهوال المحشر.

● الشفاعة فى أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار.

● شفاعة الرسول -ﷺ- فى أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

● شفاعته -ﷺ- فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

● الشفاعة فى أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، ويمكن أن يستشهد لهذا بحديث «عكاشة بن محصن» حيث دعا له الرسول -ﷺ- أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث فى الصحيحين.

● شفاعة الرسول -ﷺ- فى تخفيف عذاب عمّه أبى طالب، حيث يخرجه الله به إلى ضحضاح من نار يغطى قدميه يغلى لهما دماغه!!.

● شفاعته فى الإذن للمؤمنين بدخول الجنة.

والشفاعة فى أهل الذنوب ليست خاصة بالرسول -ﷺ-، فقد يشفع النبيون والشهداء والعلماء، وقد يشفع للمرء أعماله، ولكن رسولنا -ﷺ- له النصيب الأوفر منها، وقد يشفع غيره أيضًا فى رفع درجات المؤمنين، وبقية الأنواع خاصة بالرسول -ﷺ-.

هذه هى أنواع الشفاعة التى تقع فى يوم القيامة.

الثانية: الشفاعة المرفوضة:

أما الشفاعة المرفوضة فهى الشفاعة التى يتعامل بها الناس فى الدنيا، حيث يشفع الشافع وإن لم يرض الذى شفع عنده، وقد يُكره مَنْ شفع عنده على قبول شفاعة الشافعين لعظم منزلتهم وقوتهم وبأسهم، وهذه هى الشفاعة التى يعتقدها المشركون والنصارى فى آلهتهم، ويعتقدها المبتدعون من هذه

الأمة فى مشايخهم، وقد أكذب الله أصحابها، فلا أحد يشفع فى ذلك اليوم إلا بإذن من الله، ولا يشفع إلا إذا رضى الله عن الشافع والمشفوع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾(١).

وقال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٢).

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافرًا فإن الله لا يقبل شفاعة خليله فيه فى ذلك اليوم!.

روى البخارى فى «صحيحه» عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«يلقى إبراهيم أباه آزر فى يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى؟

فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك.

فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون، فأى خزى من أبى الأبعد؟

فيقول الله تعالى: إنى حرمتُ الجنة على الكافرين.

ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟

فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى فى النار»(٣).

٨- الإيمان بالحوض:

يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضًا يَرِدُهُ الطائعون من أمّته، وأن حوض النبىّ -صلى الله عليه وسلم- أكبرها وأعظمها. طوله مسيرة شهر، مربع الشكل له ميزابان يصبان فيه الكوثر. ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل. كيزانه أكثر من نجوم السماء. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا ظمأ

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٣) مشكاة المصابيح (٣/ ٥٨).

ألم. ولو دخل النار يعذّب بغير العطش. ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم[١] بعد ذلك لمجرّد اللذة. يرده الأخيار، وهم المؤمنون بالنبى -ﷺ-، الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة، الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين، وكل من تعامل بالربا، أو جار فى الأحكام، أو أعان ظالمًا، أو جاوز حَدًّا من حدود الله تعالى[٢].

وقد اختلف أهل العلم فى موضعه فذهب الغزالى والقرطبى إلى أنه يكون قبل المرور على الصراط فى عرصات القيامة، واستدلوا على ذلك بأنه يؤخذ بعض وارديه إلى النار فلو كان بعد الصراط لما استطاعوا الوصول إليه.

واستظهر ابن حجر أن مذهب البخارى أن الحوض يكون بعد الصراط، لأن البخارى أورد أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وأحاديث نصب الصراط.

وما ذهب إليه القرطبى أرجح، وقد استعرض ابن حجر أدلة الفريقين فى كتابه القيم: «فتح البارى»[٣].

والأحاديث الواردة فى الحوض متواترة، لا شك فى تواترها عند أهل العلم بأحاديث الرسول -ﷺ-، وقد رواها عن الرسول -ﷺ- أكثر من خمسين صحابيًّا، وقد ذكر ابن حجر أسماء رواة أحاديثه من الصحابة[٤].

ونحن نسوق هنا بعضها:

١- عن عبد الله بن عمرو، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا**» متفق عليه.

---

(١) التسنيم: أرفع شراب الجنة.

(٢) الدين الخالص للإمام الشيخ/ محمود خطاب السبكى -رحمه الله تعالى- (١/ ١١١).

(٣) فتح البارى (١١/ ٤٦٦).

(٤) نفس المرجع: (١١/ ٤٦٨).

٢- روى مسلم فى «صحيحه» عن ثوبان، قال:

سئل -أى النبى -ﷺ- عن شرابه. فقال:

«**أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل يغت**[٤]**، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورِق**».

فليرج كل عبد أن يكون فى جملة الواردين، وليحذر أن يكون متمنيًا ومغترًا وهو يظن أنه راج، فإنّ الراجى للحصاد مَنْ بثّ البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمنٍ وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى.

قال الإمام الحسن: «لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتى؟

ماذا أردتُ بأكلتى؟ ماذا أردت بشُربتى؟، والفاجر يمضى قُدُمًا لا يعاتب نفسه».

وقال مالك بن دينار: «رحم الله عبداً قال لنفسه، ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمّها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدًا»[٢].

٩- الإيمان بالنار:

وهى دار العذاب مخلوقة الآن[٣] فيها الزّقوم والغسلين والمُهْل ومقامع من حديد. ومن أنواع العذاب ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على بال إنسان. جاء بها الكتاب والسنة.

---

(١) يغت: أى يصُبّ ويسيل.

(٢) الإحياء (٤/٥٠٤).

(٣) قال الطحاوى فى «العقيدة السلفية»: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق...».

● قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(١).

● وقال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾(٢).

● وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**ناركم هذه التي توقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم!**».

قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله.

قال: «**فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرّها**» أخرجه الشيخان وغيرهما.

● وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرْجل، ما يرى أن أحدًا أشدّ منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا**» أخرجه الشيخان والترمذى.

وهذه النار لا يخبو أوارها مع تطاول الزمان، ومرور الأيام:

﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾(٣). ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾(٤)، ولذلك لا يجد الكفار طعم الراحة، ولا يخفف عنهم العذاب مهما طال الزمان.

والنار تُسعّر كل يوم كما فى الحديث عند مسلم عن عمرو بن عنبسة عن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

---

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) سورة الحج: ١٩-٢١.

(٣) سورة النبأ: ٣٠.

(٤) سورة الإسراء: ٩٧.

«صَلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة، حتى تطلع الشمس، وترتفع فإنها تطلع بين قرنى شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفىء فَصَلِّ».

والنار تتكلم وتبصر!!.

فالذى يقرأ النصوص من الكتاب والسنة يجدها مخلوقًا يبصر، ويتكلم، ويشتكى!

● قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾(١).

● وروى ابن جرير عن ابن عباس قال:

«إن الرجل ليجرّ إلى النار، فتنزوى وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول الرحمن: مالك؟

فتقول: إنه يستجير منى.

فيقول: أرسلوا عبدى.

وإن الرجل ليجرّ إلى النار فيقول:

يا رب ما كان هذا ظنى بك.

فيقول الله: ما كان ظنك؟

فيقول: أن تسعنى رحمتك.

فيقول: أرسلوا عبدى.

وإن الرجل ليجرّ إلى النار، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى البعير، وتزفر زفرة أخرى لا تبقى أحدًا إلا أخافته»(٢).

● وعن أبى هريرة عن النبى -ﷺ-، قال:

---

(١) سورة الفرقان: ١٢.

(٢) ساق ابن كثير هذا الحديث فى «النهاية» (٢/ ٢١) وقال: «وإسناده صحيح».

«يخرج يوم القيامة عنق من النار، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، تقول: إنى وكلت بثلاثة:

بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»(١).

● وروى البخارى فى «صحيحه» عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

«اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربّ أكل بعضى بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشدّ ما تجدون من الحرّ، وأشدّ ما تجدون من الزمهرير».

«فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك أن تستعدّ للنجاة منه، وتأمّل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذا أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نارٌ ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركّب حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلاً:

أين فلان ابن فلان المسوّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيّع عمره فى سوء العمل؟.

فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾(٢). فأسكنوه دارًا ضيّقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرّهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدّت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذى وصححه، وقال محقق جامع الأصول: إسناده حسن.

(٢) سورة الدخان: ٤٩.

مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود.

فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون. فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرّطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم، فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل.

ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، قد عرّيت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سوّدت وجوههم أشد سواداً من الحميم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وجدعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطئون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم»(1). نعوذ بالله من عذاب السعير ومن سوء المصير.

---

(1) الإحياء (٤/ ٥٣٠).

كيف يتقى الإنسان نار الله؟

فصّلت النصوص هذا الموضوع فبينت الأعمال التى تقى النار، فمن ذلك:

(أ) محبة الله تعالى:

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والله لا يُلقى الله حبيبه فى النار**»(١).

(ب) والصيام جُنّة من النار:

فعن جابر -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**قال الله تعالى: الصيام جنة يستجن بها من النار**»(٢).

(جـ) مخافة الله:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يلجُ النارَ من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضَّرع، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم**»(٣).

وقال تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾(٤).

«قصة»:

ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره لقول الله تعالى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾(٥).

قال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم فى «المستدرك»، وانظر: صحيح الجامع (٦/ ١٠٤).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد والبيهقى فى «الشعب»، وانظر: صحيح الجامع (٤/ ١١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذى والنسائى. وانظر: مشكاة المصابيح (٢/ ٣٥٦).

(٤) سورة الرحمن: ٤٦.

(٥) سورة الأعراف: ٢٠١.

«وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه:

أن شابًّا كان يتعبد فى المسجد، فهويته امرأة فدعته إلى نفسها، فما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل، فذكر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فخرَّ مغشيًّا عليه، ثم أفاق فأعادها، فمات، فجاء عمر -أى ابن الخطاب- فعزّى فيه أباه، وكان قد دفن ليلاً فذهب فصلّى على قبره بمن معه، ثم ناداه عمر فقال: يا فتى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾. فأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمر قد أعطانيها ربى عزّ وجل فى الجنة مرتين»(١).

(د) الجهاد فى سبيل الله تعالى:

ففى صحيح البخارى عن أبى عبس -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله، فتمسه النار»**.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدًا»**.

«قصة»:

روى أبو نعيم(٢) عن أحمد بن إبراهيم، قال:

نظر يونس بن عبيد(٣) -رحمه الله تعالى- إلى قدميه عند موته فبكى!. فقيل له:

ما يبكيك أبا عبد الله؟

قال: قدماى لم تغبرا فى سبيل الله عزّ وجل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٢).

(٢) الحلية (٣/ ١٩).

(٣) راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين» ط. المكتبة التوفيقية.

(هـ) استجارة العبد بالله من النار:

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ما سأل أحد الله الجنة ثلاثًا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار رجل مسلم الله من النار ثلاثًا، إلا قالت النار: اللهمّ أجره منى»**(١).

١٠- الإيمان بالجنة:

الجنة: هى دار النعيم المقيم، والثواب الجزيل، الذى أعده الله لأوليائه وأهل طاعته. فيها الحور العين، والولدان، ولحم الطير، والفواكه، والأنهار الجارية من الماء واللبن والعسل والخمر، والسُّرور، والحرير، والذهب، وما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. جاء بها الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾(٢).

وفى «الصحيحين» عن أبى هريرة، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** قال أبو هريرة:

اقرءوا إن شئتم: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾(٣).

وزاد البخارى فى رواية: وقال محمد بن كعب: إنهم أخفَوا لله عملاً فأخفى لهم ثوابًا.

فلو قدموا عليه، أقرّ تلك الأعين.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم، وانظر: صحيح الجامع برقم (٥٥٠٦).

(٢) سورة الكهف: ١٠٧، ١٠٨.

(٣) سورة السجدة: ١٧.

(وعنه) قال: قلتُ: يا رسول الله، الجنة ما بناؤها؟

قال: «لَبنة من فضة ولَبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت. وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلّد ولا يموت، لا تَبْلى ثيابهم، ولا يَفنى شبابهم»(١).

وعن أبى هريرة -أيضًا- أن النبى -ﷺ- قال:

«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب درّىّ فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يَتْفُلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم(٢) المسك ومجامرهم(٣) الأُلْوّة(٤) أزواجهم الحور العين على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء» أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم.

«فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر الياقوت فى خيام من اللؤلؤ فيها بسط من العبقرى الأخضر، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ... ثم يطاف عليهم وعليهنّ بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم خدّام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم(٥) وقد أشرقت فى وجوههم

(١) أخرجه أحمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى. وهو حديث صحيح بطرقه.

(٢) الرشح: العرق.

(٣) المجامر: ما يوضع فيه النار والبخور.

(٤) الألوّة: العود الذى يتبخر به. والظاهر أنها تفوح بغير نار. فإن الجنة لا نار فيها.

(٥) روى مسلم فى «صحيحه» عن صُهيب قال: قرأ رسول الله -ﷺ-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]، قال: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنْجزكموه. قالوا: ما هذا الوعد؟ ألم يُثْقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عزّ وجلّ فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إليه».

نضرة النعيم، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون. **فيا عجبًا** لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها؟

والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها!

وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغّص من ضرورته! كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرير ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون، وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون». نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها.. وأن يمتعنا بنعيمها.

سادسًا: الإيمان بالقدر

وأمّا الإيمان بالقدر فيتضمّن الإيمان بأمور أربعة:

الأمر الأول:

أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم(١) وغير ذلك من شئونهم لا يخفى عليه من ذلك شيء -سبحانه وتعالى- كما قال سبحانه:

---

(١) عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبد**» **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢/ ٢٢٨). وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) .

وقال عزّ وجل: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(٢) .

الأمر الثاني:

كتابته سبحانه لكل ما قدّره وقضاه كما قال سبحانه:

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٥) .

الأمر الثالث:

الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾(٦) .

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٧) .

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٨) .

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٢.
(٢) سورة الطلاق: ١٢.
(٣) سورة ق: ٤.
(٤) سورة يس: ١٢.
(٥) سورة الحج: ٧٠.
(٦) سورة الحج: ١٨.
(٧) سورة يس: ٨٢.
(٨) سورة التكوير: ٢٩.

الأمر الرابع:

خلقه سبحانه لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا ربّ سواه، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(٢).

فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة خلافًا لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع(٣).

التاركون للعمل اتكالاً على القدر:

ضل فريق فى باب القدر فقالوا:

إذا كان الله عالمًا بكل شىء نفعله، وعالمًا بمصيرنا إلى الجنة أو النار، وكان هو الخالق لأفعالنا، فلماذا نعمل وننصب؟ ولا يزال هذا القول على ألسنة كثير من جُهّال المسلمين، وأهل الزيغ.. وزعموا أن العباد مجبورون على أفعالهم، فالإنسان عندهم ليس له قدرة تؤثر فى الفعل، بل هو مع القدر كالريشة فى مهب الريح.

لقد ترك هؤلاء العمل احتجاجًا بالقدر قبل وقوعه، واحتجوا بالقدر على ما يقع منهم من أعمال مخالفة للشرع، ووصل بهم الحال إلى عدم التفريق بين الكفر والإيمان، وأهل الهدى والضلال، لأن ذلك خلق الله، فلم التفريق؟

إن هذه العقيدة المنحرفة أضلت عقولاً كثيرة وحرفت مسارها عن جادة الحق والصواب، فاضطربت عندها موازين العدل والحق، وعطلت هذه العقيدة المنحرفة طاقات هائلة فى العالم الإسلامى، أقعدتها عن العمل، بل حوّلت أعمالها لمصلحة أعداء الإسلام فى بعض الأحيان.

---

(١) سورة الزمر: ٦٢.

(٢) سورة فاطر: ٣.

(٣) العقيدة الصحيحة للشيخ ابن باز ص ١٧، ١٨.

لقد ترك هؤلاء الأخذ بالأسباب، فتركوا الصلاة والصيام، كما تركوا الدعاء والاستعانة بالله والتوكل عليه، لأنه لا فائدة منها، فالذى يريده الله ماض قادم لا ينفع معه دعاء ولا عمل.

ورضى كثير من هؤلاء بظلم الظالمين وإفساد المفسدين، لأن ما يفعلونه قدر الله وإرادته.

وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولم يهتموا بإقامة الحدود والقصاص، لأن ما وقع من المفاسد والجرائم مقدَّر لابدّ منه.

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

«فمن أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهى فهو شر ممّن أثبت الأمر والنهى، ولم يثبت القدر، وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بين جميع الخلق».

وقال: «من يقرّ بتقدم علم الله وكتابه، ولكن يزعم أن ذلك يغنى عن الأمر والنهى والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضى له بالسعادة دخل الجنة، بلا عمل أصلاً، ومن قضى له بالشقاوة شقى بلا عمل، فهؤلاء أكفر من أولئك (يعنى المكذبين بالقدر) وأضل سبيلاً، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهى، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى»(١).

والخلاصة:

أن مذهب أهل السنة والجماعة فى هذا الباب ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كلّ شيء ومليكه، وقد دخل فى ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٨٨).

وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو القادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل فى ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون.

وسلف الأمة وأئمتها متفقون على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذى نطق به الكتاب والسنة.

ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله فى واجب تركه، ولا محرّم فعله، بل لله الحجّة البالغة على عباده(١).

ومن ثمار الإيمان بالقدر:

الخلاص من الشرك، والاستقامة على منهج سواء فى السراء والضراء، الحذر الدائم، مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت وهامة مرفوعة.

وبعد هذا التمهيد المبارك نشرع فى المقصود:

أولاً:

«حق الله على العباد»:

---

(١) راجع: فتاوى ابن تيمية (٨/ ٤٤٩-٤٥٢).. والقضاء والقدر للدكتور/ عمر الأشقر.

مرّ معنا أن النبىّ -ﷺ- سأل معاذ بن جبل عن حق الله على العباد.. فأجابه -ﷺ- بقوله:

«فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا».

والعبادة: هى اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميِّين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرِّضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوفُ من عذابه، وأمثالُ ذلك هى من العبادة لله.

وذلك: أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة له، والمُرضيَّة له، التى خلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾(١).

وبها أرسل جميع الرسل، كما قال تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ** ﴾(٢)(٣).

وذمّ المستكبرين عن عبادته فقال تعالى:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾(٤) والذين

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٦، ٧ بتصرف.

(٤) سورة غافر: ٦٠.

كله داخل فى العبادة، وقد ثبت فى «الصحيح» أن جبريل لما جاء إلى النبى - ﷺ - فى صورة أعرابىّ وسأله عن الإسلام، قال:

«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

قال: فما الإيمان؟ قال:

«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فما الإحسان؟

قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** ثم قال فى آخر الحديث: **«هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»**، فجعل هذا كله من الدين والدين يتضمّن معنى الخضوع والذُّل، يقال: دنْتُهُ، فدان، أى: أذْلَلْتُهُ فذلَّ، ويقال: يَدينُ اللهَ، ويدينُ لله، أى: يعبدُ اللهَ، ويطيعه، ويخضع له.

فدين الله: عبادتُهُ، وطاعتُه، والخضوعُ له.

والعبادةُ أصلُ معناها: الذُّلُّ، أيضًا، يقال: طريقٌ مُعبَّدٌ، إذا كان مُذلَّلاً قد وطأته الأقدام.

لكنَّ العبادة المأمور بها، تتضمَّن معنى الذُّل ومعنى الحبِّ:

فهى تتضمن غاية الذُّل لله تعالى، بغاية المحبة له.

وعلى الصفحات القادمة نذكر بعض الأعمال التعبدية.. التى تدل على حسن خضوع العبد لمولاه.

أولها: الصلاة

فالصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، ورأس القربات، وغرّة الطاعات.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾(١).

وقال -ﷺ-: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله»(٢).

وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وتولى إيجابها بمخاطبة النبىّ -ﷺ- بلا واسطة ليلة المعراج، قال أنس:

فرضت الصلاة على النبى -ﷺ- ليلة أسرى به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمسًا، ثم نودى:

«يا محمد، إنه لا يبدّلُ القول لدىّ، وإن لك بهذه الخمس خمسين» رواه البخارى.

وهى أول ما يحاسب عليه العبد، قال -ﷺ-:

«أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». صحيح: رواه الطبرانى.

وهى آخر وصية وصّى بها رسول الله -ﷺ- أمته عند مفارقة الدنيا، جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيره:

«الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم». صحيح: رواه أحمد.

وهى آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله، قال -ﷺ-:

«لتُنقضنَّ عرى الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عُروة تشبث الناس بالتى تليها: فأولهن نقضًا الحُكم، وآخرهن الصلاة»(٣).

وهى فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحر، غنى وفقير، صحيح

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد.

ومريض، مقيم ومسافر، رجل وامرأة، لا تسقط عمن بلغ الحلم فى حال من الأحوال(١)، حتى أمر بها فى ساحة القتال وشرعت صلاة الخوف.

ولا تسقط هذه الفريضة عن نبى مرسل فضلاً عن صالح أو عارف، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٢).

واليقين: الموت.

فمن ترك الصلاة واستغنى عنها، اعتماداً على وصوله إلى الغايات، والنتائج التى يعتقد أن الصلاة شرعت لها، أو بسبب شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الأمة بالفائدة والخير الكثير شأن كثير من العاملين فى حقل الاجتماع والسياسة والتعليم وغير ذلك، فإنهم يستهينون بأمر الصلاة، ومواقيتها ويعتذرون بأنهم فى شغل شاغل فى خدمة الأمة، وفى جهاد متصل لا يترك لهم وقتًا لأداء الصلوات المكررة فى اليوم والليلة، فهؤلاء قد عرضوا أنفسهم للهلاك، وأعمالهم للحبوط، وإيمانهم للضياع فقد قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(٣).

أى: مفروضًا ووقتًا محدداً.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال:

«من أحبَّ أن يلقى الله غداً مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن (فى المساجد)، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سُنن الهُدى، وإنهن من سُنن الهدى، ولو أنكم صلَّيتم فى رحالكم (بيوتكم) كما يُصلى هذا المتخلف لتركتم سُنة نبيكم، ولو تركتم نبيكم لضللتم، وإنه كان يُؤتى بالرجل على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُهادى(٤) بين الرجلين حتى يقام فى الصف خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-» رواه مسلم.

---

(١) إلا فى حال الجنون وذهاب العقل.

(٢) سورة الحجر: ٩٩.

(٣) سورة النساء: ١٠٣.

(٤) يُهادى: يتكئ.

وعنه -رضي الله عنه- قال:

«من كان فى الصلاة فهو يقرع باب المَلِك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يُفتح له».

أحوال السلف الصالح مع الصلاة:

● سمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن وهو يجودُ بنفسه -أى فى لحظة الاحتضار- فقال: خذوا بيدى.

فقيل: إنك عليل.

قال: أسمعُ داعى الله، فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام فى المغرب، فركع ركعة، ثم مات!![١].

● وأخرج مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة[٢] صلى فى حائط وفيه شجر فأعجبه دبسى[٣] طار فى الشجر يلتمس مخرجًا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يَدْر كم صلى؟ فذكر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أصابه من الفتنة ثم قال: هو صدقة[٤] فضعه حيث شئت!!.

فعل ذلك قطعًا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلّة ولا يغنى غيره.. فحضور القلب فى الصلاة واجب.. وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها.

وروى أن النبى -صلى الله عليه وسلم-، صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل[٥] قال: **«ماذا قرأت؟»**. فسكت القوم، فسأل أُبىّ بن كعب -رضي الله عنه- فقال: قرأتَ سورة كذا وتركتَ آية كذا فما ندرى أنُسِخَتْ أم رُفِعتْ؟ فقال: **«أنت لها يا أُبىّ»**، ثم أقبل على الآخرين فقال:

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٠).

(٢) هو: أبو طلحة الأنصارى -رضي الله عنه-.

(٣) الدبسى: نوع من الطيور جميل الشكل.

(٤) أى: البستان.

(٥) انفتل: انصرف.

«ما بال أقوام يَحْضُرون صلاتهم ويُتمّون صفوفهم ونبيّهم بَيْن أيديهم لاَ يدرُن ما يَتْلُو عليهم من كتاب ربهم؟ ألا إن بنى إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّهم. أن قُلْ لقومك: تُحْضرُونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغيبُون عنّى بقلوبكم باطل ما تَذْهبون إليه»(١).

ثانيها: الزكاة

الزكاة هى الركن المالى الاجتماعى من أركان الإسلام الخمسة. والعبادة الثانية فى الإسلام بعد الصلاة. وبها مع التوحيد وإقامة الصلاة يدخل المرء فى جماعة المسلمين ويستحق إخوتهم والانتماء إليهم. قال تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(٢).

وشدّد الإسلام الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٣).

قال الأحنف بن قيس: كنتُ فى نفر من قريش فمرّ أبو ذرّ -رضي الله عنه- فقال: بشّر الكانزين بِكَيٍّ فى ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ فى أقفائهم يخرج من جباههم. وفى رواية:

أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل.

وقال أبو ذر -رضي الله عنه-:

---

(١) قال العراقى: رواه محمد بن نصر فى كتاب «الصلاة» مرسلاً... ورواه النسائى مختصرًا من حديث عبد الرحمن بن أبزى بإسناد صحيح. هامش الإحياء (١/ ١٧٢).

(٢) سورة التوبة: ١١.

(٣) سورة التوبة: ٣٤، ٣٥.

انتهيتُ إلى رسول الله - ﷺ - وهو جالس فى ظلّ الكعبة فلمّا رآنى قال: «**هم الأخسرون وربّ الكعبة**».

فقلت: ومن هم؟

قال: «**الأكثرون أموالاً إلا مَنْ قال هكذا وهكذا من بين يديه ومنْ خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليلٌ ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولاَ غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطئوه بأظلافها كلما نفدت أُخْراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس**» متفق عليه.

أنواع الزكاة: نوعان

١- ما يتعلق بالبدن وهى زكاة الفطر.

٢- ما يتعلق بالمال الزكوى (المواشى والأثمان والزروع والثمار وعروض التجارة». والله أعلم.

الأموال الزكوية والأموال التى لا تزكى:

الأموال الزكوية: إما أن تكون باطنة (كالنقود وما فى حكمها وعروض التجارة) أو ظاهرة أى التى يمكن لغير مالكها أن يحصيها (كالزروع والثمار والمواشى) ولا تجب الزكاة إلا فى خمسة أنواع:

١- النعم أى السائمة من بهيمة الأنعام وهى الإبل والبقر (والجاموس) والغنم (والماعز).

٢- الجوهران: الذهب والفضة وما يقوم مقامها من العملات المتداولة والأوراق المالية.

٣- عروض التجارة (المدارة منها والمحتكرة على حدّ سواء).

٤- الحرث (الزروع والثمار التى تكال وتدخر ويزرعها الآدمى).

٥- الخارج من الأرض (المعادن النافعة والركاز وهو دفن الجاهلية).

وتجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون والمعتوه وفى المرهون والودائع والمال الغائب، والموقوف على غير معين إذا بلغت نصابًا بذاتها أو مع غيرها ومرّ عليها حول (أى توافر شرطا النصاب وحولان الحَوْل).

الأموال التى لا تزكى:

(إذا لم تكن للتجارة، وإلا فيجب الزكاة فى قيمتها كعروض التجارة).

١- العبد والخيل والبغال والحمير والطيور فى الجو والسمك فى البحر وصيد البر.

٢- المال الذى لم يبلغ نصابًا (إلا أن يتطوع صاحبه).

٣- الفواكه والخضروات (لكن يستحب إعطاء شىء منها للفقراء والجيران).

٤- الجواهر الكريمة كالزمرد والياقوت واللؤلؤ والماس والمرجان والزبرجد وسائر الجواهر.

٥- أموال القنية التى ليست للتجارة كالسكن والفرش والأثاث والملبس والمصانع وسيارات الركوب والخدمة وعدد وأدوات وآلات ومعدات الإنتاج والسلاح وغيرها مما ينتفع به دون الاتجار فيه.

٦- المال الموقوف أو المنذور لوجوه البر والإحسان (للفقراء والمساجد والمدارس والأربطة والملاجئ وغيرها).

٧- المال الذى بيد غير صاحبه كالمدين، المرتهن، والقروض والسلف.

٨- حُلى النساء إذا لم يقصد به غير الزينة.

٩- المال المملوك قبل قبضه كصداق المرأة، الدين المعدوم، الوصية، الهبة، الميراث، الدية، التعويض ونحوها. والله أعلم[١].

من فوائد وحكم الزكاة:

١- الزكاة تدريب للمسلم على خُلق البذل والإعطاء والإنفاق.

---

(١) ما أوردناه إجمالاً.. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب الفقه.

٢- الزكاة توقظ فى نفس معطيها معنى الشكر لله تعالى، والاعتراف بفضله عليه، وإحسانه إليه.

٣- الزكاة تنبيه للقلب على واجبه نحو ربّه ونحو الآخرة. وعلاج له من الاستغراق فى حب الدنيا وحب المال.

٤- الزكاة كما هى طهارة للنفس وتزكية لها -هى تطهير لمال الغنى وتنميته-.

٥- الزكاة نماء للمال وبركة فيه.

٦- يقضى الفقير بها حاجته المادية كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن، وحاجته المعنوية الفكرية ككتب العلم لمن كان من أهله، وحاجاته النفسية الحيوية كالزواج.

٧- الزكاة تقلل أو تطهر من داء الحسد والحقد والبغض والكراهية فى صدر الفقير المحروم ضد الغنى الواجد.

٨- الزكاة تساهم فى علاج كثير من المشكلات الاجتماعية التى تواجه المجتمع أو على الأقل تخفف من حدتها وآثارها. مثل مشاكل: الفقر، الفوارق الطبقية، التسول، التشرد، العزوبة، الكوارث، الخصومات، المنازعات وفساد ذات البين، الانحراف والسرقة وارتفاع معدل الجريمة.... إلخ.

٩- الزكاة برهان على الإيمان والامتثال لأمر الله ورسوله، وأن الله يقبلها بيمينه، ودواء من الأمراض، وسبباً للبركة.

١٠- للزكاة أثرها فى الجانب الاقتصادى، فإنها بما تستقطعه من أرباب المال تدفعهم إلى العمل على تعويض ما أخذ منهم. وهذا أوضح ما يكون فى زكاة النقود، فقد حرّم الإسلام كنزها وحبسها عن التداول والتثمير **«اتجروا بأموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة»**.

ثالثها: الصوم

- الصيام فريضة كتبها الله على كل مسلم بالغ عاقل.

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[(١)].

● ومحل فريضته شهر رمضان من كل عام.

● وصوم رمضان أحد أركان الإسلام ودعائمه، فمن أفطر فى رمضان متعمدًا دون عذر شرعى، فقد هدم ركنًا من أركان الإسلام، وأصبح على خطر عظيم.

● والصيام يمنع صاحبه من ارتكاب ما يغضب الله عليه، ولذا يقى صاحبه من عذاب الله، فالصائم لما استطاع منع نفسه عما هو فى الأصل حلال له -وهو: الطعام والشراب وجماع الزوجة- كان الأولى والأحرى أن يمتنع عما هو فى الأصل حرام عليه كالكذب، والغيبة، والنميمة، والسباب، واللهو المحرم[(٢)]، ورذائل الأخلاق، والذى لا يفهم هذا الأمر فلا حظ له من صيامه إلا الجوع والعطش.

قال رسول الله -ﷺ-: «**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**»[(٣)].

وروى البخارى عن النبى -ﷺ-: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**».

● والصوم يريح جهاز الهضم والمعدة من عناء عملها المتواصل، ويذيب الفضلات، ويقوى الجسم، وهو مفيد أيضًا لأمراض كثيرة. ويريح الصيام المدخنين من تعاطى الدخان ويساعدهم على تركه.

● والصوم تهذيب للنفس، وتعويد لها على الخير والنظام، والطاعة والصبر.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) من اللهو المحرم: العكوف على آلات اللهو والطرب -كالتلفاز والفيديو وسماع الأغانى الهابطة، ومشاهدة المشاهد المرذولة.

(٣) أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة.

● والصوم يشعر الصائم بالمساواة بين إخوانه الصائمين، فيصوم معهم ويفطر معهم، ويحسّ بوحدة إسلامية عامة، ويحسّ بالجوع فيواسي إخوانه الجائعين والمحتاجين.

● والصوم يغفر الله به الذنوب ويكفر به السيئات:

قال -ﷺ-: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

مجاهدات السلف في الصيام:

● مرّ الحسن البصري -رحمه الله تعالى- بقوم وهم يضحكون، فقال:

«إن الله عزّ وجل جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلّف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته».

● وعن الأحنف بن قيس: أنه قيل له: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك؟

فقال: إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

● **أبو بكر الغسّاني يموت صائمًا!!**

كان أبو بكر الغسّاني -رحمه الله تعالى- كثير التعبد دائم البكاء.. يقول يزيد بن عبد ربه:

عُدتُ أبا بكر بن أبي مريم -الغسّاني- وهو فى النَّزع، فقلت له:

رحمك الله، لو جرعت جرعة ماء؟

فقال بيده: لا، ثم جاء الليل فقال:

(١) متفق عليه.

أذّن؟

فقلت: نعم، فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات[١].

● **الإمام عبد الرحمن بن الأسود: صام حتى أحرق الصومُ لسانه!!**

كان -رحمه الله تعالى- من العباد المجتهدين.. قال ابن إسحاق:

قدم علينا عبدُ الرحمن بن الأسود حاجًا، فاعتلّت[٢] رجلُه فصلّى على قدم -أي واحدة- حتى أصبح!!.

وروى أنه لما احتُضر، بكى، فقيل له:

ما يبكيك؟

فقال: أسفًا على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو حتى مات[٣].

وكان -رحمه الله تعالى- قد صام حتى أحرق الصوم لسانه!!.

رابعها: الحج

الحج: من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين. فيه أنزل الله تعالى:

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾[٥].

قال قتادة: لما أمر الله عز وجل إبراهيم -عليه السلام- أن يؤذّن في الناس بالحج نادى:

---

(١) المنتظم (٧/ ١٩١).

(٢) اعتلّت: أصابها مرض.

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١).

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة الحج: ٢٧.

يأيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتًا فحجّوه.

وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾(١).

قيل: التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة.

ولما سمع بعض السلف هذا قال: «غُفر لهم وربّ الكعبة».

فضائله:

١- مغفرة الذنوب:

قال رسول الله -ﷺ-: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه البخارى والنسائى.

٢- من أفضل أعمال المسلم:

فعن عمرو بن عَبْسة -رضي الله عنه- قال:

قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟

قال: «أن يُسْلم لله قلبك، وأن يَسْلم المسلمون من لسانك ويدك».

قال: فأىُّ الإسلام أفضل؟.

قال: «الإيمان».

قال: وما الإيمان؟.

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت».

قال: فأىّ الإيمان أفضل؟

قال: «الهجرة».

قال: وما الهجرة؟

قال: «أن تهجر السوء».

قال: فأى الهجرة أفضل؟

(١) سورة الحج: ٢٨.

قال: «الجهاد».

قال: وما الجهاد؟

قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتَهُم».

قال: فأى الجهاد أفضل؟

قال: «مَنْ عُقر جوادُه وأُهْريق دمُهُ».

قال رسول الله -ﷺ-:

«ثم عملان هما أفضل الأعمال إلاّ من عمل بمثلهما: حجةٌ مبرورة.. أو عمرةٌ مبرورة»(١).

٣- الحج من أسباب الغنى ودفع الفقر!:

فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكيرُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثوابٌ إلا الجنة»(٢).

٤- الحج من أسباب دخول الجنة:

ففى «الصحيحين» عن أبى هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- قال:

«العمرةُ إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

٥- الحج جهاد المرأة والضعيف:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ-، قال:

«جهاد الكبير والضعيف والمرأة: الحجُّ والعُمْرة»(٣).

---

(١) قال المنذرى: رواه أحمدُ بإسناد صحيح، ورواته مُحتجٌّ بهم فى الصحيح والطبرانى وغيره، ورواه البيهقى عن أبى قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه. الترغيب (١٥٨/٢) حديث رقم (١٦٧٤).

(٢) **صحيح**: انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٣٤).

(٣) **حسن**: قال المنذرى: رواه النسائى بإسناد حسن. الترغيب برقم (١٦٧١).

٦- الحاج مُجاب الدعاء:

فعن جابر -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الحجاج والعمار: وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»(١).

٧- من مات حاجًا أجرى الله عليه عمله إلى يوم القيامة!!.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من خرج حاجًا فمات كُتب له أجرُ الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات كتب له أجرُ الغازى إلى يوم القيامة»(٢).

٨- الحاج إذا مات حاجًا بُعث يوم القيامة مُلبّيًا!!.

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

بينا رجلٌ واقف مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعرفة إذ وقع عن راحلته فأقْصَعَتْهُ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«اغْسلوه بماء وسدْر(٣)، وكفِّنوه بثوبيه، ولا تُخَمِّروا رَأْسه(٤)، ولا تُحنِّطوه، فإنه يُبْعث يومَ القيامة مُلبِّيًا» متفق عليه.

عُلو همَّة السلف الصالح فى الحج والعمرة:

● **عبد الله بن الزبير يطوف سباحة!!.**

قال مجاهد -رحمه الله-: ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناس إلاَّ تكلَّفه ابنُ الزبير، ولقد جاء سيل طبّق البيت فطاف سباحة!!(٥).

---

(١) قال المنذرى: رواه البزار، ورواته ثقات. الترغيب برقم (١٦٨٥).

(٢) قال المنذرى: رواه أبو يعلى من رواية محمد بن إسحاق، وبقية رواته ثقات. الترغيب (١٦٩٨).

(٣) السِّدر: شجر النبق، ورقه عريض مدور، طيب الرائحة.

(٤) التخمير: التغطية. والحنوط: هو أخلاط من الطيب.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٣).

● **ابن المقرئ يستلم الحجر في ليلة مائة وخمسين مرّة!!.**

قال أبو طاهر ابن سلمة:

سمعتُ ابنَ المقرئ يقول: استلمتُ الحجر -أي الأسود- في ليلة مائة وخمسين مرة!!.

● **الأسود بن يزيد: العابد الذي حجّ ثمانين حجّة!!.**

ذكر أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٨):

عن أبي إسحاق، قال:

حجّ الأسود ثمانين، من بين حجّة وعمرة!!.

كانت هذه هممهم..

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

رحم الله عجزنا وتقصيرنا.

خامسها: ذكر الله تعالى

ليس بعد تلاوة كتاب الله -عزّ وجل- عبادة تؤدّى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[1].

فهل بعد هذا الفضل من فضل؟!. قال ثابت البناني -رحمه الله-:

إني أعلم متى يذكرني ربي -عز وجل- ففزعوا منه وقالوا.

كيف تعلم ذلك؟

فقال: إذا ذكرته ذكرني.

وسئل رسول الله -ﷺ-: وأي الأعمال أفضل؟

فقال: «**أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل**» أخرجه ابن حبان.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٢.

أنواع الذكر:

قال الحسن: الذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرّم الله عزّ وجلّ.

والذّكر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، فأمّا الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى.

وللذكر أوّل وآخر: فأوّله يُوجب الأُنس والحب لله، وآخره يوجب الأُنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الأنس والحب.

فوائد الذّكر وثمراته:

ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى-[1] أن للذكر أكثر من مائة فائدة!! نذكر منها أنه:

يطرد الشيطان ويقمعه، ويرضى الرحمن عزّ وجلّ، ويزيل الهمّ والغمّ، ويجلب الفرح والسرور، ويقوّى القلب والبدن، وينوّر الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضيرة، ويورث المحبة التى هى روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، ويورث المراقبة حتى يُدخل العبد باب الإحسان، ويورث الإنابة والرجوع إلى الله، ويورث قرب القلب من الله، ويفتح للعبد أبواب المعرفة، ويورث الهيبة لله عز وجل، ويورث ذكر الله له كما قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]. ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

ويورث حياة القلب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق

---

(١) راجع: الوابل الصيّب (٦١ - وما بعدها).

(٢) سورة البقرة: ١٥٢.

الماء؟». إنّه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

قال ابن القيم: حضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلّى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال:

هذه غدوتى، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوّتى. أو كلامًا قريبًا من هذا. وقال لى مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسى وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلامًا هذا معناه.

والذكر يورث جلاء القلب من صداه، ويحط الخطايا ويذهبها، ويزيل الوحشة بين العبد وبين ربّه تبارك وتعالى. وينجّى من عذاب الله تعالى(١)، وسبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر، وسبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، والذكر مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر(٢) وهو غراس الجنة، فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول -ﷺ-:

«لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل -عليه السلام- فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»(٣).

وقال -ﷺ-: **«من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة فى الجنة»**(٤).

والذكر من أكبر الحصون ضد الشيطان وجنده.. كما قال بعض السلف: وما دام درع الإيمان على المرء فإن نبل العدوّ لا يقع فى مقتل.

---

(١) قال -ﷺ-: **«ما عمل آدمى عملاً أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى»** رواه الطبرانى فى «الأوسط» و«الصغير» عن جابر ورجاله رجال الصحيح.

(٢) يشير إلى حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه وفيه: **«ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»** متفق عليه.

(٣) أخرجه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

وبالجملة: فذكر الله تعالى من أفضل الأعمال وأشرفها وأعلاها.. وله من الفوائد والمنافع غير ما ذكرنا الكثير.. فعلى العاقل أن يداوم على الأذكار التى تقال فى الصباح والمساء.. والتى تقال عند الطعام والشراب وبعدهما.. وعقب الصلوات..وعند الخروج من البيت.. وعند دخوله.. وعند النظر فى المرآة.. وعند النوم.. وعند ركوب الدابة.. وعند رؤية المُبْتلى.. وعند رؤية النِعْمة.. وعند الملبس... إلخ. وخير معين للمسلم فى ذلك كتاب: «الأذكار» للنووى، وتحفة الذاكرين للشوكانى. والكلم الطيب لابن تيمية، والوابل الصيّب لابن القيم.

من قصص الذاكرين:

● الإمام أحمد بن حرب: يُسبِّح والحجّام يُحْفى شاربه!:

قال زكريا بن دَلَّويه: كان أحمد بن حرب -رحمه الله- إذا جلس بين يدى الحجّم ليُحفى شاربه، يُسبّح، فيقول له الحجّام: اسكت ساعة.

فيقول: اعمل أنت عملك، وربما قطع من شفته، وهو لا يعلم!!.

وقال محمد بن يحيى: مرّ «أحمد بن حرب» بصبيان يلعبون، فقال أحدهم:

أمسكوا، فإن هذا أحمد بن حرب الذى لا ينام الليل.

فقبض على لحيته، قال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك، حتى مات!(١).

● ماهان العابد يسبّح إلى آخر نفس!:

أمر الحجَّاج الثقفى بصلب «ماهان العابد» فرفع على خشبة وهو يسبِّح ويهلّل ويعقد بيده، حتى بلغ تسعًا وعشرين، فبقى شهراً بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة!!(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢-٣٣).

(٢) صلاح الأمة فى علوّ الهمة (٣/ ٨٤).

● **خالد بن معدان: يسبّح بأصبعه بعد موته!!**

كان خالد بن معدان -رحمه الله تعالى- يسبّح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وُضع على سريره ليغسَّل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح!![(١)].

وقال ذو النون المصرى -رحمه الله تعالى- يصف الذاكرين:

رجالٌ أطاعوا الله فى السِّر والجهر ... فما باشرُوا اللّذات حينًا من الدَّهر
أُناسٌ عليهم رحمةُ الله أُنزلتْ ... فظلّوا سُكونًا فى الكهوف وفى القفْر
يراعونَ نجْم اللَّيل ما يرقدونهُ ... فباتوا بإدمان التهجُّد والصَّبر
فداخل هموم القوم للخلق وَحْشَةٌ ... فصاحَ بهم أُنسُ الجليلِ إلى الذِّكر
فأجسادُهم فى الأرض هَوْنًا مقيمةٌ ... وأرواحُهم تسرى إلى مَعْدن الفَخْرْ
فهذا نعيمُ القوم إن كنتَ تَبْتغى ... وتعقلُ عن مَولاك آدابَ ذَوِى القَدرِ

وروى عن بعض السلف: أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين:

«إن لى عبادًا من عبادى يحبونى وأحبهم، ويشتاقون إلىَّ، وأشتاق إليهم، ويذكرونى وأذكرهم، وينظرون إلىّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك.

قال: يا رب وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرّة، وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا أقدامهم وافترشوا إلىَّ وجوههم وناجونى بكلامى وتملّقوا إلىَّ بإنعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد،

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢١٠).

بعينى ما يتحمّلون من أجلى، وبسمعى ما يشتكون من حُبّى أول ما أعطيهم ثلاث!

● أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم.

والثانية: لو كانت السموات والأرض وما فيهنّ فى موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالثة: أقبل بوجهى عليهم، فترى من أقبلتُ عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟! (١).

سادسها: الدعاء

الدعاء نعمة كبرى، جاء بها المولى -تبارك وتعالى- وامتنّ بها على عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة:

فشأن الدعاء عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية فى الدين، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم بمثله، ذلك أنه يتضمّن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ** ﴾(٤).

وعن سلمان -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيىٌّ كريم، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**»(٥). وفى رواية:

(١) الإحياء (٤/ ٣٢٤).

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) سورة الفرقان: ٧٧.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٨٨) وغيره، وانظر: صحيح الجامع (١٧٥٣).

«صفراً خائبتين».

والدعاء هو مخ العبادة، بل هو «العبادة». فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**الدعاء هو العبادة**»(١).

فما أشد حاجة العباد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورتهم إليه.

نوعا الدعاء والعلاقة بينهما:

كل دعاء ورد في الكتاب والسنة فإنه يتناول نوعين اثنين ويندرج تحتهما، وهذان النوعان هما:

١- دعاء المسأله. ٢- دعاء العبادة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى -رحمه الله-:

«كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهى عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين -يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة -دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات فى الدعاء.

وهذا خطأ جرّهم إلى ما هو شرّ منه، فإن الآيات صريحة فى شموله لدعاء المسألة، ودعاء العبادة»(٢).

تعريف دعاء المسألة: هو أن يطلب الداعى ما ينفعه، وما يكشف ضره.

أو هو ما تضمّن مسألة، أو طلبًا، كأن يقول الداعى: أعطنى، أكرمنى، وهكذا.

وهذا النوع على ثلاثة أضرب:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٢٧١) وغيره، وانظر: صحيح الجامع برقم (٣٤٠١).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدى ص١٥٤، ١٥٥.

١- **سؤال الله ودعاؤه:** كمن يقول: اللهم ارحمنى واغفرلى، فهذا من العبادة لله.

٢- **سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه المسئول:** كأن يطلب من ميت أن يطعمه، أو أن يطلب من غائب أن يغيثه، أو من شخص أن يشفى مرضه، فهذا شرك أكبر(١).

٣- **سؤال غير الله فيما يقدر عليه المسئول:** كأن يطلب من حىٍّ قادرٍ حاضرٍ أن يطعمه فهذا جائز(٢).

تعريف دعاء العبادة: أما دعاء العبادة فهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة، لأن المتعبد لله طالب وداع بلسان مقاله ولسان حاله ربَّه - قبول تلك العبادة، والإثابة عليها، فهو العبادة بمعناها الشامل.

ولهذا «لو سألت أى عابد مؤمن: ما قصدك بصلاتك، وصيامك، وحجّك، وأدائك لحقوق الله وحق الخلق؟ -لكان قلب المؤمن ناطقًا قبل أن يجيبك لسانه: بأن قصدى من ذلك رضا ربى، ونيل ثوابه، والسلامة من عقابه، ولهذا كانت النية شرطًا لصحة الأعمال وقبولها وإثمارها الثمرة الطيبة فى الدنيا والآخرة»(٣).

ولهذا فصرفُ دعاء العبادة لغير الله يعد شركًا أكبر، لأن من يدعو غير الله إنما يتقرب إليه حتى يجيب دعاءه، ويثيبه على فعله.

تلازم نوعى الدعاء: من خلال ما مضى يتبين لنا أن نوعى الدعاء

---

(١) قال الشيخ: مصطفى العدوى: «زلت أقدام قوم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بألسنتهم فدعوا غير الله سبحانه فدعا فريق رسول الله -ﷺ-، ودعا آخرون عليًّا والحسن والحسين، ودعا آخرون البدوى والجيلانى وغير هؤلاء من المخلوقين فزلت أقدام هؤلاء الداعين، وكفروا لفعلهم هذا وهم لا يشعرون فقد قال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٥] من فقه الدعاء ص١٠-١١.

(٢) انظر: الفوائد المنتقاة من شرح الشيخ محمد بن عثيمين لكتاب التوحيد. للشيخ إسماعيل الرميح ص٨، ٩.

(٣) القواعد الحسان ص١٥٥.

متلازمان، ذلك أن الله عز وجل يُدعى لجلب النفع ودفع الضر دعاء المسألة، ويدعى خوفًا ورجًا دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة(١).

فضائل الدعاء:

للدعاء فضائل عظيمة، وثمرات جليلة، وأسرار بديعة منها:

١- أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

٢- أن الدعاء سلامة من الكبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣).

٣- أن الدعاء عبادة:

فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**الدعاء هو العبادة**».

٤- الدعاء أكرم شيء على الله:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس شيء أكرم على الله -عز وجل- من الدعاء**»(٤).

٥- الدعاء محبوب لله عز وجل:

فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا:

«**سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل**»(٥).

---

(١) الدعاء مفهومه - أحكامه. لمحمد بن إبراهيم الحمد ص١٥-١٨.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢) وغيره وحسنه الألباني.

(٥) **ضعيف**: رواه الترمذي (٣٥٧١)، وضعفه الألباني. الضعيفة (٤٩٢).

٦- **الدعاء سبب لانشراح الصدر**، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، ولقد أحسن من قال:

وإني لأدعو الله والأمرُ ضيّقٌ ... عليّ فما ينفكُّ أن يتفرجا
وربّ فتىً ضاقت عليه وجوهُهُ ... أصاب له في دعوة الله مخرجًا(١)

٧- **الدعاء سبب لدفع غضب الله:**

قال رسول الله -ﷺ-: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»(٢).

ولقد أحسن من قال:

لا تسألنَّ بُنىّ آدمَ حاجةً ... وسلِ الذى أبوابُهُ لا تُحجبُ
اللهُ يغضبُ إن تركت سؤاله ... وبنىّ آدمَ حين يُسألُ يغضبُ

٨- **الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة:**

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال:

«**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»(٣).

٩- **ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله:**

فعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- أنه قال:

«**ما من مسلم يدعو، ليس بإثم ولا بقطيعة رحم -إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إمّا أن يُعجّل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها**».

قال: إذًا نكثر، قال:

«**الله أكثر**»(٤).

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٢٨٧).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٢) وغيره وحسنه الألبانى.

(٣) **صحيح**: رواه ابن حبان فى «موارد الظمآن» (١٩٣٩) وانظر: الصحيحة (١٥٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٧١٠) وقال الألبانى صحيح.

١٠- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله:

قال -عليه الصلاة والسلام-: «لا يرد القدر إلا الدعاء»(١).

١١- الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله:

قال -ﷺ-: «من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا يعطى -أحبَّ إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»(٢).

وقال -ﷺ-: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»(٣).

١٢- الدعاء من صفات عباد الله المتقين:

قال جل شأنه -عن أنبيائه-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٤).

١٣- الدعاء مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين:

فالمظلوم -أو المستضعف- إذا انقطعت به الأسباب، وأغلقت فى وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكواه -نصره الله وأعزه، وانتقم له مِمَّن ظلمه ولو بعد حين(٥).

مجاب الدعوة:

أبو معلَق والتأييد الإلهى:

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) وغيره. وانظر: صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذى (٣٥٤٨)، وحسنه الألبانى. صحيح الجامع (٣٤٠٩).

(٣) **حسن**: أخرجه الطبرانى فى الدعاء (٢/ ٨٠٠) رقم (٣٣) وغيره. وحسنه الألبانى. صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٤) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٥) الدعاء مفهومه وأحكامه ص ٢٣ وما بعدها. بتصرف.

عن الحسن عن أنس -رضي الله عنه-، قال:

كان رجل من أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- من الأنصار يُكنى «أبا معْلَق» وكان تاجرًا يتَّجر بمال له ولغيره يضرب به فى الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لصٌّ مُقنَّعٌ فى السلاح، فقال له:

ضع ما معك فإنى قاتلك.

قال: ما تريد إلى دمى؟ شأنك بالمال.

قال: أما المال فلى، ولستُ أُريد إلاّ دمك.

قال: أمَا إذ أبيت، فذرنْى أُصلى أربع ركعات؟

قال: صلِّ ما بدا لك.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دُعائه فى آخر سجدة أن قال:

«يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعّال لما يريد، أسألك بعزِّك الذى لا يُرام، ومُلكك الذى لا يُضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك، أن تكفينى شر هذا اللّص، يا مغيث أغثنى، يا مغيث أغثنى، ثلاث مرارٍ».

قال: دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعُها بين أُذنى فرسه، فلمّا بَصُر به اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله، ثم أقبل إليه، فقال: قم.

قال: من أنت بأبى أنت وأُمّى؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم.

قال: أنا مَلَكٌ من أهل السماء الرابعة دعوتَ بدعائك الأول، فسمعتُ لأبواب السماء قَعْقعةً، ثم دَعْوتَ بدُعائك الثانى، فسمعتُ لأهل السماء ضجَّة، ثم دعوتَ بدعائك الثالث فقيل لى: دعاءُ مكروب، فسألتُ الله تعالى أن يُولِّينى قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلّى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب(١).

---

(١) مجابو الدعوة لابن أبى الدنيا ص ٦٣، وأسد الغابة (٦/ ٢٩٥).

فضل دعاء المجاهد فى سبيل الله:

عن الشَّعْبى -رحمه الله تعالى-: أن قومًا من المهاجرين، خرجوا متطوِّعين فى سبيل الله، فَنَفَق(١) حمارُ رجل منهم، فأرادوه على أن ينطلق معهم، فأبى، فانطلق أصحابُه مترحِّلين وتركوه، فقام، فتوضأ، وصلّى، ثم رفع يديه فقال:

«اللهمَّ إنى خرجتُ من «الدفينة»(٢) مجاهدًا فى سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وأَشهدُ أنك تحى الموتى، وتبعث من فى القبور، اللَّهم فأَحْى لى حمارى»

ثم قام الحمار، فضربه، فقام الحمار يَنْفُض أُذنيه فأسرجه، وألجمه، ثم ركبه، فأجراه حتى لحق بأصحابه، فقالوا له: ما شأنك؟

قال: شأنى أن الله بعث لى حمارى!.

قال الشعبى: أنا رأيت الحمار بيع أو يباع بالكُناسة(٣).

وذكر ابن أبى الدنيا عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعى أن صاحب الحمار رجل من النخع يقال له «**نباتة بن يزيد**» خرج فى زمن عمر غازيًا، حتى إذا كان يلقى عميرة نفق حمارُه، فذكر القصة، غير أنه قال: فباعه بَعْدُ بالكناسة، فقيل له: تبيع حمارك وقد أحياه الله لك؟

قال: فكيف أصنع؟

وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظتُ هذا البيت:

ومنا الذى أحيا الإله حماره ... وقد مات منه كل عضو ومفصل

---

(١) نفق حمارُه: أى مات.

(٢) الدفينة: مكان بين مكة وبصرى.

(٣) الكُناسة: مكان بالكوفة، وانظر: مجابو الدعوة ص ٨٥، ورواه ابن أبى الدنيا - أيضًا- فى كتابه «من عاش بعد الموت»، وذكره ابن كثير فى كتاب «دلائل معجزات النبى -ﷺ-» ص ١١١.

شروط الدعاء:

للدعاء شروط لابد من توافرها، كي يكون الدعاء مستجابًا مقبولاً عند الله، ومن تلك الشروط:

١- أن يكون الداعي عالمًا بأن الله -وحده- هو القادر على إجابة دعائه:

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾(١).

٢- ألا يسأل إلا الله، ولا يستعيذ ولا يستغيث إلا به:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

٣- الدعاء بالخير بعيداً عن الإثم وقطيعة الرحم:

قال -ﷺ-: «**يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» رواه مسلم.

٤- حسن الظن بالله:

فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»(٣).

٥- حضور القلب:

قال رسول الله -ﷺ-:

«**واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ لاهٍ**»(٤).

٦- إطابة المأكل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة النمل: ٦٢.

(٢) سورة الجن: ١٨.

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وغيره وحسنه الألباني. صحيح الجامع (٢٤٥).

(٤) **حسن**: انظر: التخريج السابق.

(٥) سورة المائدة: ٢٧.

وكما فى الحديث الذى رواه مسلم: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّى بالحرام فأنّى يستجاب لذلك**».

٧- تجنب الاعتداء فى الدعاء:

قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(١).

٨- إظهار الافتقار والذلة والاعتراف بالذنب والتقصير:

ويدل على ذلك قوله تعالى عن موسى -عليه السلام-:

﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾(٢).

آداب الدعاء:

كما أن للدعاء شروطًا فكذلك له آداب يحسن توافرها، من هذه الآداب:

١- الثناء على الله قبل الدعاء، والصلاة على النبى -صلى الله عليه وسلم-:

فعن فضالة بن عبيد -رضي الله عنه-، قال:

بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قاعدًا إذ دخل رجل، فصلّى، فقال:

اللهم اغفرلى، وارحمنى. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**عجلت أيها المصلى، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علىّ ثم ادعه**».

ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله، وصلى على النبى -صلى الله عليه وسلم-، فقال له النبى -صلى الله عليه وسلم-:

---

(١) سورة الأعراف: ٥٥.

(٢) سورة القصص: ٢٤.

«أيها المصلى ادع تُجب»(١).

وقال -ﷺ-: «كل دعاء محجوب، حتى يُصلّى على النبى -ﷺ-»(٢).

٢- الجزم فى الدعاء، والعزم فى المسأله:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه لا مُسْتَكْرِهُ له»(٣).

٣- الإلحاح فى الدعاء، وترك الاستعجال:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ-، قال:

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لى»(٤).

٤- الدعاء ثلاثًا:

كما جاء فى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود الطويل، وفيه:

«فلما قضى النبى -ﷺ- صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، ثم قال:

«اللهم عليك بقريش. اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» رواه مسلم.

٥- استقبال القبلة:

فعن عبد الله بن زيد -رضي الله عنه-، قال:

«خرج النبى -ﷺ- إلى هذا المصلّى يستسقى، فدعا، واستسقى، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه» متفق عليه.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٨١) وصححه الألبانى.

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى فى «الأوسط» وحسنه الألبانى. صحيح الجامع (٤٥٢٣).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

٦- رفع الأيدى فى الدعاء:

قال أبو موسى الأشعرى -رضي الله عنه-:

«دعا النبى -صلى الله عليه وسلم- ثم رفع يديه، ورأيت بياض إبطيه» متفق عليه.

٧- الوضوء:

كما فى حديث أبى موسى لما فرغ النبى -صلى الله عليه وسلم- من حُنين، وفيه قوله:

«فدعا بماء، فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال:

«**اللهم اغفر لعبيد بن عامر**» ورأيتُ بياض إبطيه» متفق عليه.

٨- البكاء فى الدعاء:

فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -تلا قول الله- عزّ وجلّ-:

﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾(١).

وقول عيسى: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٢).

فرفع يديه وقال:

«**اللهم أمتى أمتى**» وبكى، فقال الله عز وجل:

«**يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل -عليه السلام- فسأله، فأخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما قال -وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك**» رواه مسلم.

٩- أن يتخيّر جوامع الدعاء:

فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك(٣).

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٦. (٢) سورة المائدة: ١١٨.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ١٨٩) وغيره وصححه الألبانى. صحيح الجامع (٤٩٤٩).

١٠- خفض الصوت، والإسرار بالدعاء:

فعن أبى موسى -رضي الله عنه-، قال: كنا مع النبى -صلى الله عليه وسلم- فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«**أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**» أخرجه البخارى.

١١- أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**سلوا الله كل شىء، حتى الشسع(١)، فإن الله -عز وجل- لو لم ييسره لم يُيسر**»(٢).

أوقات وأماكن وأحوال يستجاب فيها الدعاء(٣):

هناك أوقات، وأماكن، وأحوال يستجاب فيها الدعاء منها:

ليلة القدر، والدعاء فى جوف الليل ووقت السحر، ودبر الصلوات المكتوبات، وبين الآذان والإقامة، وعند النداء للصلوات، وعند الزحف، وعند نزول المطر، والساعة التى فى يوم الجمعة.. ورجح ابن القيم أنها بعد العصر، وعند شرب ماء زمزم، وفى السجود، والدعاء يوم عرفة، والدعاء عقب الوضوء، وعند الفطر، وعند التأمين فى الصلاة، وعند الرفع من الركوع، وفى شهر رمضان، وعند صياح الديكة، وعند اجتماع المسلمين فى مجالس الذكر، ودعوة المسافر، ودعاء الوالد على ولده، ودعاء الوالد لولده، ودعوة المظلوم، ودعوة المضطر، ودعاء الغازى والحاج والمعتمر، والدعاء عند المريض... إلخ.

---

(١) الشسع: أحد سيور النعل وهو الذى يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل. لسان العرب (٨/ ١٨٠).

(٢) أخرجه ابن السنى، وضعفه الشيخ الألبانى مرفوعًا، والحديث صحيح من قول عائشة -رضي الله عنها- موقوفًا عليها. الدعاء مفهومه - أحكامه ص٦٩.

(٣) انظر: الدعاء لحسين العوايشة، والذكر والدعاء للقحطانى.

الشرك: تعريفه - أنواعه

أ- تعريفه:

الشرك هو جعل شريك لله تعالى فى ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراك فى الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة. والشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور:

١- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق فى خصائص الإلهية -فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه به. وهذا أعظم الظلم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١).

والظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه. فمن عَبَد غير الله فقد وضع العبادة فى غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.

٢- أن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه -قال تعالى-:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢).

٣- أن الله أخبر أنه حرّم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد فى نار جهنم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٣).

٤- أن الشرك يحبط جميع الأعمال -قال تعالى-:

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤).

٥- أن المشرك حلال الدم والمال:

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) سورة المائدة: ٧٢.

(٤) سورة الأنعام: ٨٨.

قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(١).

وقال النبى -ﷺ-:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» متفق عليه.

٦- أن الشرك أكبر الكبائر:

قال -ﷺ-: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين... الحديث» متفق عليه.

٧- أن الشرك نَقْصٌ وعيب نزه الربّ سبحانه نفسه عنهما -فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله سبحانه(٢).

(ب) أنواع الشرك:

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه فى النار إذا مات ولم يتب منه -وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله- كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين. والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه- ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة: ٥.

(٢) كتاب التوحيد. د. صالح بن فوزان الفوزان ص ٩-١٠ بتصرف.

(٣) سورة يونس: ١٨.

النوع الثانى: شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر -وهو قسمان-:

القسم الأول: شرك ظاهر وهو: ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله -قال -ﷺ-:

«**من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك**»(١).

وقوله: ما شاء الله وشئت. قال -ﷺ-: لما قال رجل: ما شاء الله وشئت فقال:

«**أجعلتنى لله نداً قل ما شاء الله وحده**» رواه النسائى.

وقول: لولا الله وفلان -والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان -لأن ثم الترتيب مع التراخى- تجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله- كما قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

وأما الواو فهى لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضى ترتيباً ولا تعقيباً.

ومثله قول: ما لى إلا الله وأنت. وهذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين وغيرها(٣) إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعل هذه أسباباً.

أمّا من اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثانى من الشرك الأصغر: شرك خفى وهو الشرك فى الإرادات والنيات -كالرياء والسمعة- كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم.

(٢) سورة التكوير: ٢٩.

(٣) وفى الحديث: «**من تعلّق شيئاً وُكّل إليه**» رواه أحمد والترمذى.

الناس عليه- كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله. قال تعالى:

﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾(١).

وقال النبي -ﷺ-: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟

قال: «**الرياء**» رواه أحمد والطبراني.

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي -كمن يحجّ أَوْ يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال- أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال.

قال النبي -ﷺ-: «**تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أُعْطِي رضى وإن لم يعط سخط**»(٢).

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

«وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقلّ من ينجو منه. فمن أراد بعلمه غير وجه الله ونوى شيئًا من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك فى نيته وإرادته -والإخلاص أن يخلص لله فى أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هى الحنيفية ملة إبراهيم التى أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الإسلام. كما قال تعالى:

﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٣).

وهى ملة إبراهيم -عليه السلام- التى من رغب عنها فهو من السفهاء(٤).

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) الجواب الكافى ص ١١٥.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

(٤) سبق تخريجه.

يتلخص مما مرّ أن هناك فروقًا بين الشرك الأكبر والأصغر وهى:

١- الشرك الأكبر يخرج من الملة- والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه فى النار- والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فى النار.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال- والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الرياء والعمل لأجل الدنيا والعمل الذى خالطاه فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال- والشرك الأصغر لا يبيحهما(١).

نواقض الإسلام

اعلم أيها المسلم أن الله سبحانه أوجب على جميع العباد الدخول فى الإسلام والتمسك به والحذر مما يخالفه وبعث نبيّه محمدًا -ﷺ- للدعوة إلى ذلك، وأخبر -عزّ وجلّ- أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضلّ، وحذّر فى آيات كثيرة من أسباب الرّدة وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء -رحمهم الله- فى باب حكم المرتد. أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التى تحل دمه وماله ويكون بها خارجًا عن الإسلام.

ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض. نذكرها هنا على سبيل الإيجاز لتحذرها وتحذّر منها رجاء السلامة والعافية منها.

الأول: من النواقض العشرة: الشرك فى عبادة الله.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾(٢) ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان ص ١٤.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

الثانى: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من اعتقد أن هدى غير النبى -ﷺ- أكمل من هديه. أو أن حُكم غيره أحسن من حُكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه.

الرابع: من لم يكفر المشركين أو شكّ فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول -ﷺ- ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[1].

السادس: من استهزئ بشىء من دين الرسول -ﷺ- أو ثوابه أو عقابه كفر. والدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[2].

السابع: السحر ومنه الصرف[3] والعطف[4] فمن فعله أو رضى به كفر والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾[5].

الثامن: مظاهرة[6] المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى:

---

(١) سورة محمد: ٩.

(٢) سورة التوبة: ٦٥، ٦٦.

(٣) الصرف: عمل سحرى يقصد منه تغيير الإنسان عمّا يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.

(٤) العطف: عمل سحرى يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية.

(٥) سورة البقرة: ١٠٢.

(٦) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١)(٢).

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد -ﷺ- فهو كافر لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣).

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به!! والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾(٤).

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازئ والجاد والخائف إلاّ المُكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعًا فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه(٥).

ثانيًا: حق العباد على الله

مرّ معنا أن النبىّ -ﷺ- لـمّا قال لمعاذ:

«**فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا**» قال له:

«**وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئًا**».

وهذا فضل كبير ومقام عظيم -وتفضّل كريم من الله تعالى على عباده ويحسن بنا أن نختم هذا الجزء من هذا الكتاب بالحديث عن سعة رحمة الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة: ٥١.

(٢) الظالمين: الكافرين.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

(٤) سورة السجدة: ٢٢.

(٥) انظر: العقيدة الصحيحة للشيخ ابن باز ص٢٥-٢٨ بتصرف.

فقد كان رسول الله -ﷺ- يحب الفأل[١]، وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله -ﷺ- فى التفاؤل، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما ختمنا هذا الجزء بذكر -رحمة الله تعالى-.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا، ونستغفر من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا، ونستغفره مما أوعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى معصيته.

● وقال -ﷺ-: «**إن لله مائةَ رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخّر تسعًا وتسعين رحمةً يرحم بها عباده يوم القيامة**» رواه مسلم.

● وقال الصنابحى: دخلتُ على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت فبكيت فقال: مهلاً... لم تبك؟ فو الله ما من حديث سمعته من رسول الله -ﷺ- لكم فيه خير إلا حدّثتكموه إلا حديثًا واحدًا وسوف أحدّثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى، سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله حرَّم الله عليه النار**» رواه مسلم.

● وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، قال:

قدم على رسول الله -ﷺ- بسبى فإذا امرأة من السّبى تسعى إذ

(١) حديث: كان رسول الله -ﷺ- يحب التفاؤل. متفق عليه.
(٢) سورة النساء: ١١٠.

وجدت صبيًّا فى السبى، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله -ﷺ-: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟**».

قلنا: لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» رواه مسلم.

من قصص التائبين:

١- قصة ذى الكفل:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:

سمعتُ رسول الله -ﷺ- يُحدِّث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرَّةً أو مرتين حتى عدَّ سبع مرَّات، ولكن سمعتُه أكثر، سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأةٌ فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلمّا قعد منها مَقْعد الرجل من امرأته أُرعدت وبكت، فقال:**

ما يبكيك أكْرَهتك؟

قالت: لا، ولكنه عملٌ ما عملتُه قطُّ، وما حَمَلنى عليه إلاّ الحاجة.

فقال: تفعلين أنت هذا، وما فَعَلْته قطُّ اذهبى فهى لك، وقال: «لا والله لا أَعْصى الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غفر للكفل»(١).

٢- قصة الرجل والقُبْلة:

عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

إن رجلاً أصاب من امرأة قُبلةً -وفى رواية:

(١) قال المنذرى: رواه الترمذى وحسنه، واللفظ له، وابن حبان فى «صحيحه» إلاّ أنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- أكثر من عشرين مرة يقول. فذكر بنحوه، والحاكم والبيهقى من طريقه وغيرها، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. الترغيب برقم (٤٥٩٦).

جاء رجل إلى النبىّ -ﷺ- فقال:

يا رسول الله إنى عالجتُ امرأةً فى أقصى المدينة، وإنى أصبتُ منها ما دون أن أمسَّها، فأنا هذا فاقض فىَّ ما شئت.

فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك.

قال: ولم يَرُدَّ عليه النبىّ -ﷺ- شيئًا، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبىُّ -ﷺ- رجلاً فدعاه، فتلا عليه هذه الآية:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾(١).

فقال رجل من القوم: يا نبىّ الله هذا له خاصّة؟.

قال: «بل للناس كافة» رواه مسلم وغيره.

٣- السعادة بسعة رحمة الله:

عن أبى طويلٍ شطْبٍ الممدود أنه أتى النبىَّ -ﷺ- فقال:

أرأيتَ مَنْ عمل الذنوب كلها، ولم يترك منها شيئًا، وهو فى ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟

قال: «فهل أسلمت؟».

قال: أمَّا أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله.

قال: «تفعلُ الخيراتِ، وتترك السيئات، فيجعلُهُن الله لك خيرات كلَّهن».

قال: وغَدَرَاتى وفَجَرَاتى؟

قال: «نعم».

قال: الله أكبر، فما زال يكبرِّ حتى توارى(٢).

نسأل الله أن يشملنا برحمته.. وأن يعمّنا بعفوه.. آمين.

---

(١) سورة هود: ١١٤.

(٢) قال المنذرى: رواه البزار والطبرانى واللفظ له، وإسناده جيّد قوىّ. الترغيب (٤٦١٣).

الحق الثالث والرابع

حق الآباء على الأبناء
وحق الأبناء على الآباء

أولاً: حق الآباء على الأبناء

قال الإمام أبو الليث السمرقَنديّ -رحمه الله تعالى-:

يقال: إن للوالدين على الولد عشرة حقوق:

إحداها: أنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه.

والثاني: إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه.

والثالث: إذا احتاج أحدهما إلى الخدمة خدمه.

والرابع: إذا دعاه أجابه وحضره.

والخامس: إذا أمره بأمر أطاعه ما لم يأمر بالمعصية والغيبة.

والسادس: أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.

والسابع: أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه ويكره ما يكره لنفسه.

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه.

قال الله تعالى حكاية عن نوح -عليه السلام-:

﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ...**﴾[1] الآية.

وهكذا عن إبراهيم -عليه السلام-:

﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾[2][3].

---

(١) سورة نوح: ٢٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٤١.

(٣) تنبيه الغافلين (٨٩).

لقد أوجب الإسلامُ على الأبناء برّ الوالدين جزاء بما قدّما من معروف وإحسان.. وأجزل العطاء للبار فى الدنيا والآخرة.. ويكفى أنّ رضا الله تعالى فى رضا الوالدين، وسخط الله تعالى فى سخط الوالدين.. وعلى الصفحات القادمة نعيش مع حقوق الوالدين على الأبناء.. وما يترتب على ذلك من جزاء فى الدنيا والآخرة.

بر الوالدين فى القرآن والسنة المطهرة

قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ (١).

يأمر الله تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه فى جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته... ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين... ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء فى الحديث: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة**»(٢).

وقال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٣).

---

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٤٤)، وأحمد فى «المسند» (٤/ ١٧، ١٨).

(٣) سورة الإسراء: ٢٣، ٢٤.

قرن الله تعالى فى هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثانى -وهو التربية- من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكر الله تعالى، فقال تعالى:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[(١)].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة بغير قرينتها:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾[(٢)].

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يُقْبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[(٣)].

فمن صَلَّى ولم يزك لم يُقْبلْ منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[(٤)].

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾. أى: لا تسمعهما قولاً سيئًا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيء.

﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ قال عطاء بن أبى رباح: أى: لا تنفض يدك عليهما.

﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أى: لينًا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم.

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أى: تواضع لهما بفعلك.

---

(١) سورة لقمان: ١٤.

(٢) سورة محمد: ٣٣.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة لقمان: ١٤.

(٥) الكبائر للذهبى ص ٤١.

قال القرطبى: «فينبغى بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبيه فى خير ذلَّة، فى أقواله، وسكناته، ونظره، ولا يُحدّ إليهما بصره» أ. هـ

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ أى: فى كبرهما وعند وفاتهما.

وقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾. أى: ضعفًا على ضعف.

﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أى: تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين.

ومن ها هنا استنبط ابن عباس -رضي الله عنه- وغيره من الأئمة -رحمهم الله تعالى-:

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأنه سبحانه قال فى الآية الأخرى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾(٢). وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها فى سهرها ليلاً ونهاراً، ليذكِّر الولد بإحسانها المتقدم إليه»(٣).

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾.

قال سفيان بن عيينة: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه فى أدبار الصلوات فقد شكرهما».

وقيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية.

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي

---

(١) سورة لقمان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة الأحقاف: ١٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٧٠٨).

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١) .

يعنى أن خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله، أمّا إذا أفضى إليه فلا تطعهما، وقال هاهنا: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعنى صاحبهما بجسمك فإن حقهما على جسمك، واتبع سبيل النبى -ﷺ- بعقلك، فإنه مربى عقلك، كما أن الوالد مربى جسمك(٢) .

قال سعد بن أبى وقاص -رضي الله عنه-:

أنزلت فىّ هذه الآية: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ الآية، قال:

كنتُ رجلاً برًّا بأمّى، فلما أسلمتُ، قالت:

يا سعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بى، فيقال: يا قاتل أمّه، فقلت:

لا تفعلى يا أمه، فإنى لا أدع دينى هذا الشىء.

فمكثت يومًا وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلتُ:

يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركتُ هذا الشىء، فإن شئت فكلى وإن شئت لا تأكلى، فأكلت»(٣) .

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى-:

«وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى فى ركوب كبيرة ولا فى ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما فى المباحات ويستحسن فى ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد الكفاية، والإجابة للأم فى الصلاة مع إمكان

---

(١) سورة لقمان: ١٥.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٤/٥٠٨).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٨١ - ١٨٢).

الإعادة، على أن هذا أقوى من الندب، لكن يعلل بخوف هلكة عليها، ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون أقوى من الندب. وخالف الحسن فى هذا التفصيل فقال: إن منعته أمّه من شهود العشاء شفقة فلا يطعها»[١].

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

قال الإمام القشيرى: «عاشرهما بالجميل، تخشين فى تلين، فاجعل لهما ظاهرك فيما ليس فيه حرج، وانفرد بسرِّك لله»[٢].

قالت أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنهما- للنبى -صلى الله عليه وسلم- وقد قَدِمتْ عليها خالتها،

وقيل: أمّها من الرضاعة فقالت:

يا رسول الله، إن أمى قدمت علىَّ وهى راغبة أفأصلها؟

قال: «**نعم**». متفق عليه.

ومعنى راغبة: أى عن الإسلام، وقيل: راغبة فى الصِّلة.

ومن السُّنّة:

جاء فى بر الوالدين أحاديث كثيرة، منها:

١- روى أحمد فى «المسند» عن المقدام بن معد يكرب عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[٣].

٢- وعن أشعث بن سليم عن أبيه، عن رجل من بنى يربوع، قال: أتيت النبى -صلى الله عليه وسلم- فسمعتُه وهو يكلّم الناس يقول:

«**يد المُعطى العليا، أمّك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك**»[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٦٠).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ١٣١).

(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ١٣٢).

(٤) أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٦٤).

٣- وعن معاوية بن جاهمة -رضي الله عنهما-: أن جاهمة جاء إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله أردتُ أن أغزو، وجئتُ أستشيرك؟

فقال: «**هل لك من أمّ؟**».

قال: نعم.

قال: «**فالزمها، فإن الجنة عند رجلها**»(١).

٤- وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال:

صعد النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- المنبر فقال:

«آمين، آمين، آمين» قال: «**أتاني جبريل -عليه الصلاة والسلام- فقال: يا محمد: من أَدْرَكَ أَحَدَ أبويه فمات، فدخل النار، فأبعده الله، فقل آمين، فقلتُ: آمين.**

فقال: يا محمد من أدرك شهرَ رمضان فمات، فلم يُغْفَرْ له فأُدْخل النار، فأبعده الله، فقل آمين، فقلتُ: آمين.

قال: ومن ذُكِرْتَ عنْدَهَ فلم يُصلِّ عليك فمات، فدخل النار، فأبعده الله فقل آمين، فقلتُ: آمين»(٢).

٥- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-، قال:

جاء رجلٌ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: جئتُ أبايعك على الهجرة، وتركتُ أبويَّ يبكيان؟ فقال:

«**ارجع إليهما فأضحكْهما كما أبكيتهما**»(٣).

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن النسائي (٢٩٠٨).

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني بأسانيد أحدُهما حسن. الترغيب برقم (٣٦٧٦).

(٣) **صحيح**: انظر: صحيح سنن أبي داود (٢٢٠٥).

«السلف الصالح وبر الوالدين»

نقدم على السطور القادمة نماذج عاطرة من بر الوالدين عن السلف الصالح . . قدوة للاهتداء:

١- الفضل بن يحيى ونموذج أعلى فى البر:

كان الفضل بن يحيى -رحمه الله تعالى- أبرّ الناس بأبيه، بلغ مِنْ بره إياه أنهما كانا فى السجن، وكان يحيى لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهما السَّجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فلما نام يحيى، قام الفضل إلى قمقمة وملأها ماء، ثم أدناه من المصباح ولم يزل قائمًا -وهو فى يده- حتى أصبح!!![(1)].

٢- السيدة حفصة بنت سيرين تحكى بر ولدها بها:

عن حفصة بنت سيرين -رحمها الله- قالت:

«بلغ من بر ابنى «الهذيل» بى أنه كان يكسر القصب فى الصيف فيوقد لى فى الشتاء -أى لئلا يكون له دخان- قالت:

وكان يحلب ناقته بالغداة فيأتينى به فيقول:

اشربى يا أمّ الهذيل، فإن أطيب اللبن ما بات فى الضَّرْع.

ثم مات فرُزقتُ عليه من الصبر ما شاء أن يرزقنى، فكنتُ أجد مع ذلك حرارة فى صدرى لا تكاد تسكن. قالت:

فأتيتُ ليلة من الليالى على هذه الآية:

﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[(2)] فذهب عنى ما كنتُ أجد[(3)].

---

(١) بر الوالدين للطرطوشى ص ٧٨.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

(٣) المنتظم لابن الجوزى (٧/ ١٧١ - ١٧٢).

٣- يطوف بالكعبة ووالدته على كتفيه!!:

شهد ابن عمر -رضي الله عنهما- رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت، حمل أمّه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيرُها المذلل   إن أُذعرتْ ركابُها لم أُذعر

الله ربي ذو الجلال الأكبر

حملتُها أكثر مما حملت   فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟

قال: لا، ولا بزفرة واحدة.

وفي رواية: «ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا»(١).

٤- تقضي حاجتها وهي على ظهر ولدها!!.

يروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

إن لي أمًّا بلغ منها الكِبر أنه لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها فهل أديتُ حقّها؟

قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه.

وتتمنى فراقها(٢).

٥- دعاء وإجابة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال:

«إن أمي كانت مشركة، وكنتُ أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ، فدعوتُها يومًا فأسمعتني في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أكره، فأتيتُ رسول

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١).

(٢) مختصر بر الوالدين للأستاذ: عبد الرءوف الحناوي ص ٥٨.

الله -ﷺ- وأنا أبكى، فأخبرته، وسألته أن يدعو لها، فقال: «**اللهمّ اهْدِ أمَّ أبى هريرة**».

فخرجتُ أعَدْو أُبشرها، فأتيتُ فإذا الباب مجاف، وسمعتُ خضخضة الماء، وسمعت حِسِّى، فقالت:

كما أنت. ثم فتحت، وقد لبست دِرْعها، وعجلت عن خمارها، فقالت:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»

قال: فرجعتُ إلى رسول الله، أبكى من الفرح كما بكيتُ من الحُزن، فأخبرتُه وقلت: ادع الله أن يُحبّبنى وأمِّى إلى عباده المؤمنين، فقال:

«**اللهَّم حبّب عُبيْدك هذا وأمَّه إلى عباد المؤمنين، وحبِّبهم إليهم**»(١).

٦- حوار رائع بين أمٍّ وولدها:

عن أبى مُرَّة: أن أبا هريرة كان يستخلفه مروان، وكان يكون بـ«**ذى الحُلَيفة**» فكانت أمُّه فى بيت، وهو فى آخر.

قال: فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها، فقال:

السلام عليكم يا أمتّاه ورحمته وبركاته.

فتقول: وعليك السلام يا بنىّ ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما ربيتنى صغيراً.

فتقول: يا بنى وأنت فجزاك الله خيراً ورضى عنك كما بررتنى كبيراً»(٢).

٧- منعه البر من صحبة النبى -ﷺ-!!:

روى الإمام مسلم فى «صحيحه» عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، قال:

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد وحسّنه الذهبى.

(٢) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (١/ ٦٧).

قال رسول الله -ﷺ- : «**إن خير التابعين رجل يقال له: أويس**(١)**، وله والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبرّه، وكان به بياض**(٢)**، فمروه فليستغفر لكم!!**».

وكان «أويس» من أهل اليمن، قال أسير بن جابر:

«كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم:

أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على «أويس» فقال:

أنت أويس بن عامر؟.

قال: نعم.

قال: منْ مراد ثم من قَرَن؟.

قال: نعم.

قال: فكان بك بَرَصٌ، فبرأت منه إلاّ موضع درهم؟

قال: نعم.

قال: ألك والدة؟

قال: نعم.

قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قَرْن، وكان به برص فبرأ منه إلاّ موضع درهم، له والدة، هو بها بر، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». فاستغفر لى. قال فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟

---

(١) هو: التابعى الجليل: أويس القرنى. راجع ترجمته فى كتابنا (صور ومواقف من حياة-التابعين).

(٢) هو: البرص، وهو مرض جلدى.

قال: أكون فى غُبرَات(١) الناس أحبُّ إلىَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل، حجّ رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، فقال:

تركته رثَّ الهيئة، قليل المتاع.

قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن، من مُراد ثم من قرن، وكان به برص، فبرأ منه إلاّ موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل».

فأتى أويسًا فقال: استغفر لى، قال:

أنت أحدث عَهْدًا بسفر صالح، فاستغفر لى.

قال: استغفر لى.

قال: لقيت عمر؟

قال: نعم.

قال: فاستغفر له.

قال: ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أسير:

وكسوته بُردةً. وكان كل من رآه، قال:

من أين لأويس هذه البُرْدة؟. رواه مسلم.

«حكاية»:

ذكر الحافظ أبو نعيم فى «الحلية»(٢) عن طاووس اليمانى -رحمه الله تعالى-، قال:

---

(١) فى غبرات الناس: أى مع المتأخرين لا المتقدمين.. قال ذلك خشية الشهرة وَحُبّ الظهور.

(٢) انظر: حلية الأولياء (٤/ ٧-٨).

«كان رجل له أربع بنين فمرض فقال أحدهم(١):

إما أن تُمَرِّضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإمّا أن أُمَرِّضه وليس لي من ميراثه شيء.

قالوا: مَرضه وليس لك من ميراثه شيء.

قال: فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئًا.

قال: فأُتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار، فقال في نومه: أفيها بركة؟

قالوا: لا.

قال: فأصبح فذكر ذلك لامرأته، فقالت:

خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش منها.

فأبى، فلمّا أمسى أُتي في النوم فقيل له:

ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال:

أفيها بركة؟

قالوا: لا.

فلما أصبح قال ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها، فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارًا، فقال:

أفيه بركة؟

قالوا: نعم.

قال: فذهب فأخذه ثم خرج به إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال: بكم هما؟

---

(١) أي: قال لإخوته.

قال: بدينار، قال: فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما، فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد فى بطن كل واحدة منهما درّة لم يرَ الناس مثلهما.

قال: فبعث الملك يطلب درّة يشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر[(١)] ثلاثين بغلاً ذهبًا، فلما رآها الملك قال:

ما تصلح هذه إلا بأخت، اطلبوا أختها وإن أضعفتم.

قال: فجاؤه فقالوا:

أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟

قال: وتفعلون؟

قالوا: نعم.

قال: فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا الأولى.

«قصة مؤثرة»:

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى-:

وقد روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال:

جاء رجل إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله، إن أبى أخذ مالى.

فقال النبى -صلى الله عليه وسلم- للرجل: **«فأتنى بأبيك»**.

فنزل جبريل -عليه السلام- على النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«إن الله عزّ وجل يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه».

فلما جاء الشيخ قال النبىُّ -صلى الله عليه وسلم-:

«ما بال ابنك يشكوك أتريد أخذ ماله؟».

---

(١) الوقر: الحمل.

فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلاّ على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسي! فقال له رسول الله -ﷺ-:

«**إيه، دعنا من هذا. أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أُذناك؟**».

فقال الشيخ: والله يا رسول الله، ما زال الله عزّ وجلّ يزيدنا بك يقينًا، لقد قلتُ في نفسي شيئًا ما سمعته أُذناي.

قال: «**قل وأنا أسمع**».

قال: قلتُ:

غَدَوْتُك مولودًا وَعُلْتُك يافعًا ... تُعَلّ بما أدنى إليك وَتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ ضافَتك بالسُّقم لم أَبِتْ ... لسُقْمك إلاّ ساهرًا أتململُ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقت به دوني فَعَيْنَي تَهْمُلُ
تخاف الرَّدى نفسي عليك وإنها ... لتعلَم أن الموت وقتٌ مؤجّلُ
فلما بلغتَ السّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدَى ماكنتُ فيك أؤمّلُ
جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المُنْعِمُ المتفضِّلُ
فليتك إذ لم ترْعَ حقَ أبوّتي ... فعلتَ كما الجار المُصَاقب يفعلُ
فأَوْليتني حقّ الجوار ولم تكن ... عليّ بمال دون مالك تَبْخَلُ

قال: فحينئذ أخذ النبي -ﷺ- بتلابيب ابنه وقال:

«**أنت ومالك لأبيك**» قال الطبراني: اللّخميُّ لا يروي -يعني هذا الحديث- عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر إلا بهذا الإسناد، وتفرَّد به عبيد الله بن خلصة. والله أعلم(١).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٢١، ٢٢٢) ورواه أحمد في «المسند» (٢/٦٩١٩) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: أن رجلاً أتى النبيّ -ﷺ- يخاصم أباه، فقال: يا رسول الله إن هذا قد احتاج إلى مالي؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «**أنت ومالك لأبيك**» وإسناده صحيح.

فعلى الأبناء أن يحسنوا لأباءهم.. ويغنوهم عن المسألة.. خصوصًا إذا تقدم بهم العمر واحتاجوا.. قيل لمعاوية بن قرة:

كيف ابنك؟

قال: نعم الابن كفانى أمر دنياى، وفرّغنى لآخرتى[١].

قال الإمام السمرقندى -رحمه الله تعالى-:

«لو لم يذكر الله تعالى فى كتابه حرمة الوالدين، ولم يوص بهما لكان يُعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما ويقضى حقهما، فكيف وقد ذكر الله تعالى فى جميع كتبه فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد أمر فى جميع كتبه، وأوحى إلى جميع الأنبياء وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما، وجعل رضاه من رضا الوالدين، وسخطه من سخطهما...»[٢].

قلت: ووردت النصوص بتقديم حق الأم على حق الأب، فمن ذلك:

١- روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال:

يا رسول الله من أحق الناس بحُسن صحابتى؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم مَنْ؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم مَنْ؟

قال: «**أبوك**».

(١) الحلية (٣/ ١٢٤).

(٢) تنبيه الغافلين (٨٦).

ورحم الله القائل:

الله أكرمها وعظّم شأنها ... وكذا رسولُ الله أعْلى قَدْرها
وكتابه أوصى بحُسْن صحابة ... فهى الأحقّ ومن يكون نظيرها
فعطاؤها يفيض سماحة ... هل قَدْ رأيتم من يفوق عطاءَها
بالحب تنبض والوفاء أليفها ... لم تنس يومًا أن تقدم حبها
وحنانها بَحْرٌ يفيض على الورَى ... نبع يشيع الدِّفءَ فيمن حَوْلها
فالله قد أَوْصى بها وببرّها ... ولكى تبر فلا تَقُل أُفّ لها
ولكى تنال الخلد فى جناته ... لابد حَتْمًا أن تنال رضاءها
فهى التى أفنت سنين شبابها ... مهما فعلتَ فلن توفّى حقّها
فإذا اشتكت يومًا لفرط عنائها ... فَمن العدالة أن تكون مُعينَها
وإذا تأخّر عمرُها وتثاقلت ... فادَعوا الإله بأن يُطيل بقاءَها
فالأم إن رضيت فإن رضاءها ... نور من الرحمن يمشى خلفها
والخير معقود كأن خيوطه ... ربطت بكف لا يروم بعادها
جبلت على تقديم كل معونة ... فهى العطاء ولن تغير طبعها
ترعى الصغير فإن أحسّ بعلّة ... لا شىء يمكن أن يجفّف دمعها
وتظل تسهر حول مهد صغيرها ... ترجو الشفاء لكى يزيل عذابها
سبحان من جعل الأمومة نعمة ... تضفى على كل الوجود حنانها

ومن ثمرات طاعة الوالدين:

١- إجابة الدعاء:

روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار.

فقالوا: إنه لا ينجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنتُ لا أغْبق(١) قبلهما أهلاً ولا مالاً(٢)، فنأى(٣) بى طلب الشجر يومًا، فلم أُرِحْ(٤) عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقَهما فوجدتهما نائمين، فكرهتُ أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثتُ والقَدَحُ على يدى انتظر استيقاظهما حتى بَرق(٥) الفجر، والصّبية يتضاغون(٦) عند قدمىّ، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم كانت لى ابنة عمٍّ كانت أحبَّ الناس إلىَّ، وكنتُ أُحبها كأشدّ ما يُحبّ الرجال النساء، فأردتُها على نفسها فامتنعت منى حتى ألَمَّتْ(٧) بها سَنَةٌ(٨) من السّنين، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلىّ بينى وبين نفسها ففعلت، فلمّا قعدتُ بين رجلَيْها قالت:

اتق الله، ولا تفضَّ الخاتم(٩) إلا بحقّه(١٠) فانصرفتُ عنها، وهى أحبّ الناس إلىّ وتركتُ الذهب الذى أعطيتُها.

اللهّم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُج عنّا ما نحن فيهْ، فانفرجت الصّخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إنى استأجرتُ أُجراء وأعطيتُهم أجرهم غير رجل

---

(١) أغبق: الغبوق شرب العشى.

(٢) مال: أى من رقيق، وخادم.

(٣) نأى: بَعُد.

(٤) لم أرح: لم أرجع.

(٥) برق: ظهر.

(٦) يتضاغون: يصيحون من شدة الجوع.

(٧) ألـمّت: نزلت.

(٨) سنة: أى المجدبة التى لا تُنْبت الأرض فيها شيئًا، والمراد: شدة الحاجة.

(٩) لا تفض الخاتم: الفض: الفتح. والخاتم كناية عن شرف المرأة وموضع عفتها.

(١٠) حقه: الزواج المشروع.

واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرت[١] أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين فقال:

يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلتُ:

كلُّ ما ترى هو من أجْرك: من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق.

فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بى.

فقلتُ: لا أستهزئ بك، فأخذه كلَّه فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا.

اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[٢].

٢- غفران الذنوب:

فبرّ الوالدين من أسباب غفران الذنوب وتكفير السيئات كبيرها وصغيرها.

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال:

أتى النبى -صلى الله عليه وسلم- رجل، فقال:

إنى أذنبتُ ذنبًا عظيمًا فهل لى من توبة؟

فقال: «**هل لك من أم؟**».

قال: لا.

قال: «**هل لك من خالة؟**».

---

(١) ثمرت: كثرت.

(٢) من فوائد الحديث:

١- استحباب الدعاء وقت الكرب.

٢- جواز التوسل بالعمل الصالح.

٣- بر الوالدين سبب فى رفع الكرب وكشف الغم.

٤- إجابة دعوة العفيف.. والمحسن لوالديه.. والأمين على أموال الناس.

٥- الإخلاص فى العمل من أسباب إجابة الدعاء.

٦- ثبوت الكرامة للأولياء.

قال: نعم.

قال: «فبرّها». صحيح سنن الترمذى (١٥٥٤).

فدلّ الحديث على أن صلة الرحم وبر الوالدين من أسباب غفران الكبائر.

٣- طاعة الوالدين كالجهاد فى سبيل الله وكالحج:

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال:

أتى رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه.

قال: **«هل بقى من والديك أحدٌ؟»**.

قال: أمّى.

قال: **«قابل الله فى برّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر، ومجاهد»**[(١)].

٤- بركة العمر والرزق:

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«من سَرَّه أن يُمَدّ له فى عمره ويُزاد فى رزقه فَلْيَبرَّ والديه ولْيَصلْ رحمه»**[(٢)].

وعن معاذ بن أنس -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من بَرّ والديه طوبى له زاد الله فى عمره»[(٣)].

قلت: والزيادة فى العمر كناية عن البركة فيه.. ووصول الثواب إليه

---

(١) قال المنذرى: رواه أبو يعلى والطبرانى فى «الصغير» و«الأوسط» وإسنادهما جيد. الترغيب برقم (٣٦٦٣).

(٢) قال المنذرى: رواه أحمد، ورواته محتج بهم فى الصحيح. الترغيب (٣٦٦٩).

(٣) رواه أبو يعلى والأصبهانى، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

بعد وفاته من ولد له صالح... فقد روى ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء -رضي الله عنه-، قال:

ذكر عندنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- الزيادة فى العمر، فقال:

«إن الله لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها» وإنما الزيادة فى العمر: أن يرزق الله العبدَ ذريةً صالحةً يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره»

٥- دخول الجنة والفوز بالنعيم:

عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله أردتُ أن أغزو، وجئت استشيرك؟

فقال: «**هل لك من أمّ؟**».

قال: نعم.

قال: «**فالزمها، فإن الجنة عند رجلها**»(١).

ورواه الطبرانى بإسناد جيد، ولفظه قال:

أتيتُ النبى -صلى الله عليه وسلم- استشيره فى الجهاد، فقال النبىّ -صلى الله عليه وسلم-:

«**ألك والدان؟**».

قلتُ: نعم.

قال: «**الزمهما، فإن الجنة تحت أرجِلهما**».

فدلّت النصوص على أن البار بوالديه من أهل الجنة، بل فى ظل عرش الرحمن، فعن عمرو بن ميمون الأزدى، قال:

لمّا تعجّل موسى إلى ربّه رأى رجلاً تحت العرش فغبطه بمكانه، فسأل ربه أن يخبره باسمه، فلم يخبره، وقال:

لكنى أحدثك عن عمله بثلاث خصال:

كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

---

(١) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن النسائى (٢٩٠٨).

ولا يعق والديه.

ولا يمشى بالنميمة(١).

«حقوق الوالدين بعد موتهما»

برّ الوالدين لا ينقطع بموتهما.. بل حبلُ البرّ لا يزال موصولاً.. حتى بعد الموت.. وهذا فضل من الله يعود نفعه على الأحياء والأموات.. وفرصة لمن فاته بر والديه ليتدارك ما فاته من برّهما حال حياتهما:

عن أبى أُسيد مالك بن ربيعة السّاعدى -رضي الله عنه-، قال:

بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ جاء رجلٌ من بنى سلمة، فقال:

يا رسول الله هل بقى مِنْ برّ أبوىّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟

قال: «**نعم الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما، وصلةُ الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**» رواه أبو داود وابن ماجه(٢)، وابن حبان فى «صحيحه»، وزاد فى آخره:

قال الرجلُ ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبهُ.

قال: «**فاعمل به**».

● وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكّة، فسلّم عليه عبدُ الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه. قال ابن دينار:

فقلنا له: أصلحك الله فإنهم الأعراب وهم يَرْضَوْن باليسير.

فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإنِّى سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «الزهد» ص ٨٥.

(٢) **صحيح**: انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٨٠٠).

«**إنَّ أبرَّ البرِّ صلةُ الولد أهل وُدَّ أبيه**» رواه مسلم.

● وعن أبى بُرْدة، قال:

قدمتُ المدينة فأتانى عبد الله بن عمر، فقال:

أتدرى لم أتيتُك؟

قال: قلتُ: لا.

قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**من أحبّ أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه بعده**»، وإنه كان بين أبى عمر وبين أبيك إخاءٌ وودٌّ فأحببتُ أن أصل ذاك(١).

قلت: والمقصود هنا: الصحبة الصالحة.. أما إذا كان الوالد قد تعرف على بعض أهل السوء وصاحبهم فالمقاطعة هنا واجبة.. لورود النهى عن مصاحبة قرناء السوء.. فالمرء يحشر مع من أحب.. والمرء على دين خليله.

الترهيب من عقوق الوالدين:

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

فعن أبى بكرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثًا-؟**».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**»، فما زال يكررِّها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

- والعاق لا ينظر الله إليه ولا يدخل الجنة:

فعن ابن عمر عن رسول الله -ﷺ- قال:

---

(١) رواه ابن حبان فى «صحيحه».

«**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة:**

العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والدّيوث(١)**، والرَّجلة**(٢)»(٣).

وعن عمر بن مُرَّة الجُهنى -رضي الله عنه-، قال:

جاء رجل إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصليتُ الخمس، وأدَّيتُ زكاة مالى، وصمتُ رمضان، فقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-:

«**من مات على هذا كان مع النبيين والصِّديقين والشهداء يوم القيامة هكذا** -ونصب أُصبعيه- **ما لم يَعُقَّ والديه**»(٤).

والعاق يُعجّل الله له العقوبة فى الدنيا قبل الآخرة:

فعن أبى بكرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من ذنب أجْدر أن يُعجّل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى، وقطيعة الرحم**»(٥).

قال أبو عبد الرحمن الطائى -رحمه الله تعالى-:

كان رجل من بنى نهد قد كبُر وضعف يكنى: «**أبا منازل**»، وله ابن، يقال له: «**منازل**» وكان له ولدٌ صغار، فكان إذا أصاب شيئًا أعطاهم إياه، وكان يقبض عطاء أبيه، وكان شيخًا كبيرًا، فولد للشيخ بنون صغار، فكان منازل يستأثر عليهم.

فلما خرج العطاء خرج «منازل» يقود أباه، حتى أجلسه لقبض عطائه، فلما نودى باسمه قام «منازل» فقال: أبو منازل:

---

(١) الديوث: هو الذى يقرّ أهله على الزنا مع علمه بهم.

(٢) والرَّجلة: هى المترجلة المتشبهة بالرجال.

(٣) **صحيح**: انظر: صحيح سنن النسائى (٢٤٠٢).

(٤) قال المنذرى: رواه أحمد والطبرانى بإسنادين أحدهما صحيح. الترغيب (٣٦٩٧).

(٥) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٠٣٩).

أعطونى فى يدى، ففعلوا، فحمل عطاءه، ثم قام يتوكأ على منازل، فقال منازل:

هلمّ أحمله عنك، قال:

دعه.

فلمّا خلا له الطريق فكّ يدَ أبيه، ثم أخذ العطاء، فذهب به، فانصرف الشيخ، وليس معه فى يده شيء، فقال له أهله وولده:

ما صنعت؟

قال: أخذ «منازل» عطائى، ثم أنشأ يقول:

جَـزَت رَحِـمٌ بينى وبـينُ منازل ... جزاءً كـما يَسْتَنْجـز الدَّيْن طالبُه
وربيـتُه حـتى إذا مـا هو استـوى ... كبيراً وساوى عاملَ الرمح غاربَه
تظلّمنى مـا لى كـذا ولوى يدى ... لوى يده اللهُ الـذى هو غـالِبُـه

فأصبح منازل ملويًّا يده(١).

● وعن ثابت البُنانى -رحمه الله تعالى-، قال:

رُوِى أن رجلاً كان يضرب أباه فى موضع، فقيل له:

ما هذا؟

فقال الأب: خلّوا عنه فإنى كنتُ أضرب أبى فى هذا الموضع، فابتليتُ بابنى يضربنى فى هذا الموضع، هذا بذاك ولا لوم عليه(٢).

---

(١) مجابو الدعوة لابن أبى الدنيا ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) تنبيه الغافلين ص٩١.

ثانيًا: حق الأبناء على الآباء

الأولاد نعمة من نعم الله عزّ وجل على الإنسان:

فهم زينة الحياة الدنيا: قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾(٢).

والولد هو الأصل لإبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس.

ومن فوائد الأولاد:

١- موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

٢- طلب محبة رسول الله -ﷺ- فى تكثير من مباهاته:

فيُروى عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: أن النبى -ﷺ- قال:

«تناكحوا تكثُروا فإنى أُباهى بكم الأممَ يومَ القيامة»(٣).

٣- طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده:

ففى الحديث الصحيح: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جارية، وعلم ينتفع به، وولدٍ صالح يدعو له»**(٤).

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

(٣) أخرجه ابن مَرْدويه.. وقال الحافظ العراقى: إسناده ضعيف، وصححه الألبانى بنحوه.

(٤) **فائدة:** قال الإمام الغزالى «دعاء المؤمن لأبويه مفيد برًا كان أو فاجرًا، فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى» الإحياء (٢٦/٢).

٤- طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله:

● فعن قُرَّة بن إياس -رضي الله عنه-:

أن رجلاً كان يأتى النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، ومعه ابنٌ له، فقال النبىُّ -صلى الله عليه وسلم-: «تُحبُّه»؟.

قال: نعم يا رسول الله أحبَّك الله كما أُحبُّه.

ففقده النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**ما فعل فلان ابن فلان؟**».

قالوا: يا رسول الله مات.

فقال النبىّ -صلى الله عليه وسلم- لأبيه: «**ألا تُحبُّ أن لا تأتى بابًا من أبواب الجنة إلاّ وجدته ينتظرك؟**».

قال رجل: يا رسول الله أله خاصةً أم لكُلِّنا؟

قال: «**بل لكلكُم**»(١).

وفى رواية للنسائى قال:

كان نبىّ الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جلس جلس إليه نفرٌ من أصحابه: فيهم رجلٌ له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيُقْعِدُه بين يديه فهَلَك، فامتنع الرجل أن يَحْضُر الحلقة لذِكر ابنه، ففقده النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«**ما لى لا أرى فلانًا؟**».

قالوا: يا رسول الله: بُنَيُّه الذى رأيته هلك، فلقيه النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- فسأله عن بُنَيِّه فأخبره أنه هلك فعزَّاه عليه، ثم قال:

«**يا فلان! أيُّما كان أحبُّ إليك؟ أن تتمتع به عمرك، أو لا تأتى إلى باب من أبواب الجنة إلاّ وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك**».

قال: يا نبى الله بل يسبقنى إلى باب الجنة فيفتحها، لهو أحب إلىّ،

قال: «**فذاك لك**».

(١) قال المنذرى: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. الترغيب رقم (٣٠٠٥).

● وعن معاذ -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما منْ مُسْلمَينْ يُتوفىَّ لهما ثلاثةٌ من الولد إلاّ أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إيَّاهَم**».

قالوا: يا رسول الله، أو اثنان؟

قال: «**أو اثنان**».

قالوا: أو واحد(١).

ثم قال: «**والذى نفسى بيده إن السِّقط لَيَجرُّ أُمَّه بسَرَره(٢) إلى الجنة إذا احتسبته**»(٣).

وعن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إذا مات ولدُ العبد قال الله عزّ وجل لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمَدك واسْتَرْجَعَ، فيقول: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة، وسمّوه بيتَ الحَمْدَ**»(٤).

● وعن حبيبة أنها كانت عند عائشة -رضي الله عنها-، فجاء النبىُّ -صلى الله عليه وسلم-، حتى دخل عليها فقال: «**ما من مُسْلمَينْ يموتُ لهما ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحنْثَ إلاّ جىء بهم يوم القيامة حتىَ يوقفوا على باب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجَنة فيقولون: حتى تدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**». رواه الطبرانى فى «الكبير» بإسناد حسن جيد.

---

(١) لم يُجب النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- السائل هنا، وأجاب فى رواية أخرى. فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنًا حصينًا من النار**» فقال أبو ذر: قدَّمتُ اثنين؟ قال: «**واثنين**». قال أُبىّ بن كعب سيِّد القُرَّاء: قدمتُ واحدًا؟ قال: «**وواحدًا**» رواه ابن ماجه.

(٢) السرر: هو ما تقطعه القابلة، وما بقى بعد القطع فهو السُّرة.

(٣) قال المنذرى: رواه أحمد والطبرانى، وإسناد أحمد حسن، أو قريب من الحسن. الترغيب.

(٤) قال المنذرى: رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان فى «صحيحه» برقم (٣٠٠٦) والحديث: إسناده حسن.

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة.. وما ذكرناه فيه الكفاية.. والحمد لله..

والمقصود: أن الإسلام شرع حقوقًا للأولاد على الوالدين كما شرع حقوقًا للوالدين على الأولاد، **فما حقوق الأبناء على الآباء؟**

الحق الأول: اختيار الأم الصالحة:

فالأم الصالحة عماد البيت.. وأساس الصلاح.. قال تعالى:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢).

إن الأسرة هى المحصن الطبيعى الذى يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفى ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذى يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة، وتتعامل مع الحياة.

وصلاح الوالدين من أهم عوامل بناء الشخصية الإسلامية عند الأولاد.. فكل مولود يولد على الفطرة.. فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يُمَجّسانه.. ولا يشك عاقل فى تأثر الولد بشخصيتى أبيه وأمّه.. فلا يستقيم الظل والعود أعوج.. وكما قيل «لا يُغذّى لئيم من أصل كريم»..

والذى لا يمكن إنكاره واقعيًا أن الزوجة الفاسدة أو اليهودية أو النصرانية أو اللادينية تصبغ بيتها، وأطفالها بصبغتها، وتخرج جيلاً أبعد ما

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٢١.

يكون عن الإسلام. وبخاصة فى هذه الأيام التى نعيشها.. من أجل هذا.. حرص الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة.. واختيار الزوج الصالح.. فالعِرْق دَسَّاس.. والقدوة الصالحة مطلوبة..

روى عن عمر -رضي الله عنه-: أن رجلاً جاء إليه بابنه، فقال:

إن ابنى هذا يعقّنى. فقال عمر للابن:

أما تخاف الله فى عقوق والدك؟ فإن من حق الوالد كذا ومن حق الوالد كذا.

فقال الابن: يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق؟

قال: نعم، حقه عليه أن يستنجب أمّه[١]، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب فقال الابن: فو الله ما استنجب أمى وما هى إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا أحسن اسمى ولكنه سمانى جعلا[٢]، ولا علمنى من كتاب الله آية واحدة!!.

فالتفت عمر -رضي الله عنه- إلى الأب وقال:

تقول ابنى يعقنى؟! فقد عققته قبل أن يعقك، قم عنى[٣].

الحق الثانى: لا يعتدى عليه وهو فى بطن أمه:

فالإجهاض محرّم بالكتاب والسنة.. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[٤].

وفى الحديث الصحيح: أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- سئل: أىّ الذنب أعظم؟

قال: «**الشرك بالله**».

---

(١) يستنجب أمه: يعنى لا يتزوج امرأة دنيئة لكى لا يكون للابن تعيير بها.

(٢) الجعل: ذَكر الخفاش.

(٣) تنبيه الغافلين ص ٩١.

(٤) سورة الإسراء: ٣١.

قيل: ثم أى؟.

قال: «**عقوق الوالدين**».

قيل: ثم أى؟

قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يُطْعم معك**».

قال الإمام الغزالى -عن الإجهاض-:

«أول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيًّا»(١).

الحق الثالث: أن تستعيذ بالله من الشيطان قبل الجماع:

وهذا الحق يسبق الذى قبله، قال -ﷺ- فى الحديث الصحيح:

«**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضرّه**».

قال الداودى -رحمه الله تعالى-: لم يضره: لم يفتنه فى دينه إلى الكفر.

وقال ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-: معنى الضرر: يحتمل أن لا يضره فى دينه.

وكان النبىّ -ﷺ- يستعيذ بالله من شرّ المنىّ. فكان يقول:

«**اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى، وشرّ بصرى، وشرّ لسانى وقلبى، وشر منيى**»(٢).

---

(١) الإحياء (٢/ ٥١).

(٢) أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه، والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد.

الحق الرابع: التأذين فى أذنه اليمنى:

فقد أخرج الترمذى بإسناد حسن عن أبى رافع -رضي الله عنه- قال:

رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أذّن فى أُذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة».

قلت: والثابت هو التأذين فى الأذن اليمنى.. أما إقامة الصلاة فى الأُذن اليسرى فلم يصح فيها حديث.. وما يُروى: «من ولد له مولود فأذّن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أمّ الصبيان» فحديث ضعيف وسرّ التأذين -والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمّنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها... وهناك فائدة أخرى وهى هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التى قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

الحق الخامس: تسميتهم بأسماء حسنة:

روى أبو داود وغيره عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

وروى أبو داود بإسناد جيد عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»(١).

ومن الأخطاء التى تقع فى تسمية المولود:

(أ) تسمية الأولاد بأسماء سيئة:

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -حفظه الله-:

---

(١) فى هذا الحديث ردّ على من زعم أننا سننادى يوم القيامة باسم أمهاتنا.

«إنى تأملت عامة الذنوب والمعاصى، فوجدت الذنوب والمعاصى إذا تاب العبد منها- تجذمها التوبة، وتقطع سيئ أثرها لتوها، فكما أن الإسلام يَجُبّ ما قبله وأكبره الشرك- فإن التوبة تَجُبّ ما قبلها متى اكتملت شروطها المعتبرة شرعًا، وهى معلومة أو بحكم المعلومة.

لكن هناك معصية تتسلسل فى الأصلاب، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد، ويتندر بها الرجال على الرجال، والولدان على الولدان، والنسوة على النسوان، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار، لأنها مسجلة فى وثائق المعاش من حين استهلاك المولود صارخًا فى هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته، فى شهادة الميلاد، وحفيظة النفوس، وبطاقة الأحوال، والشهادات الدراسية، ورخصة القيادة، والوثائق الشرعية، إنها «**تسمية المولود**» التى تعثر فيها «الأب» فلم يهتد لاسم يقره الشرع المطهر، ويستوعبه لسان العرب، وتستلهمه الفطرة السليمة.

وهذه واحدة من إفرازات التموجات الفكرية التى ذهبت ببعض الآباء كل مذهب، كل بقدر ما أثر به من ثقافة وافدة، وكان من أسوئها ما نفث به بعض المستغربين منها من عشقٍ كَلَفٍ، وظمأ شديد لأسماء الكافرين، والتقاط كل اسم رخوٍ متخاذلٍ وعزوفٍ سادرٍ عن «زينة المواليد» الأسماء الشرعية»(١).

(ب) تسمية الأولاد بالأسماء الممنوعة المحرمة:

مثل: عبد النبى، عبد الحسين.. وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية الخاصة بأعدائنا من اليهود وغيرهم، مثل: مايكل، وجوزيف، ويارا، وديانا، وجاكلين، لأن هذا يجرّ -ولو على المدى البعيد- إلى موالاتهم(٢).

(جـ) تسمية الأولاد بالأسماء التى تسبب الضحك وتثير السخرية، مثل: فلفل، خيشة، بغل، فجل.. إلخ.

د- تسمية الأولاد بالأسماء التى توحى بالتميع والغرام:

مثل: هيام، ومعناه: الجنون فى العشق، وفاتن.. إلخ.

(١) تسمية المولود: للشيخ بكر أبو زيد ص ٩-١٠.

(٢) التقصير فى تربية الأولاد. للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٥.

هذا، ولقد ثبت أن النبى -ﷺ- غيّر كثيرًا من الأسماء:

فعن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه، أن أباه جاء إلى النبى -ﷺ- فقال: «**ما اسمك؟**».

قال: حزن.

فقال: «**أنت سهل**».

وروى مسلم فى «صحيحه» عن ابن عمر أن النبى -ﷺ- غير اسم «عاصية» وقال: «**أنت جميلة**».

فالذى يجدر بالوالدين أن يسموا أولادهم أسماءً إسلامية عربية حسنة، وأن يحذروا من تسميتهم بالأسماء الممنوعة، أو الأسماء المكروهة، أو المشعرة بالقبح، فالأسماء تستمر مع الأبناء طيلة العمر، وتؤثر بهم، وبأخلاقهم.

قال الإمام ابن القيم: «فقلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على مسمى قبيح كما قيل:

وقلّ أن أبصرت عيناك ذا لقب

إلا ومعناه لو فكّرْتَ فى لقبه

الحق السادس: العقيقة عنه يوم السابع من ولادته:

قال -ﷺ-: «**كلَ غُلامٍ رَهينٌ أو رهينةٌ بعقيقته تُذْبح عنه يومَ السابع ويُحْلَقُ رأسُه**»(١).

وروى عن البخارى عن سلمان بن عامر الضبى، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دمًا وأميطوا عنه الأذى**».

قال الإمام الغزالى- رحمة الله تعالى-:

«العقيقة عن الذكر بشاتين، وعن الأنثى بشاة ذكرًا كان أو أنثى، وروت

---

(١) أخرجه أصحاب السنن من حديث سمرة، قال الترمذى: حسن صحيح.

عائشة -رضي الله عنها- «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين، وفى الجارية بشاة»[١]. وروى: أنه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة» أ.هـ.

قلت: وحديث: أنه عقّ عن الحسن بشاة، حديث ثابت صحيح، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

«عقّ النبى -صلى الله عليه وسلم- عن الحسن بكبش، وعن الحسين بكبش»[٢] وأخرجه من حديث أنس ابن حبان والبيهقى ولفظه:

«عق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن حسن وحسين بكبشين» وإسناده صحيح.

ويدعى للعقيقة الفقراء والصلحاء.. ويستحب الدعاء للمولود.. بالمأثور عن الحسن -رحمه الله-: «**بورك للمولود، وشكرتَ الواهب، ورُزِقت برّه**».

وكان أيوب السختيانى -رحمه الله تعالى- إذا هنأ رجلاً بمولود، قال: «جعله الله تعالى مباركًا عليك وعلى أمّة محمد -صلى الله عليه وسلم-»[٣].

ويقول الذابح: «**بسم الله، اللهم لك وإليك هذه عقيقة فلان**»[٤].

ويجوز للإنسان أن يعق عن نفسه كبيرًا، فعن أنس: «أن النبى -صلى الله عليه وسلم- عق عن نفسه»[٥].

الحق السابع: إرضاعه من لبن أمّه:

على الأم أن تمكن ولدها من لبنها ولا تحرمه منه.. فإن قصَّرت بمحض إرادتها وبغير عذر مشروع أثمت.. والدليل:

عن أبى أمامة الباهلى -رضي الله عنه- قال:

---

(١) رواه الترمذى وصححه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٤١) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. السير (٣/ ٢٤٦).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٨).

(٤) **صحيح:** رواه البيهقى فى سننه والبزار ورجال رجال الصحيح.

(٥) **صحيح:** رواه البزار والطبرانى فى «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح.

سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «بينما أنا نائم إذا أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلاً، وعراً، فقالا:

اصعد.

فقلت: إني لا أُطيقه.

فقالا: إنا سنسهله لك.

فصعدتُ، حتى إذا كنت في سواء الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟

قالوا: هذا عواء أهل النار.

ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم مُعَلّقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قال:

قلتُ: من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم.

فقال: خابت اليهود والنصارى.

ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم أشد شيءٍ انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوأه منظرًا، فقلت:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الزانون والزواني.

ثم انطلق بي، فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات، قلت:

ما بال هؤلاء؟

قال: هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن.

ثم انطلق بي، فإذا أنا بالغلمان يلعبون بين نهرين، قلت:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم شرف شرفًا، فإذا أنا بنفر ثلاثة يشربون من خَمْر لهم، قلت:

من هؤلاء؟

قال هؤلاء: جعفر وزيد، وابن رواحة.

ثم شرفني شرفًا آخر، فإذا أنا بنفر ثلاثة قلتُ:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء إبراهيم وموسى وعيسى، وهم ينتظرونك -صلى الله عليهم أجمعين- ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهًا، وأحسنه لبوسًا، وأطيبه ريحًا، كأن وجوههم القراطيس، قلت:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون.

ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشدّ شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، قلتُ:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء موتى الكفار.

ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانًا، ونسمع عواءً.

قلتُ: ما هذا؟

قال: هذه جهنم فدعها.

ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ينام تحت ظلال الشجر، قلتُ:

من هؤلاء؟

قال: هؤلاء موتى المسلمين»(١).

والشاهد في الحديث، قوله -ﷺ-: «**ثم انطلق بي، فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات..**».

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (١٨٠٠)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، والحاكم (١/ ٤٣٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والطبراني في «مسند الشاميين» وفي «الكبير» وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٧٧): رجاله رجال الصحيح.

هذا، ولقد أثبت الطب الحديث: أن إرضاع الأم لولدها يقى الثدى من السرطان، ويقوى جهاز المناعة عند الطفل.. ويقيه من كثير من الأمراض المعدية فسبحان الذى خلق فسوّى، والذى قدْر فهدى.

الحق السابع: الاستفتاح على الولد بكلمة التوحيد:

روى الحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلاّ الله».

وذلك لتكون بداية حياته.. وأوّل كلماته.. فإن ختم له فى نهاية حياته بها.. فيكون قد بدأ حياته بها وختم حياته بها.. وذلك هو الفوز العظيم.

وأهل الإسلام اليوم يستفتحون على أولادهم بالغناء والطبل والزمر فينهون حياتهم على المعازف والطبل!.. وإلى الله المشتكى.. فالبدايات تحكى النهايات.

الحق الثامن: تدريبه على الصلاة:

قال -صلى الله عليه وسلم-: **«علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعًا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرّقوا بينهم فى المضاجع»**(١).

فتدريب الطفل على الصلاة منذ نعومة أظفاره من أهم عوامل صيانته، ومن أكبر أسباب استقامته...

عن أبى قتادة الأنصارى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يُصلى وهو حامل أمامة بنت زينب - وفى رواية:

«كان يؤُم الناس وأمامة على عاتقه فإذا سجد وضعها» متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر: «ظاهر الحديث أنه كان فى فريضة» وكذا قال ابن دقيق العيد، والشوكانى، وابن حزم، وفى رواية لأبى داود:

---

(١) **حسن:** رواه أبو داود وحسنه الألبانى.

أنها كانت صبية، والصبية التى لم تفطم بعد كما فى «عون المعبود».

وروى أحمد والنسائى بسند صحيح أنه -ﷺ- كان يحمل الحسن والحسين فى الصلاة.

الحق التاسع: تعليمه القرآن:

قال الإمام أبو الليث السمرقندى -رحمه الله تعالى-:

سمعتُ أبى يحكى عن أبى حفص البيكندى، وكان من علماء سمرقند أنه أتاه رجل، فقال:

إن ابنى ضربنى وأوجعنى.

قال: سبحان الله، الابن يضرب أباه.

قال: نعم، ضربنى وأوجعنى.

فقال: هل علمته الأدب والعلم؟

قال: لا

قال: هل علمته القرآن؟

قال: لا.

قال: فأى عمل يعمل؟

قال: الزراعة.

فقال: هل علمتَ لأى شىء ضربك؟

قال: لا.

قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب من خلفه وهو لا يحسن القرآن فتغنى، وتعرضتَ له فى ذلك الوقت، فظن أنك بقرة!! فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك (١) والمعنى: أن الولد ثمرة زرع الوالدين.. فرحم الله والداً أعان ولده على برّه.

(١) تنبيه الغافلين ص ٩١.

والقرآن هو النور العاصم من التردى فى هذه الحياة.. وهو حبل النجاة فى الدارين.. وصاحبه يشفع فى أهله يوم القيامة.

فعن بريدة -رضي الله عنه- قال:

كنت جالسًا عند النبى -صلى الله عليه وسلم- فسمعته يقول:

«تعلموا سورةَ البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حَسْرَة، ولا يستطيعُها البطلة»(١) قال:

ثم مكث ساعة، ثم قال: **«تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما عمامتان - أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول:**

هل تعرفنى؟

فيقول: ما أعرفك.

فيقول لك: هل تعرفنى؟

فيقول: ما أعرفك.

فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنّك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى المُلك بيمينه، والخلدَ بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهلُ الدنيا، فيقولا:

بم كسينا هذه؟

فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له:

اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًا، كان أو ترتيلاً»(٢).

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٩١.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٤٦)، ورواه ابن ماجه بهذا اللفظ (٢/ ١٢٤٢) برقم (٣٧٨١)، وقال البوصيرى: رجاله ثقات.

الحق العاشر: تأديبه:

وذلك بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة فى نفوسهم.. وغرس القيم الحميدة والخلال الكريمة فى صدورهم.. وتجنيبهم الأخلاق الرذيلة، وتقبيحها فى نفوسهم، كالكذب، والخيانة، والحسد، والحقد، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والجبن، والأثرة.. وتعليمهم الأمور المستحسنة كالأكل باليمين، وتشميت العاطس، وكتمان التثاؤب، وآداب قضاء الحاجة، وآداب السلام ورده.. وأداب الرد على الهاتف، واستقبال الضيوف، والتكلم بالعربية.. والمحافظة على الأذكار والأوراد اليومية.. والتدريب على الرجولة.. والشهامة.. وبغض الأعداء وكراهيتهم، والتنفير من مشابهتهم.. فإذا تدرب الولد على هذه الآداب، والأخلاق، منذ الصغر ألفها وأصبحت سجية له.. والطفل يشب.. على ما عُوِّد عليه كما قيل:

وينشأ ناشئُ الفتيان منا ... على ما كان عوَّده أبوه

وكما قيل:

إن الغصونَ إذا قومْتَها اعتدلت ... ولا يلين إذا قوَّمْتَه الخشبُ

كما قال صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبتَّه فى الصبا ... كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه ناضراً مورقًا ... بعد الذى قد كان من يبسه

وفى الحديث: «**أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم**» رواه ابن ماجه.

وروى الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما نَحَلَ**[1] **والدٌ ولداً من نَحَل أفضلَ من أدب حسن**» والتلويح بالعقوبة -عن خطأ الولد- من وسائل التأديب الراقية.. قال -صلى الله عليه وسلم-: «**علّقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنّه آدب لهم**»[2].

ورؤية أداة العقاب معلّقة يجعل أصحاب النوايا السيئة يرتدعون عن

(١) نحل: بفتح النون، والحاء المهملة: أى أعطى ووهب.

(٢) أخرجه الطبرانى (١٠/ ٣٤٤)، وانظر: السلسلة الصحيحة برقم (١٤٤٧).

ملابسة الرذائل خوفًا أن ينالهم منه نائل، ويكون باعثًا لهم على التأدب والتخلق بالأخلاق الفاضلة، قال ابن الأنبارى:

«لم يرد به الضرب به لأنه لم يأمر بذلك أحدًا، وإنّما أراد لا ترفع أدبك عنهم»(١).

والضرب ليس هو الأصل أبدًا، ولا يلجأ إليه إلاّ عند استنفاد الوسائل الأخرى للتأديب، أو الحمل على الطاعات الواجبة، كمثل قوله تعالى:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾(٢). على الترتيب ومثل حديث:

«**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر**» أمّا استعمال الضرب دون حاجة فإنّه اعتداء ورسول الله -ﷺ- نصح امرأة أن لا تتزوّج من رجل لأنه لا يضع العصا عن عاتقه أى: ضرّاب للنساء، أمّا من يرى عدم استخدام الضرب مطلقًا تقليدًا لبعض نظريات الكفّار فى التربية، فرأيه خاطئ يخالف النصوص الشرعية.

صور مشرقة من تربية السلف الصالح لأولادهم:

● هذا عبدالله بن الزبير -رضي الله عنه-، كان وراءه أمّ كريمة شجاعة هى السيدة: «أسماء بنت أبى بكر الصديق -رضي الله عنها-، وهى القائلة: وقد نعى إليها ابنها «عبد الله»:

«ما يمنعنى وقد أهدى رأسُ يحيى بن زكريا -عليهما السلام- إلى بغىّ من بغايا بنى إسرائيل».

وهى القائلة -أيضًا- قبل ذلك عندما استشارها ابنها «عبد الله» فى قتال الحجاج الثقفى: «اذهب والله لضربة بالسيف على عزّ أفضل من ضربة بالسوط على ذلّ».

---

(١) فيض القدير للمناوى (٤/ ٣٢٥).

(٢) سورة النساء: ٣٤.

● وهذا سفيان الثورى -رحمه الله تعالى- أمير المؤمنين فى الحديث - ما كان إلا ثمرةَ أمٍّ صالحة، حفظ لنا التاريخ مآثرها ومكانتها.

روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع، قال:

«قالت أم سفيان لسفيان: يا بنى.. اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى».

● وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أعدل ملوك الدنيا من كان وراءه؟- إنها أمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب أكملُ أهل دهرها كمالاً، وأكرمهم خلالاً.

هذه نماذج عطرة، وصور مشرقة من سيرة السلف فى التربية، تأخذ بالألباب، وتثير فى النفس دواعى الإعجاب.

إن الإنسان إذا رأى ما عليه الأولاد فى هذه الأزمنة من التمرد والانحراف، ورأى ما عليه الآباء من الغفلة والإعراض، وقارن حالنا بحال السلف الصالح، إن الإنسان إزاء هذا- ليكاد اليأس يَدبُّ إلى قلبه، وينفث آثاره فى رُوعه.

ولكن مهما يكن من شئ- فالمسلم لا ييأس، ولا ينبغى له، فالذى أصلح السلف قادر على إصلاح الخلف، وهذه الأمة كالمطر؛ الخير فى أولها وأوسطها وآخرها.

فالأمر -بعد توفيق الله- بأيدينا، وذلك إذا أخذنا بالأسباب، ودخلنا البيوت من أبوابها(١).

الحق الحادى عشر: الرفق بهم وحسن صحبتهم، والدعاء لهم:

جاء رجل إلى «عبد الله بن المبارك» فشكا إليه بعض ولده، فقال:

هل دعوت عليه؟

قال: نعم.

قال: أنت أفسدته.

(١) التقصير فى تربية الأولاد. بتصرف.

فالدعاء للولد.. والرفق به وحسن صحبته من أهم عوامل، استقامته.

● رأى الأقرع بن حابس النبى -ﷺ- وهو يُقبلّ ولده الحسن، فقال: إن لى عشرة من الولد ما قبلتُ واحدة منهم!!

فقال النبى -ﷺ-: «**من لا يَرْحم لا يُرْحَم**» أخرجه البخارى.

● وتعثّر الحسن والحسين -رضي الله عنهما- والنبى -ﷺ- على منبره - فنزل فحملهما وقرأ قوله تعالى: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ أخرجه أصحاب السنن.

● وقال عبد الله بن شداد: بينما رسول الله -ﷺ- يصلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر!

فقال: «**إن ابنى قد ارتحلنى فكرهتُ أن أعجِلْه حتى يقضى حاجته**»(١).

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«وفى ذلك فوائد: إحداها: القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجداً، وفيه الرفق بالولد والبر، وتعليم لأمته» أ.هـ.

وقال يزيد بن معاوية(٢): أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر، ما تقول فى الولد؟

قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فارضهم، يمنحوك ودّهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك.

---

(١) رواه النسائى، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) هو: يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، تولّى الخلافة بعد أبيه، وله حسنات مغمورة فى بحر سيئاته!! -عفا الله عنه-.

فقال له معاوية: لك أنت يا أحنف، لقد دخلتَ عليّ وأنا مملوء غضبًا وغيظًا على يزيد.

فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد، وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر(١).

الحق الثانى عشر: النفقة عليهم:

● عن عبدالله بن عمرو، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت**»(٢).

وروى ابن حبان فى «صحيحه» عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«**إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمّا استرعاه حَفِظَ أم ضيَّع، حتى يَسْأل الرَّجُلَ عن أهْلِ بَيْتِه**».

● وعن عائشة -رضي الله عنها-، قالت:

جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطْعَمْتُها ثلاث تمرات فأعطت كُلَّ واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعَمتها ابنتاها فشقَّت التمرةً التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها فذكرتُ الذى صنعتْ لرسول الله -ﷺ- فقال: «**إن الله قد أوجب لها بهما الجنة، أو أعتقها بهما من النار**» رواه مسلم.

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال: «**من كن له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرَّائهن وسرّائهن أدخله الله الجنة برحمته إيّاهن**»، فقال رجلٌ.

واثنتان يا رسول الله؟

---

(١) الإحياء (٢/٢١٨).

(٢) **حسن**: انظر: صحيح سنن أبى داود (١٤٨٤).

قال: «**واثنتان**».

قال رجل: يا رسول الله، وواحدة؟

قال: «**وواحدة**»(١).

● وقال بكر بن عبد الله: نفقة الرجل على أهله في كفّة الميزان اليمنى، وكفة اليمنى الجنة.

● وكان أبو قلابة يقول:

أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عياله صغاراً فيعفّهم وينفعهم الله تعالى ويغنيهم به(٢).

● وقال الحسن: إن المؤمن أخذ عن الله عزّ وجلّ أدبًا حسنًا فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عليه أمسك.

من وصايا الصالحين لأولادهم:

● عن بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق، قال:

دخلتُ على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظتُ منها أن قال: **يا بني** اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً، وتموت حميداً.

يا بني من رضي بما قُسم له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه.

يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقّر، ومن خالط العلماء وقّر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

---

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) الحلية (٢/ ٢٨٣).

يا بنى إياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك، فتذل لذلك.

يا بنى قل الحق لك أو عليك تستشار من بين أقرانك.

يا بنى كن لكتاب الله تاليًا، وللسلام فاشيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئًا، ولمن سألك معطيًا، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال، وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعًا، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب الثمر إلا بأصول ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب.

يا بنى إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجّار، فإنهم صخرة لا يتفجرّ ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عُشبها.

قال على بن موسى: فما ترك هذه الوصية إلى أن تُوفّى(١).

● وعن مسلم بن البطين أن الربيع بن خثيم جاءته ابنته، فقالت: يا أبتاه أذهب ألعب؟

قال: اذهبى فقولى خيرًا.

● وعن معاوية بن قُرّة: أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلّوا العشاء: يا بنى ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيرًا.

هكذا كان الصالحون مع أولادهم يتابعون تحركاتهم.. ويبصّرونهم بما ينفعهم فى أمر دينهم ودنياهم.. ويعاهدونهم بالنصيحة.. مع ما كانوا يتمتعون به من سلوك قويم وعمل صالح.. فعمل رجل فى ألف رجل أفضل من وعظ ألف رجل فى رجل.. فأين القدوة اليوم؟

عن الفضيل بن عياض- رحمه الله تعالى- قال:

---

(١) الإحياء (٣/ ١٩٥-١٩٦).

رأى مالك بن دينار . . رجلاً يسيء صلاته، فقال:

ما أرحمني بعياله.

فقيل له: يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟!!

قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون[١].

نعم يا أبا يحيى، لا يستقيم الظل والعود أعوج.

(١) الحلية (٢/ ٣٨٣).

الحق الخامس:

حقوق الجوار

الحق الخامس:

حق الجار

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾(١).

أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.

قال الإمام القرطبى -ما مختصره-:

«أمَا الجار فقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعى ذمّته فى كتابه وعلى لسانه نبيه، ألا تراه سبحانه أكّد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أى القريب: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أى الغريب، قاله ابن عباس، وكذلك هو فى اللغة ومنه فلان أجنبى، وكذلك الجنابة البعد وأنشد أهل اللغة.

فلا تحرمنّى نائلاً عن جَنابة فإنى امرُؤٌ وسْطَ القباب غَريبُ

وقال نوف الشامى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ المسلم ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ اليهودى والنصرانى.

قلت(٢): وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح: والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حُسن العشرة وكفّ الأذى والمحاماة دونه.

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) أى الإمام القرطبى -رحمه الله-.

● روى البخارى عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

● وروى عن شريح عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قيل: مَنْ يا رسول الله؟

قال: «**الذى لا يأمن جاره بوائقه**»(١). وهذا عام فى كل جار، وقد أكّد عليه السلام ترك إذايته بقسـمه ثلاث مرات، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذى جاره، فينبغى للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهى عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضّا العباد عليه.

● ورُوى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«**الجيران ثلاثة: فجارٌ له ثلاثة حقوق، وجارٌ له حقّان، وجارٌ له حقٌّ واحد، فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب له حقّ الجوار، وحقّ القرابة، وحقّ الإسلام.**

والجار الذى له حقّان: فهو الجار المسلم فله حقّ الإسلام وحقّ الجوار والجار الذى له حقٌّ واحد: هو الكافر له حقُّ الجوار»(٢).

● وروى البخارى عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

قلت: يا رسول الله، إن لى جارَيْن فإلى أيِّهما أُهْدِى؟

قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**».

فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا الحديث يفسّر المراد من قوله تعالى:

---

(١) سيأتى بتمامه -إن شاء الله تعالى-.

(٢) رواه البزار فى «مسنده» وأبو الشيخ فى كتاب «الثواب» وأبو نعيم فى «الحلية» وابن عدىّ، والحديث: ضعيف السند، صحيح المعنى. وراجع تضعيف العراقى له. الإحياء (٢/٢١٢).

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ وأنه القريب المسكن منك ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو البعيد المسكن منك، واحتجّوا بهذا على إيجاب الشفعة للجار، وعضدوه بقوله -ﷺ- «الجار أحقّ بصقَبه»(١) ولا حجّة فى ذلك، فإن عائشة -رضي الله عنها- إنما سألت النبىّ -ﷺ- عمّن تبدأ به من جيرانها فى الهدية فأخبرها أن مَنْ قَرُب بابه فإنه أولى بها من غيره.

قال ابن المنذر: فدلّ هذا الحديث على أن الجار يقع على غير اللّصيق، وقد خرج أبو حنيفه عن ظاهر هذا الحديث فقال:

إن الجار اللّصيق إذا ترك الشفعة وطلبها الذى يليه وليس له جدار إلى الدار ولا طريقٌ لا شفعة فيه له، وعوام العلماء يقولون:

إذا أوصى الرجل لجيرانه أعطى اللّصيق وغيره، إلا أبا حنيفة فإنه فارق عوام العلماء وقال: لا يُعْطى إلا اللصيق وحده.

واختلف الناس فى حَدِّ الجيرة:

فكان الأوزاعّى يقول: أربعونَ دارًا من كل ناحية، وقاله ابن شهاب.

ورُوى أن رجلاً جاء إلى النبى -ﷺ- فقال:

إنى نزلت مَحَلّة قوم وإن أقربهم إلىّ جوارًا أشدّهم لى أذًى، فبعث النبى -ﷺ- أبا بكر وعمر وعليًا يصيحون على أبواب المساجد:

«ألا إنّ أربعين دارًا جارٌ ولا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقه(٢).

وقال علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-: من سمع النّداء فهو جار.

وقالت فرقة: من سمع إقامة الصلاة فهو جارُ ذلك المسجد.

وقالت فرقة: من ساكن رجلاً فى مَحَلّة أو مدينة فهو جارٌ، قال الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ

---

(١) رواه البخارى (٤/ ٤٣٧) ولفظه: «الجار أحق بسقبه» بالسين. والسقب والصقب فى الأصل: القرب.

(٢) رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: فيه يوسف بن سفر وهو متروك. المجمع (٨/ ١٦٩) وبوائقه: أى غوائله وشروره.

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً ﴾(١)، فجعل تعالى اجتماعهم في المدينة جُواراً والجيرة مراتب بعضها ألصق من بعض، أدناها الزوجة» أ. هـ(٢).

حقوق الجار:

شرع الإسلام حقوقًا للجار، وألزم المسلم بها.. من هذه الحقوق.

الحق الأول: الإحسان إليه:

فإكرام الجار والإحسان إليه من علامة أهل الإيمان.

● فعن أبى هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» متفق عليه.

● وعن أبى هريرة -أيضًا- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«من يأخذُ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعلّم من يعملُ بهنّ»** فقال أبو هريرة:

قلتُ: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدى فعدَّ خمسًا فقال:

«اتق المحارم تكن أَعْبَدَ الناس، وارْضَ بما قَسَم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جَارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تُحب لنفسك تكن مُسْلمًا، ولا تُكثرِ الضَّحك، فإن كثرة الضحك تُميتُ القلب»(٣).

● وكان النبى -صلى الله عليه وسلم- يبالغ فى إكرام الجار.. فعن رجل من الأنصار قال: خرجتُ مع أهلى أُريد النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-، وإذا به قائم، وإذا رجلٌ مُقبلٌ

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٢) تفسير القرطبى (٥/ ١٦٠-١٦٢) بتصرف.

(٣) **حسن**: انظر: صحيح سنن أبى داود (١٨٧٦).

عليه، فظننتُ أن له حاجةً، فجلستُ، فوالله لقد قام رسول الله -ﷺ- حتى جعلتُ أَرْثى له من طول القيام، ثم انصرف، فقمت إليه، فقلت:

يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلتُ أَرْثى لك من طول القيام، قال: «**أتدرى مَنْ هذا؟**».

قلت: لا.

قال: «**جبريل -ﷺ- ما زال يُوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُورِّثُه، أما إنك لو سلمتَ عليه لردَّ عليك السلام**»(١).

فكان الصحابة -رضي الله عنهم- بعد هذه الوصية يبالغون فى إكرام الضيف ولو كان يهوديًا، فعن مجاهد -رحمه الله تعالى- أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ذُبحتْ له شاةٌ فى أهله، فلمّا جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودىِّ، أهْدَيتم لجارنا اليهودىّ؟ سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سورِّثه**»(٢).

● وروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال:

ثلاثة أخلاق كانت فى الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها.

أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا فى برّه.

والثانى: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع.

والثالث: إذا لحق بجارهم دَيْنٌ أو أصابه شدّة أو جهد اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من تلك الشدة(٣).

● وروى عن سفيان الثورى -رحمه الله تعالى- أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء:

أولها: رجل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه والمؤمنين.

---

(١) قال المنذرى: رواه أحمد بإسناد جيد، ورواته رواة الصحيح. الترغيب (٣٧٩٠).

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى (١٥٨٥).

(٣) تنبيه الغافلين (١٠١).

والثانى: رجل يقرأ القرآن ولا يقرأ فى كل يوم مائة آية.

والثالث: رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين.

والرابع: رجل يمر على المقابر ولم يسلم عليهم ولم يدع لهم.

والخامس: رجل دخل مدينة فى يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة.

والسادس: رجل أو امرأة نزل فى محلتهما عالم ولم يذهب إليه أحد ليتعلم منه.

والسابع: رجلان ترافقا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه.

والثامن: رجل دعاه رجل إلى ضيافة فلم يذهب إليه.

والتاسع: شابٌّ يضيّع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب.

والعاشر: رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه شيئًا من طعامه(١).

ومن إكرام الجار: ما رواه مسلم عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»** فحض -صلى الله عليه وسلم- على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبّة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة؛ فإن الجار قد يتأذّى بقُتار(٢) قدْر جاره، وربما تكون له ذُرِّية فتهيج من ضعفائهم الشهوة، ويعظُم على القائم عليهم الألم والكُلْفة، لاسيما إن كان القائم ضعيفًا، أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة، وكل هذا يندفع بتشريكهم فى شىء من الطبيخ، يُرفع إليهم، ولهذا المعنى حضّ -عليه الصلاة والسلام- الجار القريب بالهدّية، لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها، فإذا رأى ذلك أحبّ أن يشارك فيه، وأيضًا فإنه أسرعُ إجابة لجاره عندما ينُوبُه من حاجة فى أوقات الغفلة والغرّة، فلذلك بدأ به على مَنْ بعُد بابه وإن كانت داره أقرب، والله أعلم.

قال العلماء: «لـمّا قال -عليه الصلاة والسلام-: **«فأكثر ماءها»** نبّه

(١) تنبيه الغافلين (١٠١).

(٢) القتار: ريح القدر والشواء ونحوهما.

بذلك على تيسير الأمر على البخيل تنبيهًا لطيفًا، وجعل الزيادة فيما ليس له ثمن وهو الماء، ولذلك لم يقل: إذا طبخت مَرَقَة فأكثر لحمها، إذ لا يسْهُل ذلك على كل أحد، ولقد أحسن القائل:

قِدْرِى وقِدْرُ الجار واحدةٌ وإليه قبلى تُرفع القِدر

ولا يُهدى النّذر اليسير المحتقر، لقوله -ﷺ-:

«**ثم انظر أهلَ بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف**»[1] أى بشىء يُهْدى عُرفًا، فإن القليل وإن كان مما يُهدَى فقد لا يقع ذلك الموقع، فلو لم يتيسّر إلا القليل فلْيهده ولا يحتقره، وعلى المُهْدَى إليه قبوله، لقوله-ﷺ-: «**يا نساءُ المؤمنات لا تحتقرنّ إحداكنّ لجارتها ولو كُرَاع شاة مُحْرقًا**»[2].

قال القرطبى: وكذا قيدناه «يا نساءُ المؤمنات» بالرفع على غير الإضافة، والتقدير: يا أيها النساء فى التقدير، كما تقول يا رجال الكرامُ، فالمنادى محذوف وهو يا أيها، والنساء المؤمنات، النعت لأيها، والمؤمنات نعت للنساء. وقد قيل فيه: يا نساء المؤمنات بالإضافة، والأول أكثر.

ومن إكرام الجار: ألا يُمنع من غَرْز خشبة له إرفاقًا به، قال رسول الله -ﷺ-: «**لا يَمْنع أحدُكم جارَه أن يغْرز خَشبةَ فى جداره**»[3]. ثم يقول أبو هريرة: ما لى أراكم عنها مُعْرضين، والله لأرمينّ بها بين أكنافكم.

ومعنى (لأرمينّ بها) أى بالكلمة والقصّة، وهل يُقضى بهذا على الوجوب أو الندب؟ فيه خلاف بين العلماء.

الحق الثانى: كفّ الأذى عنه:

فعن أبى شُريح الكعبىّ -رضي الله عنه- قال:

---

(١) روى مسلم عن أبى ذر: أوصانى خليلى -ﷺ-: «إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها».

(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (١٦٦١١).

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة ولفظه: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى حائطه».

قال رسول الله -ﷺ-: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، مَنْ هذا؟

قال: «من لا يأمن جارُه بوائقَه».

قالوا: وما بوائقه؟

قال: «شرُّه» رواه البخاري.

وروى الأصبهاني عن النبي -ﷺ- قال: «إن الرَّجلَ لا يكونُ مُؤمنًا حتى يأمن جارُه بوائقه، يبيتُ حين يبيتُ وهو آمنٌ مِنْ شرِّه، فإن المؤمن الذى نفسه منه فى عنَاء، والناسُ منه فى راحة».

ولا يستقيم إيمانُ العبد.. ولاَ يصدق إسلامُه إلا بكفِّ الأذى عن الناس: فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «لا يستقيم إيمانُ عبد حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانه، ولا يدخل الجنةَ حتى يَأمَن جارُه بوائقه» رواه أحمد.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله عزِ وجلِ قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسَّم بينكم أرزاقكم، وإن الله -عزّ وجلَ- يعطى الدنيا مَنْ يحب ومن لا يحب، ولا يُعْطِي الدين إلاّ مَنْ أحب، فمَن أعطاه الدِّين فقد أحبه، والذي نفسى بيده لا يُسْلم عبدٌ حتى يُسلم قلبُه ولسانُه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه».

قلت: يا رسول الله، وما بوائقه؟

قال: «غشمه وظلمه، ولا يكسب مالاً من حرام، فينفق منه فيبارك فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحوا السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»(١).

● ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود -رضي الله عنه- فقال له:

---

(١) رواه أحمد، والحديث معلول بالرفع والصواب وقفه على ابن مسعود -رضي الله عنه-.

إن لى جارًا يؤذينى ويشتمنى ويضيّق علىّ، فقال ابن مسعود: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه.

● وشكا بعضهم كثرة الفأرة فى داره، فقيل له:

لو اقتنيت هرًّا؟

فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببتُ لهم مالا أحب لنفسى!!

قلت: أين هذه الأخلاق الآن؟! إن جيران اليوم لا يسترون عورة ولا يقبلون عثْرة، ولا يغفرون ذنبًا، ازدادت بينهم الكراهية.. وتفشّت بينهم الأحقاد.. فكم من جار قد آذى جاره وخاصمه.. وكم من جار قد سجن جاره وعذّبه!!.. ضاعت بينهم المبادئ.. وماتت بينهم الأخلاق.. إنك لا تكاد تمرّ على بيت اليوم إلا وتسمع ضجيجًا وعجيجًا.. تبلّدت مشاعر الناس، وماتت الأحاسيس.. وضاع الذوق.

لقد كان النبى -ﷺ- يستعيذ بالله من هذا النوع من الناس:

● فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- كان يقول: «**اللهمّ إنى أعوذ بك من جار السوْء فى دار المقامة فإنّ جار البادية يتحول**» رواه ابن حبان فى صحيحه.

● وعن فضالة بن عُبيد -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**ثلاثة من الفواقر:**

إمامٌ إنْ أَحسنتَ لم يَشكرْ وإن أسأتَ لم يَغفرْ، وجارُ سَوْءٍ إنْ رأى خيرًا دفنَهُ وإن رأى شرًّا أذاعَه، وامرأة إنَّ حضرْتَ آذتك وإن غبْتَ عنها خانَتْك»(١).

أين أخلاق المؤمنين بين الجيران اليوم؟ أين رحمة الإسلام؟ أين الأدب والمعروف وحسن المعاشرة؟! لقد جرف هذه القيم تيارُ الأنانية العاتى.

ألم يعلم هؤلاء أن رسول الله -ﷺ- قال:

---

(١) قال المنذرى: رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به. الترغيب برقم (٣٧٧٩).

«ما آمن بى من بات شبعانًا وجارُه جائع إلى جنبه وهو يعلم»(١)؟!.

ألم يصل إلى سمع هؤلاء ما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رجلاً جاء إلى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اكْسُنى. فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله اكْسُنى، فقال: **«أما لك جارٌ له فضلُ ثوبين؟»**.

قال: بل غيرُ واحد.

قال: فلا يجمعُ الله بينك وبينه فى الجنة» رواه الطبرانى فى الأوسط.

ألم يأت هؤلاء ما رواه ابن ابن عمر عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب سَلْ هذا لم أغلق عنى بابه، ومنعنى فضله؟» رواه الأصبهانى، . فاللهم غفرانًا.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال:

«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والسكنُ الواسع، والجار الصالح والمركب الهنئ.

وأربع من الشقاء: الجارُ السّوْء، والمرأة السَّوء، والمَرْكَبُ السَّوْء، والمسكن الضّيِّق» رواه ابن حبان فى صحيحه.

الحق الثالث: احتمال الأذى منه:

يقوم الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«واعلم أنه ليس حق الجوار كفّ الأذى فقط بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضًا قد كفّ أذاه فليس فى ذلك قضاء حقه، ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف، إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلّق بجاره الغنى يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسدّ بابه دونى؟»(٢) أ.هـ.

---

(١) قال المنذرى: رواه الطبرانى والبزار وإسناده حسن. الترغيب برقم (٣٧٨٠).

(٢) الإحياء (٢/ ٢١٣).

وعن أبى جُحَيْفة -رضي الله عنه- قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشكو جاره قال: «**اطرح متاعك على طريق**»، فطرحه، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله لقيتُ من الناس.

قال: «**وما لَقِيتَ منهم؟**».

قال: يلعنوننى.

قال: «**قد لعنك اللهُ قبل الناس**».

فقال: إنِّى لا أعودُ، فجاء الذى شكاهُ إلى النبىِّ -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«**ارفع متاعك، فقد كُفيتَ**»، رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن بنحوه إلا أنه قال:

«**ضعْ متاعك على الطريق أو على ظَهْرِ الطريق**»، فوضعهُ، فكان كَلُّ مَنْ مَرّ به قال:

ما شأنك؟

قال: جارى يؤذينى، قال: فيدعو عليه، فجاء جارُه، فقال: رُدّ متاعك، فإنى لا أُوذيك أبدًا.

● وقال الحسن البصرى -رضي الله عنه-:

«ليس حسن الجوار كفٌّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار».

● وقال عمرو بن العاص -رضي الله عنه-:

«ليس الواصل الذى يصل من يصله ويقطع من قطعه، وإنما ذلك المنصف، وإنما الواصل الذى يصل من قطعه، ويعطف على من جفاه، وليس الحليم عن قومه ما حلموا عنه، فإذا جهلوا عليه جاهلهم وإنما ذلك المنصف، إنما الحليم الذى يحلم إذا حلموا، فإذا جهلوا عليه حلم عنهم».

● وقال أبو الليث السمرقندى -رحمه الله تعالى-:

«تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء:

أولها: أن يواسيه بما عنده.

والثانى: أن لا يطمع فيما عنده.

والثالث: أن يمنع أذاه عنه:

والرابع: أن يصبر على أذاه.

إن الصبر على أذى الجار له فضل عظيم، واستطالة اللسان بأذى الجار يؤدى إلى عذاب الجحيم.

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال:

«**هى فى النار**».

قال: يا رسول الله فإن فلانة يُذكر من قلّة صيامها وصلاتها(١).. وأنها تتصدق بالأثوار(٢) من الأقِط(٣)، ولا تؤذى جيرانها.

قال: «**هى فى الجنة**»(٤).

الحق الرابع: تعليمه وإرشاده:

من حق الجار عليك أن تعلمه ما ينفعه وأن تفقهه فى أمور دينه.. وأن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر فأنت مسئول عن جارك يوم القيامة.. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمّت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة

---

(١) المقصود هنا صلاة وصيام النافلة.

(٢) الأثوار: بالمثلثة جمع ثور: وهى قطعة من الأقِط.

(٣) والأقط: هو شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمى. والمراد: قطع الجبن.

(٤) **رجاله ثقات**: رواه أحمد وغيره، وانظر: المجمع (٨/ ١٦٨، ١٦٩).

واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحقت بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق، لا تأخذه فى الله لومة لائم، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسدّ هذه الثلمة إمّا متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدّداً لهذه السّنة الداثرة ناهضًا بأعبائها ومتشمّراً فى إحيائها كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها.

فهيا أخى المسلم إلى إحياء الفضائل.. وإماتة الرذائل.. وأولى الناس بالأمر والنهى بعد أهلك وعشيرتك هم جيرانك.. فهم أولى الناس بعد أولى القربى بمعروفك.. وعلمك .. فإن الفقر الثقافى أسوأ عقبى من الفقر المالى، والشعب الذى يعانى من الغباء والتخلف لا يصلح للمعالى ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة.

خطب رسول الله -ﷺ- ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال:

«ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم»؟

وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون»؟

والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة!!».

ثم نزل..

فقال قوم: من ترَوْنه عنى(١) بهؤلاء؟

قال- عنى- الأشعريين! فإنهم قوم فقهاء، ولهم جيران من أهل المياه والأعراب!

---

(١) بمعنى: قصد.

فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا رسول الله ذكرت قومًا بخير وذكرتنا بشر! فما بالنا؟

فقال رسول الله -مرة أخرى-.

«ليعلِّمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا!!».

فقالوا: يا رسول الله أنفطِّن غيرنا؟ فأعاد عليهم قوله!

فأعادوا قولهم: أنفطِّن غيرنا؟

فقال: ذلك أيضًا!

فقالوا: أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليعلموهم ويفقهوهم ويعظوهم.. ثم قرأ رسول الله -ﷺ- هذه الآية: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ...**﴾[١] الآية[٢].

قال الشيخ محمد الغزالى: -رحمه الله تعالى- معلقًا على الحديث: «وأعتقد أن المسلمين فى العصر الحاضر أحوج أهل الأرض إلى هذه النصيحة النبوية فإن تخلّفهم الفكرى والخلقى تسودُّ له الوجوه!»[٣].

الحق الخامس: صيانة عِرْضه وماله:

شدّد الإسلام على صيانة عرض ومال الجار وضاعف العقاب على من انتهك حرماته.. أو نهب شيئًا من ماله.. فقد يستغل بعضُ من لا خلاق لهم قرب دار جاره.. وشدّة ملاصقته لها.. وكثرة اختلاطه مع أهلها استغلالاً سيئًا.. فشدد الإسلام العقوبة لأجل ذلك.

فعن المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه:

---

(١) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.

(٢) رواه الطبرانى فى «الكبير».

(٣) كنوز من السنة ص ١٤.

«ما تقولون فى الزّنا ؟».

قالوا: حرام حرّمه الله ورسولهُ فهو حرام إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله -ﷺ-: **«لأن يزنى الرجل بعشْرِ نسوةٍ أيسرُ عليه من أن يزنى بامرأة جاره»**.

قال: **«ما تقولون فى السرقة؟»**.

قالوا: حرمها الله ورسوله فهى حرام.

قال: **«لأن يسرقَ الرجلُ من عشرةِ أبياتٍ أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره»**(١).

حقوق أخرى:

قال الإمام الغزالى: «وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده فى المرض، ويعزّيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء، ويهنئه فى الفرح، ويظهر الشركة فى السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته(٢)، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده فى كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين، وقد قال -ﷺ-:

«أتدرون ما حقُّ الجار؟ إن استعان بك أعَنْتَه، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عُدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تَبعْتَ جنازتَه، وإن أصابه خيرٌ هنأته، وإن أصابته مصيبةً عزيته، ولا تَسْتَعْل عَليه بالبناء فَتَحْجُبَ عنه الرِّيح إلا بإذنه، وإذا اشتريتَ فاكهةً فأَهْدَ له، فإن لم تفعل فأدخلْها سراً ولا يَخرُجْ بها ولدُكَ ليغيظ بها ولدَه، ولا تؤذه بَقتَارِ قدْرِكَ

---

(١) **رواته ثقات:** رواه أحمد واللفظ له، ورواته ثقات. الترغيب برقم (٣٧٦١).

(٢) وخصوصًا فى هذه الأيام.. فقد اقتربت نوافذ البيوت من بعضها.. وانتشر التبرج والسفور.. مع رقة الدين وذهاب الحياء. فاللهم سلّم.

إلا أن تَغْرِف له منها، ثم قال: أتدرون ما حقُّ الجار؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حقَّ الجارَ إلا مَنْ رحمه الله»(١).

من قصص الصالحين مع جيرانهم:

تقدم معنا أن من سعادة المسلم الجار الصالح.. وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره.. فعن عبدالله بن عمرو، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(٢).

والله تعالى يدفع بالجار الصالح البلاء عن داره وعن الدويرات التى حوله!! فيُروى عن ابن عمر، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن الله -عزّ وجل- ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء**» ثم قرأ:

﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾(٣). رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

وحب الجيران غنيمة تنفع المسلم فى حال حياته وبعد مماته:

روى أحمد عن أبى عتبة الخولانى، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**من أراد الله به خيراً عَسَلَه**».

قيل: وما عَسَلَه؟

قال: «**يحببه إلى جيرانه**».

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال:

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الخرائطى وابن عدى. هامش الإحياء (٢/ ٢١٤). وذكره القرطبى فى «تفسيره» (٥/ ١٦٤) من حديث معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث جامع وهو حديث حسن، فى إسناده أبو الفضل عثمان بن مطر الشيبانى غير مُرضٍ.

(٢) **صحيح:** انظر: صحيح سنن أبى داود (١٥٨٦).

(٣) سورة البقرة: ٢٥١.

قال رجل: يا رسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟

قال: «**إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت**»(١).

وقال -ﷺ-: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنيين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرًا، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرتُ له مالا تعلمون**»(٢).

قال الشيخ الألبانى -رحمه الله تعالى- معلّقًا-:

«اعلم أن هذه الشهادة لا تختص بالصحابة، بل هى أيضًا لمن بعدهم من المؤمنين الذين هم على طريقتهم فى الإيمان والعلم والصدق، وبهذا جزم الحافظ ابن حجر فى «الفتح»... هذا، وأما قول بعض الناس عقب صلاة الجنازة: «ما تشهدون فيه، أشهدوا له بالخير» فيجيبونه بقولهم صالح.. أو من أهل الخير، ونحو ذلك، فليس هو المراد بالحديث قطعاً، بل هو بدعة قبيحة، لأنه لم يكن من عمل السلف، ولأن الذين يشهدون بذلك لا يعرفون الميت فى الغالب، بل قد يشهدون بخلاف ما يعرفون استجابة لرغبة طالب الشهادة بالخير، ظنًّا منهم أن ذلك ينفع الميت، وجهلاً منهم بأن الشهادة النافعة إنما هى التى توافق الواقع فى نفس المشهود له، كما يدل على ذلك قوله -ﷺ-: «**إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بنى آدم بما فى المرء من الخير أو الشر**»(٣).

من أجل ذلك حرص الصالحون على حسن الجوار.. وضربوا أمثلة رائعة فى ذلك.

● ذكر الإمام الغزالى فى «الإحياء» (٢/ ٢١٣).

---

(١) **إسناده جيد**: رواه أحمد والطبرانى وجوّد إسناده العراقى. هامش الإحياء (٢/ ٢١٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢)، والحاكم (١/ ٣٧٨) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبى.

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبى، وقال الألبانى: وهو كما قالا. أحكام الجنائز (٤٥).

أن ابن المقفّع بلغه أن جاراً له يبيع داره في دَيْن ركبه وكان يجلس في ظل داره، فقال:

ما قمتُ إذاً بحرمة ظل داره إن باعها معدماً!! فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها.

● وكان القاضي شريح -رحمه الله تعالى- إذا ماتت عنده «هرة» دفنها في فناء بيته!! فسئل عن ذلك، فقال:

أخشى إن ألقيتها في الشارع يتأذى بها الجيران!!

● وكان لمالك بن دينار -رحمه الله تعالى- جار يهودي، فحوّل اليهودي مستحمّه إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار منهدماً فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئاً، وأقام على ذلك مدّة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك، آذيتك كثيراً وأنت صابر ولم تخبرْني!!

فقال مالك: قال رسول الله -ﷺ-.

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه»(١).. فندم اليهودي وأسلم!!

فكن أخي المسلم على أقدام السلف.. فالمرء يُحشر مع من أحب.. وعند الصباح يحمد القوم السّرى.. وعند الممات يحمد الناسُ التقى.

«مسك الختام»

ونختم حق الجوار بهذا الحديث الجليل:

عن مطرف بن عبد الله، قال:

بلغني عن أبي ذر- رضي الله عنه- حديث كنتُ أحب أن ألقاه فلقيتُه، فقلت

(١) تقدم تخريجه قريباً.

لهُ: يا أبا ذر، بلغنى عنك حديث فكنتُ أحب أن ألقاك فأسألك عنه، فقال:

قد لقيتَ فاسأل:

قلتُ: بلغنى أنك تقول: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**ثلاثة يحبهم الله -عز وجل- وثلاثة يبغضهم الله عز وجل**».

قال: نعم، فما أخالنى أكذب على خليلى محمد -ﷺ- ثلاثًا يقولها- قال:

قلت: من الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟

قال: «**رجلٌ غزا فى سبيل الله فلقىَ العدوّ مجاهدًا محتسبًا فقاتل حتى قُتل، وأنتم تجدون فى كتاب الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾**(١).

ورجل له جارٌ يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله إياه بموتٍ أو حياة.

ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتى يشقّ عليهم الكرى أو النّعاس فينزلون فى آخر الليل فيقوم إلى وضوئه وصلاته».

قال: قلت: من الثلاثة الذين يبغضهم الله؟

قال: «**الفخور والمختال وأنتم تجدون فى كتاب الله عزّ وجل:**

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢).

والبخيل المنان.

والتاجر الحلاّف».

قال: قلت: يا أبا ذر ما المال؟

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) سورة لقمان: ١٨.

قال: فرق لنا وذود -يعنى بالفرق غنمًا يسيرة-.

قال: قلت: لستُ عن هذا أسأل إنما أسألك عن صامت المال؟

قال: ما أصبح لا أمسى. وما أمسى لا أصبح.

قال: قلت: يا أبا ذر.. مالك ولإخوتك قريش؟[1]

قال: والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين الله تبارك وتعالى حتى ألقى الله ورسوله -ثلاثًا يقولها-[2].

وفقنا الله تعالى للعمل بكتابه وبسنة رسوله -ﷺ- والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) كان أبو ذر -رضي الله عنه- قد سكن «الربّذة» بمحض إرادته.. بعد أن استأذن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فأذن له.. ثم مات بها -رحمه الله تعالى-.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد فى المسند برقم (٢١٤٢٢) وقال المحقق: إسناده صحيح.

الحق السادس:

حق اليتيم

الحق السادس:

حــــق اليــــتــــيم

معنى اليتيم:

اليتيم فى اللغة هو من مات أبواه أو أحدهما فانفرد عنهما أو عن واحد منهما، فاليــتم فى اللغة الانفراد- يقال درة يتيمــة أى فريدة فى نوعها، ودار يتيمــة أى لا يجاورها بيت من أى جهة من جــهاتها الأربع وقيل اليــتم معناه الإبطاء، وقد سُمّى يتيمًا لأن البرّ يبطئ عنه هذا معنى اليتم فى اللغة.

أما فى اصطلاح الفقــهاء فمعناه أخص من هذا المعنى، فــاليتيم عندهم هو «صغير مات أبوه».

فــإذا بلغ زال وصف اليتم عنه وأصــبح رجــلاً يلى أمور نفــسه مــا دام رشيدًا، وقــد يُسمّى بعد البلوغ يتــيمًا باعتــبار ما كان، لغــرض من الأغراض البلاغية كالمبالغة فى الحث على دفع مــاله إليه عند بلوغه الرشد والتحذير من أكل شىء منه.

كما قال تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ (1).

ومن المعلوم أنهم لا يؤتون أمــوالهم إلا بعد البلوغ وحينــئذ يزول عنهم وصف اليتم.

ولكن الله -عزّ وجلّ- سمّاهم يتامى بعد البلوغ مبالغة فى حث الأولياء على مراقبته تعالى فى أمرهم عند تسليم أموالهم.

فإن قلت لِمَ لم يعتبر الشرع من فقد أمّه يتيمًا كالذى فقد أباه؟

---

(1) سورة النساء: 2.

قلت: لأن الأب هو الذى يعول الصغير ويرعى شئونه ويقوم بتأديبه وتعليمه، وكثيراً ما يجد ولده فيه من العطف والحنان ما يعوضه عن أمّه.

من أحق بكفالته؟

أولى الناس بكفالة اليتيم أقربهم إليه من جهة العصبة على حسب الترتيب.

فإن لم يوجد له قريب من عصبته كفله أقرب الناس إليه من جهة رحمه كجده من أمّه، وخاله، فإن لم يوجد له قريب من جهة أمّه، أوصى الحاكم به من يقوم بكفالته أو ألحقه بدار من دور رعاية الأيتام المنتشرة فى طول البلاد وعرضها(١).

الترغيب فى كفالة اليتيم والتحذير من ظلمه:

وقد رغب الإسلام القادرين من أهل البرّ والصلاح فى كفالة اليتامى، والإحسان إليهم والعطف عليهم، وحفظ أموالهم والعمل على إعدادهم جسميًّا، ونفسيًّا، وعقليًّا حتى يصيروا رجالاً صالحين.

فمن القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾(٢).

٢- وقال تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾(٣).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾(٤).

---

(١) الفقه الواضح (٢/ ١٧٩- ١٨٠) بتصرف.
(٢) سورة البقرة: ٢٢٠.
(٣) سورة النساء: ٢.
(٤) سورة النساء: ٦.

٤- وقال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾(١).

٥- وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾(٢) وقهره ضربه من غير مصلحة، وتجويعه وإهانته، وجرح مشاعره، وإذلاله، وإحراجه، وتكليفه فوق قدرته وطاقته.. وسوء معاملته.. وانتقاصه.

وفى الأثر: «إن اليتيم إذا ضُرب(٣) اهتز عرش الرحمن لبكائه!! فيقول الله تعالى: يا ملائكتى من أبكى الذى غيبت أباه فى التراب، وهو أعلم به.

قال: تقول الملائكة: ربنا لا علم لنا.

قال: فإنى أشهدكم أن من أرضاه فىَّ فأرضيه من عندى يوم القيامة»(٤).

ولا بأس بضربه للتأديب ضربًا غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولده.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-:

«رُبَّ لطمة أنفع ليتيم من أكلة خبيص(٥)».

وقال الإمام السمرقندى:

«إن كان يقدر أن يؤدبّه بغير ضرب ينبغى له أن يفعل ذلك ولا يضربه، فإن ضَرْب اليتيم أمر شديد» أ.هـ.

قلت: وقد أدّى إهمال تأديب اليتيم إلى فساد كبير والسبب هو المفهوم الخاطئ لمعنى الإحسان إليه والرحمة به. فما أحوج اليتامى إلى من يعولهم ويرعاهم لصلاح دينهم ودنياهم.

---

(١) سورة النساء: ٩، ١٠.

(٢) سورة الضحى: ٩.

(٣) أى ظلمًا.

(٤) تنبيه الغافلين (٢٦٢).

(٥) الخبيص: نوع من الحلوى.

(٦) وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾(١). فجعل الله تعالى زجر اليتيم وقهره علامةً من علامات التكذيب بالدين.

(٧) ولقد أمر الله سبحانه بالإحسان إلى اليتيم فى كل زمان ومكان بل وعلى مستوى كل الأمم والشعوب، بل لقد أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل بالإحسان إلى اليتامى فقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾(٢).

ونحن والله أحق بأن نقوم ونعمل بهذا الميثاق الأخلاقى الكبير.

(٨) ولعظم مكانة اليتيم فى المجتمع.. وعظيم أجر الإحسان إليه.. قام نبيان كريمان ببناء الجدار لغلامين يتيمين واحتسبا عملهما عند الله تعالى قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾(٣) الآية.

وأمّا الأحاديث:

فلقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مكانة اليتيم وفضل الإحسان إليه.. وعاقبة ظلمه وأكل ماله بالباطل.. فمن ذلك:

١- كافل اليتيم جار النبى -ﷺ- فى الجنة:

فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**أنا وكافل**

(١) سورة الماعون: ١-٣.
(٢) سورة البقرة: ٨٣.
(٣) سورة الكهف: ٨٢.

اليتيم فى الجنة هكذا(١)**، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما**» رواه البخارى وأبو داود والترمذى ورواه ابن ماجه عن ابن عباس، قال:

«**من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام لَيْلَهُ وصام نَهَارَه، وغدَا وراح شاهرًا سيفه في سبيل الله، وكنتُ أنا وهو فى الجنة أَخوَيْن كما أن هاتين أُختان -وأَلْصَق أُصبْعَيهْ السبابة والوسطى-**».

ورواه البزار ولفظه قال:

«**من كَفَلَ يتيمًا له ذا قرابة أَوْ لا قرابةَ له فأنا وهو فى الجنة كهاتين، -وضمَّ أُصبعَيْه-، ومن سعى على ثلاث بنات، فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائمًا قائمًا**».

فأى فضل بعد هذا الفضل.. وأى أجر يُرْجى بعد هذا الأجر؟.. فهيا معاشر الأغنياء.. ابحثوا عن اليتامى واكفلوهم.. وشمِّروا لهذا الفضل الكبير ولهذا الفوز العظيم.

وها هو النبىّ -ﷺ- يجزم بدخول كافل اليتيم الجنة!!..

فعن زرارة بن أبى أوفى، عن رجل من قومه يقال له: «مالك» أو «ابن مالك» سمع النبىّ -ﷺ- يقول:

«**من ضَمَّ يتيمًا بين مُسْلمين فى طعامه وشرابه حتى يَسْتَغْنِىَ عنه وجبتْ له الجنة البتَّة، ومن أدرك والديْه أو أحدَهُما ثم لم يبرَّهُما دخل النار، فأبعده الله، وأيُّما مُسْلمٍ أعتقَ رقبةً مُسْلمةً كانت فكاكَه من النار**»(٢).

٢- الإحسان لليتامى يفرِّج الله به الكروب والهموم:

فعن أبى الدرداء -رضي الله عنه- قال:

---

(١) **كفالة اليتيم**: هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من إطعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى. الكبائر (٦٩).

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى والطبرانى وحسّنه الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦١). والمنذرى فى الترغيب. برقم (٣٧٤٦).

أتى النبىَّ -ﷺ- رجلٌ يشكو قسوة قلبه، قال:

«أتحبُّ أن يلين قلبُك، وتدركَ حاجتَك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه وأطْعِمْه من طعامك يَلِنْ قلبُك، وتُدْرِكْ حاجتَك»(١).

٣- الإحسان لليتامى يزيل الله به قسوة القلوب:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً شكا إلى رسول الله -ﷺ- قسوة قلبه، فقال:

«امسحْ رأسَ اليتيم وأَطْعِمِ المسْكين»(٣).

٤- إطعامُ اليتيم يُحَصِّن مَن الشياطين:

فعن أبى موسى -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«ما قعد يتيم مع قوم على قَصْعتهم، فيقربَ قصعتَهُمْ شيطان!!» رواه الطبرانى وحسّنه الهيثمى، وضعّفه غيره.

٥- الإحسان للأرامل كالجهاد فى سبيل الله.

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»، وأحسبه قال:

«وكالقائم لا يَفْتُرُ وكالصائم لا يُفْطِر» رواه البخارى ومسلم وابن ماجه، إلا أنه قال: **«الساعى على الأرملة والمَسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل، ويصوم النهار»**.

٦- كافل اليتيم فى ظل الله تعالى يوم القيامة:

قال داود -عليه السلام- فى مناجاته:

إلهى ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟

---

(١) **حسن بشواهده:** رواه البيهقى وغيره، وانظر: الصحيحة برقم (٨٥٤).

(٢) قال المنذرى: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. الترغيب برقم (٣٧٥٤).

قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»(1).

7- آكل مال اليتيم ظلمًا يأكل حجارة النار!!:

فعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال فى المعراج: «**فإذا أنا برجال وقد وُكّل بهم رجالٌ يفكّون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها وتخرج من أدبارهم، فقلتُ: يا جبريل من هؤلاء؟**

قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا»(2).

وقال السّدِّى: يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كلّ من رآه يعرف أنه آكل مال اليتيم(3).

وقال قتادة -رحمه الله تعالى- فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾(4). قال:

نزلت فى رجل من غطفان وَلِىَ مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله(5).

8- آكل مال اليتيم لا يدخل الجنة:

روى الحاكم وصححه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها. مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه**».

9- آكل مال اليتيم من الموبقات:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**اجتنبوا السبع الموبقات:**

---

(1) الكبائر للذهبى (71).

(2) رواه مسلم.

(3) الكبائر (68).

(4) سورة النساء: 10.

(5) تهذيب مكاشفة القلوب للمؤلف ص 150.

الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرّم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» متفق عليه.

وقال أبو طالب المكى -رحمه الله تعالى-:

«الكبائر سبع عشرة:

أربع فى القلب: الشرك، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

وأربع فى اللسان: القذف، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاث فى البطن: أكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب المُسْكر.

واثنتان فى اليد: القتل والسرقة.

وواحدة فى الرِّجْل: الفرار من الزحف.

وواحدة فى جميع الجسد: عقوق الوالدين»(١).

سطور مضيئة من حياة اليتامى والأرامل:

يحكى التاريخ لنا قصة بعض الأرامل واليتامى الذين استقبلوا فقد عائلهم بصبر جميل، ويقين فى الله تعالى أثبت من الجبال الرواسى.. فلم تذهب المصائب بصوابهم.. بل كانت أمواج إيمانهم أعلى وأعتى من أمواج المصائب رغم فداحتها، ولم لا.. والرزاق حيٌّ لا يموت.. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

ألم يُقدِّر الأرزاق قبل خلق العباد؟

كان أبو الحسن البصرى النحوى- رحمه الله تعالى- يأكل يومًا مع

---

(١) الزواجر (١/ ٢٥).

(٢) سورة هود: ٦.

بعض أصحابه طعامًا فجاءه قطٌّ فرموا له شيئًا فأخذه وذهب سريعًا، ثم أقبل فرموا له شيئًا أيضًا فانطلق به سريعًا، ثم جاء فرموا له شيئًا أيضًا!! فعلموا أنه لا يأكل هذا كله فتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قطّ آخر أعمى فى سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخ: يا سبحان الله! هذا حيوان بهم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقنى وأنا عبده وأعبده!.(1) ولله درّ القائل:

فيا مَنْ طَوَيْتَ فَسِيحَ الأرضِ مُلْتَمِسًا
مَالاً وأنت بالأموال موعود

قد تُحرم الأُسْدُ قسرًا عن فريستها
وفى صخور الفيافى يُرْزَق الدودُ

لا شيء أَعْجب فى الأنام من رَجل
يَرْجو الخلائقَ والخلاقُ موجودُ

نعم يا سيدى:

لا شيء أعجب فى الأنام من رجل
يرجو الخلائق والخلاق موجود

لقد روى النبى -ﷺ- قصة أرملة فقدت عائلها.. فقعدت على أيتام لها.. ورفضت الزواج بعد وفاة زوجها.. وتجشمت مرارة الفراق.. وصمدت أمام فتن الدنيا.. واستعلت على لأواء الحياة.. فكان الجزاء فى الآخرة أن زاحمت النبى -ﷺ- على باب الجنة!!!.

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«أنا أوَّلُ من يفتحُ بابَ الجنة إلا أنى أرى امرأة تُبادِرُنى فأقول لها:**

مَالَك ومَنْ أنت؟

فتقول: أنا امرأةٌ قَعَدْتُ على أَيْتامٍ لى»(2).

---

(1) البداية والنهاية (٦/ ٦٠٠).

(2) قال المنذرىّ: رواه أبو يعلى، وإسنادهُ حسن -إن شاء الله-. الترغيب (٣٧٥١).

ورواه أبو داود، ولفظه:

عن عوف بن مالك الأشجعى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أنا وامرأةٌ سفعاءُ الخدَّين**[1] **كهاتين يوم القيامه**»، وأومأ بيده يزيدُ بن زُرَيْع: الوسطى والسبابة، «**امرأةٌ آمت زوجها ذاتُ منصب وجمال حبَستْ نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا**».

وكما أن هناك من النساء من صمدن أمام المصائب واستقبلن القضاء بصبر جميل ويقين فى الله لاشك فيه. فإن هناك من الأطفال اليتامى من سار على هذا الدرب الجميل.. وأعطانا درسًا فى حسن التوكل يُذْكر أن صحابيًا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى طفلاً فى المسجد يصلى بخشوع وإتقان.. فقال له بعد صلاته:

ابن مَنْ أنت؟

فقال الطفل: إنى يتيم فقدتُ أبى وأُمِّى.

فقال: أترضى أن تكون لى ولدًا؟

فقال: هل تطعمُنى إذا جُعْتُ؟

قال: نعم.

قال: وهل تكسونى.. إذا عَريتُ؟

قال: نعم.

قال: وهل تُحْيينى إذا مِتُّ؟!

فدهش الصحابى وقال: هذا ليس إليه سبيل وأشاح الصبىُّ بوجهه وقال:

إذن اتركنى للذى خلقنى ثم رزقنى ثم يميتنى ثم يحيينى.

(١) السفعاء: هى التى تغيّر لونها إلى الكمودة والسواد من طول الأيمة، يريد بذلك أنها حبست نفسها على أولادها ولم تتزوج، فتحتاج إلى الزينة والتصنع للزوج.

فقال الصحابى: من توكل على الله كفاه(١).

قصة المرأة العلوية والرجل المجوسى:

ومما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين(٢)، وكان نازلاً ببلخ ببلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقِلَّة، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد، أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة، ومضت تحتال لهم فى القوت فمرت بجمعين: جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت:

أنا امرأة علوية ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم.

فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة؟

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى.

فأعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلمُ فى منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبى - ﷺ -، وإذا قصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال:

---

(١) إيقاظ أولى الهمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية لعبد العزيز السلمان ص٣٦.

(٢) هم ذرية سيدنا على بن أبى طالب، ويدعون بـ(آل البيت).

يا رسول لمن هذا القصر؟

قال: لرجل مسلم مُوَحِّد.

فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**أقم عندى البينة أنك مسلم موحد**».

قال: فبقى متحيّراً، فقال له:

«لـمّا قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أقم عندى البينة أنك مسلم».

فانتبه الرجل حزينًا على ردّه المرأة خـائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دُلّ عليها أنها عند المجـوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها.

فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى.

قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ.

فقال: لا أفعل.

فقال: لابد منهنّ.

فـقال: الذى تـريده أنـت أنا أحـق به والقـصـر الذى رأيتـه فى منامك خلُق لى، أتدلّ علىّ بالإسـلام؟ فوالله مـا نمتُ البارحة أنا وأهـل دارى حتى أسلمنا كلّنا على يد الـعلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقـال لى رسول الله -ﷺ-: «**العلوية وبناتها عندك؟**».

قلتُ: نعم يا رسول الله.

قال: «**القصر لك ولأهل دارِك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل**».

قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله.

فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام وما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا!!.

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

«**الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله**».

قال الراوى: أحسبه قال:

«**وكالقائم لا يَفْتُر وكالصائم لا يُفْطر**»، والساعى عليهم هو القائم بأمرهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم رءوف غفور رحيم»[١].

«قصة مؤثرة»:

قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصر» فوجدتُ حَدَّادًا يخرج الحديد بيده من النار ويقلّبه على السِّندال ولا يجد لذلك ألمًا، فقلتُ فى نفسى هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسلّمت عليه فردّ على السلام، فقلتُ له: بالذى مَنَّ عليك بهذه الكرامة[٢] إلا ما دعوتَ لى، فبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت.

فقلتُ له: يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون.

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تعرفنى به فافعل.

قال: نعم، قال: كنت يومًا من الأيام جالسًا فى هذه الدكان وكنت كثير

(١) الكبائر (٧١ - ٧٢) للذهبى.

(٢) الكرامة ثابتة للأولياء، لا يمارى فى ذلك عاقل.. ولقد أُلقى أبو مسلم الخولانى -رحمه الله- فى النار فلم تحرقْه.. راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين» ط. المكتبة التوفيقية.

التخليط، إذ وقفت عليَّ امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخى هل عندك شىء لله؟

فلما نظرت إليها فتنتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إلىّ زمانًا طويلاً فذهبت وغابت عنى طويلاً ثم رجعت وقالت:

يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت.

قال: فقفلت الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لى:

يا هذا إن لى أطفالاً وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل.

قال: فأخذتُ عليها العهود والمواثيق ودفعتُ لها بعضًا من الدراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلتُ بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت: لم فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفًا من الناس!

فقالت: ولم لا تخاف من ربّ الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف، ودموعُها تتحدّر على خدّيها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابك وبكاؤك؟

فقالت: خوفًا من الله عزّ وجل.

ثم قالت لى: يا هذا إن أنت تركتنى لله دعوت الله لك ألا يعذّبك بالنار فى الدنيا والآخرة.

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما عندى وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفًا من الله عزّ وجل.

فلمّا فارقتنى غلبتنى عينى فنمت فرأيت امرأة لم أرقطّ أحسن منها وجهًا وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لى: جزاك الله عنا خيرًا.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أم الصِّبية التى أتتك وتركتها خوفًا من الله عزّ وجل لا أحرقك الله بالنار فى الدنيا ولا فى الآخرة.

فقلت لها: من أى نسل يرحمك الله؟

فقالت: من نسل رسول الله -ﷺ-.

فتذكرتُ قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

ثم أفقتُ من نومى ومن ذلك الوقت لم تعدو علىَّ النار وأرجو أن لا تعدو علىَّ فى الآخرة».

قلت: الكرامة ثابتة.. ولقد ثبت أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رأى تميمَ الدارى -رضي الله عنه- وهو يحوش النار بيده(٢)!! والله على كل شىء قدير.

(حكاية):

قال الإمام الذهبى فى كتابه «الكبائر»:

«ومما حُكى عن بعض السلف، قال:

كنتُ فى بداية أمرى مكبًّا على المعاصى وشرب الخمر، فظفرت يومًا بصبىَ يتيم فقير، فأخذتهُ وأحسنتُ إليه وأطعمتهُ وكسوته وأدخلتهُ الحمام وأزلتُ شعثه، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبتُّ ليلة بعد ذلك

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) راجع قصة «تميم الدارى» فى كتابنا: «صور ومواقف من حياة الصحابة» ط. المكتبة التوفيقية.

فرأيتُ فى النوم أن القيامة قامت ودُعيتُ إلى الحساب، وأُمر بى إلى النار لسوء ما كنتُ عليه من المعاصى، فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرّونى سحبًا إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق، وقال:

خلّوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى، فإنه قد أحسن إلىّ وأكرمنى.

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلّوا عنه فقد وهبتُ له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظتُ وتبتُ إلى الله عز وجل، وبذلتُ جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام»(١).

مخالطة اليتيم:

أباح الله لأولياء اليتامى أن يخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رفعًا للحرج ودفعًا للمشقة بشرط أن يكون ذلك بقصد الإصلاح وتوخّى العدل فى القسمة بقدر الإمكان.

فقال جلّ شأنه: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(٢).

روى أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال:

لما أنزل الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾(٣).
و﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا** ﴾(٤).

---

(١) الكبائر (٧٠).

(٢) سورة البقرة: ٢٢٠.

(٣) سورة الإسراء: ٣٤.

(٤) سورة النساء: ١٠.

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له، حتى يأكله، أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله -ﷺ- فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ[١] إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه.

فقد دلت هذه الآية على جواز التصرف فى مال اليتيم بما فيه مصلحته العاجلة أو الآجلة من بيع وشراء وغير ذلك فيجوز لولى اليتيم أن يتجر له فى ماله فيجعل لنفسه من الربح بقدر عمله لو اتجر فى مال شخص آخر ويباح له أن يبنى له داره أو يهدمها إن كان فى هدمها مصلحة تعود على اليتيم[٢].

قال العلماء: فكل ولى ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٣].

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها: إنه الأخذ على وجه القرض.

والثانى: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً.

والرابع: إنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو فى حلٍّ وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزىّ فى «تفسيره»[٤].

---

(١) لأعنتكم: أى لضيّق عليكم فى أمر اليتامى.

(٢) الفقه الواضح (٢/ ١٨٢).

(٣) سورة النساء: ٦.

(٤) الكبائر (٦٩).

وقال الدكتور/ **محمد بكر إسماعيل** -حفظه الله-:

«اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز لولى اليتيم إن كان غنيًا أن يأخذ من مال يتيمه شيئًا لقوله تعالى:

﴿**وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾ والاستعفاف عن الشيء تركه، والعفة هى الامتناع عمّا لا يحل فعله، واختلفوا فى الفقير على سبعة أقوال أو أكثر وخلافهم يرجع إلى مفهوم قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾.

١- فقال جماعة منهم: يباح للفقير أن يأكل من مال اليتيم بقدر حاجته الضرورية وحملوا الآية على ظاهرها مستدلين بما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن رجلاً أتى النبىّ -ﷺ- فقال: إنى فقير ليس لى شىء ولى يتيم.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل**» أى ولا جامع مال لك ولأولادك من ماله، أو لا تأكل من ماله وتوفّر مالك لتدخره لأولادك، يقال مال مأثول، أى مجموع له أصل واستدلوا أيضًا بما فى «صحيح مسلم» أن عائشة -رضي الله عنها- قالت فى تفسير الآية: نزلت فى ولى اليتيم الذى يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجًا جاز له أن يأكل منه وهذا قول أكثر أهل العلم.

٢- وقال بعضهم: لا يجوز لولى اليتيم أن يأكل من مال يتيمه شيئًا حتى ولو كان فقيرًا.

وقالوا فى تفسير الآية: المراد التوسعة على اليتيم إذا كان ذا مال كثير والإنفاق عليه بقدر الضرورة إن كان ذا مال قليل وهذا القول غير صحيح لأن المخاطب فى الآية هم الأولياء وليس اليتامى لأنهم ليسوا من أهل الخطاب لصغرهم.

٣، ٤- وانقسم الذين أباحوا للفقير الأكل من مال اليتيم بقدر الحاجة إلى قسمين:

(أ) فريق يرى أن ما يأكله الولى من مال اليتيم فى حال فقره يكون قرضًا فى ذمته متى أيسر ردّه وإذا حضرته الوفاةُ أوصى ورثته بسداده بهذا قال ابن عباس وعمر بن الخطاب وعبيدة وابن جبير والشعبى ومجاهد وأبو العالية وغيرهم.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «ألا إنى أنزلتُ نفسى من مال الله منزلة الولى من مال اليتيم، إن استغنت استعففتُ وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف فإذا أيسرت قضيتُ».

(ب) والفريق الأخر يرى أن ما أكله الولى من مال اليتيم فى حالة فقره لا يجب عليه قضاؤه إذا أيسر ما دام قد أخذ منه بقدر الضرورة الملحة، فهو طعمة من الله له فى نظير حفظه لليتيم وخدمته له وهو قول الحسن البصرى وعطاء والنخعى وغيرهم.

قال القرطبى: «والدليل على صحة هذا القول إجماع الأمة على أن الإمام للمسلمين لا يجب عليه غُرم ما أكل بالمعروف لأن الله تعالى قد فرض سهمه فى مال الله فلا حجة لهم فى قول عمر: فإذا أيسرت قضيت - ولو صح»(١) ا.هـ.

٥- وقال جماعة من الفقهاء: يجوز للفقير أن يأكل من نتاج مال اليتيم لا من أصله فينتفع بركوب دابته مثلاً والشرب من لبنها وما يتبقى من طعامه بحيث لو بقى لوجبة أخرى لتلف.

ونحو ذلك من الأشياء التى لا تضر بأصل المال ولا تنقص من قدره وقيمته.

٦- وقال بعض الفقهاء فى تفسير الآية: المراد أن يأكل الوصى بالمعروف من مال نفسه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم فيستعفف الغنى بغناه، والفقير يقتر على نفسه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم.

---

(١) تفسير القرطبى (٥/ ٣٨).

قال النحاس: وهذا من أحسن ما روى فى تفسير الآية لأن أموال الناس محظورة لا يطلق شىء منها إلا بحجة قاطعة.

٧- وذهب جماعة إلى أنه إذا كان لليتيم مال كثير يشغل وليه عن كسب قوته بسبب القيام بصيانته والاتجار فيه ونحو ذلك. جاز له أن يأخذ من ماله أجرة عمله بالمعروف ما دام محتاجًا إليها ويستحب أن يكل تقديرها لأهل الحل والعقد من الصالحين المحيطين به وهذا القول جدير بالاعتبار.

وأحسن منه وأصح القول بأن يأخذ الفقير من مال اليتيم دَيْن فى ذمته متى أيسر ردّه، فهو القول الذى تطمئن إليه النفس بحق والله أعلم(١).

اختبار اليتيم قبل تسليم ماله إليه:

ويجب على ولى اليتيم أن يختبر اليتيم الذى يكفله إذا قارب البلوغ فيعطيه شيئًا من ماله ليتجر فيه أو ليعمل به من الأعمال ما يناسبه ويربحه، فإن رآه يحسن التصرف فى البيع والشراء والأخذ والعطاء دفع إليه ماله كاملاً وأشهد على ذلك حتى تبرأ ذمته وتنزه ساحته وحتى لا يكون لليتيم حجة فى اتهامه بأخذ شىء من ماله بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾(٢).

فإذا بلغ اليتيم ولم يظهر منه الرشد وهو حُسْن التصرف لا يسلم إليه الولى ماله ولو بلغ أربعين سنة خلافًا لأبى حنيفة فإنه يرى أن الولى يجب

(١) الفقه الواضح (٢/ ١٨٢ - ١٨٤).
(٢) سورة النساء: ٦.

عليه أن يسلم إليه ماله إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة، سواء ظهر منه الرشد أم لم يظهر.

حكم الإشهاد عند تسليم المال:

يرى جمهور الفقهاء أن الإشهاد على تسليم المال إلى اليتيم بعد بلوغه الرشد واجب دفعًا للتهمة، كما هو ظاهر الآية فالأوامر فى الآيات السابقة كلها للوجوب.

ويرى طائفة من الفقهاء أن الإشهاد مستحب لأن الشأن فى ولى اليتيم أن يكون أمينًا موثوقًا بدينه وأمانته وعدالته.

هذا ويستحب أن يقول الولى عند تسليم المال إلى اليتيم قولاً سديدًا تطيب به نفسه كأن يقول: لقد بلغت رشدك وصرت رجلاً فاضلاً عاقلاً ذكيًّا وأنا ما قصرتُ فى واجبك، ومع ذلك فلستُ صاحب فضل عليك وأرجو السماح والعفو منك إن كان قد صدر منى ما يؤذيك ونحو ذلك من الكلام الطيب.

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾[١][٢].

الصالحون واليتامى:

حمل التاريخ إلينا قصصًا واقعية قدم فيها الصالحون أمثلة طيبة فى الإحسان إلى اليتامى والأرامل:

الإمام زين العابدين والأرامل:

عن أبى حمزة الثمالى، أن علىّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتّبع به المساكين فى الظلمة، ويقول:

(١) سورة النساء: ٩.

(٢) الفقه الواضح (٢/ ١٨٥).

إن الصدقة فى سواد الليل تُطفئ غضب الرب"[١].

وعن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علىّ بن الحسين، فقدوا ذلك الذى كانوا يؤتون بالليل[٢] وعن عمرو بن ثابت، قال:

لما مات علىّ بن الحسين، وجدوا بظهره أثرًا مِمَّا كان ينقل الجُرُبَ بالليل إلى منازل الأرامل!![٣].

وقال شيبة بن نعامة: لـمّا مات علىٌّ وجدوه يعول مائة أهل بيت!

الإمام أحمد الرفاعى والأرامل:

أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ الذهبى فى «السير» (٢١/ ٧٨-٨٠) كان -رحمه الله- يجمعُ الحطب ويجىء به إلى بيوت الأرامل، ويملأ لهم بالجرَّة!!

هكذا كان السلف الصالح.. فأين نحن اليوم منهم؟!

(١) الحلية (٣/ ١٣٥). وعلى بن الحسين هو: زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب -رضي الله عنه أجمعين-.
(٢)، (٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣).

الحق السابع والثامن:

حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها

الحق السابع والثامن:

حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها

أولا: حق الزوج على زوجته:

«تمهيد»

الزواج من السنن التى سنها الله تعالى بين جميع المخلوقات.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

والزواج من سنن الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(٢).

وروى الترمذى بإسناد حسن عن أبى أيوب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أربع من سنن المرسلين: الحناء(٣)، والتعطر، والسواك، والنكاح»**.

وفى «الصحيحين» عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبى -صلى الله عليه وسلم- فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبى -صلى الله عليه وسلم- وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا!

---

(١) سورة يس: ٣٦.

(٢) سورة الرعد: ٣٨.

(٣) وفى رواية: «**الحياء**» بدلاً من «**الحناء**».

وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا!

وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا!!

فجاء رسول الله -ﷺ- إليهم، فقال:

«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

ونهى الإسلام عن الرهبانية.. فقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأبى الزوائد «ما يمنعك من الزواج إلا عجز أو فجور».

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «لو لم يبق من أجلى إلا عشرة أيام وأعلم أنى أموت فى آخرها يومًا ولى طول نكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة».

وقال الإمام أحمد -رضي الله عنه-: «ليست العزوبة من أمر الإسلام فى شىء.. ومن دعاك إلى غير التزوج فقد دعاك إلى غير الإسلام»(١).

وحين سنَّ الإسلام الزواج وحث عليه وضع ميزانًا قويمًا لاختيار الزوجين فقدّم الدين والأخلاق أولاً:

● قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(٢).

قال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس: رغبهم الله فى التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى، فقال:

﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(٣).

وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن عبد العزيز، قال:

---

(١) قضايا تهم المرأة ص٩.

(٢) سورة النور: ٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٩).

بلغنى أن أبا بكر الصِّديق -رضي الله عنه- قال:

«أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ رواه ابن جرير[(١)].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف، والكاتب يريد الأداء، والغازى فى سبيل الله**»[(٢)].

● وروى ابن ماجه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله -عزّ وجل- خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسه وماله**».

● وعن ثوبان -رضي الله عنه- قال:

لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾[(٣)]. قال:

كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أُنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أىُّ المال خيرٌ فنتَّخذه؟

فقال: «**أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تُعينهُ على إيمانه**»[(٤)].

ولم يُسقطْ الإسلامُ الجمالَ والمالَ والأحساب من حساباته.. فلقد دعا إلى النظر فى ذلك بعد الدين والخلق:

خطب المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- امرأة.. وأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له: «**هل نظرت إليها؟**».

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٩).

(٢) **حسن**: رواه أحمد وغيره.

(٣) سورة التوبة: ٣٤.

(٤) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٤٧٠).

قال: لا.

قال: «**اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» رواه النسائي وغيره.

وقال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغمّ»(١).

وكان النبي -ﷺ- إذا خطب امرأة يسأل عن نظافتها في نفسها وبدنها.. فكان يرسل بعض نسائه من الأقرباء ليتعرفن على بعض ما يخفى من العيوب فيقول لها:

«**شُمّي فمها، شمّي إبطيها، انظري إلى عرقوبيْها**» رواه أحمد وغيره.

وقال العرب: لا تنكحوا من النساء ستة:

لا أنانة، ولا منانة، ولا حنانة، ولا تنكحوا حدّاقة، ولا برّاقة، ولا شداقة(٢).

والأنانة: التي تكثر الأنين والشكوى كل ساعة.

والمنانة: التي تمن على زوجها بجمالها، أو بمالها أو بحسبها.

والحنانة: التي تحن إلى زوجها الأول.. أو إلى أهلها.

والحداقة: التي تنظر إلى كل شيء فتشتهيه.. فتحمّل زوجها مالا يطيق.

والبراقة: التي تنظر إلى الطعام نظرة استقلال، فتأكل وحدها.. وتغضب عليه.

والشداقة: الثرثارة.. كثيرة الكلام.. بذيئة اللسان.

وكما نظر الإسلام إلى حسن اختيار الزوجة، نظر إلى حسن اختيار الزوج.

---

(١) فقه السنة (٢/ ١٢٠).

(٢) تربية الأولاد. د. محمود محمد عمارة ص ٣٢.

قال -ﷺ-: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير**»(١).

وقال -ﷺ-: «**تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاءَ وأنكحوا إليهم**»(٢).

وقال الإمام الشّعْبيُّ -رحمه الله تعالى-:

«من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»(٣).

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: «النكاح رقّ فلينظر أحدكم أين يضع كريمته».

وقال رجل للحسن بن علي -رضي الله عنهما-:

إن لي بنتًا فمن ترى أن أزوجها له؟

قال: زوجها مِمَّن يتقي الله فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلْمها وتجاوب الإسلام مع فطرة المرأة وميولها فدعاها لاختيار من يقع في نفسها وقلبها موقعًا حسنًا:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه-:

«لا تزوّجوا بناتكم من الرجل الدميم، فإنّه يُعْجَبُهُنَّ منهمْ ما يعجبهم مِنْهنّ»(٤).

آفات النكاح وفوائده:

فمن آفاته:

١- العجز عن طلب الحلال: فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد، لا سيما

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه ابن حبان موقوفًا على الشعبيّ بإسناد صحيح.

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه وغيره، وقال الألباني: صحيح. صحيح الجامع (٢٩٢٨).

(٤) فقه السنة (٢/ ٢٠).

فى هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببًا فى التوسع للطلب والإطعام من الحرام، وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب فى أمن من ذلك، وأما المتزوج ففى الأكثر يدخل فى مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه... **ويقال:**

«إن أول ما يتعلّق بالرجل فى القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم، فيقتصّ لهم منه».

وقال بعض السلف:

«إذا أراد الله شرًّا سلط عليه الدنيا أنيابًا تنهشه -يعنى العيال-».

(وَرُوِى) عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيِّرونه بالفقر ويكلِّفونه ما لا يطيق، فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فَيَهْلَكَ**»(١).

٢- القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى فى العموم فإنّ القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى، وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفى هذا أيضًا خطر، لأنه راع ومسئول عن رعيته.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت**» رواه مسلم.

وَرُوِى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضراً فهو بمنزلة هارب، فقد قال تعالى:

﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾(٢).

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الخطابى فى «العزلة» بنحوه وضعّفه العراقى. هامش الإحياء (٢/ ٢٤).

(٢) سورة التحريم: ٦.

ولذاك اعتذر إبراهيم بن أدهم -رحمه الله تعالى- وقال:

لا أغرّ امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن: أى من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه.

وكذلك اعتذر بشر الحافى، وقال:

يمنعنى من النكاح قوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾(١). وكان يقول:

لو كنتُ أعول دجاجة لخفتُ أن أصير جلادًا على الجسر.

فهذه آفة عامة أيضًا وإن كانت دون عموم الأولى، لا يسلم منها إلا حكيم عاقل، حسن الأخلاق، بصير بعادات النساء، صبور على لسانهن، وقّاف عن اتباع شهواتهن، حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن، ويدارى بعقله أخلاقهن، والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدّة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادًا من هذا الوجه لا محالة، فالوحدة أسلم له.

٣- أن يكون الأهل والولد شاغلاً له عن الله تعالى وجاذبًا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشئوم على صاحبه، ولستُ أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور، فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان فى التمتع بهن، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب، فينقضى الليلُ والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر فى الآخرة والاستعداد لها، ولذلك قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-:

«من تعوّد أفخاذ النساء لم يجئ منه شىء».

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

فوائده:

للنكاح فوائد كثيرة، منها:

١- الولد: وهو الأصل وله وضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس(١).

٢- التحصّن من الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر، وحفظ الفرج.

وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال:

هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة؟

فقالوا: يصيبنا من ذلك كثير.

فقال: لو رضيتُ فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت، لكنى ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى إلا نفذته. فأستريح وأرجع إلى شغلى، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبى معصية!!.

وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين:

ما الذى تنكر منهم؟

قال: يأكلون كثيرًا.

قال: وأنت أيضًا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون.

قال: ينكحون كثيرًا.

قال: وأنت أيضًا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون.

---

(١) راجع فوائد الولد فى «حق الأبناء على الآباء» فى كتابنا هذا.

وكان الجنيد -رحمه الله تعالى- يقول:

أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت، فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب، ولذلك أمر رسول الله -ﷺ- كلّ من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسُهُ أن يجامع أهله(١)، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس.

٣- ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها، فلو كلّفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت، وإذا روّحت باللّذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت، وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب، وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(٢).

وقال علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«روّحوا عن القلوب ساعة فإنها إذا أُكرهت عَميَت».

وقال -ﷺ-: **«لكل عامل شرّةٌ ولكل شرّةٍ فَتْرَةٌ فمن كانت فَتْرَتهُ إلى سُنّتى فقد اهْتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلكَ هَلَك»**(٣).

والشرَّة: الجدّ والمكابدة بحدّة وقوة، وذلك فى ابتداء الإرادة،

والفترة: الوقوف للاستراحة، وكان أبو الدرداء -رضي الله عنه- يقول:

إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو(٤) لأتقوّى بذلك فيما بعد على الحق.

---

(١) **إسناده جيد**: أخرجه أحمد من حديث أبى كبشة الأنمارى، حين مرّت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال: فكذلك فافعلوا، فإنه من أماثل أفعالكم إتيان الحلال.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٩.

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبى عاصم وابن حبان فى «صحيحه». وقال الألبانى: صحيح. انظر: ظلال الجنة (٥١).

(٤) يقصد: اللهو المباح.

٤- تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذّر عليه العيش فى منزله وحده، إذ لو تكفّل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرّغ للعلم والعمل، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريقة، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغّصات للعيش، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى -رحمه الله-:

«الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرّغك للآخرة».

وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعًا.

٥- مجاهدة النفس ورياضيتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدِّين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فإنها رعاية وولاية، والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم... وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط، ولا من صبر على الأذى كمن رفّه نفسه وأراحها، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله.

قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى- وهو مع إخوانه فى الغزو:

«تعلمون عملاً أفضل مِمّا نحن فيه؟

قالوا: ما نعلم ذلك.

قال: أنا أعلم.

قالوا: فما هو؟

قال: رجل متعفّف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا منكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل مما نحن فيه!!».

فهذه مجامع الآفات والفوائد، فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقًا قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرًا ومحكمًا ويعرض المريد عليه نفسه، فإن انتفت فى حقّه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجدّ فى الدين كان لا يشغله النكاح عن الله، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة، فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد، فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له، وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به. . . فإن قلت: فمن أمن الآفات فما الأفضل له. التخلى لعبادة الله، أو النكاح؟. فأقول:

يجمع بينهما، لأن النكاح ليس مانعًا من التخلى لعبادة الله»(١).

وبعد هذا التمهيد. . نشرع بإذن الله تعالى فى بيان المقصود:

حق الزوج على زوجته:

أشارت الأحاديث النبوية إلى مكانة الزوج وعِظَمِ حقه على زوجته:

فعن عائشة -رضي الله عنها-، قالت:

أتت فتاة إلى النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، فقالت:

يا رسول الله إنى فتاة أُخطب فأكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟

قال: «**لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته(١) ما أدت شكره!!**»(٢).

---

(١) الإحياء (٢/ ٢٤ - وما بعدها) بتصرف.

(٢) أى بلسانها.

(٣) رواه الحاكم بإسناد صحيح.

وقال - ﷺ -:

«حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فلحستها أو انتشر منخراه صديدًا أو دمًا ثم ابتلعته ما أدت حقّه»(١).

وقالت عائشة - رضي الله عنها -:

«يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكم تمسح الغبار عن قدمى زوجها بخدّ وجهها!!».

فالله تعالى جعل زوج المرأة سترًا لها فى هذه الدنيا.. روى الطبرانى فى «الصغير» عن ابن عباس، قال:

قال رسول الله - ﷺ -: **«للمرأة ستران»** قيل: ما هما؟

قال: **«الزوج والقبر»**(٢).

من أجل ذلك وغيره شرع الإسلامُ حقوقًا للزوج على زوجته.. من هذه الحقوق:

الحق الأول: حسن طاعته:

أوجب الإسلام على المرأة طاعة زوجها فى غير معصية الله تعالى(٣)..

● قال - ﷺ -: **«لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»** رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب(٤).

● وقال - ﷺ -: **«ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة:**

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد ورواته ثقات، وابن حبان فى «صحيحه» (٣/ ٧٤).

(٢) سكت العراقى على إسناده فى تحقيقه للإحياء.

(٣) فلو أمرها بالتعرّى.. وخلع الحجاب -مثلاً- أو نهاها عن الصلاة.. فلا تسمع له ولا تطيع لقوله - ﷺ -: **«إنما الطاعة فى المعروف»** ولقوله: **«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»**.

(٤) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٧٩٩).

العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم.

والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها.

والسكران حتى يصحو» رواه الطبرانى وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما.

● وروى أحمد والطبرانى وابن حبان فى «صحيحه» عن النبى -ﷺ- أنه قال: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وأطاعت زوجها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت**».

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«النكاح نوع رقّ، فهى -أى المرأة- رقيقة له، فعليها طاعة الزوج مطلقًا فى كل ما طلب منها فى نفسها ممّا لا معصية فيه»(١) ا.هـ.

الحق الثانى: الاعتراف بفضله وإحسانه إليها:

فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن رسول الله -ﷺ- قال:

«**لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى المرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تَسْتَغْنى عنه**» رواه النسائى والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح.

● وروى البخارى عن النبى -ﷺ- أنه قال:

«**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

قالوا: بم يا رسول الله؟

قال: «**بكفرهن**».

قيل: يكفرن بالله؟

قال: «**يكَفُرْنَ العشير**(٢) **فتكفرن الإحسان، ولو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قطّ**».

---

(١) الإحياء (٢/ ٥٦).

(٢) العشير: الزوج المعاشر.

● وعن أبى أمامة -رضي الله عنه-، قال:

ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النساء، فقال:

«حاملات، والدات، رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتُهن الجنة»(١).

● وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«ألا أخبرُكم برجالكم فى الجنة؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «النبىّ فى الجنة، والصِّدِّيق فى الجنة، والرَّجلُ يزور أخاه فى ناحيةِ المصْرِ لا يزوره إلا الله فى الجنة».

«ألا أخبركم بنسائكم فى الجنة؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «ودودٌ ولودٌ إذا غَضبت أو أُسىءَ إليها أو غَضِبَ زوجُها. قالت: هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغَمْضٍ حتى تَرْضى»(٢).

الحق الثالث: أن لا تمنعه نفسها:

● فعن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبانَ عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» متفق عليه.

وفى رواية: «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها» متفق عليه.

● وروى ابن ماجه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه والحاكم، وانظر: ضعيف الجامع (٢٦٨٧).

(٢) حسن: رواه الطبرانى، وانظر: صحيح الجامع برقم (٢٦٠٤).

قال رسول الله - ﷺ - : «**ثلاثة لا ترتفع صلاتُهم فوق رءوسهم شبرًا:**
رجل أمَّ قومًا وهم له كارهون.
وامرأةٌ باتت وزوجها عليها ساخط.
وأخوان متصارمان».

● وقال - ﷺ - : «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التّنور**»(١).

قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحلّ لها أن تجيئه، ولا يحلّ للرجل أيضًا أن يطلب ذلك منها فى حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل، لقول الله تعالى:

﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾(٢). أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن.

قال ابن قتيبة: يطهرن: ينقطع عنهن الدم فإذا تطهرن أى اغتسلن بالماء، والله أعلم.

ولقول النبى - ﷺ - : «**من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٣).

والنفاس مثل الحيض... فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها فى حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك، وينبغى للمرأة أن تعرف أنها المملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٩٢٧).
(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/٤٠٨) وقال الألبانى: صحيح.

قال الأصمعي:

«دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل -أي زوج- قبيح فقلت لها:

كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟

فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي»(١).

الحق الرابع: لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كارهٌ، ولا تَخْرجَ وهو كارهٌ، ولا تطيعَ فيه أحدًا، ولا تَعْزِلَ فراشه، ولا تَضْربه، فإن كان هو أظْلَم فلتأته حتى تُرْضِيَه، فإن قبَل منها فبها ونَعِمَتْ، وقبَل الله عُذْرها وأفْلَجَ(٢) حجَّتَها ولا إثم عَليها، وإنَ هو لم يَرْضَ، فقَد أبْلَغَتْ عَند الله عُذْرَها»(٣).

وفي حديث جامع لحقوق الزوج.. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

إن امرأةً من خَثْعم أتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت:

يا رسول الله أخبرني ما حقُّ الزوج على الزوجة فإني امرأةٌ أيِّمٌ (أي: لا زوج لها) فإن استطعتُ، وإلاّ جلستُ أيِّمًا.

قال: **«فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهي على ظهر قَتَب(٤) أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوّعًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يُقْبلُ منها، ولا تَخْرُجُ من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكَة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع»**.

---

(١) الكبائر (٢٠١).

(٢) أفلج: أي أظهر حجّتها وقوّاها.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. المجمع (٤/ ٣١٣).

(٤) ظهر بعير.

قالت: لا جَرَم، ولا أتزوّج أبدًا» رواه الطبرانى وإسناده فيه ضعف، وإنما سقناه لأنه يشمل حقوقًا لها شواهد صحيحة.

هذا، وخروج المرأة بغير إذن زوجها أو سفرها بغير محرم لها يترتب عليه من المفاسد ما لا يخفى.. وخصوصًا فى هذه الأيام.. التى تمشى الرذائلُ فيها رافعة رأسها بغير حياء.. بينما تمشى الفضائل فيها على استحياء!!.

فلابد من إحكام قبضة الرجل على أهل بيته.. وويل لبيتٍ استنوق فيه الجمل.

الحق الخامس: الصيانة والستر حتى بعد وفاته!:

فيجب على المرأة أن تحفظ عورتها إلا من زوجها.. وأن تظل راعية لحق زوجها فى ذلك حتى بعد مماته، فلا تتبرج بعده، ولا تهتك الستر الذى بينها وبين ربها.

قال -ﷺ-: **«ثلاثة لا تسأل عنهم(١):**

رجلٌ فارق الجماعة وعَصى إمامه ومات عاصيًا.

وأمة أو عبد أبق فمات.

وامرأة غاب عنها زوجها(٢) قد كفاها مئونة الدنيا، فتبرجت من بعده فلا تسأل عنهم»(٣).

ويجب على الزوج أن يلزمها بالتستر والحجاب.. ولا يدعها تخرج عارية إلى الشارع ينظر إليها الغادى والرائح.. فمن جعل نفسه عَظْمًا أكلته الكلاب.

---

(١) يعنى لأنهم من الهالكين.

(٢) أى: بسبب سفر أو موت.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم، وقال الألبانى: صحيح. جلباب المرأة المسلمة ص ١١٩.

الحق السادس: لا تأذن فى بيته لمن يكره:

فعن عمرو بن الأحوص الجُشمىّ -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى حجّة الوداع يقول: «بعد أن حمد الله وأثنى عليه» وذكر ووعظ. ثم قال:

«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هُنَّ عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلاّ أن يأتين بفاحشة مبِّينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربًا غير مُبرِّح فإنْ أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فحقكم عليهن أنِ لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهنّ عليكم أن تُحسنوا إليهنّ فى كسوتهنّ وطعامهنّ»[(١)].

الحق السابع: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حرامًا، وهكذا كانت عادة النساء فى السلف:

كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته:

إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضُّرّ ولا نصبر على النار!.

وهمّ رجل من السّلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته:

لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟

فقالت: زوجى منذ عرفته عرفته أكّالاً وما عرفتهُ رزّاقًا، ولى رَبٌّ رزاق: يذهب الأكّال ويبقى الرزّاق[(٢)].

الحق الثامن: أن تحفظ لسانها عنه، ولا تستطيل به عليه:

قيل لأعرابى مجرّب: صف لنا شرّ النساء.

فقال: «شرّهن السريعة الوثبة، كأن لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكى من غير سبب، وتدعو على زوجها بالحَرَب (بالهلاك)، أنف

---

(١) حسن: انظر: صحيح سنن ابن ماجه (١٥٠١).

(٢) الإحياء (٢/٥٨).

فى السماء، وإست(١) فى الماء، كلامها وعيد، وصوتهُا شديد، تدفن الحسنات وتفشى السيئات. تعين الزمان على بَعْلها ولا تعين بعلها على الزمان، ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت. كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء(٢)، تأكل لمًّا(٣)، وتوسع ذمًّا، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكى فى المجامع، بادية من حجابها، نبّاحة عند بابها وهى ظالمة، وتشهد وهى غائبة، قد دلى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور، وعظائم الأمور».

الحق التاسع: أن لا تفرّط فى ماله بل تحفظه عليه:

قال رسول الله - ﷺ -:

«لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرّطب من الطعام الذى يخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثلُ أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر» أخرجه أبو داود.

الحق العاشر: أن تتزيَّن له:

فتزين المرأة لزوجها عبادة.. فإنها تعفّه وتعينه على إحصان نفسه.. وما أجمل وصية «أسماء بنت خارجة الفزارى» عندما قالت لابنتها عند التزوّج:

«إنك خرجت من العشّ الذى فيه دَرَجْت فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أرضًا يكن لك سماء، وكونى له مهادًا يكن لك عمادًا، وكونى له أمَة يكن لك عبدًا، لا تلحفى به فيقلاك(٤)، ولا تباعدى عنه فينساك، إن دنا منك فاقربى منه، وإن نأى فأبعدى عنه، واحفظى أنفه

(١) الإست: العَجُز أو حلقة الدبُّر.

(٢) قليلة الإرعاء: أى قليلة الرعاية والعناية.

(٣) لمًّا: أى كثيرًا.

(٤) يقلاك: يبغضك.

وسمعه وعينه، فلا يشمَّن منك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا ولا ينظر إلا جميلاً».

وقال رجل لزوجته:

خذى العفو منّى تستديمى مَودَّتى ... ولا تنطقى فى سَوْرتى حين أَغْضب
ولا تنقرينى نقرك الدفّ مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيّب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلّب
فإنى رأيتُ الحبَّ فى القلبِ والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبثِ الحبّ يذهب

والقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل:

أن تكون قاعدة فى قعر بيتها... لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها فى غيبته، وتطلب مسرته فى جميع أمورها، ولا تخونه فى نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريبٌ صوتها أو يعرفها بشخصها، لا تتعرّف إلى صديق زوجها فى حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها، قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقّه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة فى نفسها، مشفقة على أولادها، قصيرة اللسان عن سبّ الأولاد ومراجعة الزوج.. فقد روى معاذ بن جبل عن النبى -ﷺ- أنه قال:

«لا تؤذى امرأةٌ زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيلٌ يوشِكُ أن يفارقك إلينا»(١).

ويجب على المرأة -أيضًا- دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدّامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٩٣٧).

جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة، وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته، وتركها الغيبة، وإكرام أهله وأقاربه، وترى القليل منه كثيراً.

قال -ﷺ-: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»**. رواه الترمذى وقال: حسن غريب.

«وفاء زوجة»:

لـمّا مات أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن أم الدرداء -رضي الله عنها-، خطبها معاوية ابُن أبى سفيان -رضي الله عنه- فرفضته، وكان لرفضها سبب:

يروى جبير بن نُفير عن أم الدرداء، أنها قالت لأبى الدرداء عند الموت(١):

إنكَ خطبتنى إلى أبوىّ فى الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك فى الآخرة، قال:

فلا تنكحين بعدى. فخطبها معاوية فأخبرته بالذى كان، فقال:

عليك بالصيام(٢).

ثانيًا: حق الزوجة على زوجها

الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها منها:

الحق الأول: المَهْر:

من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها، أن أعطاها حقَّها فى التملُّك إذ كانت فى الجاهلية مهضومة الحق مهيضة الجناح، حتى إن وليَّها كان

(١) أى عند موت أبى الدرداء.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٢٧٨).

يتصرف فى خالص مالها، لا يدع لها فرصة التملُّك، ولا يُمكِّنها من التصرف. فكان أن رفع الإسلامُ عنها هذا الإصْر، وفرض لها المهر، وجعله حقًا على الرجل لها وليس لأبيها، ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئًا منها إلاّ فى حال الرضا والاختيار. قال تعالى:

﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾(١).

وهذا المهر المفروض للمرأة، كما أنه يحقِّق هذا المعنى، فهو يُطيِّب نفس المرأة ويُرْضيها بقوامة الرجل عليها. قال تعالى:

﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾(٢). مع ما يضاف إلى ذلك من توثيق الصِّلات، وإيجاد أسباب المودة والرحمة.

وحذَّر الإسلامُ الزوجَ من عاقبة هضم حق المرأة فى المهر:

قال رسول الله -ﷺ-: «**أيما رجل تزوج امرأةً على ما قلّ من المهر أو كثر وليس فى نفسه أن يؤدِّى إليها حقها خدعها فمات ولم يؤدِّ إليها حقها لقى الله يوم القيامة وهو زان، وأيّما رجل استدان دَيْنًا وهو لا يريد أن يؤدى إليه حقه خدعه حتى أخذ ماله لقى الله وهو سارق**»(٣).

قدر المهر:

لم يجعل الإسلام حدًّا لأقل المهر ولا حدًّا لأكثره بل وكّل ذلك للعرف الشائع بين الناس، إذ يختلفون فى الغنى والفقر... ولكل جهة عاداتها وتقاليدها.

والنصوص الشرعية جعلت المهر من كل شىء له قدر وقيمة فليس من

---

(١) سورة النساء: ٤.

(٢) سورة النساء: ٣٤.

(٣) رواه الطبرانى فى «الأوسط» و«الصغير» ورجاله ثقات من حديث ميمون الكردى عن أبيه.

الضروري أن يكون مالاً بل يجوز أن يكون منفعة من المنافع الدينية أو الدنيوية:

● فعن عامر بن ربيعة أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين!! فقال رسول الله -ﷺ-:

«**أرضيت عن نفسك ومالك بنعلين؟**».

فقالت: نعم. فأجازه»[(١)].

● وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

أن أبا طلحة الأنصاري -رضي الله عنه- خطب أم سُلَيْم[(٢)]، فقالت:

«والله ما مثلك يُردّ.. ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحلّ لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره».. فكان ذلك مهرها[(٣)].

● وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني وهبتُ نفسي لك، فقامت قيامًا طويلاً، فقام الرجل، فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله -ﷺ-:

«**هل عندك من شيء تصدقها إياه؟**».

فقال: ما عندي إلا إزاري هذا.

فقال النبي -ﷺ-: «**إن أعطيتها إزارك جلست بلا إزار لك، فالتمس شيئًا**».

فقال: ما أجد شيئًا.

فقال: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**».

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وصححه.

(٢) أمّ أنس بن مالك -رضي الله عنهما-.

(٣) **صحيح**: وهو في «الطبقات» (٨/ ٤٢٦). قال ثابت البُناني: فما سمعتُ بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سُليم الإسلام.

فالتمس فلم يجد شيئًا!!.

فقال له النبى -ﷺ-: «**هل معك من القرآن شىء؟**».

قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور يُسمِّيها، فقال النبى -ﷺ-: «**قد زوجتكها بما معك من القرآن**». متفق عليه.

كراهة المغالاة فى المهور:

إن كان الشرع لم يضع حَدًّا لأقل المهر ولا لأكثره فإنه يكره المغالاة فيها لما فى ذلك من الإحراج والتعسير، فالمغالاة فى المهور تجعل الشباب ينصرفون عن الزواج فينشأ عن ذلك من الفساد الخلقى والاجتماعى ما لا يخفى وقد يضطر الزوج إلى الاستدانة وقد يندفع إلى كسب المال بطرق غير مشروعة إلى آخر ما نراه الآن ونسمع به فى المجتمع الذى نعيش فيه، وقد أخبر النبى -ﷺ- أنه من قلّ صداقها عظمت بركتها وكثر خيرها.

قال النبى -ﷺ-: «**أيسرهن مهورًا أكثرهن بركة**»(١).

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم، وحاد عنها، وسلك مسالك الجاهلية فى التغالى فى المهور جريًا وراء المظاهر الكاذبة... وكأن المرأة سلعة تباع وتشترى.

وقد أدّى ذلك إلى كثرة الشكوى وعانى الناس من أزمة الزواج التى أضرت بالرجال والنساء على السواء ونتج عنها كثير من الشرور والمفاسد، وكسدت سوق الزواج وأصبح الحلال أصعب منالاً من الحرام!!(٢).

الحق الثانى: النفقة:

المقصود بالنفقة: توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، وخدمة، ودواء وإن كانت غنيّة. وهى واجبة بالكتاب، والسنة، والإجماع:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبيهقى بسند صحيح.

(٢) الفقه الواضح (٢/ ٣٧ - ٣٨) بتصرف.

١- قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(١).

٢- وروى مسلم أن رسول الله -ﷺ- قال فى حجة الوداع:

«فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بكلمة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرِح، ولهنّ عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف».

٣- وروى البخارى ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها-:

أن هند بنت عتبة، قالت:

يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطينى وولدى إلاّ ما أخذت منه -وهو لا يعلم- قال:

«خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف».

٤- وعن معاوية القشيرى -رضي الله عنه- قال:

قلتُ: يا رسول الله ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟

قال: **«أن تُطْعِمها إذا طعمْتَ، وتكسُوَها إذا اكْتَسَيْتَ، ولا تَضْرِب الوجه، ولا تُقَبِّحْ، ولا تَهْجُرْ إلا فى البيت»**(٢).

٥- وأما الإجماع:

فقد قال ابن قدامة -رحمه الله تعالى-:

«اتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين، إلاّ الناشز منهن. ذكره ابن المنذر وغيره. قال: وفيه ضرب من العبرة، وهو أن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من التصرّف والاكتساب، فلابد من أن يُنْفِق عليها».

---

(١) سورة الطلاق: ٦.

(٢) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن أبى داود (١٨٧٥).

الحق الثالث: حُسن معاشرتها:

أول ما يجب على الزوج لزوجته إكرامها، وحُسن معاشرتها، ومعاملتها بالمعروف وتقديم ما يمكن تقديمه إليها، ممَّا يؤلف قلبها، فضلاً عن تحمّل ما يصدر منها أو الصبّر عليه.

يقول تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾(١).

ومن مظاهر اكتمال الخُلق، ونموِّ الإيمان أن يكون المرء رفيقًا رقيقًا مع أهله، يقول الرسول -ﷺ-:

«**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم**»(٢).

وقال -ﷺ-: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلَع، وإن أعوجِ ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوْصوا بالنساء**» متفق عليه.

وفى هذا إشارة إلى أن فى خُلقُ المرأة عوجًا طبيعيًّا، وأن محاولة إصلاحه غير ممكنة، وأنه كالضِّلَع المُعْوجِّ المتقوِّس الذى لا يقبل التقويم: ومع ذلك فلابد من مصاحبتها على ما هى عليه، وذلك لا يمنع من تأديبها وإرشادها إلى الصواب إذا اعوجّت فى أى أمر من الأمور.

وقد يُغْضى الرجل عن مزايا الزوجة وفضائلها، ويتجسد فى نظره بعض ما يكره من خصالها، فينصح الإسلام بوجوب الموازنة بين حسناتها وسيئاتها، وأنه إذا رأى منها ما يكره -فإنه يرى منها ما يحب. يقول النبى -ﷺ-:

«**لا يَفْرَكْ(٣) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضى منها آخر**»(٤).

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذى. الترغيب برقم (٢٨٩٥).

(٣) لا يَفْرَك: أى لا يبغض.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢/ ١٠٩١) رقم (٦١) - (١٤٦٩) كتاب الرضاع.

«قصة من بيت النبوة»:

«جرى بين النبى -ﷺ- وبين عائشة -رضي الله عنها- كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر -رضي الله عنه- حكمًا واستشهده، فقال لها رسول الله -ﷺ-:

«تكلمين أو أتكلم؟».

فقالت: تكلم أنت ولا تقل إلاّ حقًّا!!!، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها،

وقال: يا عدوة نفسها، أو يقول غير الحق!

فاستجارت برسول الله -ﷺ- وقعدت خلف ظهره!!.

فقال له النبى -ﷺ-: **«لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا»**(١).

● وفى «الصحيحين» أن رسول الله -ﷺ- كان يقول لعائشة -رضي الله عنها-:

«إنى لأعرف غضبك من رضاك!!».

قالت: وكيف تعرفه؟

قال: **«إذا رضيتِ قلتِ: لا وإله محمدٍ، وإذا غضبتِ قلتِ: لا وإله إبراهيم»**.

قالت: «صدقتَ إنما أهجر اسمك».

● وثبت أن النبى -ﷺ- كان يسابق عائشة فى العَدْو فسبقته يومًا، وسبقها فى بعض الأيام، فقال -ﷺ-:

«هذه بتلك»(٢).

● وقالت عائشة -رضي الله عنها-:

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» وغيره وضعفه العراقى. هامش الإحياء (٢/ ٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وغيره. وصححه العراقى.

سمعتُ أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء، فقال لى رسول الله -ﷺ-:

«**أتحبين أن ترى لعبهم؟**».

قالت: قلتُ: نعم، فأرسل إليهم فجاءوا، وقام رسول الله -ﷺ- بين البابين، فوضع كفّه على الباب ومدّ يده ووضعتُ ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله -ﷺ- يقول:

«**حَسْبُكِ**». وأقول: اسكت مرتين أو ثلاثًا، ثم قال:

«**يا عائشة حسبك**».

فقلتُ: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا(١).

قال الإمام الغزالى: «لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حَدٍّ يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها، بل يراعى الاعتدال... قال الحسن: «والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبّه الله فى النار».

الحق الرابع: الاعتدال فى الغيرة:

وهو أن لا يتغافل عن مبادى الأمور التى تخشى غوائلها، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله -ﷺ- أن تتطلب عورات النساء. رواه الطبرانى فى الأوسط.

ولما قدم رسول الله -ﷺ- من سفره قال قبل دخول المدينة:

«**لا تطرقوا النساء ليلاً**». فخالفه رجلان فسبقا، فرأى كلّ واحد فى منزله ما يكره(٢).

---

(١) قال الحافظ العراقى: الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء، وإنما قال: يوم عيد، ودون قولها: اسْكت. وفى رواية للنسائى فى «الكبرى»: قلتُ: لا تعجل، مرتين.

(٢) **جيد**: رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد.

وقال رسول -ﷺ-: «**إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة**»(١).

لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم وقال علىّ ابن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك».

وأما الغيرة فى محلّها فلا بدّ منها وهى محمودة.

قال رسول الله -ﷺ-:

«**إن الله تعالى يغارُ والمؤمنُ يغارُ وغيرةُ الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ما حرَّم الله عليه**»(٢).

وكان الحسن -رحمه الله تعالى- يقول:

«أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج فى الأسواق!! قبح الله من لا يغار».

وقال رسول الله -ﷺ-:

«**إنى لغيور، وما من امرئ لا يغار إلا منكوُس القلب**»(٣).

الحق الخامس: أن يعلمها أمور دينها:

قال الإمام الغزالى: «ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها، فإنه أُمر أن يقيها النار بقوله تعالى:

﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾(٤). فعليه أن يُلَقّنها اعتقاد أهل السنة والجماعة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر الدين، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه...».

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، ولم يقل البخارى: والمؤمن يغار.

(٣) رواه أبو عمر التوقانى فى كتاب «معاشرة الأهلين» من رواية عبد الله بن محمد مرسلاً.

(٤) سورة التحريم: ٦.

الحق السادس: العدل:

إذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن، كذلك كان يفعل رسولُ الله -ﷺ-، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها، فإن القضاء واجب عليه، وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره، وقد قال رسول الله -ﷺ-: «**من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى** -وفى لفظ- **ولم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وأَحَدُ شقيَه مائلٌ**» أخرجه أصحاب السنن.

وإنما عليه العدل فى العطاء والمبيت، وأما فى الحبّ والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار.

قال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾(١).

أى: لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع، وكان رسول الله -ﷺ- يعدل بينهن فى العطاء والبيتوتة فى الليالى ويقول:

«**اللهم هذا جُهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك**»(٢).

يعنى الحب. وقد كانت عائشة -رضي الله عنها- أحب نسائه إليه(٣) وسائر نسائه يعرفن ذلك. وكان يُطاف به محمولاً فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول:

«**أين أنا غداً**». ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت:

إنما يسأل عن يوم عائشة، فقلن: يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة، فقال:

«**وقد رضيتن بذلك؟**».

---

(١) سورة النساء: ١٢٩.

(٢) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه.

(٣) متفق عليه.

فقلن: نعم.

قال: «فحولونى إلى بيت عائشة»(١).

السابع: إتيان الرجل أهله:

قال ابن حزم: «وَفُرِض على الرجل أن يجامع امرأته التى هى زوجته، وأدنى ذلك مرة فى كلّ طُهْر، إن قدَر على ذلك. وإلاّ فهو عاصٍ لله تعالى... برهان ذلك قولُ الله عزّ وجلّ:

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾(٢). وذهب جمهور العلماء إلى ما ذهب إليه ابنُ حزم من الوجوب على الرجل إذا لم يكن له عُذر.

ونصّ أحمد على أنه مُقدّر بأربعة أشهر، لأن الله قدَّره فى حق المُولى بهذه المدة، فكذلك فى حق غيره، وإذا سافر عن امرأته، فإن لم يكن له عذرٌ مانع من الرجوع فإن أحمد ذهب إلى توقيته بستة أشهر.. وسُئل: كم يغيب الرجلُ عن زوجته؟

قال: ستة أشهر يكتبُ إليه، فإن أبى أن يرجع فرّق الحاكم بينهما.. وحجته ما رواه أبو حفص بإسناده عن زيد بن أسلم، قال:

بينما عمر بن الخطاب يَحْرس المدينة، فمرّ بامرأة فى بيتها وهى تقول:

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه ... وطال علىَّ أن لا خليلَ ألاعبُهُ
والله لولا خشيةُ الله وحدهُ ... لحُرِّك منْ هذا السرير جوانبُه
ولكنَّ ربِّى والحياءُ يكفُّنى ... وأكرمُ بَعْلِى أن تُوطا مَرَاكبُهُ

فسأل عنها عمر، فقيل له:

هذه فلانة، زوجها غائبٌ فى سبيل الله، فأرسل إليها تكونُ معه، وبعث إلى زوجها، فأقفله(٣) ثم دخل على حفصة، فقال:

---

(١) رواه ابن سعد وله أصل فى «الصحيحين».

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) أقفله: أرجعه.

يا بُنيَّة.. كم تصبر المرأةُ على زوجها؟

فقالت: سبحان الله. مثلُك يسأل مِثلى عن هذا؟

فقال: لولا أنى أريد النظر للمسلمين ما سألتُك.

قالت: خمسة أشهر.. ستة أشهر.

فوقَّت للناس فى مغازيهم ستة أشهر... يسيرون شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر ويسيرون راجعين شهرًا.

وقال الغزالى: وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليالٍ مرَّة، فهو أعدل، لأن عدد النساء أربعة، فجاز التأخير إلى هذا الحد... نعم ينبغى أن يزيد أو يَنقُص حسب حاجتها فى التَّحصين، فإنّ تحصينها واجب عليه، وإن كان لا تثبُتُ المطالبة بالوطء، فذلك لعُسر المطالبة والوفاء بها.

وعند محمد بن معن الغفارىّ قال:

أتت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقالت:

يا أمير المؤمنين: إن زوجى يصومُ النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عزّ وجل.

فقال لها: نعم الزوجُ زوجُك.

فجعلت تكرِّر هذا القول ويكرِّر عليها الجواب... فقال له كعبٌ الأسدىّ:

يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه.

فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما.

فقال كعبٌ: علىَّ بزوجها فأُتى به، فقال له:

إن امرأتك هذه تشكوك.

قال: أفى طعامٍ، أو شراب؟

قال: لا، فقالت المرأة:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ رُشْدَه ... أَلْهَى خليلي عَنْ فراشي مَسْجِدُه
زَهَّدهُ في مَضْجَعي تعبُّدُه ... فاقْضِ القَضَا، كعبُ، ولا تُرَدِّدُه
نهارُه وليله ما يَرْقُدُه ... فلستُ في أَمْرِ النساء أحْمَدُه

فقال زوجها:

زهَّدني في النساء وفي الحَجَلْ ... أني امرؤٌ أذهلني ما نَزَلْ
في سورةِ النَّحلِ وفي السَّبْع الطولْ ... وفي كتابِ الله تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب:

إن لها عليك حقًّا يا رجلْ ... تصيبُها في أربعٍ لِمَنْ عَقَلْ
فأَعْطِها ذاك ... ودعْ عَنْكَ العِلَلْ

ثم قال: إن الله -عزّ وجلّ- قد أحلّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبدُ فيهن ربّك.

فقال عمر: والله ما أدري من أيّ أمَرْيك أعجب؟ أمنْ فهمك أمرَهما، أم من حكمك بينهما؟... اذهب فقد وليتك قضاء البصرة(١).

(١) فقه السنة (١/١٢٨ - ١٢٩).

الحق التاسع:

حق المسلم على المسلم

الحق التاسع:

حق المسلم على المسلم

حرص الإسلام على تقوية الرابطة بين أهل الإيمان.. وبَثَّ روح الإخوّة والمحبة بين المسلمين.. فشرع حقوقًا وآدابًا بينهم.. وحض على التمسك بها.. والاستمساك بأهدابها.. وأجزل لفاعلها الثواب.

من هذه الحقوق:

ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«حق المسلم على المسلم خمس:**

رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

وما رواه مسلم فى «صحيحه»: **«حق المسلم على المسلم ستّ»**.

قيل: وما هن يا رسول الله؟.

قال: **«إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»**.

وللترمذى وابن ماجه من حديث علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«للمسلم على المسلم ست» فذكر منها: **«ويحب له ما يحب لنفسه»** وقال:

«وينصح له إذا غاب أو شهد».

ولأحمد من حديث معاذ -رضي الله عنه-:

«وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك».

وفى «الصحيحين» من حديث البراء: أمرنا رسول الله -ﷺ- بسبع فذكر منها: «وإبرار القسم، ونصر المظلوم».

تلك عشرة كاملة.. وهى مجملة:

«أن تسلم عليه إذا لقيته، وتُجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عَطَس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرّ قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك»

هذه هى حقوق المسلم على المسلم مجملة وإليك بيانها بالتفصيل:

الحق الأول: أن تسلّم عليه إذا لقيته:

والسلام تحية أبينا آدم -عليه السلام- وتحية ذريته من بعده.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**خلق الله آدمَ على صورته ستون ذراعًا، فلمّا خلق الله، قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**» متفق عليه.

وإفشاء السلام يوصّل العبدَ إلى جنة الرحمن:

● فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه أبو داود.

● وعن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-، قال:

أوّل ما قدم رسول الله -ﷺ- المدينة انجفل[١] الناسُ إليه فكنتُ فيمن جاءه، فلمّا تأمَّلتُ وجهه واستبنته[٢] عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب. قال: فكان أوّل ما سمعتُه من كلامه أنْ قال:

«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناسُ نيام تدخلوا الجنة بسلام»[٣].

● وعن أبى مالك الأشعرى -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناسُ نيام»[٤].

أمّا كيفيته، فيقول عمران بن حصين -رضي الله عنه-:

«جاء رجل إلى النبى -ﷺ- فقال: **«السلام عليكم»**، فردّ عليه ثم جلس، فقال النبىّ -ﷺ-: **«عشْر»**.

ثم جاء رجل آخر، فقال: **«السلام عليكم ورحمة الله»**، فردّ عليه فجلس، فقال: **«عشرون»**.

ثم جاء رجل آخر، فقال: **«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»**، فردّ عليه فجلس، فقال: **«ثلاثون»**[٥].

وقوله -ﷺ-: **«عشر»** و**«عشرون»** و**«ثلاثون»** أى: حسنة، فقد روى الطبرانى من حديث سهل بن حنيف، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: **«من قال: السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة»**[٦].

---

(١) انجفل الناس: أى أسرعوا ومضوا كلهم.

(٢) استبنته: أى تحققته وتبينته.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه ابن حبان فى «صحيحه». مشكاة المصابيح (١٢٣٢).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود فى «الأدب» (٥١٩٥) وغيره.

(٦) **ضعيف**: أخرجه الطبرانى، وضعفه الشوكانى فى «تحفة الذاكرين» ص ٢٨٧.

فإذا كان فى مجلس وأراد أن ينصرف سلَّم أيضًا:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلِّم فإذا أراد أن يقوم فليست الأولى بأحق من الآخرة**»(١).

أما عن صيغة ردّ السلام:

فيقول تعالى: ﴿ **وإذَا حُيِّيتُم بِتَحيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾(٢).

قال قتادة -رحمه الله تعالى-: إن جواب التحية بأحسن منها: للمسلمين. وردّها بعينها: لأهل الكتاب، وقيل للكفار عامة. ولا دليل على هذه التفرقة من لفظ الآية ولا من السنة.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- معلقًا على قول قتادة-:

«وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم فى الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به، فإن بلغ المسلم غاية ما شرع فى السلام، رد عليه مثل ما قال، فأما أهل الذّمة فلا يبدءون بالسلام ولا يزادون، بل يرد عليهم بما ثبت فى «الصحيحين» عن ابن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليكم، فقل وعليك**».

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقه**» ا.هـ(٣).

---

(١) رواه أحمد وغيره وحسنه السيوطى.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٨٠٦).

حُكْم السلام:

قال سفيان الثورى، عن رجل، عن الحسن البصرى، قال:

«السلام تطوّع والرّد فريضةَ».

قال الإمام ابن كثير:

«وهذا الذى قاله -أى الحسن- هو قول العلماء قاطبة، أن الردَّ واجب على من سلّم عليه، فيأثم إن لم يفعل، لأنه خالف أمر الله فى قوله:

«**فحيوا بأحسن منها أو ردّوها**» ا. هـ[1].

أما الإشارة بالسلام:

فقد روى الترمذى بإسناد حسن عن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرّ فى المسجد يومًا وعصبة من النساء قعود فألوى -أى أشار- بيده بالتسليم»[2].

وهذا محمول على أنه -صلى الله عليه وسلم- جمع بين اللفظ والإشارة. ويؤيد ذلك ما رواه أبو داود بإسناده: «**فسلّم علينا**».

هذا، وقد كان النبى -صلى الله عليه وسلم- يُسَلّم على الناس جميعًا.. حتى الصبيان فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أنه مَرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال:

«كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعله» متفق عليه.

أحوال يكره فيها السلام:

يكره إلقاء السلام على المُصلّى والمُؤذّن.. وأثناء خطبة الجمعة.. وأثناء قضاء الحاجة، وقيل: وأثناء تلاوة القرآن.

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) **قلت**: لعل هذا خاص بالنساء إن صح الحديث.. وإلا فقد ثبت فى صحيح سنن أبى داود (٢١٦٨) عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**».

فضل المصافحة:

● عن البراء -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مُسْلِمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلاّ غُفِر لهما قبل أن يتفرّقا»(١).

● وعن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إن المسلم إذا لقيَ أخاه، فأخذ بيده تحاتَّتْ عنهما ذنوبُهُما كما يَتَحَاتُّ الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريحٍ عاصفٍ، وإلاّ غُفِر لهما، ولو كانت ذنوبهما مِثْلَ زَبَد البحر»(٢).

● وعن أنس -رضي الله عنه-، قال:

كان أصحابُ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إذا تلاقَوْا تصافَحُوا، وإذا قَدِموا من سفر تعانقوا»(٣).

آداب السلام:

عن جابر -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يُسَلِّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ، فهو أفضل»(٤).

قلت: وفي الحديث إشارة إلى أفضيلة من يبدأ بالسلام.. وعن أبي أمامة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»(٥).

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذي (٣٨٦١).

(٢) قال الإمام المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن. الترغيب برقم (٤٠١٠).

(٣) قال الإمام المنذري: رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح. الترغيب (٤٠٠٥).

(٤) رواه البزار وابن حبان في «صحيحه» وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. المجمع (٣٦/٨).

(٥) **صحيح**: انظر: صحيح سنن أبي داود (٤٣٢٨).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«السلام اسْمٌ من أسماء الله تعالى وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مرّ بقوم فسلَّم عليهم، فردُّوا عليه كان له عليهم فضلُ درجة بتذكيره إيّاهم السلام، فإن لم يردُّوا عليه ردَّ عليه من هو خيرٌ منهم»**[(١)].

بدَعٌ بين المسلمين يجبُ إزالتها:

قال صاحب كتاب: «السنن والمبتدعات» -رحمه الله تعالى-:

«هذا وقد استعاض أكثر المسلمين هذا السلام الشرعى الجليل الجميل الجزيل الأجر بكلام حقير ضئيل لا قيمة له ولا أجر فيه، وذلك كقولهم: عوافى ومرحب وصباح الخير، ومساء النور، وصباح القشطة، وصباح الفل على عيونك وأكثرهم اتفقوا على لفظة نهارك سعيد وسعيد مبارك. وبعضهم يقولون: «بونجور ورفوار» بدل السلام عليكم ورحمة الله. فيا حسرة على العباد، وأكثرهم يسقطون اللام من تسليمهم فيقولون: السام عليكم. ومعناه الموت فينبغى التنبيه على ذلك...»[(٢)].

الحق الثانى: أن تجيبه إذا دعاك:

● روى مسلم فى «صحيحه» عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا دُعى أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك»**.

● وفى رواية له أيضًا:

«إذا دعا أحدُكم أخاه فليجب: عُرْسًا كان أو نحوه».

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أنه كان يقول:

---

(١) قال المنذرى: رواه البزار والطبرانى، وأحد إسنادى البزار جيّد قوىّ. الترغيب برقم (٣٩٨٨).

(٢) السنن والمبتدعات للشيخ محمد بن أحمد الشقيرى ص٢٥٩.

شرّ الطعام طعام الوليمة، يُدْعى لـها الأغنياء ويُتْرك المساكين، ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله» متفق عليه. . ورواه مسلم مرفوعًا.

قال الإمام الشوكاني:

«قوله -ﷺ-: «**إذا دعى إلى وليمة**[١] **فليجب**» فيه دلالة على وجوب إجابة الدعوة سواء كانت عُـرْسًا أو غيره إذا صدق عليها مُسـمّى الوليمة كما يدل على ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المطلقـة التى ذكرناها مع التصريح فى بعضهـا بقوله: «**عُرسًا كـان أو نحوه**»، ولا ينافى ذلك الاقتصـار على وليمة العُرْس فى بعض الأحـاديث، فإن ذلك من التنصـيص على بعض المدلولات للفظ فلا يكون تخصيصًا على فـرض تجرده عن المعارض، كيف وهو معارض بما ذكرناه»[٢].

وعلى ما تقدم: فإجابة الداعى إلى وليـمة العُرْس واجبة على من دُعى إليها، لما فـيها من إظهار الاهتمـام به، وإدخال السرور عليه، وتطيـيب نفسه وكان النبى -ﷺ- يقول: «**لو دُعيت إلى كِرَاع لأجبتُ، ولو أُهْدى إلىَّ ذراعٌ لَقبِلْتُ**»[٣].

فإذا كانت الدعوة عامَّة غير مـعينة لشخص أو جماعة لم تجب الإجابة، ولم تُسْـتحب، مثـل أن يقول الداعى: أيهـا الناس أجيـبوا إلى الوليـمة دون تعيين، أو ادْع مَنْ لقيت كما فعل النبىَّ -ﷺ-:

قـال أنس: تزوّج النبىُّ -ﷺ- فـدخل بأهله، فـصنعت أمّى أمُّ سُلَيْم حَيْسًا[٤]، فجعلته فى تُورٍ[٥]، فقالت:

يا أخى[٦] اذْهب به إلى رسول الله -ﷺ- فذهبتُ به، فقال:

---

(١) وردت هذه الرواية فى «صحيح مسلم».

(٢) تحفة الذاكرين (٢٢٠).

(٣) رواه البخارى.

(٤) الحيس: تمر يخلط بسمن وإقط: أى كِشْك.

(٥) التور: إناء.

(٦) هكذا فى فقه السنة ولعل الصواب: «يا أنس».

«ضَعْهُ». ثم قال: «**ادْعُ فلانًا، وفلانًا، ومن لقيتَ**»، فدعوتُ من سَمّى، ومن لقيتُ» رواه مسلم.

قال صاحب «**فقه السنة**»:

«وقيل: إن إجابة الداعي فرض كفاية. وقيل: إنها مستحبَّة... والأول أظهر، لأن العصيان لا يُطلقُ إلا على ترك الواجب... هذا بالنسبة لوليمة العُرس. أما الإجابة إلى وليمة النكاح -فهى مستحبة واجبةٌ عند جمهور العلماء. وذهب بعض الشافعية إلى وجوب الإجابة مطلقًا، وزعم ابن حزم أنه قول جمهور الصحابة والتابعين، لأن فى الأحاديث ما يُشْعِرُ بالإجابة إلى كُلِّ دعوة سواءً أكانت دعوةُ زواج، أم غيره» ا.هـ.

شروط وجوب إجابة الدعوة:

قال الحافظ فى «الفتح»:

إن شروط وجوبها ما يأتى:

١- أن يكون الداعى مُكلّفًا حُرًّا رشيدًا.

٢- وألاّ يخص الأغنياء دون الفقراء.

٣- وألاّ يظهر قصد التودّد لشخص لرغبة فيه، أو لرهبة منه(١).

٤- وأن يكون الداعى مسلمًا على الأصح.

٥- وأن يختص باليوم الأول على المشهور.

٦- وألا يُسْبَقَ، فمن سبق تعيّنت الإجابة له، دون الثانى.

٧- وألا يكون هناك ما يتأذى بحضوره مِنْ منكر وغيره.

٨- وألا يكون له عُذْر.

قال البغوىُّ: ومن كان له عُذرٌ، أو كان الطريق بعيدًا تلحقه المشقةُ فلا بأس أن يتخلّف(٢).

---

(١) أى: تكون دعوته خالصة لوجه الله تعالى.

(٢) فالمشقة تجلب التيسير.

الحق الثالث: أن تشمته إذا عطس:

روى البخارى عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى، كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**».

وروى البخارى -أيضًا- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**[1]».

وشرط للردّ على العاطس أن يقول: «الحمد لله».

ففى الصحيحين عن أنس -رضي الله عنه-، قال:

عطس رجلان عند النبى -صلى الله عليه وسلم- فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الذى لم يشمته: عطس فلان فشمّته، وعطستُ فلم تشمتنى!!.

فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**هذا حمد الله تعالى، وإنك لم تحمد الله تعالى**».

وفى «صحيح مسلم» عن أبى موسى -رضي الله عنه-، قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**إذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمّتوه**».

قال الإمام النووى -رحمه الله تعالى-:

«وكل هذا سنة ليس فيه واجب. وقال أصحابنا: والتشميت، وهو قوله: «**يرحمك الله**» سنة على الكفاية لو قاله بعض الحاضرين أجزأ عنهم، ولكن الأفضل أن يقوله كل واحد منهم لظاهر قوله -صلى الله عليه وسلم- فى الحديث

---

(١) بالكم: يعنى شأنكم.

الصحيح الذى قدّمناه، كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله، هذا الذى ذكرناه من استحباب التشميت هو مذهبنا.

واختلف أصحاب مالك فى وجوبه، فقال القاضى عبد الوهاب: هو سنة ويجزئ تشميت واحد من الجماعة كمذهب إمامنا الشافعى.

وقال ابن مزين: يلزم كلّ واحد منهم، واختاره ابن العربى المالكى» ا.هـ.

وإذا تكرر العطاس من إنسان متتابعًا: فالسنة أن يشمته لكل مرّة إلى أن يبلغ ثلاث مرات:

ففى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- أنه سمع النبى -صلى الله عليه وسلم-، وعطس عنده رجل فقال له:

«يرحمك الله»، ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«الرجل مزكوم».

وفى رواية للترمذى وأبى داود: قال سلمة:

عطس رجلٌ عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا شاهد، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«يرحمك الله» ثم عطس الثانية والثالثة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«يرحمك الله، هذا الرجل مزكوم»(١).

والمعنى فيه: أنك لست مِمَّن يشمت بعد لأن هذا الذى بك زكام ومرض لا خفّة العطاس.

وإذا عطس غير المسلم فحكمه ما رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن أبى موسى -رضي الله عنه- قال:

كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرجون أن يقول لهم:

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٢٠٤).

يرحمكم الله، فيقول:

«**يهديكم الله ويصلح بالكم**».

وإذا تثاءب المسلم فالسنة أن يردّ ما استطاع.. وأن يخفض صوته.. ويغطي وجهه بيده أو بثوبه:

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه-: أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- كان إذا عطس، غَطّى وجهه بيده، أو بثوبه، وغضّ بها صوته(١).

وعنه -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال:

«**العُطاس من الله، والتثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدُكم فليضع يدهُ على فيه وإذا قال: آه، آه، فإن الشيطان يضحك من جَوْفه، وإن الله يُحب العُطاس ويكره التثاؤب، فإذا قال الرجل: آه، آه، إذا تثاءب، فإن الشيطان يضحك من جوفه**»(٢).

وعنه -رضي الله عنه- أيضًا- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يحبُّ العُطاسِ ويكره التثاؤب، فإذا عَطَس أحدُكم فقال: الحمد لله، فَحَقٌّ على كل من سَمِعه أن يقول: يرحمك الله**».

وأما التثاؤب، فإذا تثاءب أحدُكم فيردَّهُ ما استطاع ولا يقول: هاه، هاه، فإنما ذلك من الشيطان يضحكُ منه»(٣).

«قصّة»:

ذكر الحافظ فى «الفتح»:

«أن ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- قد أخرج بسند جيّد عن أبى داود

---

(١) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٢٠٥).
(٢) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢٢٠٦).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخارى والترمذى.

(صاحب السنن) أنه كان فى سفينة فسمع عاطسًا على الشط حمد[١]، فاكترى[٢] قاربًا بدرهم، حتى جاء العاطس فشمته ثم رجع، فسئل عن ذلك، فقال: لعله يكون مجاب الدعوة، فلمّا رقدوا سمعوا قائلاً يقول فى أهل السفينة: إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم»[٣].

الحق الرابع: أن تعوده إذا مرض:

المرض نعمة من نعم الله تعالى على عباده الصالحين!.. فقد روى البخارى عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها».

● وفى «الصحيحين» عن أبى هريرة أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه».

● وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«ما من عبد يصرع صرعة من مرض، إلا بعثه الله منها طاهرًا»** رواه ابن أبى الدنيا وغيره وانظر: «الصحيحية» (٢٢٧٧).

● وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء فى جسده، قال الله عزّ وجل: اكتب له صالح عمله، فإن شفاه غَسَّلَه وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه»**[٤].

وقال بعض السلف:

«لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس».

ورحم الله القائل:

قد يُنعمُ اللهُ بالبلوى وإن عَظُمت   ويَبْتلى اللهُ بعضَ القوم بالنِّعم

---

(١) حمد: أى حمد الله تعالى.

(٢) اكترى: استأجر.

(٣) السلوك الاجتماعى للشيخ حسن أيوب ص ٣٦٢.

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد، وانظر: صحيح الجامع (٢٥٨).

قال الإمام محمود خطاب السبكى -رحمه الله تعالى-:

«فى هذه الأحاديث -أى المتقدمة- بشارة عظيمة للمؤمن لأنه لا ينفك غالبًا عن ألم من مرض أو نحوه. وفيها أن الأمراض والآلام بدنية أو قلبية تكفر ذنوب من يُصاب بها.

وظاهره تعميم جميع الذنوب لكن خصّه الجمهور بالصغائر»(١).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

«إذا أراد الله بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذَّبه ونقّاه وصفَّاه، أهْلَه لأشرف مراتب الدنيا، وهى عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهى رؤيته وقُرْبه».

ومن فضل الله تعالى على عبده المؤمن أنه إذا مرض أو منعه مانع من طاعة كان يؤدّيها وهو صحيح مقيم أن يعطيه الله تعالى أجر ما كان يعمله من الخير ومنعه منه مرض أو غيره!!.

فعن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غير مرة ولا مرتين يقول:

«إذا كان العبد يعمل عملاً صالحًا فشغله عنه مرض أو سفر كُتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم» أخرجه أبو داود والبيهقى وكذا البخارى بلفظ: **«إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مُقيمًا صحيحًا»**.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملَكَ الموكّل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أطلقه أو أكْفِتُه إلىَّ» أخرجه أحمد وعبد الرزاق بسند صحيح.

---

(١) الدين الخالص (٧/ ٣).

عيادة المريض:

العيادة: الزيارة وتفقد الحال، وهى حق من حقوق المسلم على المسلم والكلام فيها ينحصر فى خمسة مباحث:

(أ) حكمها: وهى سنة مؤكدة عند الجمهور لقول ابن عباس -رضي الله عنهما-:

«عيادة المريض أوّل يوم سُنَّة وبعد ذلك تطوّع»(١).

وقال البخارى: إنها واجبة. وقال ابن حمدان: إنها فرض كفاية لحديث أبى موسى الأشعرى أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفُكّوا المعانى»(٢).

وأجاب الجمهور بأن الأمر محمول على مزيد الترغيب فى عيادة المريض، وللحث على التواصل والألفة، وإلا فهى فى الأصل مندوبة، وقد تصل إلى الوجوب فى حق البعض وتتأكد فى حق من ترجى بركته، وتسن فيمن يراعى حاله وتباح فيما عدا ذلك، ونقل النووى الإجماع على عدم الوجوب يعنى على الأعيان.

(ب) فضل العيادة:

● عن علىّ -رضي الله عنه-، قال:

ما مِنْ رجل يعود مريضًا، مُمْسيًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة. ومن أتاه مُصْبحًا خرج معه سبعون ألف ملَكَ يستغفرون له حتى يُمْسى، وكان له خريف فى الجنة»(٣). والخريف: الثمر المخروف أى المجتنى.

وعن ثوبان -رضي الله عنه- أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

---

(١) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط»، وفيه النضر أبو عمر وحديثه حسن.

(٢) أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود.

(٣) **صحيح موقوف:** انظر صحيح سنن أبى داود (٢٦٥٥). وصححه الألبانى مرفوعًا أيضًا (صحيح سنن الترمذى ٧٧٥).

«**من عاد مريضًا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع**».

قيل: يا رسول الله وما خرفة الجنة؟.

قال: «**جَناها**». رواه مسلم وغيره.

وفى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدنى.**

قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده».

أضاف المرض إليه تعالى -والمراد العبد- تشريفًا للمريض.

(جـ) آداب العيادة:

يندب فيها أمور: المذكور منها هنا عشرة[١].

١- يستحب لعائد المريض أن يدعو له بالشفاء ويأمره بالصبر لحديث عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أن أباها قال:

اشتكيتُ بمكة فجاءنى النبى -صلى الله عليه وسلم- يعودنى ووضع يده على جبهتى ثم مسح صدرى وبطنى ثم قال:

«**اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته**» أخرجه أبو داود والبيهقى وكذا البخارى مطولاً وعن ابن عباس أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**من عاد مريضًا لم يحضرْ أجله فقال عنده سبع مرار:**

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلاّ عافاه الله من ذلك المرض»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو، قال:

---

(١) من الدين الخالص (٧/ ١٠-١٦) بتصرف.

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود برقم (٢٦٦٣).

قال النبى -ﷺ- : «**إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًا، أو يمشى لك إلى جنازة**» وفى رواية: «**الصلاة**»(١).

٢- ويستحب أن يقول الزائر للمريض: لا بأس عليك، طهور إن شاء الله تعالى لحديث ابن عباس أن رسول الله -ﷺ- دخل على رجل يعوده فقال: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**».

فقال: كلا بل هى حُمَّى تفور على شيخ كبير حتى تزيره القبور!!.

فقال النبىّ -ﷺ- : «**فنعم إذًا**» رواه البخارى.

٣- ويستحب للزائر أن يضع يده على مكان المرض ويسمّى الله تعالى ويدعو للمريض لما تقدم، ولقول عائشة -رضي الله عنها- :

كان رسول الله -ﷺ- إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول: «باسم الله» أخرجه أبو يعلى بسند حسن.

٤- ويستحب للزائر أن يطيبّ نفس المريض بإطماعه فى الحياة وقرب الشفاء لحديث أبى سعيد الخدرى أن النبىّ -ﷺ- قال:

«**إذا دخلتم على المريض فنفّسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يردّ شيئًا وهو يطيّب بنفس المريض**»(٢).

٥- ويستحب لعائد المريض أن يطلب منه الدعاء فإن دعاءه مستجاب لحديث أنس أن النبى -ﷺ- قال:

«**عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور**» أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» وفيه عبد الرحمن بن قيس وهو متروك الحديث.

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٢٦٦٤)، والصحيحة برقم (١٥٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذى بسند فيه لين.

٦- ويستحب تخفيف العيادة وعدم تكريرها فى اليوم إلا إن رغب المريض فى ذلك.

٧- ويستحب لمريد العيادة الوضوء لحديث أنس أن النبى -ﷺ- قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبًا بُوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفًا**».

فقلت(١): يا أبا حمزة ما الخريف؟

قال: «**العام**» رواه أبو داود.

٨- ويستحب للعائد الذى يتبرك به المريض أن يتوضأ ويصب عليه وضوءه لقول جابر:

«مرضتُ مرضًا فأتانى النبى -ﷺ- يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى علىّ فتوضأ النبى -ﷺ- ثم صب وضوءه علىّ فأفقتُ فإذا النبى -ﷺ- فقلت: يا رسول الله كيف أصنع فى مالى؟ كيف أقضى فى مالى؟ فلم يجبنى بشىء حتى نزلت آية الميراث» أخرجه البخارى.

٩- والأفضل المشى فى العيادة ولا بأس بالركوب لا سيما إذا كان لحاجة لحديث جابر:

«كان النبى -ﷺ- يعودنى ليس براكب بغلاً ولا برذُونًا» أخرجه البخارى.

١٠- ويستحب للعائد ألا يتناول عند المريض طعامًا ولا شرابًا فإنه مكروه مضيع لثواب العيادة(٢) لحديث أبى أمامة أن النبى -ﷺ- قال:

«**إذا عاد أحدكم مريضًا فلا يأكل عنده شيئًا فإنه حظه من عيادته**» أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس، وفيه موسى بن وردان ضعفه ابن معين والذهبى.

---

(١) أى: الراوى عن أنس وهو: «ثابت البُنانى» -رحمه الله تعالى-.

(٢) **قلت**: الحديث الوارد ضعيف لا ينهض للاحتجاج كما هو مُبيّن.

(د) عيادة المرأة:

لا بأس بعيادة الرجل المرأة المريضة إذا لم تؤدّ إلى خلوة بأجنبية لحديث عبد الملك بن عمير عن أم العلاء قالت:

عادني رسول الله -ﷺ- وأنا مريضة فقال:

«أبشري يا أمّ العلاء فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تُذْهب النار خبث الذهب والفضة»(١).

وللمرأة الأجنبية عيادة الرجل مع التستر وأمن الفتنة فقد عادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار. ذكره البخارى معلقًا.

وقالت عائشة:

لما قدم رسول الله -ﷺ- المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال فدخلتُ عليهما فقلتُ:

يا أبت كيف تجدُك؟ ويا بلال كيف تجدُك؟. أخرجه البخارى

(هـ) عيادة الذّمى:

تجوز عيادته إذا رُجى منها مصلحة له أو للعائد أو كان قريبًا أو جارًا.

فعن أنس: أن غلامًا من اليهود، كان مرِض، فأتاه النبىُّ -ﷺ- يعوده، فقعد عند رأسه فقال له:

«أَسْلم». فنظر إلى أبيه، وهو عند رأسه، فقال له أبوه:

أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبى -ﷺ- وهو يقول:

«الحمد لله الذى أنقذه بى من النار» أخرجه البخارى(٢).

الحق الخامس: أن تشهد جنازته إذا مات:

يجب حمل الجنازة واتباعها، وذلك من حق الميت المسلم على المسلمين، وفى ذلك أحاديث، منها:

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٢٦٥١).

(٢) وانظر: صحيح سنن أبى داود (٢٦٥٣).

قوله -ﷺ-: «**عودوا المريض، واتبعوا الجنائز، تُذَكِّركم الآخرة**»(١).

واتباعها على مرتبتين:

الأولى: اتباعها من عند أهلها حتى الصلاة عليها.

والأخرى: اتباعها من عند أهلها حتى يفرغ من دفنها.

وكل منهما فعل رسول **الله** -ﷺ-:

فروى أبو سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال:

«كنا مقدم النبى -ﷺ- (يعنى المدينة)، إذا حُضر منا الميت آذنّا النبىّ -ﷺ- فحضره واستغفر له، حتى إذا قبض، انصرف النبىّ -ﷺ- ومن معه حتى يدفن، وربما طال حَبْسُ ذلك على النبىّ -ﷺ-، فلما خشينا مشقة ذلك عليه، قال بعض القوم لبعض: لو كنا لا نؤذن النبىّ -ﷺ- بأحد حتى يقبض، فإذا قبض آذناه، فلم يكن عليه فى ذلك مشقة ولا حبس، ففعلنا ذلك، وكنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت، فيأتيه فيصلى عليه، فربما انصرف، وربما مكث حتى يدفن الميت، فكنا على ذلك حينًا، ثم قلنا لو لم يشخص النبىّ -ﷺ-، وحملنا جنازتنا إليه حتى يصلى عليه عند بيته لكان ذلك أرفق به، فكان ذلك الأمر إلى اليوم»(٢).

ولا شك فى أن المرتبة الأخرى أفضل من الأولى لقوله -ﷺ-:

«من شهد الجنازة حتى يُصلّى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان».

قيل: وما القيراطان؟

قال: «**مِثْلُ الجَبَلَيْن العظيمين**» متفق عليه.

وفى رواية المسلم وغيره:

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٤/ ٧٣) وغيره. وحسنه الألبانى.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن حبان فى «صحيحه»، وصححه الألبانى. أحكام الجنائز ص ٦٧.

«أصغرهما مثلُ أُحُد».

وعنِ عامر بنِ سعيد بن أبى وقاص -رضي الله عنه- أنه كان قاعدًا عند ابن عمر -رضي الله عنهما- إذْ طَلَع خَبَّابٌ صاحبُ المقصورة فقال:

يا عبد الله بن عمر ألا تسمعُ ما يقول أبو هريرة؟

يقول: إنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها واتبعها حتى تُدْفن كان له قيراطان من الأجر، كلُّ قيراط مثل أُحُد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثلُ أُحُد»، فأرسل ابنُ عمر خبّابًا إلى عائشة -رضي الله عنها- يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع إليه فيخُبِرهُ بما قالت، وأخذ ابنُ عمر قبضةً من حصى المسجد يُقلِّبُها فى يده حتى يرجع فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، وضرب ابنُ عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض ثم قال:

لقد فرَّطنا فى قراريط كثيرة» رواه مسلم.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«من أصبح منكم اليوم صائما؟»**.

قال أبو بكر: أنا.

فقال: **«من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟!»**.

قال أبو بكر: أنا.

قال: **«من عاد منكم اليوم مريضًا؟»**.

فقال أبو بكر: أنا.

فقال: **«من تبع منكم اليوم جنازة؟»**.

قال أبو بكر: أنا.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ما اجتمعت هذه الخصال قطٌّ فى رجل إلا دخل الجنة»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم فى «صحيحه» (٣/ ٩٢).

● وهذا الفضل فى اتباع الجنائز، إنما هو للرجال دون النساء، لنهى النبى -ﷺ- لهنّ عن اتباعها، وهو نهى تنزيه، فقد قالت أم عطية -رضي الله عنها-.

«كنا نُنهى (وفى رواية: نهانا رسول الله -ﷺ-) عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»، متفق عليه.

● ولا يجوز أن تتبع الجنائز، بما يخالف الشريعة، وقد جاء النص فيها على أمرين: رفع الصوت بالبكاء، واتباعها بالبخور، وذلك فى قوله -ﷺ-:

«لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار».

قال الشيخ الألبانى -رحمة الله تعالى-:

«أخرجه أبو داود (٢/ ٦٤) وأحمد من حديث أبى هريرة وفى سنده من لم يُسَم، لكنه يتقوى بشواهده المرفوعة، وبعض الآثار الموقوفة.

أما الشواهد، فعن جابر عن النبى -ﷺ- أنه نهى أن يتبع الميت صوت أو نار، قال الهيثمى (٣/ ٢٩): «رواه أبو يعلى، وفيه من لا ذِكْر له».

وعن ابن عمر قال: «نهى رسول الله -ﷺ- أن تتبع جنازة معها رانة».

أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٧٩- ٤٨٠) وأحمد من طريقين عن مجاهد عنه: وهو حسن بمجموع الطريقين.

وأما الآثار: فعن عمرو بن العاص أنه قال فى وصيته:

«فإذا أنا متُّ فلا تصحبنى نائحة ولا نار» أخرجه مسلم.

● ويلحق بذلك رفع الصوت بالذكر أمام الجنازة لأنه بدعة، ولقول قيس بن عبَاد.

كان أصحاب النبىّ -ﷺ- يكرهون رفع الصوت عند الجنائز»[1].

---

(١) قال الشيخ الألبانى: أخرجه البيهقى (٤/ ٧٤) بسند رجاله ثقات. أحكام الجنائز (٧١).

ولأن فيه تشبهًا بالنصارى فإنهم يرفعون أصواتهم بشيء من أناجيلهم وأذكارهم مع التمطيط والتلحين والتحزين(١).

وأقبح من ذلك تشييعها بالعزف على الآلات الموسيقية أمامها عزفًا حزينًا كما يفعل فى بعض البلاد الإسلامية تقليدًا للكفار.

ويجب الإسراع فى السير بها سيرًا دون الرمل، وفى ذلك أحاديث:

الأول: عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك فشرّ تضعونه عن رقابكم»** رواه مسلم وغيره.

الثانى: عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا وضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟! يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صُعِق»**(٢).

● ويجوز المشى أمامها وخلفها، وعن يمينها ويسارها، على أن يكون قريبًا منها، إلا الراكب فيسير خلفها، لقوله -صلى الله عليه وسلم-.

«الراكب يسير خلف الجنازة، والماشى يمشى خلفها وأمامها، وعن يمينها وعن يسارها قريبًا منها، والسِّقْط يُصلّى عليه ويُدْعى لوالديه بالمغفرة والرحمة»(٣).

---

(١) قال الإمام النووى فى «الأذكار» (ص٢٠٣):
«واعلم أن الصواب والمختار وما كان عليه السلف -رضي الله عنهم- السكوت فى حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، والحكمة فيه ظاهرة، وهى أنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلّق بالجنازة، وهو المطلوب فى هذا الحال، فهذا هو الحق، ولا تغترّ بكثرة من يخالفه، فقد قال الفُضَيْل: «الزم طريق الهُدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغترّ بكثرة الهالكين»».

(٢) أخرجه البخارى (٣/ ١٤٢).

(٣) **صحيح:** انظر صحيح سنن أبى داود (٢٧٢٣).

والمشى خلفها أفضل، قال على بن أبى طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

المشى خَلْفها أفضل من المشى أمامها، كفضل صلاة الرجل فى جماعة على صلاته فذّا»(١).

الحق السادس: أن تبرّ قسمه إذا أقسم عليك:

فإنك إن بررت قسم أخيك.. ولَبيت له طلبه -فى غير معصية- أدخلت السرور على نفسه.. وإدخال السرور على نفس المسلم من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أحبّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحب الأعمال إلى الله عزّ وجلِ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبه، أو تَقْضى عنه دَيْنًا، أو تطردَ عنه جُوعًا، ولأن أَمْشى مع أخى المسلم فى حاجة أحبّ إلى من أن أعتكف فى المسجد شهراً، ومن كفّ غَضَبه ستَرَ الله عَوْرتهً، ومن كَظَم غيظاَ ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يثبتها له أثبتَ الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخُلُق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل»**(٢).

وبّر القسم دليل على التواضع وعلامة على حسن الخلق.. وقد كان النبى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجيب دعوة الحرّ والعبد، لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.

وما دعاه أحدُ من أصحابه وغيرهم إلاَ قال: **«لَبَّيْكَ»**.

وكذلك المؤمن.. هيّن ليّن سهل.. فعن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«المؤمنون هَيِّنونَ لَيِّنُون، مثلُ الجَملَ الألَفْ الذى إن قيد انقاد، وإن سيق انساق(٣)، وإن انخته على صَخْرة استَنَاخ»**.

---

(١) **إسناده صحيح**: قال الألبانى: أخرجه ابن أبى شيبة، والطحاوى، والبيهقى -وذكر غيرهم- ثم قال: وإسناده حسن، وهو موقوف له حكم الرفع. أحكام الجنائز (٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى وغيره، وانظر: الصحيحة برقم (٩٠٦).

(٣) أى: نحو الخير.

وفى رواية: «**الجَمَل الأنِف**»(١).

وقال ابن الكمال: مدحهم بالسهولة واللين لأنهما من الأخلاق الحسنة على ما نطق به الكتاب المبين:

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾(٢).

وهكذا المؤمن سهل ليّن يقضى حوائج الناس ويخدمهم، شديد الانقياد، السمع والطاعة لله ورسوله -ﷺ- سجية له لا تفارقه، لين مع إخوانه، سهل فى أمر دنياه ومهمات نفسه أما فى أمر دينه فهو كما قال بعض السلف، «الجبل يمكن أن ينحت منه ولا ينحت من دين المؤمن شىء».

الحق السابع والثامن: أن تنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك:

فالمشار مؤتمن.. والنصيحة الصادقة واجبة على كل مسلم، والغشّ جريمة فعن تميم بن أوس الدارىّ -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: «**الدين النصيحة**» «ثلاثًا».

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «**لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- ما مختصره:

هذا الحديث: أحد الأحاديث التى يدور عليها الفقه وقال الحافظ أبو نُعيم: هذا الحديث له شأن عظيم.

---

(١) **حسن بشواهده**: أخرجه العقيلى فى «الضعفاء» (٢/٤) بهذا اللفظ وأخرجه فى مسند «القضاعى» للشهاب (١٣٩) وفيه الأنف بدل الألف وللحديث شواهد ذكرها الألبانى فى «الصحيحة» (٩٣٦) وحسّنه بها.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

وقد ورد فى أحاديث كثيرة النصح للمسلمين عمومًا، وفى بعضها النصح لولاة أمورهم، وفى بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم.

فأما الأول: وهو النصح للمسلمين عمومًا ففى «الصحيحين» عن جرير ابن عبد الله قال: «بايعتُ رسول الله -ﷺ- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

وفى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال: «**حق المؤمن على المؤمن ست**»، فذكر منها: «**وإذا استنصحك فانصح له**».

وروى هذا الحديث من وجوه أُخر عن النبىّ -ﷺ-.

وفى «المسند» عن حكيم بن أبى يزيد عن أبيه عن النبى -ﷺ- قال: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحْ له**».

وأمّا الثانى: «وهو النصح لولاة الأمور ونصحهم لرعاياهم(١)، ففى «صحيح مسلم».

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبىّ -ﷺ- قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**».

وقد أخبر النبى -ﷺ- أن الدين النصيحة فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التى ذكرت فى حديث جبريل -عليه السلام- وسمى ذلك كله دينًا.

فإن النصح لله يقتضى القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد فى التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضًا.

وفى مراسيل الحسن رحمه الله عن النبى -ﷺ- قال:

---

(١) سيأتى هذا بعد ذلك مبسوطًا -بإذن الله تعالى- فى «حق الراعى والرعية».

«أرأيتم لو كان لأحدكم عبدان فكان أحدهما يطيعه إذا أمره ويؤدى إليه إذا ائتمنه، وينصح له إذا غاب عنه، وكان الآخر يعصيه إذا أمره ويخونه إذا ائتمنه ويغشّه إذا غاب عنه كانا سواء؟».

قالوا: لا.

قال: «**فكذا أنتم عند الله عزّ وجلّ**» أخرجه ابن أبى الدنيا.

وقال الخطابى: النصيحة كلمة يُعبّر بها عن جملة هى إرادة الخير المنصوح له، قال: وأصل النصح فى «اللغة» الخلوص يقال: نصحتُ العسل إذا خلصتهُ من الشمع، فمعنى النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد فى وحدانيته وإخلاص النية فى عبادته.

والنصح لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه.

والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم.

فالنصيحة لعامة المسلمين- إذن- إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمر دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسَدّ خلاّتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذّب عنهم، ومجانبة الغشّ والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، وما شابه ذلك.

ومن أنواع نصحهم دفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم، وتعليم جاهلهم، وردّ من زاغ منهم عن الحق فى قول أو عمل بالتلطف فى ردهم إلى الحق، والرفق بهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له فى دنياه، كما قال بعض السلف:

«وددتُ أن هذا الخلق أطاعوا الله وأنه لحمى قُرض بالمقارض».

ومن أعظم أنواع النصح:

أن ينصح لمن استشاره فى أمره كما قال -ﷺ-: «**إذا استنصح أحدُكم**

أخاه فلينصحْ له». . وفي بعض الأحاديث أن من حق المسلم على المسلم أن ينصح له إذا غاب.

ومعنى ذلك أنه إذا ذكر في غيبة بسوء أن ينصره ويَرُدَّ عنه، وإذا رأى من يريد أذاه في غيبته كفّه عن ذلك فإن النصح في الغيب يدل على صدق الناصح فإنه قد يظهر النصح في حضوره تملقًا ويغشّه في غيبته .

وقال الحسن: إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما يعجز عنه.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -:

«ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة».

وكان السلف: إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًا حتى قال بعضهم:

«من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رءوس الناس فإنما وبّخه».

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-:

«المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيّر»(١).

الحق التاسع والعاشر: أن تحبّ له ما تحبَ لنفسك وتكرهَ له ما تكره لنفسك:

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان.

قال -ﷺ-: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالل»**(٢).

فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال:

أن يكون عاقلاً، حسن الخُلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا قال عليّ -رضي الله عنه-:

---

(١)، (٢) جامع العلوم والحكم: الحديث السابع. باختصار.

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليمًا حين أخاه
يقاس المرء بالمرء إذا المرء ماشاه وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقد قال عمر -رضي الله عنه- فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيّب قال:

«عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء، وعدَّة فى البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوّك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرّك، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى».

وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة:

«يا بنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قَعَدَتْ بك مؤونة مانك، أصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدّق قولك وإن حاولتما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك» وقال علىّ -رضي الله عنه-:

إن أخاك الحقّ من كان معك ومن يَضُرّ نفسه لينْفَعك
ومن إذا رَيْبُ زمان صَدَّعك شتت فيه شَمْلَه ليجْمَعك

فهذا الصنف المبارك هو الذى يحب لك ما يحب لنفسه، ويكره لك ما يكره لنفسه.. بل يؤثرك على نفسه.. ويقدّم حقك على حقه. والله المستعان.

الحق العاشر:

حق الجسد

الحق العاشر:

حق الجسد

إن الإسلام فى حاجة إلى كيان سليم قوىَ فياَض متحرك متمكن من الحياة، إن رسالته هى رسالة القوة فى الحق، القوة فى البناء، والتعمير، القوة فى حمل الأمانة، القوة فى القيام بمقتضياتها، القوّة فى الجهاد فى سبيلها والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين فى الأرض، ولتكون كلمة الله هى العليا، وليكون الدين كله لله.

والنصّ القرآنى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(١).

وفى الحديث الصحيح»: «**المؤمن القوىْ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، لذا أهتم الإسلام بحقوق البدن.. فحثّ على ما ينفعه ونهى عمّا يضره:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال: «دخل علىّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «**ألم أُخبر أنك تقومُ الليل، وتصومُ النهار؟**»».

قلت: بلى.

قال: «**فلا تفعل، قم ونم وصم وأَفطر، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا**»(٢).

وعلى الصفحات القادمة نتكلم عن منهج الإسلام فى رعاية صحة الإنسان وقاية وعلاجًا، وهو ما يسمى «بحق الجسد».

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) رواه البخارى واللفظ له، ومسلم وغيرهما. الترغيب (٣٨١٢).

هذا، ولقد استقينا معظم مادة هذا «الحق المهم» من كتاب.

«عناية الإسلام بالصحة البدنية»[١] وكتاب: «منهج السنة النبوية فى رعاية الصحة وقاية وعلاجا»[٢]، وغيرهما.

والآن نشرع فى بيان المقصود وبالله التوفيق.

١- الاستنجاء وآداب قضاء الحاجة

أوجب الإسلامُ الاستنجاء لكل خارج من السبيلين (القُبُل والدُّبر) إذا أراد الصلاة إلا الريح، ويجوز الاستنجاء بالماء أو بالحجارة والجمع بينهما أفضل لمزيد النظافة.

قال الإمام البغوى -رحمه الله تعالى-:

«ذهب عامة أهل العلم من أصحاب النبى -ﷺ- ومن بعدهم إلى أنه لو اقتصر على المسح بالحَجَر فى الغائط والبول، ولم يغسل ذلك المحل بالماء، أنه يجوز إذا أنقى بالحجر أثر الغائط والبول، غير أن الاختيار أن يغسل بالماء بعد استعمال الحجر.

والأفضل أن يغسل بالماء بعض استعمال الحجر.

هذا، وإنما يجوز الاقتصار على الحَجَر إذا لم ينتشر الخارج انتشاراً فاحشًا خارجًا عن العادة، فإن تفاحش الانتشار وجب الغسل بالماء.

وإذا غسل محل الاستنجاء بالماء يستحب أن يدلك يده بالأرض[٣]، ثم يغسلها، لأن النبى -ﷺ- كان يفعله» ا.هـ.

روى أبو داود عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

---

(١) للسيدة كاملة الأنوار محمد صابر حجاب.

(٢) للدكتور: بدير محمد بدير.

(٣) ويقوم الصابون اليوم أو أى منظف مقام التراب فى ذلك.

«كان النبى -ﷺ- إذا أتى الخلاء أتيته بماء فى تَوْر أو ركوة، فاستنجى ثم مسح يده على الأرض، ثم أتيته بإناء آخر فتوضأ»[١].

ومن هذا يتضح حرص الإسلام على إزالة أثر النجاسة.. ومعلوم أن ترك أثر النجاسة عالقًا بالجسم، يتسبب فى الكثير من الأذى.

٢- نهى الإسلام عن قضاء الحاجة فى الطريق، وفى الظل، وفى الماء

فعن أبى هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«اتقوا اللعانين، أو اللّعنتين».

قالوا: وما هما يا رسول الله؟

قال: «**الذى يتخلّى فى طريق الناس أو ظلّهم**» رواه مسلم وغيره.

والمعنى: اتقوا الأمرين الجالبين للّعن، وهما قضاء الحاجة فى الموضع الذى يستظل فيه الناس، وفى طريقهم.

وقال رسول الله -ﷺ-:

«اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد[٢]، وقارعة الطريق، والظلال»[٣].

قال الدكتور الجميلى:

«إن البراز مركب فسيوكيميائى نتيجة عمليات الأيض البيوكيميائية، والتمثيل الغذائى بالجسم، وهو نفاية الفضلات غير اللازمة، التى يسبب غيابها فى البدن ضررًا عليه وأذى به.

والبراز كريه الرائحة، يحتوى على عدد كبير من البكتريا والميكروبات المرضية والطفيليات التى تؤذى الإنسان والحيوان.

---

(١) **حسن**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٥).

(٢) الموارد: موارد الماء.

(٣) الجامع الصغير (١/ ١١) وصححه، عن أبى داود وابن ماجه وغيرهما.

والبراز وهذا شأنه، ويجعل الموارد المائية قذرة. ويملؤها بالطفيليات وببويضاتها الضارة، وأطوارها المعدية، ويترك نفس الأثر فى الطريق والظل.

وإليك أخى القارىء أسماء بعض هذه الطفيليات التى تلوث الماء عن طريق التبرز فيه، وهى البلهارسيا والأنكستوما والإسكارس، والانتروبيوس والأميبا، وغير ذلك كثير مما لا يتسع له المقام.

ومن هنا يظهر طرف من حكمة الإسلام فى النهى عن قضاء الحاجة فى الماء والظلال، حيث المناخ الرطب الذى يلائم بويضة الأنكستوما والإسكارس والبلهارسيا وليكن معروفًا أن تليّف الكبد وتلف الطحال والاستسقاء وسرطان المثانة وشلل وظائف الكبد الفسيولوجية، كل ذلك ناجم عن إصابة الإنسان بالبلهارسيا التى تعمل مخالفة آداب الشرع الإسلامى فى قضاء الحاجة على انتشارها، ويحد من انتشارها التزام آداب الشرع الإسلامى فى ذلك»(١).

٣- تخصيص اليد اليسرى للاستنجاء

فعن أبى قتادة، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إذاَ بالَ أحدُكم فلا يمسّ ذَكَرهْ بيمينه، وإذا أتى الخلاء فلا يتمسّح بيمينه، وإذا شرب فلا يشرب نَفَسًا واحدًا**»(٢).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كانت يد رسول الله -ﷺ- اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليُسرى لخلائه وما كان من أذى»(٣).

وهذا أمر فى قمة الطب الوقائى، لأن اليد اليمنى هى التى يتناول الإنسان بها طعامه فإذا استنجى المرء بها وطعم بعد ذلك كانت هناك مظنة انتقال شىء من الميكروبات إلى فمه مهما غسل يده بعد الاستنجاء فيصاب بأمراض جسمية كثيرة، ويصيب غيره كذلك مِمَّن يأكل معه فى إناء واحد.

---

(١) الإعجاز الطبى للقرآن (١٥٩ - ١٦٠) بتصرف.

(٢) متفق عليه.

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٢٦).

٤- السواك

لقد عنى الإسلام عناية كبيرة بالسواك- وجاء الحض على استعماله فى أحاديث كثيرة منها:

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لولا أن أشق على المؤمنين، لأمرتهم بتأخير العشاء، وبالسواك عند كل صلاة»**[١].

وعن زيد بن خالد الجهنى، قال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«لولا أن أَشُقَّ على أُمّتى لأمرتهم بالسّواك عند كل صلاة».

قال أبو سلمة[٢]: فرأيتُ زيدًا يجلس فى المسجد، وإن السواك من أُذُنه موضع القلم من أذن الكاتب، فكلما قام إلى الصلاة استاك[٣].

يقول الرازى: «السواك يجفف اللسان، ويطيب النكهة. وينقى الدماغ، ويلطف الحواس، ويجلو الأسنان، ويشد اللّثة».

«ولقد أثبتت الأبحاث العلمية فى جامعة رستوك بألمانيا الشرقية أن بعض المواد المضادة للميكروبات، وخاصة التى تحتمى فى المواد الدهنية، موجودة فى السواك[٤]، وقد أثبت الطب الحديث أن السواك يحتوى على مادة قاتلة للميكروبات تفوق البنسلين فى مفعولها.

٥- الوضوء

أحاديث الترغيب فى الوضوء وإسباغه وثوابه كثيرة.. والوضوء من أسباب إزالة وسخ الأبدان.. ووسخ الذنوب والعصيان.. وعن فوائده

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣٧).

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الثقة، أحد فقهاء المدينة السبعة.

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣٧).

(٤) مجلة الدعوة، عدد ٣٣ ص ٥٩.

البدنيـة: تقول جريدة (الأهرام) القاهرية تحت عنوان: «الوقـاية من الأمراض فى الدين الإسلامى»:

«إن الوضوء بالمـاء الجارى على بساطتـه خمس مـرات فى اليوم كـفيل بتطهيـر الجسم، وإزالة ما علق به من ميكروبات، وقـد أثبتت التقارير الـطبية لمنظمة الصحـة العالمية فى بنجالاديش عام ١٩٧٤م أن الاغتـسال بالماء الجارى فى حالات الوباء يزيل ٩٠٪ من الميكروبات العالقة بالجسم»(١).

٦- الحض على النظافة العامة فى الثوب والبدن والمسكن

حاجة المسلم إلى الـنظافة ماسّة ملحة، وهل بديل الـنظافة إلا القذارة، وَمَنْ له بمعـايشة القذر طاقـة، وهو يجرّ على الإنـسان الكثيـر من الويلات، فالقـذر سفيـر الأمراض المختلفـة التى تفتك بالإنسـان، وتدعه يعيش أسـير الأمراض والعـلل، أو تفتك به فـتقضـى عليه، والنظافـة فى الإسلام عـامة وشاملة، وظاهرة وباطنة، وهى فى الإسـلام شعائر الدين يستـيقظ المسلم من نومه، فلا يؤذن له بالوقوف بين يدى ربه مصليًا إلا أن يتطهر، والطهارة يتسع مدلولها فتشمل طهارة الثوب والبدن والمكان.

روى الطبرانى عن النبى -ﷺ- أنه قال:

«تخلّلوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه فى الجنة».

والتخلل هنا يراد به تـنظيف الأسنان مما بينها من فضـلات الطعام، ولا أضر علـى الأسنان من بقايا الطعـام بينها، وإن كنت فى شك من هـذا فضع إصبعك على أسنانك التى لم تنظف من بقـايا الطعام، وقربه من أنفك، إنك ستجد رائحة كريهة»(٢).

وروى الإمام أحمد عن أبى أيوب -رضي الله عنه- قال:

---

(١) جريدة الأهرام، العدد ٣٣١٣٨ فى ٢/٩/١٩٧٧.

(٢) أخلاق إسلامية للدكتور الحسينى أبو فرحة ص ١٢٠.

خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال:

«**حبذا المتخللون من أمتى**».

قلنا: وما المتخللون يا رسول الله؟

قال: «**المتخلّلون فى الوضوء، والمتخللون من الطعام. أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وما بين الأصابع، وأما تخليل الأسنان فمن الطعام، إنه ليس شىء أشدّ على الملَكَين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعامًا وهو قائم يُصلّى**».

وروى الترمذى عن النبى -ﷺ- أنه قال:

«**إن الله طيبٌ يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**».

وتأمل أخى القارئ تقديم رسول الله -ﷺ- للأمر بتنظيف الأفنية، وتعقيبه عليها، فهو يمهد للأمر بتنظيف الأفنية، وهى البيوت، بأن الله طيب يحب الطِّيب، ونظيف يحب النظافة، فمن نظف بيته فهو محبوب من ربه، لأن بيته صار طيبًا نظيفًا، والله يحب الطيب النظيف.

ثم يعقب على الأمر بتنظيف الأفنية، بالتنفير من قذارة البيوت، ببيان أن ذلك من سمات اليهود.

ويطلب الإسلام نظافة الثياب بجانب طهارتها.

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال:

«أتانا رسول الله -ﷺ- فرأى رجلاً شَعثًا قد تفرّق شعره، فقال:

«**أما كان يجدُ هذا ما يُسكن به شعْره؟**».

ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسِخة فقال:

«**أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣٤٢٧)، والنسائى (٥٢٣٦).

وروى مالك عن عطاء بن يسار، قال:

أتى رجل للنبى -ﷺ- ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول، كأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل، ثم رجع، فقال رسول الله -ﷺ-:

«أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟».

هذا، ويأمر -ﷺ- بجانب ما تقدم بقصّ الشارب، وقصّ الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، استكمالاً لنظافة الجسد، يقول -ﷺ-:

«عشرة من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء».

قال مصعب: نسيتُ العاشرة، إلا أن تكون المضمضة» أخرجه مسلم.

هذا والمراد بالفطرة: السنة، فهذه الخصال من سنن الأنبياء، والمراد بالبراجم: : المواضع التى يتجمع الوسخ فيها، والمراد بانتقاص الماء: الاستنجاء به.

وفى العناية بقص الأظافر عناية بالصحة البدنية. فقد جاء رجل إلى رسول الله -ﷺ- يسأله عن خبر السماء، وقد طالت أظافره، وامتلأت بالوسخ، فقال -ﷺ-:

«يجىء أحدكم يسأل عن خبر السماء وأظفاره كأنها أظفار الطير تجتمع فيها الخباثة والتَّفث»(١).

وفى حلق العانة حكمة عظيمة فتركها يسبب حكّة فى الجلد.. مما يولّد بعض الأمراض الجلدية..

والمسلم مطالب بأن يكون فى أكمل حالاته الجمالية عند الصلاة للوقوف بين يدى ملك الملوك.

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص (١/ ٦٦).

وفى إعفاء اللحيـة حكمة عظيمة أيضًا. فهى بـالإضافة إلى أنها تورث المسلم جلالاً ووقارًا وهيبةً وجمالاً.. فقد ذكر الأطباء لها فوائد:

الأولى: أن إمرار آلة الحلق على الذقن والخدين يضرّ بالبصر.

الثانية: أن اللحية تمنع الجراثيم الضـارة، وتمنعها من الوصول إلى ظاهر الحلق والصدر.

الثالثة: تحمى لثة الأسنان من العوارض الطبيعية فهى لها وقاء منها.

الرابعة: أن هذا الشعـر تجرى فيه مـفرزات دهنية من الجسـد، يلين بها الجلد ويبقى نضرًا فيه حيوية الحياة وطراوتها.

الخامسة: إن اللحية والمادة المنوية، بينهما ارتباط باطنى، فالرجولية تقوم بإعفاء اللحية، قال بعض الأطباء:

لو اعـتاد الناس حـلق اللحيـة نسـلاً بعد نسـل ينتج من ذلك أن يولد الرجال فى النسل الثامن من غير لحية، فالرجوليـة تقل شيئًا فشيئًا، ويظهر أثر ذلك بعد هذه المدة، والشاهد على ذلك، مـا نرى فى الخناثى عمومًا أنهم لا تنبت لهم لحية مع أنهم يكونون فى بقية الأعضاء مثل الرجال.

واللحية عمومًا: سنة النبـيين، وسبيل المؤمنين وطاعة لله رب العالمين، وفطرة إنسانية[1].

٧- الأمر بالفرار من المجذوم

أمر الإسلام بالتحـرّز والوقاية من الأمراض المُعْدية.. ففى الصـحيحين من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يورُدنّ ممرضٌ على مُصح**».. أمْرٌ من النبى -صلى الله عليه وسلم- بعـزل المريض عن الصحـيح.. وهذا مـا نسمـيه اليـوم بـ «**الحجـر الصحى**».

(١) منهج السنة النبوية فى رعاية الصحة (٦٣).

وروى مسلم فى «صحيحه» عن جابر -رضي الله عنه-، قال:

أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«**ارجع فقد بايعناك**».

وروى البخارى فى «صحيحه» تعليقًا من حديث أبى هريرة، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد**».

ويشير الدكتور «يوسف جورجى» إلى طرف مما جاء فى هديه -صلى الله عليه وسلم- فيقول:

«الجذام من جهة عدواة أو عدمها نوعان:

الأول: النوع المفتوح، وهو الذى يوجد فيه باسيل الجذام، فى أغشية الأنف أو الجلد، وهذا النوع معد.

الثانى: وهو المقفول، وهو سلبى الباسيل، ولا يحتوى على ميكروبات فى الأنف ولا فى الجلد، وهذا النوع غير معد.

وتنتقل العدوى إلى السليم عن طريق:

أولاً: إفرازات الغشاء المخاطى لأنف المريض، وتكون تلك الإفرازات مُحمّلة بمئات من الجراثيم فى حالة النوع المفتوح.

ثانيًا: عن طريق خدش أو جرح، أو بطريق التطعيم من ذراع إلى ذراع.

ثالثًا: عن طريق العلاقات الجنسية والرضاع.

رابعًا: عن طريق الحنجرة إذا أصيبت بقروح فى أغشيتها، وتكون مصدرًا للعدوى فى السعال والعطاس والبصاق والكلام.

خامسًا: تعتبر الحاجات الشخصية للمريض من مصادر العدوى، كالملابس وغيرها»(١).

---

(١) أضواء على الجذام، للدكتور يوسف جورجى جبرائيل ص ٤١.

هذا ويلاحظ أن البعد عن المريض قدر ميل أو ميلين(١) يحقق طرفًا من الحماية من العدوى، وكذلك عدم إدامة النظر إليه.

فعن ابن عباس -رضي الله عنه-، أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«لا تُديموا النظر إلى المجذومين»(٢).

وكما أمر الإسلام أهله من صيانة أنفسهم من هذا المرض.. فقد أمرهم بصيانة أنفسهم من وباء آخر مُعد وهو «الطاعون».

ففى «صحيح مسلم» عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**إذا سمعتم به** -أى بالطاعون- **بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**».

قلت: وهذا هو الحَجْر الصحى.

٨- الأمر بغسل نجاسة الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب

ثبت فى «صحيح مسلم» ثلاث روايات بهذا الشأن:

الأولى: قال -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفّروه الثامنة فى التراب»**.

الثانية: قال -صلى الله عليه وسلم-: **«طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبع مرات»**.

الثالثة: قال -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات، أولاهن أو آخراهن بتراب»**.

قال الإمام النووى -رحمه الله تعالى-:

---

(١) رُوى هذا فى حديث.

(٢) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٧٠) والصحيحة برقم (١٠٦٤).

«المراد اغسلوه سبعًا واحدة منهن بالتراب مع الماء، فكان التراب قائم مقام غسله، فسميّت ثامنة لهذا»(١).

وقال: «واعلم أنه لا فرق بين ولغ الكلب وغيره من أجزائه، فإذا أصاب بوله أوروثه أو دمه أو عَرَقه أو لعابه أو شعره أو عضو من أعضائه شيئًا طاهرًا، فى حال رطوبة أحدهما، وجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب، ولا يقوم الصابون وما أشبهه مقام التراب»(٢).

وذكر الدكتور «محمد وصفى» بعض الأمراض التى يسببها الكلب، وهى مرض الكلب ويُسمّى (جوع الهواء)، ومرض الجنون، وهو مرض فتاك تسببه جراثيم خاصة غير منظورة، يحملها الكلب فى لعابه، وتتكاثر فيه.

ومن مميزات هذه الجراثيم أنها تعيش مدة طويلة... فإذا وصلت هذه الجراثيم إلى الإنسان عن طريق العض مثلاً أصيب بالمرضُ، وتظهر عليه أعراضه بعد تسعة أيام أو أكثر من الإصابة... وقد تظهر بعد سنتين. فإذا وصلت هذه الجراثيم إلى الإنسان فإنها تغزو جهازه العصبى. فتبدو عليه علامات الجنون الخاصة بهذا الداء... ويموت غالبًا بعد هذا.

وقد يحمل الكلب هذا المرض دون أن تظهر عليه أعراضه. فإذا ولغ فى إناء وأكل الإنسان منه، فقد يصل إليه الداء عن طريق جرح فى فمه أو جوفه وقد ينتقل عن طريق آخر وذلك بالنسبة للمغرمين بلعق الكلاب لأيديهم ووجوههم حيث تتخلل هذه الجراثيم غير المنظورة لأيديهم ووجوههم عن طريق مسام الجلد. وتصل للدم عن هذا الطريق»(٣).

٩- غسل اليدين قبل غمسهما فى الإناء عند القيام من النوم

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أنه أخبره أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

---

(١)، (٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٣٤/ ١٨٥)... وقد فشلت المطهرات الحديثة فى القضاء على جرثومة الكلب!!!.

(٣) الإسلام والطب (٢٨١).

«إذا استيقظ أحدُكم فليفرِغ على يده ثلاث مرات قبل أن يُدْخل يده فى إنائه، فإنه لا يدرى فيم باتت يدُه» رواه مسلم.

قال الإمام الشوكانى -رحمه الله تعالى-:

«وقد علل الشافعى وغيره من العلماء النهى عن غمس اليد فى الإناء عند القيام من النوم حتى يغسلها ثلاثًا، بأن أهل الحجاز كانوا يستنجون بالأحجار، وبلادهم حارة، فإذا نام أحدهم عرق، فلا يأمن النائم أن تطوف يده على ذلك الموضع النجس أو على غيره فتتنجّس» ا.هـ.

قلت: وقد تحمل ميكروبًا فتؤذى صاحبها.

١٠- غسل اليدين قبل الطعام

فعن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد أن ينام وهو جُنُب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غَسَل يده(١).

فينبغى غسل اليدين قبل الطعام لا سيما إذا كان هناك ما يستدعى غسلهما من وسخ وغيره.

قال أبو بكر المروزى: رأيتُ أبا عبد الله (يعنى الإمام أحمد) يغسل يديه قبل الطعام وبعده وإن كان على وضوءه.

١١- غسل اليدين والمضمضة بعد الطعام

ويستحب غسل اليد بعد الطعام لا سيما قبل النوم اتقاءً للضّرر وحفاظًا على الصحة.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إذا نام أحدُكم وفى يده ريحُ غَمَرَ(٢) فلم يَغْسِلْ يده فأصابه شىءٌ فلا يلومنَّ إلا نفسه»(٣).

(١) **صحيح:** صحيح سنن أبى داود (٢٠٧).
(٢) الغَمَر بالتحريك: الدسم والزهومة من اللحم.
(٣) **صحيح:** انظر صحيح سنن أبى داود (٣٢٦٢)، وابن ماجه (٣٢٩٧).

وهذا محله فيما فيه غَمَرٌ ولزُوجة مما لا يذهبه إلا الغسل(١).

وقال ابن رسلان: والأولى غسل اليد منه بالأشنان والصابون وما فى معناهما(٢).

وعن سويد بن النعمان -رضي الله عنه- قال:

خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى خيبر فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتى إلا بسويق فأكلنا فقام إلى الصلاة فتمضمض وتمضمضنا(٣).

١٢- تقليل الطعام والشراب

● قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٤).

● وروى ابن ماجه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

● وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

«إياكم والبطنة من الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فى الطعام والشراب، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السّمين، وإن الرّجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»

● وقال طبيب نصرانى لعلىّ بن الحسين:

ليس فى كتابكم من علم الطب شىء. والعلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان.

فقال له: إن الله قد جمع الطب كله فى نصف آية!.

---

(١) قاله القاضى عياض فى «الفتح» (٩/ ٤٩١).

(٢) نيل الأوطار للشوكانى (٨/ ١٨٨).

(٣) أخرجه البخارى (٩/ ٤٨٩).

(٤) سورة الأعراف: ٣١.

قال: وما هى؟

قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(١).

● وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال:

تجشّأ رجل عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال:

«كُفَّ عنا جُشاءك، فإن أكثرهم شبعًا فى الدنيا أطولُهم جُوعًا يوم القيامة»(٢).

● وعن جَعْدَة -رضي الله عنه- أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلاً عظيم البطن، فقال بأُصبعه: «**لو كان هذا فى غير هذا لكان خيراً لك**»(٣).

● وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدّه، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كلوا، واشربوا، وتصدَّقوا ما لم يخالطه إسرافٌ ولا مَخْيَلَةٌ**»(٤).

● وسئل رجل: هل أتخمت قط؟

قال: لا.

قيل: ولم؟

قال: لأنا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مضغنا دققنا، ولا نملأ المعدة ولا نخليها.

● **وقال الإمام الغزالى** -رحمه الله تعالى-:

«يجب أن لا يمد المرء يده إلى الطعام إلا وهو جائع، فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الطعام، ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب».

---

(١) الألوسى (٨/ ١١٠).

(٢) **حسن**: انظر صحيح سنن الترمذى (٢٠١٥).

(٣) قال المنذرى: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيّد. الترغيب برقم (٣١٨٤).

(٤) **حسن**: انظر صحيح سنن النسائى (٢٣٩٩).

١٣- انتقاء الجيدّ من الطعام

فلا يعرض الإنسان نفسه للطعام الفاسد.. أو الحامض أو ما شابه ذلك فعن أنس -رضي الله عنه-، قال:

«أُتى النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- بتمر عتيق، فجعل يفتشه، يُخرج السوس منه!!»(١).

١٤- إكرام الشَّعْر

لقد حث النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- على إكرام الشعر والإحسان إليه فى قصد واعتدال.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من كان له شعْرٌ فليكرمه»(٢).

وفى إكرام الشعر حكم عظيمة.. فالمسلم مطالب بأن يكون فى أكمل حالاته الجمالية... وترك الشعر دون نظافة يولد قملاً يسبب أمراضًا خطيرة، وأوبئة عظيمة.

تقول الدكتورة ابتسام عبد الحليم: «إن الأمراض التى ينقلها القمل: هى حُمّى التيفوس الوبائى، ومرض بريل، وهو نوع مخفّف من التيفوس، ومرض حُمّى الخنادق، ومرض الحمى الراجعة، وهو يسبب تضخم الطحال والكبد، ويحدث نزيفًا بالجلد والأغشية المخاطية»(٣).

١٥- النهى عن الشرب من فى السقاء، ومن ثلمة القدح

● قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «نهى النبى -صلى الله عليه وسلم- أن يشرب من فِىِّ السقاء».

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٢٤٥).

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤١٦٣) وغيره، وانظر: صحيح الجامع (٦٤٩٣).

(٣) مجلة منبر الإسلام، عدد ٢ صفر سنة ١٣٩٨هـ، مقال بعنوان (الطب الوقائى).

● وعن أبى سعيد -رضي الله عنه-، قال:

«نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الشرب من ثُلْمة القدح، وأن ينفخ فى الشراب» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

● وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

«نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أن يُتَنَفَّس فى الإناء، أو يُنفَخَ فيه»(١).

وفى هذا النهى حكمة ظاهرة.. فقد يكون الشارب مريضًا بمرض مُعْد.. فتنتقل العدوى لغيره.

وكذلك أمر النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- بتغطية أوانى الطعام والشراب، فقال:

«غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء» رواه مسلم.

والسؤال: مَنْ الذى أَعْلَم النبىَّ -صلى الله عليه وسلم- بهذا الوباء؟

إنها إحدى معجزات النبوة.. لاشك أن الذى أعلمه هو الله رب العالمين.. فماذا يقول الجاحدون؟.

١٦- تقسيم الشرب على مرات ثلاث

روى مسلم فى «صحيحه» عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتنفس فى الشراب ثلاثًا ويقول:

«**إنه أروى وأبرأ وأمرأ**». قال أنس:

فأنا أتنفس فى الشراب ثلاثًا.

وليس المقصود بالتنفس النفخ فيه.. ولكن المقصود الشرب على ثلاث دفعات، مع إبعاد الإناء عن الفم بعد كل مرة ليتنفس الإنسان خارجه.. ويُسنُّ التسمية قبل كل مرة.

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣١٧١).

والشرب على دفعة واحدة له أضراره وأخطاره.. وقيل يؤثر على الكبد.

١٧- الاقتصاد فى العبادة

فالإسلام دين الوسطية والاعتدال فى كل شىء.

● فعن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**سَدِّدوا وقاربوا، واغْدُوا وروحوا، وشىء من الدُّلجة، والقصد القصد تبلغوا**» متفق عليه.

● وعن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«... **أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قلّ**» رواه البخارى.

● وعن أنس -رضي الله عنه-، قال:

دخل النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال:

«**ما هذا الحبل؟**».

قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فَتَرت تعلّقت.

فقال النبىّ -صلى الله عليه وسلم-: «**لا، حُلُّوه، ليُصلِّ أحدُكم نشاطه فإذا فتر فَلْيرْقُد**»(١).

● وعن ابن طاووس عن أبيه عن أبى إسرائيل، قال:

دخل النبىُّ -صلى الله عليه وسلم- المسجد وأبو إسرائيل يُصَلِّى فقيل للنبى -صلى الله عليه وسلم-: هو ذا يا رسول الله لا يقعد ولا يكلم الناس ولا يستظل وهو يريد الصيام؟.

فقال النبىّ -صلى الله عليه وسلم-: «**ليقعد وليكلم الناس وليستظل ولْيَصُم**»(٢).

● وعن جابر -رضي الله عنه-، قال:

---

(١) رواه البخارى وغيره.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٣/ ٤٠٤) برقم (١٧٤٦١).

كان رسول الله -ﷺ- فى سفر فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه. قالوا:

هذا رجل صائم.

فقال رسول الله -ﷺ-: **«ليس البرّ أن تصوموا فى السفر»**(١).

ونهى النبىُّ -ﷺ- عن الغلو فى الدين، والتنطع فيه:

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: **«إياكم والغلوَّ فى الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلوّ فى الدين»**(٢).

ومما سبق يتضح أن الإسلام عنى براحة البدن.. وحث أهله على القصد فى كل شىء (فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى).

١٨- نهى الإسلام عن وطء الحائض

قال الله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**(٣).

يقول الدكتور محمد وصفى:

«الحيض دورة طبيعية تمر ببنات حواء عامة... والمرأة فى أثناء الحيض معرضة لكثير من العلل التى لا يقتصر تأثيرها على صحتها العامة فقط، بل على حياتها التناسلية.

ومباشرة المرأة أثناء الحيض من أكبر الكبائر، والضرر لا يعود على الرجل وحده، بل يعود عليه وعلى المرأة أيضًا».

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١١/ ٣٨٠) برقم (١٤١٢٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائى (٢/ ٤٩) وغيره، وصححه النووى.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

ويقول الدكتور الجميلى:

«المواقعة فى فترة الحيض يمقتها الطب... لأنه فى الحيض يحتقن الجهاز التناسلى للأنثى، ويصبح أكثر عرضة للالتهابات، وفيه تصل المقاومة للعدوى إلى مراتبها فى المرأة، فتصبح عرضة للأمراض المختلفة.

لذلك نرى فى أكثر الأحايين ما يصيب الأنثى من أضرار بالغة، وخسائر جسيمة من اللقاء الجنسى أثناء فترة الحيض، وتظهر فى صورة التهابات مهبلية ورحمية، وقد تصل الالتهابات إلى قنوات فالوب، أو إلى المبيضين، كما قد تصل هذه الميكروبات إلى الذكر فتحدث التهابات بمجرى البول، ومنه إلى المثانة فالحالبين فالكليتين.

ولعل انبعاث رائحة كريهة من المرأة قد تنفرّ زوجها منها، مما قد يؤدى إلى إصابته بكراهيتها.. كما قيل: إن مرض الجذام ينجم وينتقل عن المباضعة فى المحيض»(١).

١٩- الوقاية بالدعاء

فعن النبىّ -ﷺ- قال:

«من رأى مُبْتلىً فقال: الحمد لله الذى عافانى ممّا ابتلاك به، وفضلّنى على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلاً، لم يصبْهُ ذلك البَلاء»(٢).

قلت: يقول ذلك فى نفسه -أى يُسرّ بها- حتى لا يسمعه المُبْتلى فيتأذى.

٢٠- تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير

وقد جمع الله تعالى تحريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾(٣).

---

(١) الإعجاز الطبى (١٣٧).

(٢) **حسن**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٣/ ١٥٣)، وصحيح الكلم الطيب ص ١١٢.

(٣) سورة البقرة: ١٧٣.

والميتة تأباها النفسُ السليمة وكذلك الدم، فضلاً على ما أثبته الطب، بعد فترة طويلة من تحريم القرآن.

يقول صاحب الإعجاز الطبى:

«حرّم الله الميتة لأنها تضر بالصحة لاحتباس الدم فيها وتزاحم الميكروبات عليها، وهى تهدد الإنسان بالحتف والدمار»(١).

أما الدم المحّرم فهو المسفوح، أى السائل من الحيوان عند التزكية والذى يؤخذ من الحيوان الحىّ بطريق القصد أيضًا، وأما الدم غير المسفوح فليس محرمًا(٢).

والدم يحتوى على كثير من المواد السامة.. التى تؤثر على صحة الإنسان..

وقد يكون الحيوان مريضًا فتنتقل عدواه إلى الإنسان عن طريق دمه.

أما لحم الخنزير، فقد اتفقت الشرائع السماوية على تحريم لحمه... والطب الحديث اكتشف احتواء عضلة لحم الخنزير على الطور المعدى من أطوار الدودة الشريطية.. والتى قد تؤدى أحيانًا إلى وفاة الإنسان

يقول الدكتور/ على محمد مطاوع:

«والذى يستوجب التفكير فى حكمة الله فى تحريم الخنزير، أن الأكياس الحاملة لنوع من اليرقات والتى تعيش فى عضلات الخنزير، ويصاب بها الإنسان، لا يُعْرفُ لها علاج حتى الآن، وأن الوقاية منها هى السبيل الوحيد لتجنبها، وأن هذا لا يتم إلا بتجنب أكل لحم الخنزير، وينجم عن أكل لحم الخنزير من الأمراض أيضًا: الذبحة الصدرية، وتصلّب الشرايين، والتهاب المفاصل، وأخيرًا مرض السرطان»(٣).

---

(١) الإعجاز الطبى ص ٧٠.

(٢)، (٣) مدخل إلى الطب الإسلامى (ص ١٥٢، ١٥٣).

«هذا فضلاً عن أن آكلى لحم الخنزير لا يغيرون على زوجاتهم كما يفعل الخنزير، أى أنهم يكتسبون صفات الخنزير وسلوكه نحو أنثاه»(١).

٢١- نهى الإسلام عن أكل الجَلاَّلة وألبانها

ورد النهى عن ركوب الجلاَّلة وأكل لحمها وَشُرْب لبنها.

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال:

«نهى رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- عن أكل الجلاّلة وألبانها»(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- نهى عن لبن الجلاّلة(٣).

وعن ابن عمر، قال:

«نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عن الجلالة فى الإبل: أن يُرْكب عليها، أو يشرب من ألبانها»(٤).

قال الشيخ السيد سابق -رحمه الله تعالى-:

«والجلالة: هى التى تأكل العَذْرة، من الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيرها، حتى يتغير ريحُها. فإن حُبست بعيدة عن العُذْرة زَمَنًا، وعُلقت طاهرًا فطاب لحمُها وذهب اسم الجلالة عنها حلَّت، لأن علةَّ النهى التغيير وقد زالت»(٥) ا.هـ.

فأكل الجلالة حلال إن لم يظهر النتن فى لحمها، وأما ركوبها فلعله لما يكثر من أكلها القَذرة والبَعْر، وتكثر النجاسة على أجسامها وأفواهها. وتلمس راكبها بفمها وثوبه بعرقها، وفيه أثر العذرة أو البعر فيتنجس. وكان ابن عمر يحبس الدجاجة ثلاثة أيام ثم يذبح، وقيل: ليس للحبس مدة

(١) مدخل إلى الطب الإسلامى (ص ٦٦).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣٢١٥). إرواء الغليل (٢٥٠٣).

(٣) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٢١٦)، والنسائى (٤٤٤٨).

(٤) **حسن صحيح**: انظر: صحيح سنن أبى داود (٣٢١٧). الإرواء (٨/ ١٥٠).

(٥) فقه السنة (١/ ١٩).

مقدّرة، وعن بعضهم فى الإبل والبقر أربعين يومًا، وفى الغنم سبعة أيام، وفى الدجاجة ثلاثة.

٢٢- تحريم شرب الخمر والمخدرات

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

وكل مُسْكر خمر. قال -ﷺ-:

«**كل مُسْكر خمر، وكلّ خمر حرام**» رواه مسلم.

وروى أبو داود عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله -ﷺ- قال:

«**إن من العنب خمراً، وإن من العسل خَمْراً، وإن من الزبيب خمراً، ومن الحِنْطة خمراً، وأنا أنهاكم عن كل مسكر**».

وفى «صحيح مسلم» عن النبى -ﷺ-، قال:

«**ما أسكر كثيرُه فقليله حرام**».

وأعلن الإسلام الحرب على شاربى الخمر ومن عاونهم:

فعن ابن عمر -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**»[٢].

وعن ديلم الحميرى، قال:

سألتُ رسول الله -ﷺ-، فقلت:

يا رسول الله، إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شرابًا من هذا القمح نتقوّى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا؟

(١) سورة المائدة: ٩٠.
(٢) صحيح: انظر صحيح سنن أبى داود (٣١٢١).

قال: «**هل يُسْكر؟**».

قلتُ: نعم.

قال: «**فاجتنبوه**».

قال: قلتُ: فإن الناس غير تاركيه.

قال: «**فإن لم يتركوه فقاتلوهم**»(١).

«والخمر تغيّر مادة القلب والأوعية الدموية، وتسرع بحويصلات الجسم إلى الهرم، وتطيل مدة الشفاء فى الأمراض التى تفتك بالصحة، وتعجّل بالوفاة فى الأمراض المستعصية، وتهيء الظروف المناسبة للأمراض المعدية كالدّرن، وتساعد على الإصابة بضربة الشمس فى الحر».

وروى ابن ماجه عن طارق بن سويد -رضي الله عنه- قال:

قلتُ: يا رسول الله، إن بأرضنا أعنابًا نعتصرها فنشرب منها؟

قال: «**لا**».

فراجعته. قلت: إنا نستشفى به للمريض.

قال: «**إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء**».

وفى هذا ردٌّ على من زعم أن الخمر تعالج بعض الأمراض!!!.

قال الشيخ/ جمال الدين القاسمى:

«ألف كثير من أعلام الأطباء والفلاسفة مؤلفات خاصة فى أضرار المسكرات ولم تزل تعقد فى بعض بلاد النصارى مؤتمرات دولية تدعى إليها دول كثيرة لمحاربة المسكرات، وبيان تأثيرها على الأجسام والعقول والأرواح، وما ينشأ عنها من خسران مالى. ومما قرره خمسون طبيبًا منهم هذه الجمل:

١- أن المُسكرات لا تروى الظمأ، بل تزيده.

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣١٣١).

٢- أنها لا تفيد شيئًا فى قضاء الأعمال.

٣- أنها توقف النمو العقلى والجسدى فى الأولاد.

٤- أنها تضعف الإرادة، وتفضى إلى ارتكاب المنكرات، وتجرّ إلى الفقر والشقاء.

٥- هى من المسكنات كالبنج والأثير.

٦- أنها تهىء للأمراض المعدية.

٧- أنها تمهد بنوع خاص للتدرن والسّل.

٨- أنها تضرّ الرئة، وتسبب الحمّى التيفودية.

٩- أنها تقرب النهاية المحزنة فى الأمراض التى تنتهى بالموت، وتطيل مدة المرض.

١٠- أنها تعد لضربة الشمس فى أيام الحَرّ.

١١- أنها تسرع بإنفاق الحرارة فى أيام البرد.

١٢- أنها تغيّر مادة القلب والأوعية الدموية.

١٣- أنها كثيرًا ما تسبب آلام الأعصاب والآلام المبرحة.

١٤- أنها تسرع بحويصلات الجسم إلى الهدم.

١٥- أن المقدار العظيم الذى يتناوله أصحاب الأعمال الجسدية هو سبب شقائهم وفقرهم وذهاب صحتهم.

١٦- أن الامتناع عنها يفضى إلى الصحة وسعادة الجنس البشرى[(١)].

قلت: وصدق رسول الله -ﷺ- إذ يقول:

«لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كُلِّ شرٍّ»[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل (٣/ ٥٥٣ - وما بعدها).

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٣٣)، وصحيح الجامع (٧٢١١).

«قصة»:

«عن الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة، فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها، فكررها عليه، فقال:

لا أقولها وأنا بريء منها!!.

فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى، ثم رآه بعد مُدّةٍ فى منامه وهو يُسْحبَ به إلى النار، فقال له:

يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟

فقال: يا أستاذ كان بى علّة فأتيتُ بعض الأطباء، فقال لى:

تشرب فى كل سنة قدحًا من الخمر، وإن لم تفعل تبقى لك علتك، فكنتُ أشربها كل سنة لأجل التداوى!!.. فهذا حال من يشربها للتداوى، فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء»(١).

هذا، وكما حرّم الإسلام الخمر.. وحرّم التداوى بها.. فقد حرّم كل المخدرات والمفترات.. فقد روى أبو داود عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت:

«نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن كل مسكر ومفتر(٢)».

ويدخل فى المخدرات الحشيش(٣) والأفيون والماريجوانا والقات، وغير ذلك من سائر المخدرات، وعلّة التحريم هو مشاركتها الخمر فى الإضرار بالجسم، وإن اختلف التأثير.

---

(١) الكبائر (٩٣).

(٢) المفتر: ما يورث الفتور والرخوة فى الأعضاء والخدر فى الأطراف، وهو مقدمة السكر.

(٣) حكى القرافى وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلّها كفر، وإنما لم يتكلم بها الأئمة الأربعة لأنها لم تكن فى زمنهم، وإنما ظهرت فى آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار. قال الهيثمي: «الحشيشة، والأفيون والشيكران (البنج) والعنبر والزعفران وجوزة الطيب كلها مُسْكرة كما صرح النووى فى بعضها وغيره فى باقيها». الزواجر (٢/ ٣٤٩، ٣٥٠).

قال الإمام الذهبى -رحمه الله تعالى-:

«والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يُحدّ شاربها كما يحدّ شارب الخمر، وهى أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث، ودياثة وغير ذلك من الفساد.

والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدّها، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحدّ، حيث ظنها تغيّر العقل من غير طرب بمنزلة البنج(١)، ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلامًا، وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، حتى لا يصبرون عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من الدّياثة والتخنّث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك.

لكن لما كانت جامدة مطعومة، ليس شرابًا، تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره:

فقيل: هى نجسة كالخمر المشروبة، وهذا هو الاعتبار الصحيح.

وقيل: لا، لجمودها.

وقيل: يفرّق بين جامدها ومائعها، وبكل حال، فهى داخلة فيما حرّم الله ورسوله من الخمر المُسْكر لفظًا ومعنى.

قال أبو موسى: يا رسول الله، أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن:

البتّع: وهو من العسل ينبذ حتى يشتد.

والمزر: وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد.

قال: وكان رسول الله -ﷺ- قد أُعطى جوامع الكلم بخواتمه.

---

(١) البنج: مادة مخدّرة يستعملها الأطباء فى التخدير قبل القيام بالعمليات الجراحية، وقد أباحها العلماء للضرورة بهذا الصدد.

فقال: «**أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة**» رواه مسلم.

وقال -ﷺ-: «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**»(١)، ولم يفرّق بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروبًا، على أن الخمر قد يصطنع بها، يعنى الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وإنما لم يذكرها العلماء، لأنها لم تكن على عهد السلف الماضى، وإنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام، وقد قيل فى وصفها شعرًا:

فآكلها وزارعها حلالا ... فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة، لأنه زينها للأنفس الخسيسة، فاستحلّوها واسترخصوها:

قُلْ لمن يأكل الحشيشة جَهْلا ... عشْتَ فى أكلها بأقْبح عيشة
قيمةُ المَرْءِ جوهر فلماذا ... يا أخا الجهل بِعْتَه بحشيشة؟!(٢)

ويدخل التدخين فى التحريم لثبوت ضرره على النفس والمال.. ولا يستريب فى هذا عاقل.

«**فتوى لفضيلة مفتى الجمهورية**»:

قال الدكتور: نصر فريد واصل -مفتى الجمهورية-:

«إن التدخين من وسائل الإدمان، لأن شركات التبغ العالمية تربى المدخنين قبل سن العشرين، بحيث يصعب عليهم الإقلاع عن التدخين، كما تقوم بزيادة نسبة النيكوتين المخدر فى السجائر مما يدفع إلى إدمانها.

وقد أكدت الأبحاث الطبية أضرار التدخين، وأنه السبب الرئيسى لأمراض القلب والسرطان، مما أدى إلى وجود أكثر من ١٠ ملايين شخص

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣١٢٨).
(٢) الكبائر للذهبى (٩٤ - ٩٥).

يموتون سنويًا بسبب الأمراض الناتجة عن التدخين الذى يعد بذلك قاتلاً للنفس ومضيعًا للأموال.

وطالب فضيلة المفتى بضرورة إجماع العلماء على تحريم التدخين وإلحاقه بالمخدرات لوجود القاعدة الفقهية:

«كل ما فيه إفساد فهو حرام».

ولقوله تعالى: ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ﴾[1].

ولا شك أن التدخين من الخبائث، وقد قال -ﷺ-:

«لا ضرر ولا ضرار». وأضرار التدخين واضحة وبينة فى إفساد النفس والمال، وهما من الكليات الخمس التى جاءت الشريعة بحفظها»[2].

٢٣- الحث على الصيام

للصوم من الفوائد الصحية الكثير بجانب فوائده الروحية والنفسية والأخلاقية، فقد ثبت نفعه فى مجال المحافظة على صحة البدن، حتى خصص غير المسلمين لأنفسهم أيامًا يصومون فيها، ومنهم من يصوم مع المسلمين لاعتبار صحى.

وفى الحديث: **«صوموا تصحّوا»**[3].

قال الأستاذ/ عبد الرزاق نوفل -رحمه الله تعالى-: «ويعتبر الصوم علاجًا لاضطرابات الأمعاء المزمنة، ولزيادة الوزن، وزيادة الضغط، ولالتهاب الكلى والأمراض الجلدية، إذ أن الامتناع عن الطعام والشراب مدة من الزمن، يقلل من وجود الماء فى الجسم، وهذا بدوره ينعكس على وجود الماء فى الجلد، فتزداد مقاومته لتلك الأمراض، وتزداد سرعة الشفاء»[4].

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) مجلة التوحيد، محرم ١٤٢١هـ (ص ٣٨).

(٣) **حسن**: رواه ابن السنى، وانظر الجامع الصغير (٢/٧٦).

(٤) الله والعلم الحديث ص ٢١٢.

ويقول الدكتور الظواهرى:

«يفيد الصوم فى علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية التى ينتج عنها بعض الأمراض الجلدية. فالصوم وترك الصغائر والاتجاه إلى الله يقلل الأمور التى تشغل البال، فيؤدى هذا إلى الراحة النفسية، وهذا يؤدى إلى المساعدة فى علاج هذه الأمراض الجلدية التى تلعب الأعصاب فيها دورًا هامًّا، مثل البهاق والثعلبة وغيرها»(١). وحدد الدكتور «شخاشيرى» فوائد الصيام فى النقاط الآتية:

أولاً: علاج اضطرابات الهضم، واضطرابات الأمعاء، وبالذات المزمنة.

ثانيًا: إقلال السكر فى الدم، والعمل على إخفائه من البول.

ثالثًا: إنقاص الوزن.

رابعًا: التهاب الكلى الحاد، والمصحوب بتورّم وارتشاح، يستفيد كثيرًا من الصيام.

خامسًا: أمراض القلب المصحوبة بتورم فى القدمين والساقين، وتضخم فى حجرات القلب.

سادسًا: التهابات المفاصل الروماتيزمية(٢).

هذا، وفوائد الصوم غير ما ذكرنا كثيرة وكثيرة.. وكل يوم يكشف لنا الطب الحديث عن فضل الصوم وأهميته ما يثير الإعجاب.

٢٤- الصلاة شفاء

● قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾(٣).

---

(١) مجلة طبيبك الخاص. عدد (٨١) سبتمبر سنة ١٩٧٥م ص ٤١.

(٢) الإعجاز الطبى (ص ١٢٣).

(٣) سورة البقرة: ٤٥.

● وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[١].

وفى «السنن»: كان رسول الله -ﷺ-، إذا حَزَبه أمرٌ، فَزِع إلى الصلاة[٢].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

ما هَجّرتُ إلا وجدتُ النبىّ -ﷺ- يُصلّى، قال:

ثم قال: «اشْكَنْبُ دَرْدٍ؟»[٣].

قال: قلتُ: لا.

قال: «قم فصل فإن فى الصلاة شِفاء»[٤].

وعن عبد الله بن محمد بن الحنفية، قال:

انطلقتُ أنا وأبى إلى صهر لنا من الأنصار نعوده فحضرت الصلاة فقال لبعض أهله:

يا جارية ائتونى بوضوء لعلى أصلى فأستريح.

قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال:

سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»[٥].

وقال رسول الله -ﷺ-: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربة إلى ربكم، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٦].

---

(١) سورة طه: ١٣٢.
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد وأبو داود، وقال الأرنؤوط: صحيح. زاد (٤/ ٣٣١).
(٣) اشكنب درد: كلمة فارسية معناها: «أتشتكى بطنك؟» (مجمع الأنوار ص٧).
(٤) أخرجه أحمد برقم (٩٠٤٣) فى «المسند» وقال المحقق: إسناده حسن.
(٥) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٤١٧٢).
(٦) **صحيح**: رواه أحمد، وغيره. وانظر: صحيح الترغيب (٦٢٠).

مما سبق يتبين لنا أهمية الصلاة فى رفع الدرجات.. وتكفير السيئات.. وإزالة الهموم.. وطرد الداء عن البدن.

وبعد الدراسة الطبية تبين الآتى:

١- أن المصلين الذين يبدأون صلاتهم مبكرًا قبل العاشرة من عمرهم يكونون أقل عرضة لآلام الظهر من فئة الذين يبدأون صلاتهم بعد العاشرة من العمر.

٢- أن آلام الظهر تماثلت للشفاء للفئة الأكثر استمرارية فى الصلاة أثناء حياتهم وذلك لأن الحركات المتناسقة أثناء الصلاة هى تمارين رياضية معتدلة تؤدى إلى المحافظة على استقامة ومرونة العمود الفقرى بواسطة العضلات المحاطة به.

٣- تبين من الدراسة أن المستمرّين فى الصلاة أكثر تحملاً للشدة الخارجية والمسببة لآلام الظهر ومع الوقت وبالعلاج زالت عنهم الآلام(١).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

«والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوِّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مُفْرحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، مُنَشِّطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مُغَذِّية للروح، منوِّرة للقلب، حافظة للنِّعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مُبعدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة: فلها تأثير عجيب فى حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتُلى رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظُّ المصلى منهما أقلَّ، وعاقبتُه أسلم.

وللصلاة تأثير عجيب فى دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطيت حقَّها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استُدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولاستُجلت

(١) الإعجاز الطبى ص ٣٨.

مصالحُهما بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أن الصلاة صلة بالله عزّ وجلّ، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطعُ عنه من الشرور أسبابها، وتُفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل، والعافية والصحة، والغنيمة والغنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرّات، كلها محضرة لديه، ومسارعة إليه»(١).

٢٥- الحث على التداوى

كان من هدى النبىّ -ﷺ- فِعلُ التداوى فى نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه.

● فعن أسامة بن شَريك، قال:

شهدتُ الأعراب يسألون النبىّ -ﷺ-: أعلينا حَرَجٌ فى كذا؟

أعلينا حرجٌ فى كذا؟ فقال لهم:

«عباد الله وضع الله الحرج، إلاّ من اقترض من عِرض أخيه شيئًا فذاك الذى حَرِج»(٢).

فقالوا: يا رسول الله هل علينا جُناحٌ أن لا نتداوى؟

قال: **«تداوَوْا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضعْ داءً إلا وضع معه شفاءً، إلا الهَرَم»**.

قالوا: يا رسول الله ما خيرُ ما أُعطى العبد؟

قال: **«خُلُقٌ حَسَن»**(٣).

● وفى «المسند» من حديث ابن مسعود يرفعه:

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٣١، ٣٣٢).

(٢) حرج: أى: حَرُم.

(٣) **صحيح**: انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٨٩).

«إن الله عز وجل لم يُنْزِل داءً إلا أنزل له شفاءً، عَلِمَهُ من علمه، وجَهِله من جهله»[١].

قال الإمام ابن القيم: «تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها . . .».

ثم قال: «. . . وفى الأحاديث الصحيحة[٢] الأمر بالتداوى، وأنه لا ينافى التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لاتتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل، كما يقدح فى الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطِّلُها أن تركها أقوى فى التوكل، فإن تركها عجزًا يُنافى التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلاَّ كان معطِّلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزهُ توكلاً، ولا توكُّله عجزًا»[٣].

«**والطب طبان**»: بدنى وروحى، اتفقت الدنيا عليهما، علمًا ودينًا، سلفًا وخلفًا، فما من سبيل إلى إنكارهما، أو إنكار أحدهما إلا مكابرة، أو مغالطة، أو عصبية مجردة، إن لم تكن جهالة، أو حماقة، أو هوى غير برىء.

ولطالما كان، ولا يزال، وسوف يبقى الطب البدنى عاجزًا كل العجز أمام أمراض، لا شفاء منها إلا بالطريق الرُّوحى، قولاً واحدًا، وكثير أولئك الأطباء الذين مرضوا -فضلاً عن الكافة- فعجزوا وعجز كبار زملائهم عن علاجهم، بكل ما فى الطب من كفاية، ثم وجدوا -وهم الأطباء العصريون

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣٥٧٨) وابن ماجه، وصححه البوصيرى فى زوائده.
(٢) ومنها ما تقدم.
(٣) زاد المعاد (٤/ ١٤ - ١٥).

المثقفون- الدواء والشفاء فى العلاج الرُّوحى وحده[١]، ومنهم كثرة تعيش بيننا، تعترف بهذا، وتدل عليها، وتوجه إليه، كمادة أصلية مع العلاج بأدوية الطب البدنى للجمع بين دواء الظاهر والباطن.

وقد آمن العلم الحديث بالطب النفسى والعصبى، وقرره واعتمده، وإنما الطب النفسى والعصبى والمغناطيسى العلمى وجه من وجوه العلاج الرُّوحى، ما لم ينحرف»[٢].

الإنسان بدن وروح:

المسألة بسيطة للغاية: فالإنسان بدن وروح، فإذا حدث المرض، تعيَّن أن يتلقى الجسد علاجه المادى، وأن تتلقى الروح علاجها الربانى، ولما كانت الروح أغلب، كان العلاج الروحى كثيراً ما يغنى عن العلاج البدنى، ولكن الفطرة تقتضى أن يتلازم هذا وذاك، وتلك هى السنة النبوية، فقد روى ابن ماجه، والحاكم، وصححه على شرط الشيخين، وسلّمه الذهبى، وجوَّده ابن كثير عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال -صلى الله عليه وسلم-:

«**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**» فكان ذكر العسل إشارة إلى ممارسة الدواء البدنى، وذكر القرآن إشارة إلى أن يجمع معه الدواء الروحى، وفيما ورد من الطب النبوى أنماط شتى من التداوى بالعلاجين البدنى والروحى، يرجع إليهما فى كتب الحديث المعتمدة، ومؤلفات علماء السلف[٣].

وطلب الدواء الروحى أصل من أصول الفطرة، ألا ترى إلى الإنسان عندما يتناول جرعة الدواء البدنى، ينطلق لسانه قبلها وبعدها عفواً، كما ينطلق لسان من حوله كذلك بالدعاء له بالشفاء؟! هذا الدعاء هو العلاج

---

(١) العلاج الروحى: هو العلاج بالرُّقى الشرعية من القرآن والسنة.. أما استخدام الجان والشياطين.. وادعاء معرفة الغيب.. وقراءة الكف والفنجان.. واستخدام الأحجبة والبخور وتلاوة بعض العزائم وكتابة بعض الطلاسم فكل هذا من الشرك المنهى عنه.

(٢) الإسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات ص ٤٢.

(٣) مثل كتاب: «الطب النبوى» للإمام ابن القيم.. وكتاب «فتح البارى» وغيرهما.

الروحى مع العلاج البدنى، فإن الشافى على الحقيقة هو الله، لا الدواء، وما الدواء إلا سبب مجرد، تقع عنده إرادة الله بالشفاء، وكذلك الدعاء، أو الرقَّى، أو القرآن، سبب مبارك تقع عنده إرادة الله بالشفاء، ما دام قد سبق هذا فى العلم القديم.

التداوى بالقرآن سنة نبوية:

روى السجزى فى «الإبانة»، والقضاعى فى «مسند الشهاب»، بإسناد حسن عن النبى -ﷺ- قال:

«**القرآن هو الدواء**».

وروى ابن ماجه بإسناد حسن فى باب «الاستشفاء بالقرآن» عنه -ﷺ- قال: «**خير الدواء القرآن**»، أى: مع الطب الحسى، ومع الطب النفسى جميعًا.

ولا موجب أبدًا إلى التكلف التعسفى، لصرف معنى الدواء هنا إلى الدواء المعنوى بمعنى: الهداية والإرشاد، أو قصر المعنى على هذا الوجه وحده، فلا دليل عليه قط، وهو أن تمشّى مع منطوق حديث، فلن يتمشى مع بقية الأسباب والمناسبات والوقائع والحقائق فى بقية الأحاديث، بل إن المتعين أن يكون الدواء هنا بمعنى الاستشفاء من الأمراض الحسية البدنية بالذات، أما غيرها فبالإضافة إليها، ودليله ما جاء نصًّا فى رواية «البخارى» و«مسلم» وغيرهما، من قصة «رقية اللديغ بالفاتحة» حتى برأ، وقوله -ﷺ- للراقى إذا استأذنه فى تناول ما عرضوه عليه أجرًا للرقية بالقرآن:

«**أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»، ثم إنه صلى -ﷺ- طلب لنفسه سهمًا من أجر هذا العلاج القرآنى، مبالغة فى تأكيد شرعية هذا العلاج، وتحقيق نفعه، وتسجيل سنيته، والتنصيص الحاسم عليه[1].

---

(١) الإسكات. لفضيلة الشيخ/ محمد زكى إبراهيم -رحمه الله تعالى- ص٤٤.

تنبيه هام:

هذا، وقد ظهرت جماعات احترفت (العلاج بالقرآن)، وكتبوا فيه الكثير، وموهوا على الناس والمضطرين واليائسين، وخلطوا بين مس الشيطان وأمراض النفوس والأبدان، بل افتتحوا لهم مؤسسات، وأذاعوا الأشرطة والمسجلات، ولكل منهم أسلوبه الخاص والعام. . وقد بينت ما تلبسَّوا به من بدع وشركيات فى كتابنا «بدع المعالجين بالقرآن» ولله الحمد.

التداوى بالعزائم والطلسمات والخصائص:

ويجب أن يلاحظ: الفرق الهائل بين التداوى بالقرآن، والتداوى بالعزائم، وخواص الأعداد والحروف، والخواتم، والرياضيات الشيطانية، والأوفاق، والطلسمات، وكذلك أسماء الجن، والكلمات الأعجمية، ونحو خاتم سليمان من الرموز، والمعميات والألفاظ الموهمة، وما يأتيه السحرة، والممخرقون والمشعوذون، والمخرفون، والمنحرفون ونحوهم، فهذا عالم سافل ردىء فاسق، وهذا عالم آخر رفيع مضىء باهر، وشتان ما هما، ونحن هنا نتكلم عن القرآن، لا عن سواه من الزور والبهتان.

والخلاصة:

«إن الإيمان بالغيب ليس مظلّة تأوى إليها الخرافات وتحتشد تحتها الترهات كما يتهمنا بذلك الماديون، والأوهام تسبق إلى أذهان البشر فى حالات الضعف والمرض، والإسلام يقول للمريض:

إذا وعكت فابحث عن دواء حتمًا، وضُمَّ إلى التداوى أن تدعو الله بالشفاء واحذر التمائم والتعاويذ والهمهمات الغامضة التى يصفها الخرافيون والدجالون، وتوكل على الله فهو شافيك.

وقد شَرَحت ذلك سنن أخرى صحيحة «**من علّق تميمة فلا أتم الله له. ومن علق ودعة فلا أودع الله له**» رواه مسلم.

وكان النبى -ﷺ- يدعو للمريض إذا زاره: «**أذهب البأس، رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا**» متفق عليه.

وقد أمرنا الله بالاستعاذة ونزلت المعوذتان لنتحصَّن بهما مما يصيبنا كما تحصَّن نبينّا -عليه الصلاة والسلام-.

الرقية دعاء، والدعاء حق، والممنوع ما ابتدعه الناس فى هذا المجال من أوهام»(١).

٢٦- الأمر بإطفاء النار أثناء النوم

وهذا -أيضًا- من حرص الإسلام على حياة الإنسان وصحته..

روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**خمرّوا الآنية**(٢) **وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الباب**(٣) **وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت البيت، واكفتوا**(٤) **صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشارًا وخطفة**».

وفى «المسند» -أيضًا- عن عبد الرحمن بن أبى نُعيم عن أبى سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**يقتل المُحْرِمُ الأفعى والعقرب والحداء والكلب العقور والفُوَيْسقة**».

قلتُ: ما الفويسقة؟

قال: «**الفأرة**».

قلتُ: وما شأن الفأرة؟

قال: «إن النبى -ﷺ- استيقظ وقد أخذت الفتيلة فصعدت بها إلى السقف لتحرق عليه».

---

(١) كنوز من السنة للشيخ محمد الغزالى -رحمه الله تعالى- ص ٦٣.

(٢) خمروا: غطوا.

(٣) أجيفوا: أغلقوا.

(٤) اكفتوا: امنعوا.

قلت: ويدخل تحت هذا- التأكد من إحكام غلق أنابيب الغاز وغيرها.

٢٧- تحريم الزنا(١)

الزنا من أخطر الوسائل لنشر الأمراض الفتاكة ومن أشهر الأمراض التى ينقلها الزنا.

أمراض الزهرى، والسيلان.

ويقول الدكتور الظواهرى:

«الزانى يُعَرض نفسه لعدوى كثير من الأمراض، منها التناسلية والجلدية والباطنية الخطيرة وقد ينقل هذه الأمراض إلى من يشاركه جريمة الزنا وإلى الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم جنسيًّا، أو تتصل بهم من تشاركه جريمة الزنا فينقل هذه الأمراض لزوجته، كما تنقلها الزانية لزوجها، فبجانب الزهرى والسيلان توجد أمراض جلدية تنقلها جريمة الزنا، منها مرض الجرب وقمل العانة والفيروسات والطفيليات وكثير من الأمراض التى تنقل بالعدوى والمخالطة، تنتقل عن طريق التنفس أو التقبيل أو الملامسة»(٢).

هذا، بالإضافة إلى أمراض أخرى لم تكتشف بعد.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «أقبل علينا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: **«يا معشر المهاجرين: خمسُ خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشةُ فى قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوْا.**

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين، وشدَّة المؤونة، وَجَوْر السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم

---

(١) راجع كتابنا «ولا تقربوا الزنا» ط. المكتبة التوفيقية.

(٢) طبيبك الخاص، العدد رقم (١١٠). فبراير سنة ١٩٧٨م.

يُمْطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهدَ رسوله إلاَ سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم.

وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله تعالى، وَيَتَخيَّروا فيما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم»(١).

هذا عن مفاسد الزنا وأضراره الجسمانية والبدنية أما مفاسده الأخلاقية وأضراره الدنيوية والآخروية فأكثر من أن تُحصى نسأل الله العفو والعافية.

٢٨- تحريم اللواط وإتيان البهائم

كم أكبت فتنة العشق رؤوسًا على مناخرها فى الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين، كخروج الشعرة من العجين، وكم أزالت من نعمة، وأحلّت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزةّ عزيزًا فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو فى أسفل سافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلّت من ندم، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد، وأذهبت قدرًا كان للعبد عند الله فى قلوب العباد، وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، فقل أن يفارقها زوال نعمة، أو فجاءة نقمة، أو تحويل عافية، أو طروق بلية، أو حدوث رزية، فلو سألت النعم ما الذى أزلك؟ والنقم ما الذى أدنك، والهموم والأحزان ما الذى جلبك؟ والعافية ما الذى أبعدك وجنبك، والستر ما الذى كشفك؟ والوجه ما الذى أذهب نورك وكشفك؟ والحياة ما الذى كدَّرك؟ وشمس الإيمان ما الذى كوَّرك؟ وعزة النفس ما الذى أذلك، وبالهوان بعد الإكرام بدَّلك؟ لأجابتك بلسان الحال اعتبارًا، إن لم تجب بالمقال حوارًا.

---

(١) **حسن**: صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤٦).

هذه والله بعض جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون:

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

وجريمة «اللواط» و«إتيان البهائم» من أفحش المعاصى وأخبثها وأضرها على دنيا المرء وآخرته.. فلقد شدد الإسلام فيها العقوبة.

روى أحمد وأبو داود والترمذى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»**(٢) فقيل لابن عباس: ما شأن البهيمة؟

فقال: ما سمعتُ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى ذلك شيئًا، ولكن أرى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كره أن يؤكل من لحمها أو ينتفع بها، وقد عمل بها ذاك العمل(٣).

ومن أقبح ما يُبْلَى به «اللائط» من أمراض.. مرض «الأيدز» -لعنة العصر- الذى نشأ نتيجة الانحرافات الجنسية، والشذوذ، هذا بالإضافة إلى كثير من الأمراض الأخرى التى تنتقل عن هذا المحل «القذر».

٢٩- الحث على الرياضة البدنية

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- ما مختصره:

«وأما تدبيرُ الحركة والسكون، وهو الرياضة، فنقول: من المعلوم افتقار البدن فى بقائه إلى الغذاء والشراب، ولا يصير الغذاء بجملته جزءًا من البدن، بل لابد أن يبقى منه عند كل هضم بقية ما، إذا كثُرت على ممر الزمان اجتمع منها شيء له كمية وكيفية، فيضرُّ بكميته بأن يسد ويثقل البدن، ويوجب أمراضَ الاحتباس، وإن استفرغ تأذى البدن بالأدوية، لأن أكثرها

---

(١) سورة النمل: ٥٢.

(٢) روضة المحبين لابن القيم ص ١٨٦.

(٣) **حسن صحيح**: صحيح سنن الترمذى (١١٧٦).

سميَّة، ولا تخلو من إخراج الصالح المنتفع به، ويضر بكيفيته، بأن يسخن بنفسه، أو بالعفن.

وسدد الفضلات لا محالة ضارة تركت، أو استفرغت، والحركة أقوى الأسباب فى منع تولدها، فإنها تُسخن الأعضاء، وتُسيل فضلاتها، فلا تجتمعُ على طول الزمان، وتُعَوِّدُ البدن الخفّة والنشاط، وتجعله قابلاً للغذاء، وتصلِّب المفاصل، وتُقوى الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها فى وقته، وكان باقى التدبير صوابًا.

ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء، وكمال الهضم، والرياضة المعتدلة هى التى تحَمرُّ فيها البشرة، وتربو ويتندى بها البدن، وأما التى يلزمُها سيلان العرق فمفرطة، وأى عضو كثرت رياضته قوى.. ولكل عضو رياضة تخصّه، فللصدر القراءة، فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج، ورياضة السمع بسمع الأصوات، والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضة اللسان فى الكلام، وكذلك رياضة البصر، وكذلك رياضة المشى بالتدريج شيئًا فشيئًا.

وأما ركوب الخيل، ورمى النشاب، والصراع، والمسابقة على الأقدام، فرياضة البدن كله، وهى قالعة لأمراض مزمنة، كالجذام والاستسقاء والقولنج.

ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته ما هو من أنفع شىء له سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شىء للبدن والروح والقلب.

وفى الصوم الشرعى من أسباب حفظ الصحة ورياضة البدن والنفس مالا يدفعه صحيح الفطرة.

وأما الجهاد وما فيه من الحركات الكلية التى هى من أعظم أسباب القوة، وحفظ الصحة، وصلابة القلب والبدن، ودفع فضلاتهما، وزوال الهم والغم والحزن، فأمر إنما يعرفه من له منه نصيب..»[١].

وروى مسلم فى «صحيحه» أن رسول الله -ﷺ- قال: «**ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى**».

وقال -ﷺ-: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أربع خصال: مشى الرجل بين الغَرَضين (الرمى)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلمه السباحة**»[٢].

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٤٧، ٢٤٨) بتصرف.

(٢) الجامع الصغير للسيوطى (٢/ ١٥٥) والحديث: حسن.

الحق الحادى عشر:

حــــــق الــطـــريـــق

الحق الحادى عشر:

حق الطريق

تمهيد

اعلم أن إماطة الأذى عن الطريق من شُعَب الإيمان، فالطرق فى المدن الإسلامية ينبغى أن تكون نظيفة خالية من القمامة، ممهدة السير موفورة الشارات التى تنظم المرور وترشد الغرباء.

إن الحيوان وحده هو الذى لا يبالى أن يسير على الأشواك أو يقفز فوق الحفر!.

يقول الشيخ الغزالى: «وقد كان من حظى أن أسير فى «لندن» و«رومة» و«واشنطون» و«باريس» فحسدتُ أهلها على جمال الطرق ونظم المرور وامتداد الصمت وشيوع الابتسام، ليت شعرى، لماذا لا تتوفر هذه الآداب الإسلامية بيننا؟ لكأن القوم عادوا من درس سمعوه لمحمد -ﷺ- فى آداب الطريق وحسن الصحبة[(١)]! إننا تواضعنا على أن الإسلام كلام لا نظام وقشر لا لباب فيه![(٢)] ومن ثم لم نحسن الانتفاع بما لدينا من تعاليم، وشىء آخر أود شرحه: إن الدين إيمان واستقامة، فإذا رق اليقين فى الأفئدة وسرى العوج فى الأعمال فلا دين!.

قد يكون رباط العنق -فى الملابس الفرنجية- زينة ولكن ما قيمته على جسم عريان؟!».

---

(١) ويعلن الغزالى فى مقام آخر الحرب على غرائزهم فيقول: «والحضارة الأوربية الحديثة ربما قدَّمت للبشرية يقظة عقلية عارمة، ولكنها حياة جزئية تعرف الخلق ولا تعرف الخالق، وقد شبهتها «بأبى الهول» التمثال القابع عند الأهرام فى مصر، له وجه إنسان وجسم حيوان! كذلك هذه الحضارة لها عقل إنسان وغرائز حيوان!».

(٢) الإسلام كله لباب لا قشر فيه.

لقد جعل الإسلام نظافة الطريق شعبة من شعب الإيمان -كما تقدم-:

يقول -ﷺ-: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» رواه مسلم.

● وجعل نظافة الطريق فى حديث آخر «صلاة». يقول -ﷺ-: «**حملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة**»(١).

● وجعل إماطة الأذى عن الطريق فى حديث ثالث «صدقة» يقول -ﷺ- فى حديث طويل: «**وبكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»(٢).

● وجعل إماطة الأذى فى حديث رابع من محاسن أعمال المسلم:

فعن أبى ذر -رضي الله عنه- قال: قال النبىُّ -ﷺ-: «**عُرِضت علىَّ أعمال أمتى حَسَنُها وسيِّئُها، فوجدتُ فى محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ووجدتُ فى مساوئ أعمالها النُّخامة(٣) تكون فى المسجد لا تُدْفن**» رواه مسلم.

● وجعل الإسلام إماطة الأذى فى حديث خامس صدقة على مفاصل الجسم، عن بُرَيده -رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كلّ مِفْصل منها صدقة**».

قالوا: فمن يُطيق ذلك يا رسول الله؟

قال: «**النُّخامة فى المسجد تدفنها، والشىء تنحّيه عن الطريق، فإن لم تقدر، فركعتا الضُحى تَجْزى عنك**»(٤).

---

(١) رواه ابن خزيمة.
(٢) رواه أحمد.
(٣) النخامة: البزقة التى تخرج من أقصى الحَلْق.
(٤) رواه أحمد.

● بل وجعل الإسلام رفع الأذى عن الطريق موجب لدخول الجنة!

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بينما رجل يمشى بطريق وجد غُصْن شَوْك فأخَّره، فشكر الله له، فغفر الله له**» متفق عليه.

وفى رواية لمسلم قال: «**لقد رأيتُ رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين**».

وفى أخرى له:

«**مَرّ رجل بغُصن شجرة على ظهر الطريق، فقال: والله لأُنحِّين هذا عن المسلمين لا يُؤذيهم، فأُدْخل الجنة**».

ورواه أبو داود، ولفظه:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**نَزَع رجل لم يعملْ خيرًا قطُّ غُصْن شَوْك عن الطريق، إمَّا قال: كان فى شجرة فقطعهُ، وإما كان موضوعًا، فأماطه عن الطريق، فشكر الله له، فأدخله الجنة!**».

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كانت شجرة تؤذى الناس، فأتاها رجل فَعزلها عن طريق الناس، قال: قال نبيُّ الله -صلى الله عليه وسلم-: «**فلقد رأيتُهُ يتقلب فى ظلِّها فى الجنة**»(١) فإذا كان هذا هَدْى إسلامنا، فما بالنا اليوم نجأر بالشكوى من قذارة الطريق وعجز المكلفين بنظافتها عن القيام بواجبهم؟

إنهم لو عقلوا أن عملهم هذا شعبة من شعب الإيمان لبالغوا فى أدائه وإحسانه وتجويده، ولساعد أفراد الأمة فى أدائه حسبة لله تعالى.

ألسنا نرى الفقيه فى دينه يرفع ما استطاع من الأذى عن الطريق حسبة يطلب الثواب عليها من الله؟

أليس من العار على المسلمين، ونظافة الطريق من شعب الإيمان عندهم، أن يسبقهم غيرهم إليها؟»(٢).

---

(١) قال المنذرى: رواه أحمد وأبو يعلى، ولا بأس بإسناده فى المتابعات. الترغيب (٤٣٦٩).
(٢) أخلاق إسلامية ص ١٢٣.

قلت: ويدخل فى أذى الطريق.. ما نراه ونسمعه فى غُدونا، ورواحنا من مخالفات شرعية، وفوضى أخلاقية.. من سب للدين.. وقذف للمحصنات، وهتك للعورات.. وعرى فاضح.. ومشاهد مرذولة.. وشتم ولعن.. وتضييق على المسلمين.. ومعاكسات للفتيات.. ونظرات خائنة.. وغمز ولمز.. وغيبة ونميمة.. وإذلال للمسلمين.. وأصوات عالية تضج بها المحلات والمقاهى ينبعث منها غناءُ فاضح.. دون محافظة على مشاعر الناس.. ودون مراعاة لمريض يبحث عن الراحة!!

أليست كل هذه المخالفات تُعد أذى؟!.. أليس أصحاب هذه الجرائم يستحقون التأديب والتأنيب؟!

إن طرقاتنا فى حاجة إلى من يزيل ما أصابها من قذارة حسية وأخلاقية إن إسلامنا شرع حقوقًا للطريق لابد من معرفتها.. والسير على هديها.

فما هى حقوق الطريق؟

عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إياكم والجلوس فى الطرقات**».

قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدَّث فيها؟

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه**».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر**»(١) متفق عليه.

يؤدّب النبى -صلى الله عليه وسلم- كلّ من ألجأته الضرورة.. واضطرته الحاجة للجلوس فى الطريق.. بعدة آداب هامَّة.

---

(١) الدر المنثور (٦/ ١٧٦).

الأدب الأول: غض البصر:

قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾(١).

أخرج ابن مَرْدُويه عن على بن أبـى طالب -رضي الله عنه- قال: مر رجل على عـهد رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- فى طريق من طرقـات. . المدينة، فنظر إلى امـرأة ونظرت إليه، فـوسوس لهـما الشيـطان: إنه لم ينظر أحدهمـا إلى الآخر إلا إعجابًا به، فبينا الرجل يمشى إلى جنب حـائط ينظر إليها، إذ استقبله الحائط فشق أنفه، فقال:

والله لا أغسل الدم حـتى آتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأعلمـه أمرى، فأتاه فقص عليه قصّته فقال النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«**هذا عقوبة ذنبك**» وأنزل الله.

﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾. الآية، أى عـمـا لا يحل لهم ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ أى عما لا يحل لهم(٢).

وأخرج أحمد وغيره عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، قال:

قلتُ: يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟

قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك**».

قلت: يا نبى الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض؟

قال: «**إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها**».

قلت: إذا كان أحدُنا خاليًا؟

قال: الله أحق أن يستحى منه الناس».

قال الإمام القرطبى- رحمه الله تعالى-:

---

(١) سورة النور: ٣٠.

(٢) الدر المنثور (٦/١٧٦).

«البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعْمَرُ طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضُّه واجب عن جميع المحرّمات، وكلّ ما يخشى الفتنة من أجله»(١) أ. هـ.

قلت: ولقد ورد التحذير من إطلاقه والحثّ على غضّه فى كثير من الأحاديث والآثار فمن ذلك:

١- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، فهو مُدرك ذلك لا محالة، العينان: زناها النظر، والأذنان: زناهما الاستماع، واللسان: زناه الكلام، واليد: زناها البطش، والرِّجل: زناها الخُطى، والقلب - يَهْوَى ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرج، أو يكذّبه**» رواه مسلم.

٢- وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن النبىَّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصْدُقوا إذا حَدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا الأمانة إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضُّوا أبصاركم وكفّوا أيديكم**» رواه أحمد وغيره.

٣- وعن معاوية بن حَيْده -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاثة لا ترى أعينُهم النار:**

عين حَرَست فى سبيل الله، وعينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ كفَّت عن محارم الله»(٢).

٤- وروى الترمذى، وأبو داود من حديث بُرَيدة، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعلىٍّ:

(١) تفسير القرطبى (١٢/٢٠٦).

(٢) قال المنذرى: رواه الطبرانى، ورواته ثقات معروفون إلا أبا حبيب العنقرىّ، ويقال له القنوى لم أقف على حاله. الترغيب (٢٨٦٠).

«يا علىُّ، لا تُتْبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»[١].

٥- وعن جرير -رضي الله عنه-، قال:

سألتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن نظر الفجاءة، فقال:

«**اصرف بصرك**» رواه مسلم.

٦- وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر عن العلاء بن زياد -رحمه الله تعالى- قال:

«كان يقال: لا تتبعن بصرك حسن رداء امرأة، فإن النظر يجعل شبقًا فى القلب».

٧- وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس، قال:

«الشيطان من الرجل على ثلاثة منازل: على عينيه، وقلبه، وذكره.

وهو من المرأة على ثلاثة: على عينها، وقلبها، وعَجُزها»[٢].

٨- وروى الأوزاعىّ قال:

حدّثنى هارون بن رئاب أن غَزْوان وأبا موسى الأشعرىّ كانا فى بعض مغازيهم، فكشفت جارية فنظر إليها غَزْوان، فرفع يده فلطم عينه حتى نَفَرت[٣]، فقال:

«إنك للحّاظة إلى ما يضرّك ولا ينفعك».

فلقى أبا موسى فسأله فقال: ظلمتَ عينك، فاستغفر الله وتُب، فإن لها أوّل نظرة وعليها ما كان بعد ذلك.

---

(١) قال الترمذى: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

(٢) الدر المنثور (٦/ ١٧٧).

(٣) نفرت: أى هاجت وورمت.

قال الأوزاعى: وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات -رضي الله عنه-[(١)].

٩- قال الإمام القرطبى: «ولقد كره الشعبىّ أن يُديم الرجل النظر إلى ابنته أو أمّه أو أخته، وزمانُه خير من زماننا هذا!!».

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[(٢)]. وهذا أمر للنساء -أيضًا- بغض البصر.

أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل، قال:

بلغنا -والله أعلم- أن جابر بن عبد الله الأنصارى حدّث: أن أسماء بنت مرثد كانت فى نخل لها فى بنى حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتزرات، فيبدو ما فى أرجلهن -يعنى الخلاخل- ويبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا..! فأنزل الله فى ذلك:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...﴾ الآية.

قال الإمام ابن القيم:

«فلما كان غض البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، لم يأمر سبحانه بغضه مطلقًا بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال، لا يباح إلا بحقه، فلذلك عمَّ الأمر بحفظه.

وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.

«مسألة»:

ووقعت مسألة: ما تقول السادة العلماء فى رجل نظر إلى امرأة نظرة

---

(١) تفسير القرطبى (١٢/٢٠٦).
(٢) سورة النور: ٣١.

فعلق حبّها بقلبه واشتد عليه الأمر، فقالت له نفسه: هذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر إليها لرأيتها دون ما في نفسك فسلوت عنها، فهل يجوز له تعمد النظر ثانيًا لهذا المعنى؟

فكان الجواب:

«الحمد لله، لا يجوز هذا لعشرة أوجه:

أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرّمه على العبد.

الثاني: أن النبي -ﷺ- سئل عن نظر الفجأة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.

الثالث: أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له.

الرابع: أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لا تناقصه، والتجربة شاهدة به، والظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس: أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه.

السادس: أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لتتم البلية.

السابع: أنه لا يعان على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرّمه عليه، بل هو جدير أن تتخلّف عنه المعونة.

الثامن: أن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس، ومعلوم أن الثانية أشد سُمًّا فكيف يتداوى من السُّم بالسم؟.

التاسع: أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق عزّ وجل في ترك محبوب كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه، فإن لم يكن مرضيًا تركه، فإذًا يكون تركه لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالى، فأين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأجله؟.

العاشر: يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك إذا ركبت فرسًا جديرًا فمالت بك إلى درب ضيّق لا ينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج، فإذا همّت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردّها إلى وراء عاجلاً قبل أن يتمكن دخولها، فإن رددتها إلى ورائها سَهُل الأمر، وإن توانيت حتى ولجت وسقتها داخلاً ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذّر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى الداخل.

فكذلك النظرة إذا أثرت فى القلب، فإن عجل الحازم وحسم المادة من أوّلها سهل علاجه، وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقى الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمى حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقى القلب فى التلف.

والسبب فى هذا أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض أولاً لاستراح قلبه وسلم» ا.هـ(١).

فوائد غض البصر:

وفى غض البصر عدة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شىء على القلب إرسال البصر فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

قال الأصمعى: رأيت جارية فى الطواف كأنها مهاة، فجعلتُ أنظر إليها وأملأ عينى من محاسنها، فقالت لى:

---

(١) روضة المحبين (ص١٠٠ - ١٠١).

يا هذا ما شأنك؟

قلتُ: وما عليك من النظر؟

فأنشأت تقول:

وكنتَ متى أرسلتَ طرْفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتْك المناظرُ
رأيتَ الذى لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

والنظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهم فى الرمية، فإن لم تقتلْه جرحته، وهى بمنزلة الشرارة من النار تُرْمى فى الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كلُّ الحوادث مبداها من النظر ومعظمُ النار من مُسْتَصغر الشَّرر
كم من نظرة فتكت فى قلب صاحبهاَ فَتْكَ السهام بلا قوس ولا وتَرَ
والمرءُ ماً دام ذا عين يقلِّبها فى أعين الغيد موقوفٌ على الخَطَرَ
يسرُّ مُقْلَتَه ما ضَرَّ مهجتَه لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضَّرر

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر فى العين وفى الوجه وفى الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر فى وجهه وجوارحه.

ولهذا -والله أعلم- ذكر الله سبحانه أنه النور فى قوله تعالى:

﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾(١).

عقيب قوله تعالى:

﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾(٢).

وجاء الحديث مطابقًا لهذا كأنه مشتق منه وهو قوله: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضّ بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا**». الحديث.

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة النور: ٣٠.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هى، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء فى مرآة قلبه فطمست نورها، كما قيل:

مرآة قلبك لا تُريك صلاحه والنفس فيها دائمًا تتنفسُ

وقال شجاع الكرمانى:

«من عمَّر ظاهره باتباع السُّنَّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضَّ بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته».

وكان شجاع لا تخطئ له فراسة.

والله تعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره فى المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض. ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة.

وفى الأثر: «إن الذى يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله».

ولهذا يوجد فى المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعل الله لمن آثر هواه على رضاه.

قال الحسن: «إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين (الخيول) إن ذل المعصية لفى قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه».

وفى دعاء القنوت: «**إنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت**».

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة، وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه.

قال بعضهم: «والله للذة العفّة أعظم من لذَّة الذنب».

الفائدة السابعة: أنه يخلّص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل:

طليقٌ برأى العين وهو أسيرُ

ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوّه وسامه سوء العذاب وصار:

كعصفورة فى كفِّ طفلٍ يسُومُها حياض الرَّدى والطفلُ يلهو ويلعبُ

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل.

الفائدة التاسعة: أنه يقوّى عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفّة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب. ومرسل النظر لو علم ما تجنى عواقب نظره عليه لما أطلق بصره، قال الشاعر:

وأعقلُ الناس من لم يرتكب سببًا حتى يفكّر ما تجنى عواقبُه

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سُكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع فى سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصّور:

﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(١).

---

(١) سورة الحجر: ٧٢.

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا[١].

قلت: ويدخل فى النظر المحرم. النظر إلى عورات النساء والرجال فى التلفاز والمجلات وغير ذلك من المشاهد التى تُظهر ما أمر الله بستره.

«قصة»:

«عن مالك بن أنس -رحمه الله- قال:

كان «يونس بن يوسف»[٢] من العباد -أو قال: من خيار الناس- فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة، فوقع فى نفسه منها، فقال: اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة وخشيتُ أن يكون علىَّ نقمة فاقبضه إليك.

قال: فعمى، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له، فإذا استقبل به الاسطوانة اشتغل الصبى بلعب مع الصبيان فإن أتته حاجة حصَبَهُ فأقبل إليه، فبينما هو ذات ضحوة فى المسجد إذ حَسّ فى بطنه بشىء فحصب الصبى فاشتغل عنه مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال:

«اللهم إنك كنتَ جعلت لى بصرى نعمة وخشيتُ أن يكون نقمة فسألتك فقبضته إليك، وقد خشيت الفضيحة فردّه علىَّ».

فانصرف إلى منزله صحيحًا يمشى!!!.

قال مالك: فرأيتُه أعمى ورأيتُه صحيحًا»[٣].

الأدب الثانى: كفّ الأذى:

الافتراء على الأبرياء جريمة، يدفع إليها الكره الشديد. ولما كان أثرها شديدًا فى تشويه الحقائق، وجرح المستورين، عدَّها الإسلام من أقبح الزور:

روت عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه:

---

(١) روضة المحبين (١٠٣ - ١٠٩) بتصرف.

(٢)، (٣) المنتظم (٨/ ١٦٤، ١٦٥).

«أتدرون أربى الربا عند الله؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم؟

قال: **«فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم»**، ثم قرأ رسول الله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾(١).

ولا شك أن تلمس العيوب للناس، وإلصاقها بهم عن تعمد يدل على خُبث ودناءة، وقد رتَّب الإسلام عقوبات عاجلة لبعض جرائم الافتراء وما يبيتُ فى الآخرة لصنوف الافتراء كلها أشدُّ وأنكى.

عن أبى الدرداء -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من ذَكر امْرأ بشىء ليس فيه ليَعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنَفَاد ما قال فيه»(٢).

وفى رواية له:

«أيّما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهومنها برىء يشينُه بها فى الدنيا كان حقًّا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاد ما قال».

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال(٣) حتى يخرج مما قال»**(٤).

ومـا دام الذى قاله بهتانًا، فكيف يستطيع أن يثبت عند الله باطلاً؟ وكيف يتنصّلُ من تبعته؟

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس، إن عجز عن سَوقه إليهم بيده.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٢) قال المنذرى: رواه الطبراى بإسناد جيد. الترغيب برقم (٤١٨١).

(٣) ردغة الخبال: هى عصارة أهل النار.

(٤) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٣٠٦٦).

وسلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يكفَّ أذاه عنهم فى حضورهم وغيابهم:

عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال:

سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ماذا يُنْجى العبدَ من النار؟

قال: «**الإيمان بالله**».

قلتُ: يا نبى الله مع الإيمان عمل؟

قال: «**أن تَرْضخ مما خوّلك الله، وتَرْضَخ مما رزقك الله**».

قلت: يا نبى الله فإن كان فقيرًا لا يجد ما يَرْضخ؟.

قال: «**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**».

قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟

قال: «**فَلْيُعن الأَخْرقَ**».

قلتُ: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟.

قال: «**فلْيُعن مظلومًا**».

قلتُ: يا نبىّ الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يُعين مظلومًا.

قال: «**ما تريد أن تترك لصاحبك من خير، ليُمْسك أذاه عن الناس**».

قلتُ: يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يُدخله الجنة؟

قال: «**ما من عبد مؤمن يُصيب خَصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة**» رواه البيهقى(١).

أما الذى لا يجد بالناس شرًّا فينتحله لهم انتحالاً، ويزوّره عليهم تزويرًا فهو أفّاك صفيق:

(١) الترغيب (٢/ ٦٠) حديث رقم (١٣٠٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

ومن فضل الله على العباد: أنه استحب ستر عيوب الخلق، ولو صدق اتصافهم بها.

وما يجوز لمسلم أن يتشفّى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه فصاحب الصدْر السليم يأسى لآلام العباد. ويشتهى لهم العافية.

أما التلهى بسرد الفضائح، وكشف الستور، وإبداء العورات، فليس مسلك المسلم الحق.

ومن ثم حرّم الإسلام الغيبة، إذ هى متنفس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء:

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**أتدرون ما الغيبة؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟

قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»(٢).

ومن لوازم الحقد سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم، أو خصائصهم البدنية والنفسية.

وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من علم من أخيه سيئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة**» رواه الطبراني.

---

(١) سورة النور: ١٩.
(٢) رواه مسلم.

وقال -ﷺ- أيضًا-: «**من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة**» رواه الطبرانى.

«وكثيرًا ما يكون متتبعوا العورات لفضحها أشدّ إجرامًا، وأبعد عن الله قلوبًا من أصحاب السيئات المكتشفة، فإن التربص بالجريمة لنشرها، أقبح من وقوع الجريمة نفسها:

وشتان بين شعورين، شعور الغيرة على حرمات الله والرغبة فى حمايتها.

وشعور البغضاء لعباد الله والرغبة فى إذلالهم!!.

إن الشعور الأول قد يصل فى صاحبه إلى القمة، ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن التشفّى من الخلق، وانتظار عثراتهم، والشماتة فى آلامهم»(١).

أما الشعور الثانى فصاحبه من أشرّ عباد الله:

رُوى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«**ألا أنبئكم بشراركم؟**».

قالوا: بلى، إن شئتَ يا رسول الله.

قال: «**إن شراركم الذى ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رِفْده**».

«**أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟**».

قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله.

قال: «**من يُبغض الناس ويُبغضونه**».

قال: «**أفلا أنبئكم بشرّ من ذلك؟**».

قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله.

قال: «**الذين لا يُقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنبًا**».

---

(١) خلق المسلم للشيخ الغزالى تحت عنوان: «سلامة الصدر من الأحقاد».

قال: «**أفلا أنبئكم بشرّ من ذلك؟**».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «**من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شرّه**» رواه الطبرانى.

وهذا الصنف الأخير من أبغض الناس إلى رسول الله -ﷺ-:

رُوى عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أحبكم إلىّ أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألَفون ويُؤلفون، وإن أبغضكم إلىّ المشاءون بالنميمة المفرِّقون بين الأحبّة الملتمسون للبُراء العيب**» رواه الطبرانى والبزار.

ومجالس الطريق.. لا تنفك غالبًا عن الأذى.. باللسان.. أو بالعين.. أو باللمز أو الغمز.. وكفّ الأذى عن الناس دليل على صحة الإيمان.. وبرهان على حسن الإسلام.

● روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى -ﷺ- قال:

«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

● وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

سألت رسول الله -ﷺ- فقلت: يا رسول الله: أى الأعمال أفضل؟

قال: «**الصلاة على ميقاتها**».

قلتُ: ثم ماذا يا رسول الله؟

قال: «**أن يسلم الناسُ من لسانك**»(١).

● وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال:

جاء أعرابى إلى رسول الله -ﷺ- فقال:

---

(١) قال المنذرى: رواه الطبرانى بإسناد صحيح، وصدره فى الصحيحين. الترغيب (٤١٩٣).

يا رسول الله علمنى عملاً يُدخلنى الجنة؟

قال: «**إن كنتَ أقْصرت الخُطبة لقد أعرضت المسألة: أعتق النَّسمة، وفك الرقبة، فإن لم تُطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تُطق فكفّ لسانك إلا عن خير**». مختصر رواه أحمد وغيره، هذا والكلام عن كفّ الأذى يطول ذكره وشرحه.. وما قدمناه. ففيه الكفاية ولله الحمد والمنة.

الأدب الثالث: ردّ السلام:

وقد تقدم الحديث عنه فى «حق المسلم على المسلم» فراجعه هناك.

الأدب الرابع والخامس: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

لا يكتفى المسلم الذى ألجأته الضرورة إلى الجلوس فى الطريق.. لا يكتفى بغض البصر، وكف الأذى، وردّ السلام.. ولكن لابد من أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر -كلّ على حسب قدرته واستطاعته- ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها «والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوى بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطّلت النبوة واضمحلت الديانة وعمّت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم(١)، وعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسدّ هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلدًا لتنفيذها مجددًا لهذه السنة الداثرة ناهضًا بأعبائها ومتشمرًا فى إحيائها

---

(١) قال الغزالى فى زمانه.. فماذا يقول لو رأى حال أهل زماننا؟

كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدًا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها»[١].

وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

يدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه: الآيات والأخبار والآثار:

أما الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

ففى الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وفيها:

بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ فإذًا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عمّ الحرج كافة القادرين عليه لا محالة.

٢- وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[٣].

فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية.

---

(١) الإحياء (٢/٣٠٦).

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) سورة التوبة: ٧١.

٣- وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(١).

وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر.

والآيات فى هذا المقام كثيرة.

أما الأحاديث:

فأيضًا كثيرة نختار منها:

١- عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

٢- وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال:

«بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة فى العُسْر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تَروْا كُفْرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم» متفق عليه.

٣- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**ما مِنْ نبيّ بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنهم تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خَرْدل**» رواه مسلم.

---

(١) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.

(٢) رواه مسلم.

٤- وعن ابن مسعود -أيضًا- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يَلْقى الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع به فإنه لا يحلّ لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾**. إلى قوله **﴿فَاسِقُونَ﴾**(١) ثم قال: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرًا**» رواه أبو داود واللفظ له.

٥- وعن أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- قال:

يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾**(٢) وإنى سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يَعمَّهم الله بعقاب من عنده**»(٣).

وأما الآثار:

١- قال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-:

«يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حِمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم».

٢- وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-:

---

(١) سورة المائدة: ٧٨، ٨١.

(٢) سورة المائدة: ١٠٥.

(٣) **صحيح**: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٦٣٤).

«لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانًا ظالمًا لا يجلّ كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم، وتستنصرون فلا تُنصرون، وتستغفرون فلا يُغفر لكم!!».

٣- وسئل حذيفة -رضي الله عنه- عن ميّت الأحياء، فقال:

«الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه».

من الذى يقوم بالدعوة؟

«من حق كل مسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يجاهر بهما.. وإذا فرضت عالمية الدعوة أن يكون لها جهازًا متخصصًا، خبيرًا بأصولها، قادر على التصدى لمكر الأعداء بالليل والنهار، فإن ذلك لا ينفى مسئولية كل مسلم فى حدود إمكاناته، مهما كان موقعه، متى توفر له ما يلى:

(أ) علم بالمأمور به، والمنهى عنه.
(ب) قَدْر من اللين يستميل به القلوب.
(جـ) صبر يعينه على الوصول بالموعظة إلى قرارها.
(د) حكمة تمكنه من وضع الأمور فى مواضعها[(١)].

يقول النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة».

فقلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: **«لله ولكتابه، ولنبيّه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»** رواه البخارى فى «تاريخه».

إنهم يسألون عن المنصوح، من هو؟

ولا يسألون عن الناصح، اعتقادًا منهم بأن واجب النصيحة أمر مفروغ

(١) من الذى يغيّر المنكر وكيف؟ ص٢٨ د. محمود عمارة.

منه، وإذ تعددت مجالات النصح هنا، فذلك يعنى شمول المسئولية كل مسلم، كلّ فى حدود طاقته، وحدود اختصاصه.

والناس درجات:

فيهم الذى يملك ذاكرة قوية قادرة على الاحتفاظ بالمعلومات حية، لكنه محروم من نعمة الفقه والاستنباط.

ومن مصلحة الدعوة أن يبلغ هؤلاء ما سمعوا، انتقالاً بالكلمة إلى تربة خصبة، ولتستثمرها عقول قادرة على الفهم والاستنباط.

يقول -ﷺ-: «**نضر الله امرأ سمع مقالتى، فوعاها، فأداها كما سمعها، فرُبّ مبلغ أوعى من سامع، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**» رواه أبو داود وغيره.

وكان هذا مستند العلماء الذين قَرّروا:

«جواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم، ولا فقه، إذا ضبط ما يحدث به»(١).

وهكذا يتكامل الذكاء، والذاكرة الواعية فى نشر العلم، وتبليغ الدعوة.

وبحكم المسئولية المشتركة التى قررها النبى -ﷺ- تقريراً لا يدع عذراً لمعتذر يريد التفلت من تبعاتها:

«**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته**» رواه البخارى.

«فلكل منا بالضرورة بعض العلاقات، وهو يشغل مكانًا معينًا، ويمارس بعض الوظائف فى جهاز المجتمع:

---

(١) قاله النووى فى شرح «مسلم».

فالأب مسئول عن رفاهية أولاده المادية والأخلاقية، والمربى مسئول عن الثقافة الأخلاقية والعقلية للشباب، والعامل عن تنفيذ عمله وكماله، والقاضى عن توزيع العدالة، والشرطى عن الأمن العام، والجندى عن حفظ الوطن.

كذلك نحن -فرادى- مسئولون عن طهارة قلوبنا، واستقامة أفكارنا كما أننا مسئولون عن حماية صحتنا وحياتنا، حتى أننا نستطيع أن نجد فى كل لحظة من لحظات الإنسانية بعض المسئوليات»[١].

وبحكم المصير المشترك، سئل -ﷺ-: أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم، إذا كثرُ الخبث**».

والأساس القرآنى هنا: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾[٢]، وما ظنك بتفاحة سليمة فى صندوق معطوب؟ سوف تسرى إليها العدوى، ولن يكون لها فضلٌ على أخواتها! وكذلك المسلم الصالح فى نفسه، الساكت عن تحذير غيره، أنه سيخسر فضائله يومًا، حين لا تسمح البيئة ببقائها، ولا باستثمارها.

أما العالم الناهى عن المنكر -فهو وإن لم ينجح فى إحباط مفعوله، فإن معنى المقاومة، ورفض المنكر سيظل ظاهرة صحية، وإن سكنت اليوم فسوف تقاوم غدًا، وإنها لشوكة فى نحر العُصاة لا تجعلهم يستمرئون الحياة، حيث لم تترك لهم الميدان خاليًا!.

وأمة فيها ذلك اللون من المقاومة جديرة بالحياة، يبقيها الحق سبحانه وتعالى بما ضمت عليه نفوسها من عناصر الخير:

﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[٣].

● والتواصى بالحق والصبر أحد دعائم الاستقرار فى حياة الأمة:

---

(١) دستور الأخلاق (١٣٩).

(٢) سورة الأنفال: ٢٥.

(٣) سورة هود: ١١٧.

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(١).

فلابد أن يكون هناك رأى عام بصير، ناقد، يلاحق الأحداث، ويتصدى للانحراف.

وبهذه الجهود المشتركة المتفاعلة لا يتمكن الانحراف من قلوب العصاة ولا بأس أن يأمر العالم وينهى، ثم ينبرى له المدعو نفسه ليلفت نظره إلى قسوته فى الطلب مثلاً، فى حركة مباركة لا يفلت منها عابث بأقدار الأمة.

ولقد استحق بنو إسرائيل «اللعنة» حين غاب هذا الرأى العام الحارس.

● وإذا كان هناك من الأمور الدينية ما لا يقدر على تبعاته إلا المتخصصون كالمتشابهات التى لا يعلمها كثير من الناس.

فإن هناك ما هو واضح، كوجوب الصوم والحج والصلاة.

وحرمة الزنا والسرقة والخمر مثلاً. إنها لا تحتاج إلى متخصص فى الدعوة ويكفى للنهى عنها مجرّد العلم بها.. وذلك متاح للقاعدة العريضة فى المجتمع الإسلامى.

● على أن ظروف العاصى نفسه داخلة فى الاعتبار:

فمن السهل على كل مسلم أن:

يرشد الجاهل. ويذكر الناس..

أما مواجهة المضلين بالبرهان فهذا مما يحتاج فيه إلى التخصص:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٢).

وقد قسّم الحديث الشريف المذنبين إلى قسمين:

---

(١) سورة العصر: ١-٣.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

«المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل يخاف أن يقع عليه. والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره» رواه الترمذى.

وإذ يحتاج المنافق فى فطمه عن ذنبه إلى داعية يجيد السباحة وسط المحيط.. وفى مواجهة العواصف وتقلبات الجو.. إلى جانب إجادته للمحاورة والغوص فى الأعماق..

فإن المؤمن الذى يرى ذنبه هائلاً يسد عليه الأفق لا يحتاج إلى واعظ متخصص.. وفى استطاعة طفل صغير أن يدله على ذنبه.. لأن ضمير العاصى هنا.. يقظ.. حىّ.. فهو عون للواعظ فى مهمته.

يُروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فى مناظرة بينهما:

اتق الله!

فأنكر عليه بعض الحاضرين وقال للرجل:

أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟!.

فقال له عمر: دعه فليقلها لى.. نعم ما قال، لا خير فيكم إذا لم تقولوها.. ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

● وإذا فات المسلم العادى أن يصوغ البرهان.. ، وإذا لم يستجمع عدة المواجهة والمناظرة. فإنه بعمله طبق شريعة الله داع إلى الله من حيث يحتسب أو لا يحتسب. إنه قدوة يراها الناس.. فيتبعونها.. وإذن.. فلا فكاك من هذه التبعة الثقيلة!.

يقول -صلى الله عليه وسلم-: **«بلغوا عنى ولو آية»**.. فمن منا لا يحفظ آية واحدة يقوم بإبلاغها؟

قال الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-:

«الأمر بالمعروف. والنهى عن المنكر واجب على كل مسلم: إن قدر فبيده. فإن لم يقدر فبلسانه. وإن لم يقدر فبقلبه ولابد وذلك أضعف الإيمان. فإن لم يفعلْ فلا إيمان له»[1].

---

(١) المُحلّى لابن حزم (٩/ ٣٦١)، وانظر. من الذى يغير المنكر. د/ محمود عمارة.

هدى النبىّ -ﷺ- والعلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ينقل إلينا أصحابُ السير.. وعلماءُ التاريخ.. نماذج عاطرة من هَدْى رسول الله -ﷺ- والعلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن ذلك:

١- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قام أعرابى فبال فى «المسجد» فقام إليه الناس ليقعوا به، فقال النبىّ -ﷺ-: **«دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم مُيسّرين ولم تبعثوا مُعسّرين»** رواه الجماعة إلا مسلمًا.

٢- ويروى الإمام الواحدى:

أن رجلاً من أشراف البصرة. كان يتنزه فى سفينة له. ومعه جارية.

فلما شرب. راحت الجارية تغنى. وتعزف على عود معها. وكان فى السفينة فتى من الصالحين فقير. فقال له الرجل:

أيا فتى: أتحسن مثل هذا؟.

فقال الفتى: أُحسن ما هو أحسن منه! وكان الفتى حسن الصوت فاستفتح وقرأ قوله تعالى:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(١).

فألقى الرجل ما فى يده من الشراب فى الماء. وقال:

أشهد أن هذا أحسن مما سمعت! فهل غير هذا؟

فقال الفتى: نعم. ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(٢).

---

(١) سورة النساء: ٧٧، ٧٨.

(٢) سورة الكهف: ٢٩.

فوقعت فى قلب الرجل موقعًا حمله على إلقاء الشراب فى الماء. وكسر العود ثم قال: يا فتى، وهل هناك من فرج؟

فقال الفتى: نعم. وقرأ قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

فصاح الرجل صيحة عظيمة. ثم صمت. فنظروا إليه فإذا هو قد مات!!!»(٢).

٣- قال حماد بن سلمة: إن صلة بن أشيم مَرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال:

دعونى أنا أكفيكم، فقال:

يا بن أخى إن لى إليك حاجة؟

قال: وما حاجتك يا عم؟

قال: أُحب أن ترفع من إزارك.

فقال: نعم وكرامة، فرفع إزاره!.

فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال:

لا ولا كرامة وشتمكم(٣).

٤- وقال محمد بن زكريا الغلابى:

شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا فى طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فأجمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس:

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) من الذى يغير المنكر؟ ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) الإحياء (٢/ ٣٣٥).

تنحّوا عن ابن أخى. ثم قال:

إلىّ يا بن أخى، فاستحى الغلام فجاء إليه فضمّه إلى نفسه، ثم قال له:

امض معى، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيّته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتينى به، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام:

قد أمر أن تأتيه، فأدخله عليه فقال له: أما استحييت لنفسك؟

أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه. فبكى الغلام منكسًا رأسه ثم رفع رأسه وقال:

عاهدت الله تعالى عهدًا يسألنى عنه يوم القيامة أنى لا أعود لشرب النبيذ ولا لشىء مما كنتُ فيه وأنا تائب!.

فقال: ادن منى، فقبّل رأسه وقال: أحسنت يا بنى فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث!! وكان ذلك ببركة رفقه(١).

٥- وعن الفتح بن شخرف، قال:

تعلق بامرأة وتعرّض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحدٌ إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن، فبينما الناس كذلك والمرأة تصيح فى يده إذ مَرّ «بشر بن الحارث» فدنا منه وحكّ كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض، ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقًا كثيرًا، ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك؟

فقال: ما أدرى! ولكن حاكنى شيخ وقال لى:

إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل، فضعفت لقوله قدماى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل؟

---

(١) الإحياء (٢/ ٣٣٥).

فقالوا: هو «بشر بن الحارث»، فقال:

واسوأتاه كيف ينظر إلىّ بعد اليوم؟ وحمّ الرجل من يومه ومات يوم السابع!! فكذا كانت عادة أهل الدين فى الحسبة..»[1].

وبهذا القدر نكتفى.. وسوف يأتى فى «حق الراعى والرعية» مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

(١) الإحياء (٢/ ٣٣٥).

الحق الثانى عشر:

حـــق الإخـــوة

الحق الثانى عشر:

حق الإخوة

إن التحاب فى الله تعالى والإخوة فى دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات. ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوّة عن شوائب الكدورات ونزعات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى.

ومدار الكلام فى هذا الحق يرتكز على أصلين:

الأول: فضيلة الأخوة فى الله، والثانى: حقوق الإخوة والصّحبة.

أولاً: فضيلة الإخوة فى الله:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرّق ثمرة سوء الخلق.

فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة.

وحسن الخلق لا تخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه -ﷺ- إذ قال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١].

● وقال -ﷺ-: «**أكثرُ ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**»[٢].

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال: صحيح الإسناد.

● وقال أسامة بن شريك: قلنا: يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان؟

فقال: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»(١).

وقال -ﷺ-: «**أثقل ما يوضع فى الميزان خُلُقٌ حَسَنٌ**»(٢).

ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة، وكيف وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع:

● قال الله تعالى مظهرًا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة:

﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾(٣).

● وقال -ﷺ-: «**المؤمنُ إلْفٌ مألوف ولا خير فيمن لا يألفُ ولا يُؤلف**»(٤).

● وقال -ﷺ- فى الترغيب فى الإخوة فى الله:

«**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه متعلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات حسب وجمال فقال: إنى أخاف الله تعالى، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» متفق عليه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء وقال: حسن صحيح.

(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

(٤) رواه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه.

● وقال -ﷺ-: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىَّ، وللمتجالسين فىّ، وللمتزاورين فىَّ، وللمتباذلين فىَّ»(١).

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ-:

«أن رجلاً زار أخًا له فى قرية، فأرصد الله تعالى على مَدْرجته(٢) مَلَكًا، فلمّا أتى عليه قال: أين تريد؟

قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها(٣)؟

قال: لا، غير أنى أحببته فى الله..

قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحَبَّك كما أحببتَه فيه»(٤).

● وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ:

إنى أحبك فى الله.

فقال له: أبْشِر ثم أبشر فإنى سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«يُنْصب لطائفة من الناس كراسىَّ حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناسُ وهم لا يفزعون، ويخاف الناسُ وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟

فقال: «هم المتحابون فى الله تعالى»(٥).

ورواه أبو هريرة -رضي الله عنه- وقال فيه:

---

(١) صحيح: رواه مالك بإسناد صحيح. الترغيب (٣٨٠١).
(٢) مدرجته: هى الطريق ومعنى أرصده: أقعده يرقبه.
(٣) تربها: أى تقوم وتسعى فى صلاحها.
(٤) صحيح: رواه مسلم.
(٥) أخرجه أحمد والحاكم فى صحيحه بلفظ: «إنى سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إن المتحابين بجلال الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».

«**إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسُهم نورٌ، ووجوههم نورٌ ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداءُ**».

فقالو: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: «**هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله**»[١].

● وعن فضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- قال:

أتيتُ أبا إسحاق[٢] بعدما كُفَّ بصره، قال: قلتُ: تعرفنى؟

قال: فضيل؟

قلتُ: نعم.

قال: إنى والله أُحبُّك، لولا الحياء منك لقبلتُك، فضمّنى إلى صدره، ثم قال: حدثنى أبو الأحوص، عن عبد الله -أى ابن مسعود- ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾[٣].

نزلت فى المتحابين[٤].

● وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-:

«والله لو صمتُ النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقتُ مالى غلقًا غلقًا فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئًا!!.

● وقال الحسن -رحمه الله تعالى-:

---

(١) **رجاله ثقات:** أخرجه النسائى فى «السنن الكبرى» وقال العراقى: رجاله ثقات. الإحياء (١٥٩/٢).

(٢) هو التابعى الجليل: أبو إسحاق السبيعى -رحمه الله- راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين» ط. المكتبة التوفيقية.

(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

(٤) **رجاله ثقات:** أخرجه الطبرى (٣٦/١٠).. وانظر: هامش «سير أعلام النبلاء» (٣٩٧/٥).

«يا بن آدم لا يغرنّك قول من يقول: «**المرء مع من أحب**»[١] فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم».

قال الإمام الغزالى رحمه الله -معلقًا-:

«وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لا ينفع»[٢].

● وقال الفضيل -رحمه الله تعالى- فى بعض كلامه:

«هاه أتريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين؟ بأى عمل عملته؟ بأى شهوة تركتها بأى غيظ كظمته؟ بأى رحم قاطع وصلتها؟ بأى زلة لأخيك غفرتها؟ بأى قريب باعدته فى الله؟ بأى بعيد قاربته فى الله؟».

● وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

«لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب».

● وقال الحسن -رحمه الله تعالى-:

«مصارمة[٣] الفاسق قربان إلى الله».

● وقال رجل لمحمد بن واسع: إنى لأحبك فى الله.

فقال: أحبك الذى أحببتنى له. ثم حوّل وجهه وقال:

«اللهم إنى أعوذ بك أن أُحَب فيك وأنت لى مُبغض».

● وقال الفضيل: «نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة».

---

(١) هذا حديث صحيح.

(٢) الإحياء (٢/ ١٦٠).

(٣) المصارمة: المقاطعة.

الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال -ﷺ-:

«**المَرْءُ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

ولابد أن يتميّز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته... وينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال:

«أن يكون عاقلاً، حسن الخلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا».

● **قال الإمام جعفر الصادق** -رحمه الله تعالى-:

«لا تصحب خمسة:

الكذاب: فإنك منه على غرور وهو مثل السّراب يقرب منك البعيد ويبعد عنك القريب.

والأحمق: فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرّك.

والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان: فإنه يسلمك ويفرّ عند الشّدة.

والفاسق: فإنه يبيعك بأكله أو أقلّ منها، فقيل له:

وما أقل منها؟

قال: الطمع فيها ثم لا ينالها»(١).

● وقال سهل بن عبد الله:

«اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس:

الجبابرة الغافلين، والقرّاء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين».

---

(١) الإحياء (٢/ ١٧٢).

● وقال المأمون:

«الإخوان ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت.

والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قطّ: ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع».

ولله دَرّ القائل:

الناسُ شَتّى إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له طعم ولا ثمر

● وقال بعض العلماء:

«لا تصحب إلا أحد رجلين:

رجل تتعلم منه شيئًا فى أمر دينك فينفعك.

أو رجل تعلمه شيئًا فى أمر دينه فيقبل منك.

والثالث فاهرب منه».

فإذا لم تجد رفيقًا تؤاخيه وتستفيد به فالوحدة أولى.

قال أبو ذر -رضي الله عنه-:

«الوحدة خير من الجليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة».

هذا، والدين فى الصحبة هو الأساس، قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾(١).

(١) سورة لقمان: ١٥.

ثانيًا: حقوق الأخوة والصحبة:

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضى النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح -كما سبق ذكره فى «حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها» فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق فى المال والنفس وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق:

الحق الأول: فى المال:

والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته فى المال.

قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه!!.

الثالثة: وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدّم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصِّدّيقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضًا، كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم، وفيهم «أبو الحسين النورى -رحمه الله-» فبادر السّياف ليكون هو أوّل مقتول!! فقيل له فى ذلك فقال:

أحببتُ أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظة، فكان سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة.

«قصة»:

«قال حذيفة العدوى: انطلقتُ يوم «اليرموك» أطلب ابن عم لى ومعى

شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحتُ به وجهه، فإذا أنابه فقلت: أسقيك؟

فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو «هشام بن العاص»، فقلت:

أسقيك؟

فسمع به آخر فقال: آه، فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّى فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين»(١).

ومن ثمار الرتبة الثالثة الإيثار بالمال:

جاء رجل إلى أبى هريرة -رضي الله عنه- وقال:

إنى أريد أن أواخيك فى الله.

فقال: أتدرى ما حق الإخاء؟

قال: عرفنى.

قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى!!

قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد؟

قال: فاذهب عنى.

● وقال على بن الحسن -رحمه الله تعالى- لرجل:

هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه وكيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟

قال: لا.

قال: فلستم بإخوان.

● وقال ابن عمر: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأس

(١) منهاج المسلم (١٤٥، ١٤٦).

شاة، فقال: أخى فلان أحوج منى إليه فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأوّل بعد أن تداوله سبعة!!.

● وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من إخوانى لاستقللتها له. وقال أيضًا:

إنى لألقم اللقمة أخًا من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى!!.

الحق الثانى: فى الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات:

وهذه أيضًا لها درجات كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة.

● **قال بعضهم**: إذا استقضيتَ أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى فإن لم يقضها فكبّر عليه واقرأ هذه الآية:

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾(١).

● وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية، فقال:

ما هذا؟

قال: لما أسديته إلىّ.

فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبّر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى.

● وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم يمونّهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول:

هل لكم زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه.

---

(١) سورة الأنعام: ٣٦.

وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمـر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها.

وبالجملة: فـينبغى أن تكون حـاجة أخـيك مـثل حاجـتك أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستغاثة، بل تقوم بحاجته كـأنك لا تدرى أنك قمت بها، ولا ترى لنفسك حقًّا بسبب قيامك بها بل تتقلد منه بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره.

ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

● كان الحسن يقول:

«إخـوانا أحـب إلينا من أهلنا وأولادنـا، لأن أهلنا يذكـروننا بـالدنيـا وإخواننا يذكروننا بالآخرة».

● وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعـد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم.

● وقال سعيد بن العاص:

«الجليس علىّ ثلاث: إذا دنا رحبتُ به، وإذا حـدَّث أقبلتُ عليه، وإذا جلس أوسعت له».

الحق الثالث: فى اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى.

أما السكوت فـهو أن يسكت عن ذكـر عيـوبه فى غيبـته وحـضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيـما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشهُ وأن يسكت عن التـجسس والسـؤال عن أحواله، وإذا رآه فى طريق أو حـاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصـدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وليسكت عن أسراره التى بثـها إليه ولا يبثهما إلى غيـره ألبتة ولا إلى أخص أصدقـائه ولا يكشف شيئًـا منها ولو بعد القطيعـة

والوحشة، فإن ذلك لؤم الطبع وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذى سبّك من بلّغك.

وقال أنس -رضي الله عنه-: «كان -صلى الله عليه وسلم- لا يواجه أحدًا بشىء يكرهه»(١).

والتأذى يحصل أولاً من المبلغ ثم من القائل، نعم لا ينبغى أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه فإنَّ السرور به أولاً يحصل من المبلغ ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

وبالجملة: فليسكت عن كلام يكرهه جملة وتفصيلاً إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فإذاك لا يبالى بكراهته فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر.

أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوئ أهله فهو من الغيبة وذلك حرام.

قال عيسى -عليه السلام- للحواريين:

«كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه؟

قالوا: نستره ونغطيه.

قال: بل تكشفون عورته!!

قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟

فقال: أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها»(٢).

وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوئ والعيوب... ومن فى قلبه

---

(١) **ضعيف:** رواه أبو داود وغيره وضعفه الحافظ العراقى. الإحياء (٢/ ١٧٦) الهامش.
(٢) الإحياء (٢/ ١٧٨).

سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله.

ولله دَرّ القائل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

الحق الرابع: على اللسان بالنطق:

فإن الإخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى أيضًا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم، والسكوت معناه كفّ الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يُظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها.

فمعنى الإخوة المساهمة فى السراء والضرّاء، وقد قال -ﷺ-: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبرْه**»(١).

وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضًا يحبك زاد حبّك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف.

والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين.

ومن ذلك: أن يدعوه بأحب أسمائه إليه فى غيبته وحضوره.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

«ثلاث يصفين لك ودّ أخيك:

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح.

أن تسلّم عليه إذا لقيته أوّلاً، وتوسّع له فى المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

ومن ذلك: أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشِعْره وتصنيفه وجمع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لابد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح.

وأعظم من ذلك تأثيرًا فى جلب المحبة الذَّب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك تقصير فى حق الأخوة.

● عن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها-، قالت:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **«من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغَيْبة كان حقًا على الله أن يُعْتقه من النار»**(١).

● وعن أبى الدرداء -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»(٢).

● وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«من حمى مؤمنًا من منافق أراه قال: بعث الله مَلَكًا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلمًا يُريد به شَيْنَه حبسه الله على جسر جهنم حتى يَخْرج مما قال»**(٣).

ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة

(١) **حسن**: رواه أحمد بإسناد حسن. الترغيب (٤١٨٤).

(٢) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. الترغيب (٤١٨٥).

(٣) **حسن**: انظر: صحيح سنن أبى داود (٤٠٨٦).

والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق.

ومن ذلك: التعليم والنصيحة، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال: فإن كنت غنيًا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه فى الدين والدنيا، فإن علّمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوّفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبّح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سرّ لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السّر فهو شفقة ونصيحة إذ قال -ﷺ-:

«المؤمن مرآة المؤمن»(١).

أى يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة.

قال الإمام الشافعى -رحمه الله تعالى-:

«من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

وقيل لمسعر: أتحب من يخبرك بعيوبك؟

فقال: «إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم، وإن قرّعنى بين الملأ فلا».

وقد صدق، فإن النصح على الملأ فضيحة، والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرًّا، وأما أهل المقت فينادون على رءوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيًا وافتضاحًا ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر.

قال ذو النون المصرى -رحمه الله تعالى-:

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود، وحسنه العراقى. الإحياء (٢/ ١٨٢) الهامش.

«لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة».

وكان عمر -رضي الله عنه- يقول:

«رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه».

الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات:

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الإخوة.

أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله.

فإن لم تقدر وبقى مُصرًّا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودّته أو مقاطعته:

فذهب أبو ذر -رضي الله عنه- إلى الانقطاع وقال:

«إذا انقلب أخوك عمّا كان عليه فابغضه من حيث أحببته».

ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله.

وأمّا أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه:

فقال أبو الدرداء: «إذا تغيرّ أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرّة ويستقيم أخرى».

«عمر وشارب الخمر»:

سأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قَدِم عليه وقال:

ما فعل أخى؟

قال: ذلك أخو الشيطان!!.

قال: مه.

قال: إنه قارَف الكبائر حتى وقع فى الخمر!.

قال عمر: إذا أردت الخروج فآذنى.. فكتب عند خروجه إليه.

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تنزيلُ الْكتَابِ منَ اللَّه الْعَزيزِ الْعَليمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَديدِ الْعقَابِ﴾.. الآية[1]، ثم عاتبه تحت ذلك وعزله.

فلما قرأ الكتاب بكى وقال:

صدق الله ونصح لى عمر.. فتاب ورجع»

«حكاية»:

«حكى عن أخوين من «السلف» انقلب أحدهما عن الاستقامة.. فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟

فقال: أحوج ما كان إلىَّ فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه».

قال الإمام الغزالى:

«فهذه طريقة قوم وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر -رضي الله عنه- وطريقته أحسن وأسلم.

فإن قلت: ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها، وعلة عقدة الأخوة التعاون فى الدين ولا يستمر ذلك مع مقارنة المعصية فأقول:

أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصرّ واستمر.

---

(١) سورة غافر: ١-٣.

وأما كونه أفقه فمن حيث أن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره، وفقر الدين أشدّ من فقر المال، فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشدّ النوائب، والفاجر إذا صحب تقيًّا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيى من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه.

● قال جعفر بن سليمان:

«مهما فترت فى العمل نظرت إلى «محمد بن واسع» وإقباله على الطاعة فيرجع إليّ نشاطى فى العبادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسبوعًا».

وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لُحْمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنبيه -ﷺ- فى عشيرته:

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

ولم يقل إنى بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب. وإلى هذا أشار أبو الدرداء -رضي الله عنه- لما قيل له:

ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟

فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى، وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة.

وقد قيل:

خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبًا أو صادقًا فاقبل عذره. قال -عليه السلام-:

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٦.

«من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عُذْره فعليه مثلُ إثم صاحب المَكْس»[(١)] ا.هـ.

قلتُ: هذا، إذا كانت معصيته لا تتعداه إلى غيره. أما إذا كان صاحب بدعة ويدعو إليها.. فالزّجر هنا بالهجر ديانة.

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى- فى الإحياء-:

«طريقة السلف اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة، وكل من عصى معصية متعدية إلى غيره».

وقال الإمام البغوى -رحمه الله تعالى-: بعد حديث «كعب بن مالك» -رضي الله عنه-[(٢)]:

«وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأييد، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خاف على كعب وأصحابه: النفاق حين تخلفوا من الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون، وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع، ومهاجرتهم».

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-:

«أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مَضرَّة، فإن كان كذلك جاز، ورُبّ هَجْر جميل خير من مخالطة مؤذية»[(٣)].

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه وغيره، وضعفه الحافظ العراقى. الإحياء (٢/ ١٨٥)، ولكن الحافظ المنذرى جوّد إسناده بلفظ مقارب، وسيأتى فى «حق الحياء» -إن شاء الله-.

(٢) هو: حديث طويل فى البخارى ومسلم قص فيه «كعب» -رضي الله عنه- قصة تخلّفه وصاحبيه عن غزوة تبوك.

(٣) فتح البارى (١٠/ ٤٩٦).

الأدلة على ذلك:

والأدلة على هذا النوع من الهجر كثيرة، منها:

١- قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(١).

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى-:

«فى هذه الآية ردّ من كتاب الله -عز وجل- على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج، وأتباعهم: لهم أن يخالطوا الفاسقين، ويصوبوا آراءهم تقيَّة، وذكر الطبرانى عن أبى جعفر محمد بن على -رضي الله عنه- أنه قال:

لا تُجالسوا أهل الخصومات، فإنهم الذين يخوضون فى آيات الله.

قال ابن العربى: وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحلّ.

قال ابن خُويَز مِنْداد: «من خاض فى آيات الله تركت مجالسته وهُجر مؤمنًا كان أو كافرًا، قال: وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو، وكنائسهم، والبيع ومجالسة الكفار وأهل البدع، وألا تعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم -ثم ذكر بعض الآثار عن السلف فى هجر المبتدعة» ا.هـ.

٢- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«سيكون فى آخر أمتى ناس، يحدّثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم» رواه مسلم فى مقدمة صحيحه.

٣- عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«لكل أمة مجوس، ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٢).

---

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ٣٠)، وأبو داود (٤٦٩٢) وغيرهما.

٤- هجر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- زياد بن حُيدر لما رأى عليه طيلسانًا وشاربه عافيةً، إذ سلم زياد فلم يرد عليه عمر السلام حتى خلع الطيلسان وقصّ شاربه!!(١).

٥- هجر عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- رجلاً رآه يضحك فى جنازة فقال: «والله لا أكلمك أبدًا» رواه أحمد فى «الزهد»(٢).

الحق السادس: الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته.

● روى مسلم فى «صحيحه» عن أبى الدرداء -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال المَلَك: ولك مثلُ ذلك**».

● وكان أبو الدرداء -رضي الله عنه- يقول:

«إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أُسميهم بأسمائهم».

● وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول:

«وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدّمت وما صرت إليه، يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى».

● **وقال بعض السلف:**

«الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل المَلَك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول:

هذه هدية لك من عند أخيك فلان، من عند قريبك فلان. قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية».

(٢) للشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد رسالة لطيفة «هامة» بعنوان «هجر المبتدع» أفاد فيها وأجاد.

(٣) الإحياء (٢/١٨٦، ١٨٧).

الحق السابع: الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يُراد للآخرة، فإذا انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، ولذلك قال -ﷺ- في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه**».

وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ-: أكرم عجوزًا دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال:

«**إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان**»(١).

فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلّقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلّق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميّز في القلب عن سائر الكلاب!.

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونين على برّ كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما. قال الله تعالى:

﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾(٢). ويقال: ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

● وكان بشر -رحمه الله- يقول:

«إذا قصّر العبد في طاعة الله سلبه الله مَنْ يؤنسه».

وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعَوْن على الدين.

---

(١) أخرجه الحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة.

(٢) سورة الإسراء: ٥٣.

ومن ثمرات المودة فى الله: أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته.

أوصى بعض السلف ابنه فقال:

«يا بنى لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرتَ إليه قَرُب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبتُه لم يرتفع عليك».

كلمات تكتب بماء الذهب:

كان الشافعى -رحمه الله تعالى- آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول: ما يقيمنى بمصر غيره!!.

فاعتل[1] محمد بن عبد الحكم فعاده الشافعى -رحمه الله- فقال:

مرض الحبيبُ فعدته ... فمرضتُ من حَذَرى عليه!
وأتى الحبيبُ يعودنى ... فبرئتُ من نظرى إليه!

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوّض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعى فى علّته التى مات فيها -رضي الله عنه-:

إلى مَنْ نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟

فاستشرف له «محمد بن عبد الحكم» وهو عند رأسه ليومئ إليه، فقال الشافعى سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى؟

فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع.

فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى.

فلما تُوفّى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب «مالك» -رحمه الله-، وهو من كبار أصحاب مالك -رحمه الله-.

---

(١) أى: مرض.

وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف «كتاب الأم» الذى ينسب الآن إلى «الربيع بن سليمان» ويعرف به، وإنما صنفه «البويطى» ولكن لم يذكر نفسه فيه، ولم ينسبه إلى نفسه، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره(١).

والمقصود: أن الوفاء بالمحبة من تمامها «النصح لله».

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة.

قال ابن عُيينة: «لقد عهدت أقوامًا فارقتُهم منذ ثلاثين سنة ما يخيّل إلىّ أن حسرتهم ذهبت من قلبى!!».

قلت: وهذا ما حدث مع «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه-. لما استُشهد أخوه «زيد» يوم «اليمامة».. حزن عليه عمر.. وكان لا يكاد يفارق ذاكرته.. يحنّ إليه.. وتحزن نفسه عليه.. وكان يقول: أسلم قبلى، واستشهد قبلى.

وكان يقول: «ما هبّت الصَّبا إلاّ وأنا أجدُ ريح زيد»(٢) -رضي الله عنهما-.

الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف.

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه... بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبرّكًا بدعائه واستئناسًا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربًا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمّل مؤنته.

وتمام التخفيف بطىّ بساط التكليف حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه.

● **قال علىٌّ** -رضي الله عنه-:

«شرّ الأصدقاء من تكلّف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار».

---

(١) الإحياء (٢/ ١٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٨).

وقال الفضيل -رحمه الله تعالى-:

«إنما تقاطع الناس بالتكلّف يزور أحدُهم أخاه فيتكلّف له فيقطعه ذلك عنه».

● **وقيل لبعضهم**: من نصحب؟

قال: من يرفع عنك ثقل التكلّف، وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ.

● وكان جعفر بن محمد الصادق -رحمه الله تعالى- يقول:

«أثقل إخوانى علىّ من يتكلّف لى وأتحفظ منه، وأخفّهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى».

● **وقد قيل**: «من سقطت كلفته دامت أُلفته، ومن خفّت مؤنته دامت مودته».

ولا يتم التخفيف وترك التكلّف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسىء الظن بنفسه فإذا رآهم خيراً من نفسه فعند ذلك يكون هو خيراً منهم.

ومن تتمّة الانبساط وترك التكلّف أن يشاور إخوانه فى كل ما يقصده ويقبل إشارتهم فقد قال تعالى:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(١).

هذا جامع حقوق الأخوة والصحبة فأين نحن منه اليوم.. لقد انفصمت عُرى الأخوة.. وتشرذم المسلمون.. وتفرّقوا أيادى سبأ.. كل حزب بما لديهم فرحون.. فهانوا على عدوّهم بعد أن هانوا على ربهم وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الأنفال: ٥٣.

هذا مع ورود النهى عن التفرّق والتشرذم:

قال الله تعالى:

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢).

فما بالنا.. قطعنا أواصر المحبة بيننا وبين إخواننا.. وأوصلنا حبالنا مع عدو الله وعدوّنا!!!.. فاللهم غفرا.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٢) سورة الأنفال: ٤٦.

الحق الثالث عشر:

حق الحياء

الحق الثالث عشر:

حق الحياء

«تمهيد»

الحياء: انقباضُ النفس وتحفُّظها عما يعيبُها من فعل أو قول.

والحياء: أمارة صادقة على طبيعة الإنسان! فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه.

وعندما ترى الرجل يتحرّج من فعل ما لا ينبغى، أو ترى حُمْرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق، فاعلم أنه حىّ الضمير، نقىّ المعدن، زكى العنصر:

● عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**دعه فإن الحياء من الإيمان**» متفق عليه.

● وعن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن لكل دينٍ خلقًا، وخلق الإسلام الحياء**»(١).

وكان النبىّ -صلى الله عليه وسلم- أرقّ الناس طبعًا، وأنبلهم سيرة، وأعمقهم شعورًا بالواجب، ونفورًا من الحرام.

عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه-: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشدّ حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه فى وجهه»(٢).

---

(١) **حسن**: انظر صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٧٠).

(٢) رواه مسلم.

وإذا رأيت الشخص صفيقًا بليد الشعور، لا يبالى ما يأخذ أو يترك، فهو امرؤ لا خير فيه، وليس له من الحياء وازع يعصمه عن اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا.

عن أبى مسعود البدرىّ -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إن ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخارى.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-(١):

وقوله: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** فى معناه **قولان:**

أحدهما: أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنه على معنى الذم والنهى عنه.

وأهل هذه المقالة لهم طريقان:

أحدهما: أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد والمعنى: إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه، كقوله:

﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(٢).

وقوله: ﴿ **فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ** ﴾(٣).

والطريق الثانى: أنه أمر ومعناه الخبر. والمعنى: أن من لم يستح صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياءُ، فمن لم يكن له حياء انهمك فى كل فحشاء ومنكر، وما يمتنع عن مثله من له حياءٌ.

القول الثانى: فى معنى قوله **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**. أنه أمر

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢٧٣).

(٢) سورة فصلت: ٤٠.

(٣) سورة الزمر: ١٥.

بفعل ما يشاءُ على ظاهر أمره، وأن المعنى: إذا كان الذى تريد فعله مما لا يستحيا من فعله، ولا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة، فاصنع منه حينئذ ما شئت ومن هذا قول بعض السلف، وقد سئل عن المروءة فقال: «أن لا تعمل فى السّر شيئًا تستحى منه فى العلانية».

وروى عبد الغنى بن سعيد الحافظ فى كتاب «أدب المحدّث» بإسناده عن حرملة بن عبد الله، قال:

أتيتُ النبىّ -ﷺ- لأزداد من العلم، فقمتُ بين يديه فقلتُ:

يا رسول الله ما تأمرنى أن أعمل به؟

قال: «**ائت المعروف واجتنب المنكر، وانظر الذى سمعته أُذُنك من الخير يقوله القومُ لك إذا قمتَ من عندهم فائْت، وانظر الذى تكره أن يقوله القوم لك إذا قمتَ من عندهم فاجتنبه**».

قال: فنظرتُ فإذا هما أمران لم يتركا شيئًا، إتيان المعروف واجتناب المنكر «أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» بمعناه.

واعلم أن الحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقًا وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التى يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال -ﷺ-:

«**الحياء لا يأتى إلا بخير**» متفق عليه.

فإنه يكفّ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

أخرج الإمام أحمد والنسائى من حديث الأشج العصرى قال:

قال لى رسول الله -ﷺ-: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله**».

قلتُ: ما هما؟.

قال: «**الحلم والحياء**».

قلتُ: أقديمًا كان أو حديثًا؟.

قال: «**بل قديمًا**».

قلتُ: الحمد لله الذى جعلنى على خليقتين يحبهما الله».

وروى عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال:

«من استحيا اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقى».

وعن بعضهم قال: رأيت المعاصى نذالة، فتركتُها مروءة، فاستحالت ديانة.

النوع الثانى: ما كان مكتسبًا من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان.

وبعد هذا التمهيد نشرع فى ذكر المقصود:

حق الحياء:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**استحيوا من الله حقَّ الحياء**».

وقلنا: يا نبى الله إنا لنستحيى والحمد لله.

قال: «**ليس ذاك ولكنْ الاستحياء من الله حقَّ الحياء:**

أن تحفظ الرأس، وما وعى.

وتحفظ البطن، وما حوى.

وتتذكر الموت والبلى.

ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.

فمن فعل ذلك فقد استحيى» يعنى: من الله حقَّ الحياء(١).

والحياء بهذا الشمول هو الدين كله..

الحق الأول: «أن تحفظ الرأس، وما وعى»:

والرأس به: اللسان، والأذنان، والعينان.

أولاً: حفظ اللسان:

اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة؛ فإنه صغير حجمه، عظيم طاعته وجُرْمه.. فمن أطلق للسانه العنان، سلك به الشيطان فى كل ميدان.. ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.. ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع.

وفى هذا العصر لا يكاد يسلم مجلس من مجالسنا من الغيبة والنميمة، والكذب، والسخرية، والاستهزاء، والسّب، واللعن.. وأصبحت تحية كثير من الناس بينهم التلاعن وسب الوالدين، مع كم هائل من فحش القول وبذاءة اللسان!!، ويحسبون الأمر سهلاً كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾(٢).

..وعلى السطور القادمة نبيّن -إن شاء الله تعالى-:

[عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت، وآفات اللسان، وفوائده].

(أ) بيان عظيم خطر اللسان، وفضيلة الصمت:

اعلم أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت.

- قال -ﷺ-: «مَنْ صمتَ نجا» رواه الطبرانى بإسناد جيد.
- وقال -ﷺ-: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلّها تُذكِّر

---

(١) **حسن**: صحيح سنن الترمذى (٢٠٠٠)، والمشكاة (١٦٠٨).

(٢) سورة النور: ١٥.

اللسان تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججتَ اعوججنا» رواه الترمذى.

ووقف ابنُ مسعود -رضي الله عنه- على جبل «الصَّفا» يلبّى ويقول:

«يا لسان قُلْ خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم من قبل أن تندم».

فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا شىء تقوله أو شىء سمعته؟

فقال: لا بل سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه»(١).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليسكت».

وفى رواية: «أو ليصمت» متفق عليه.

وقال عقبة بن عامر -رضي الله عنه-:

يا رسول الله ما النجاة؟.

فقال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»(٢).

● وعن أبى ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«قد أفلح من أخْلص قلبه للإيمان، وجعل قلبَه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أُذُنَه مُسْتمعةً، وعَيْنَه ناظرةً، فأمّا الأُذنُ فَقَمْعٌ والعينُ مَقَرَّةٌ بِما يُوعِي القلب، وقد أفلح من جَعَلَ قَلْبَه واعيًا»(٣).

(١) رواه البيهقى بسند حسن.
(٢) صحيح: رواه الترمذى.
(٣) حسن: رواه أحمد وغيره وحسّن الهيثمى إسناده. المجمع (١٠/ ٢٣٢).

ولله دَرّ القائل:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

(ب) آفات اللسان:

الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك:

ينبغى على العاقل أن لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولو سبَّح ربَّه وَذَكره -سبحانه- لكان خيرًا له، فكم من كلمة يبنى بها قصرًا فى الجنة!.

فالكلمة إما أن تبنى منارًا، وإما أن تُسَعّر نارًا.

قال -ﷺ-: «**من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(١).

الآفة الثانية: فضول الكلام:

فضول الكلام هو الكلام الزائد على قدر الحاجة.

قال عطاء بن رباح: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد منها، أتذكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد، أما يستحيى أحدكم إذا نُشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٢).

وقال -ﷺ-: «**طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى.

(٢) سورة النساء: ١١٤.

(٣) رواه البيهقى وإسناده حسن.

الآفة الثالثة: الخوض فى الباطل:

هو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء، ومجالس الخمر، ومقامات الفساق، والتفكه بأعراض الناس.. فإن كل ذلك مما لا يحلّ الخوض فيه وهو حرام.

● عن بلال بن الحارث، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة**»(١).

وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه حديثُ بلال بن الحارث.

فانظر رحمك الله إلى مدى سرعة استجابتهم لتوجيهات رسولهم!.

● وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

«أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا فى الباطل»(٢).

وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾(٣).

الآفه الرابعة: المراء والجدال:

آفة المجالس فى عصرنا.. الجدال والمراء فى الدين وفى الدنيا!! مما أدى إلى إيغار الصدور وجلب الشرور.. وهذه ظاهرة مَرَضية، يجب على أولى الألباب أن يجتنبوها.. ويجب أن تستأصل من حياتنا:

قال -ﷺ-: «**ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل**»(٤).

---

(١) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الطبرانى بسند صحيح.

(٣) سورة المدثر: ٤٥.

(٤) رواه الترمذى، وقال: حديث صحيح.

والمراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إمّا فى اللفظ، وإمّا فى المعنى.

والجدال: هو قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه.

● **قال بلال بن سعد:** «إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته».

● **وقال مسلم بن يسار:** «إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلّته».

الآفة الخامسة: الخصومة:

الخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وتورث العداوة، وتشوش الخاطر، ومنها ينشأ الحقد، والغل، والحسد، وهى مبدأ كل شر.. فهى سبب الغيبة والنميمة، وتلمس العثرات، وكشف العورات.. بل وقطع الأرحام.. وأحيانًا تؤدّى إلى سفك الدماء.

● قال -ﷺ-: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم**» رواه البخارى.

● وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين.

فكم من أرحام قطعت، وحقوق هضمت، وبيوت خربت بسبب الخصومة، فلا شىء أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أشغل للقلب من الخصومة، ولذلك رغّب الإسلام فى الإصلاح بين الناس.. وعدَّ ذلك أفضل درجة من صلاة التطوع، وصيام التطوع!!:

● وقال رسول الله -ﷺ-: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟**».

قالوا: بلى.

قال: «**إصلاح ذات البيْن، فإن فساد البيْن هى الحالقة**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى.

وفى رواية: «لا أقول تحلق الشَّعر ولكن تحلق الدِّين!!».

الآفة السادسة: التشدق فى الكلام، وتكلّف الفصاحة:

وهذا من التصنع المذموم.

● قال -ﷺ-: «**إن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسًا الثرثارون، والمتفيهقون، المتشدقون فى الكلام**»(١).

● وقال -ﷺ-: «**يأتى على الناس زمان يتخلّلون الكلام بألسنتهم كما تتخلّل البقرة الكلأ بلسانها**» رواه أحمد.

ولا يدخل فى هذه الآفة تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منه تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير. أمّا المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال بذلك من التكلف المذموم ولا باعث عليه إلا الرياء.

الآفة السابعة: الفُحْش، والسّب، وبذاءة اللسان.

الفحش: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الجماع وما يتعلّق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون بها.

● قال -ﷺ-: «**إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش**»(٢).

● وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

«إن الله حَيىٌّ كريم يعفو ويكنو، كنى باللّمس عن الجماع».

● وقال إبراهيم بن ميسرة:

---

(١) رواه الترمذى وحسنه.

(٢) رواه الحاكم بإسناد صحيح.

«يقال: يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أو فى جوف كلب».

قلت: فهل يتعظ الفاحشون بهذا.. إن العبارات النابية ملأت حياتنا وشب عليها الصغار، وهرم عليها الكبار، وسقط قناع الحياء.

● قال الأحنف بن قيس -رحمه الله تعالى-:

«ألا أخبركم بأدوأ الداء؟: اللسان البذىء، والخلُق الدنىء».

أما السّب: فألعنه وأخبثه «سب الدِّين» وهوكفر بإجماع المسلمين، فبه يحبط العمل الصالح، وتطبق على قائله أحكام الرِّدة المقررة فى كتب الفقه.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾(١).

ثم «سب المسلم»:

قال -ﷺ-: «**سباب المؤمن فسوُق وقتاله كُفْر**» متفق عليه.

ومن أكبر الكبائر: «سب الوالدين» أو التسبب فى سبّهما.

قال -ﷺ-: «**من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه**».

قالوا: يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟.

قال: «**يسب الرجل فيسب الآخر أباه**» متفق عليه.

الآفة الثامنة: اللّعن:

إما لحيوان، أو لجماد، أو لإنسان، وكل ذلك مذموم، والدليل:

● قوله -ﷺ-: «**لعن المؤمن كقتله**» متفق عليه.

● وقال -ﷺ-: «**إن اللّعانين لا يكونوا شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»(٢).

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) رواه مسلم.

● وقال أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

كان رجل يسير مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بعير فلَعن بعيره فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**يا عبد الله لا تَسِرْ معنا على بعير ملعون**»(١).

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلاّ على من اتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بأن يقول: لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، وكل شخص ثبتت لعنته شرعًا كقولك:

فرعون -لعنه الله-، أبو جهل -لعنه الله-، لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعُرف ذلك شرعًا، وأمّا شخص بعينه فى زماننا كقولك: «زيد لعنه الله»، وهو «يهودى» مثلاً فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربًا عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعونًا؟.

ولا يجوز أن يُرْمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يَرْمى رجلٌ رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارْتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**» رواه البخارى.

الآفة التاسعة: الغناء والشِّعر:

والمقصود هنا: المذموم منهما.. فالغناء كالشّعر حسنه حَسن وقبيحه قبيح.

فالشعر نوعان:

محمود: وهو المعنىّ بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن من الشِّعر لحكمة**».

والمذموم: هو المَعْنىّ بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قيحًا حتى يَريَه خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْرًا**»(٢).

(١) رواه ابن أبى الدنيا بإسناد جيد.

(٢) رواه مسلم.

والمقصود هنا: هو الشعر الذى يحتوى على غَزَل فاجر، أو تشبب بنساء المسلمين أو يدعو إلى خَنَا وزنا، أو يحتوى على كلمات شركية أو بدعية، أو يدعو إلى عصبية.

قال تعالى: ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** ﴾[١].

كذلك «الغناء» منه المحمود: وهو الذى يدعو إلى مكارم الأخلاق..

ويدعو إلى شحذ العزائم لمقاتلة الأعداء.. أو يدعو إلى العودة والرجوع إلى القرآن والسنة شريطة أن يخلو من اختلاط الرجال بالنساء.. ويخلو من العرى والمنكر.. ولا يصدر من صوت مثير كصوت المرأة.

.. وكذلك لا يشغل عن واجب، فهذا لا بأس به.

أما إذا دعا إلى رذيلة.. وأثار الغرائز الكامنة.. واحتوى على فسق وفجور -كما هو الحال فى معظم أغانى هذا الزمان- فالحرمة هنا لا يختلف عليها اثنان.. وقائله آثم.. والمستمع شريكه.

قال رسول الله -ﷺ-: «**نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجِريْن: صَوْتٌ عند نغمة لهو، ولعب، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة**»[٢].

وقال -ﷺ-: «**إن فى أمتى خسفًا ومسخًا وقذفًا**».

قالوا: يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟

فقال: «**نعم، إذا ظهرت المعازف، والخمور، ولبس الحرير**»[٣].

وقد وصف النبى -ﷺ- القينة -أى المغنية- بأنه «**قد نفخ الشيطان فى منْخَرَيْها**»[٤].

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبى شيبة. وانظر: صحيح الجامع (٢١٢٨).

(٤) رواه أحمد، وقال فى المجمع: رجال أحمد رجال صحيح.

● ومرّ ابن عمر -رضي الله عنهما- بجارية تُغنى، فقال:

«لو ترك الشيطان أحدًا ترك هذه»(١).

ومَرّت عائشة -رضي الله عنها- بمُغَنٍ يتغنى ويُحرّك رأسه طربًا فى البيت وكان ذو شعر كثير -فقالت-:

«أُفٍّ شيطان، أخرجوه أخرجوه، فأخرجوه»(٢).

● وقال الإمام الشّعْبى -رحمه الله تعالى-:

«لعن الله المُغنِّى، والمُغَنَّى له»(٣).

● **قال الإمام ابن القيم** -رحمه الله تعالى-:

«ولا ينبغى لمن شمّ رائحة العلم أن يتوقف فى تحريم ذلك فأقلّ ما فيه أنه من شعار الفسّاق وشاربى الخمور» ا.هـ.

وكما حرم الإسلام هذا النوع من الغناء فقد حَرّم الأجر عليه:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تبيعوا القينات** -أى المغنيات- **ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير فى تجارة فيهن، وثمنهن حرام**»(٤).

هذا، وقد عرف أعداء الإسلام ما للأغانى والأناشيد من تأثير على نفوس الجماهير فأسرعوا للسيطرة على المغنين والمغنيات وواضعى الألحان وعملوا على تجنيدهم بالمغريات المختلفة لتوجيه ما يقدمونه من الأغانى والأناشيد توجيهًا يخدم أهداف الغزو الفكرى والنفسى والسلوكى الذى يقومون به ضد الإسلام والمسلمين وتم لهم ما أرادوا.

فها هو الرجل يفتتن بالمغنية فيقفز نحوها ليمرغ وجهه على قدميها!!

---

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» والبيهقى وغيرهما وهو صحيح عنه -رضي الله عنه-.
(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» -أيضًا- وهو «صحيح» عنها -رضي الله عنها-.
(٣) رواه ابن أبى الدنيا بإسناد صحيح.
(٤) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى (١٠٣١). **تنبيه**: للشيخ الألبانى -رحمه الله تعالى- رسالة بعنوان «**تحريم آلات الطرب**» من أراد المزيد فليرجع إليها.

وها هو الأداء يُغرى ويوقع فى الفحشاء والمنكر لكثرة التكسُّر فى القول وتعمد الإثارة.

وها هى الكلمات تخالف تعاليم الإسلام فسمعنا من يمجّد الغرام، وصاحبة العيون الجريئة، وسبّ القَدَر!!! والدعوة إلى العشق وإثارة كوامن الشهوة.

وها هو الوقت يضيع كلّه أو جلّه فى اللهو والصخب، وانشغل الناس عن الصلوات وأداء الواجبات، وانتشرت على ألسنة الأطفال والشباب والنساء والرجال العبارات البذيئة، والقفشات الدنيئة، ووهنت العزائم، وتميّعت النفوس، وتعطّلت الطاقات، وانتشر التخنث، ويا ليت قومى يسمعون، وقد أمر الله تعالى فى شريعته المُحكْمة بإغلاق الأبواب المفضية إلى الفساد، وقطع الأسباب المؤدية إليه، كمن يهيج عند سماع الأبيات ولا يتأثر بسماع الآيات.

ينوح ويبكى عند سماع الرغيد، ولا يبالى عند سماع الوعد والوعيد!!

فمن كانت هذه صفته فليس هو على الطريقة الصحيحة بل هو من الذين إن لم يتوبوا، ويقلعوا نودى عليهم يوم القيامة بالخزى والفضيحة.. نسأل الله تعالى السلامة.

الآفة العاشرة: المزاح:

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدراً يسيراً يستثنى منه.

فالمذموم: الإكثار منه والإفراط فيه، أو يكون بكلام مكروه ومذموم شرعًا.

أما المزاح المباح: فهو المزاح بكلام لا يخدش الحياء ولا يتعدى الأدب.

● وقال رسول الله -ﷺ-: «**إنى لأمزح ولا أقول إلا حقًّا**».

كما أن الإفراط فيه يُسقط المهابة والوقار:

قال عمر -رضي الله عنه-: «من كثر ضحكه قلت هَيْبته، ومن مزح استُخف

به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثر كلامه كثر سقطهُ، ومن كثرُ سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قَلّ ورعه مات قلْبُه».

ومن وصايا بعض الدعاة:

«لا تكثر الضحك فإن القلب المتصل بالله ساكن وقور».

الآفة الحادية عشرة: السخرية والاستهزاء:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(١).

ومعنى **السخرية**: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة -التقليد- فى الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء:

قالت عائشة -رضي الله عنها-:

حكيتُ إنسانًا فقال لى النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«**والله ما أُحب أنى حاكيتُ إنسانًا ولى كذا وكذا**»(٢).

الآفة الثانية عشرة: إفشاء السّر:

وهو مَنْهى عنه لما فيه من الإيذاء، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء.

- وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**المجالس بالأمانة**» حديث حسن.
- وقال الإمام الحسن -رحمه الله تعالى-:

«إن من الخيانة أن تُحدِّث بسرِّ أخيك».

ومن أشرِّ ذلك: إفشاء سِرِّ الزوجة أو العكس.

---

(١) سورة الحجرات: ١١.

(٢) رواه الترمذى، وقال: حديث صحيح.

قال -ﷺ-: «**إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفْضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يَنْشُر سِرّها**» رواه مسلم.

ومعنى يفضى إلى امرأته: أى يصل إليها بالمجامعة.

قلت: والحديث عن هذه الأمور شاع فى أوساط الناس ولا يصدر إلا من قوم فقدوا الحياء، وتعرّوا من الأخلاق.

الآفة الثالثة عشر: الوعد الكاذب:

الوعد الكاذب من أمارات النفاق.

قال -ﷺ-: «**أربعة من كن فيه كان منافقًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه -وفى رواية-: «**خصلة**» بدلاً من «**خلة**».

وهذا يتنزل على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر، فأمّا من عزم على الوفاء فعرض له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقًا وإن جرى عليه صورة النفاق، ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضًا كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاجزة.

«قصة»:

«لما حضرت الوفاةُ عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال:

إنه كان خطب إلى ابنتى رجلٌ من قريش، وقد كان إليه منى شبه الوعد، فو الله لا ألقى الله بثلث النفاق!! أشهدكم أنّى قد زوجته ابنتى!».

الآفة الرابعة عشر: الكذب فى القول واليمين:

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب.

قال أوسط بن إسماعيل: سمعت أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- **يخطب بعد** وفاة رسول الله -ﷺ- فقال:

«قام فينا رسول الله -ﷺ- مقامى هذا عام أول -ثم بكى- وقال: «إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار»(١).

● قال الحسن: «كان يقال: إن من النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وإن الأصل الذى بنى عليه النفاق الكذب».

● وقال -ﷺ-: «كَبرُتْ خيانة أن تُحدِّث أخاك حديثًا هو لك به مصدّق وأنت له به كاذب»(٢).

● وقال -ﷺ-: «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به»(٣).

وأعظم الكذب الكذب على الله:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾(٤).

ثم الكذب على رسل الله:

قال -ﷺ-: «من حدَّث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم.

ثم الكذب على الناس:

قال -ﷺ-: «من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مالَ امرئ مسلم بغير حَقٍّ لقى الله -عزّ وجلّ- وهو عليه غضبان» متفق عليه.

وفى بعض الآثار: قال موسى -عليه السلام-:

يا رب أىّ عبادك خير لك عملاً؟

قال: «من لا يكذب لسانهُ، ولا يفْجُر قلبهُ، ولا يزنى فرجُه».

---

(١) حسن: أخرجه النسائى.

(٢) رواه الطبرانى بسند جيد.

(٣) رواه الترمذى، وقال: حسن غريب.

(٤) سورة الزمر: ٦٠.

ما يباح فيه الكذب:

اعلم أن الكذب ليس حرامًا لعينه بل لما فيه من الضرّر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً، وقد يكون الكذب مأذونًا فيه، وربما كان واجبًا.

● **قال ميمون بن مهران:**

«الكذب فى بعض المواطن خير من الصِّدق، أرأيت لو أن رجلاً سعى خَلْف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارًا فانتهى إليك فقال: أرأيت فلانًا؟ ما كنت قائلاً؟ ألست تقول: لم أره؟ وما تصدُق به. وهذا الكذب الواجب».

● وعن أم كلثوم -رضي الله عنها- قالت:

«ما سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رَخّص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث:

الرجل يقول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول فى الحرب، والرجل يُحدِّث امرأته والمرأة تُحدِّث زوجها» رواه مسلم.

قلت: وقوله: «والرجل يُحدِّث امرأته»: أى من أجل أن يُرْضيها، ومن أجل أن تُرضيه ويؤْذن له فى إضفاء بعض الأوصاف الجميلة التى ليست فيها تأليفًا لقلبها وتطييبًا لخاطرها، وليس المقصود الكذب فى كل حال.

الآفة الخامسة عشر: الغيبة:

قال تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾(١).

والغيبة هى: ذكرك أخاك بما يكره.

● قال -صلى الله عليه وسلم-: «**كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم.

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

● وقال -ﷺ-: «مررتُ ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت:

يا جبريل من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم» رواه أبو داود.

● وقال الحسن: «والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة -السوسة- فى الجسد».

● وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة -أى وفقط- ولكن فى الكفّ عن أعراض الناس.

● وعن شَفِىِّ بن ماتع الأصبحىِّ -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

«أربعةٌ يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول أهل النار بعضهم لبعض:

ما بالُ هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟

قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجرّ أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا، ورجل يأكل لحمه.

قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إن الأبعد مات وفى عنقه أموالُ الناس ما يجد لها قضاءً أو وفاءً ثم يقال للذى يجرّ أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إن الأبعد كان لا يُبالى أين أصاب البَوْل منه لا يغسله.

ثم يقال للذى يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذُّها كما يُسْتلذُّ الرَّفث ثم يقال للذى يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة والنميمة»(١).

واعلم أن حَدَّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص فى بدنه، أو نسبه، أو فى خلقه، أو فى فعله، أو فى قوله، أو فى دينه، أو ديناه، حتى فى ثوبه وداره ودابته.

● عن عائشة -رضي الله عنها- أنها ذكرت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- امرأة فقالت: إنها قصيرة.

فقال -صلى الله عليه وسلم- لها: «**اغتبتيها**» رواه أحمد.

هذا، والواجب على المكلفين من المسلمين دفع الغيبة، وصد المغتابين، وتحذيرهم، وترك الإنصات لهم ﴿**حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾.

كما يجب عليهم دفع الأذى عن إخوانهم.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقًّا على الله أن يَرُدَّ عن عِرْضه يوم القيامة**» رواه ابن أبى الدنيا.

كما يجب على المسلم كفّ أذاه عن أخيه.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من كفّ لسانه ستر الله عورته**».

وطوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس.

الأعذار المرخصة فى الغيبة:

رخص الإسلام الغيبة فى أمور منها:

١- **التظلم**: فللمظلوم أن يظهر عيوب الظالم وذلك لردّ الحقوق وإقامة العدل:

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «الصمت»، والطبرانى فى «الكبير» وقال الهيثمى: هو هكذا فى الأصل المسموع، ورجاله موثقون. مجمع الزوائد (١/٢٠٨، ٢٠٩).

فإن لصاحب الحق مقالاً.

قال الله تعالى: ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾(١).

وفى الحديث الشريف: «**لىُّ الواجد يَحل عُقوبته وعرْضه**»(٢).

ومعنى لىّ الواجد: أى مراوغة الغنى عن سداد ما عليه.

٢- **الاستفتاء**: كما يقول السائل للمفتى: ظلمنى أبى، أو تقول السائلة: ظلمنى زوجى.. وهكذا.

فلقد ثبت أن «هند بنت عتبة» -رضي الله عنها- قالت للنبى -صلى الله عليه وسلم-: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه؟.

فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف**» متفق عليه.

٣- **تحذير المسلم من الشر**: فإذا رأيتَ فاسقًا مجاهرًا، أو مبتدعًا داعيًا لبدعته، كان من الواجب عليك -شرعًا- تحذير الناس منه.

وكانوا يقولون: «ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه».

كفارة الغيبة:

الواجب على صاحب الغيبة الندم، والتوبة، والإقلاع وترك الإصرار، واختلفوا:

هل من الواجب طلب الصفح ممّن اغتابه أم لا؟

فقال الحسن -رحمه الله تعالى-: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال.

وقيل: بل عليه أن يستحل من اغتابه، فقد سُئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة، فقال:

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

«أن تمشى إلى صاحبك فتقول له: كَذَبتُ فيما قلتُ وظلمتُك وأسأتُ فإن شئتَ أخذتَ بحقك وإن شئتَ عفوت».

قال الغزالى: وهذا هو الأصح.

قلت: وعلى أخيه أن يقبل عُذْره. قال تعالى:

﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** ﴾(١).

وعن جُودان -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من اعتذر إلى أخيه المسلم، فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مَكْس**»(٢).

قال أبو الزبير: والمكّاس: العشّار.

فإن كانت المصارحة ستؤدى إلى ضرر أشد، أو تعذّر اللقاء لأسباب، فالتوبة تكفى -إن شاء الله-.. مع ذكر محاسن من اغتابه، وكثرة الثناء عليه و﴿ **الحسنات يُذْهبن السيئات** ﴾.

فإن لم توجد ثمة عوائق فالواجب المصارحة وطلب العفو.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من كانت لأخيه مظلمة فى عرْض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته**» متفق عليه.

الآفة السادسة عشر: النميمة:

النميمة: نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد.

- قال الله تعالى: ﴿ **هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾(٣).
- وقال الله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾(٤).

---

(١) سورة النور: ٢٢.

(٢) قال المنذرى: رواه ابن ماجه بإسنادين جيدين. الترغيب (٤١٣٨).

(٣) سورة القلم: ١١.

(٤) سورة الهُمزة: ١.

قيل: الهُمزة: النمام.

● وقال -ﷺ-: «**لا يدخل الجنة نمام**» متفق عليه.

● وقال: «**أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة، المفرِّقون بين الإخوان، الملتمسون للبرءاء العثرات**» رواه الطبرانى.

● وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- مرّ بقبرين يُعذّبان فقال: «**إنهما يعذّبان، وما يعذّبان فى كبير بلى إنه كبير:**

أما أحدُهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بَوْله» رواه البخارى.

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

كنا نمشى مع رسول الله -ﷺ- فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه، فجعل لونهُ يتغيّر حتى رَعَد كُمُّ قميصه فقلنا:

ما لك يا رسول الله؟

فقال: «**أما تسمعون ما أسمع؟**».

فقلنا: وما ذاك يا نبىّ الله؟

قال: «**هذان رجلان يعذّبان فى قبورهما عذابًا شديداً فى ذنب هيِّن**».

قلنا: فيم ذاك؟

قال: «**كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه، ويمشى بينهم بالنميمة**».

فدعا بجريدتين من جرائد النَّخل، فجعل فى كل قبرٍ واحدة.

قلنا: وهل ينفعهم ذلك؟

قال: «**نعم يخفّفْ عنهما ما دامتا رَطْبَتَيْن**»(١). رواه ابن حبان فى صحيحه. [قوله: فى ذنب هيّن]: أى هين عندهما، وفى ظنهما، لا أنه هين فى نفس الأمر، فقد تقدم قوله -ﷺ-: «**بلى إنه كبير**»، وقد أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله تعالى.

هذا، وعلى العاقل إذا نقلت إليه نميمة أن يتبع الآتى:

١- أن لا يصدّق النمام، لأن النمام فاسق، والفاسق مردود الشهادة.

٢- أن ينهاه عن ذلك، ويبغضه فى الله تعالى. قال الحسن: من نَمّ إليك نَمّ عليك.

٣- أن لا يظن بأخيه المنقول عنه السوء، لأن حسن الظن واجب.

٤- أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث والتحقيق.

٥- أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتكون قد آتيت ما عنه نهيت.

قال رجل لعمرو بن عُبَيْد: أن السوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشر!

فقال له عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدّيت حقى حين أعلمتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه:

---

(١) هذا خاص بالنبىّ -ﷺ- دون غيره. قال الشيخ الألبانى: «فإنه خاص به -ﷺ- بدليل أنه لم يجر العمل به عند السلف». أحكام الجنائز (٢٠٠). وقال **الخطابى** فى «معالم السنن» (١/ ٢٧): «إنه من التبرك بأثر النبى -ﷺ- ودعائه بالتخفيف عنهما... والعامة فى كثير من البلدان تغرس الخوص فى قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه» ا.هـ بتصرف. قال الشيخ **أحمد شاكر** فى تعليقه على الترمذى (١/ ١٠٣) عقب هذا: «وصدق الخطابى، وقد ازداد العامة إصراراً على هذا العمل الذى لا أصل له، وغلوا فيه، خصوصًا فى بلاد مصر، حتى صاروا يضعون الزهور على القبور... وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية فى المجاملات الدولية... وبعضهم يضع الزهور الصناعية التى لا نداوة فيها تقليداً للإفرنج، واتباعًا لسنن من قبلهم، ولا ينكر ذلك عليهم العلماء» ا.هـ بتصرف.

أن الموت يعمّنا، والقبر يضمّنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

«حكاية»:

روى أن رجلاً رأى غلامًا[١] يباع، وهو ينادى عليه ليس به عَيْب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوّج عليك أو يتسرّى[٢].

وقال: إنه لا يُحبْك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك. فقالت فى نفسها: نعم.

واشتغل قلبُ المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها.

وقال: سيدى:

إن سيدتى قد اتخذت لها صديقًا ومحبًّا غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به!!

وصدّق سيده. فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه:

والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلُها فرأوها مقتولة فقتلوه. فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم.

فلذلك سمّى الله النمام فاسقًا فى قوله تعالى:

(١) أى غلامًا رقيقًا (عبدًا).

(٢) يعاشر جاريته الرقيقة معاشرة زوجته.

﴿إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(١)(٢).

الآفة السابعة عشر: كلام ذى اللسانين والوجهين:

هو الذى يتردد بين المتعاديين، ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه.

● قال رسول الله -ﷺ-: «**من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة**».

● وقال -ﷺ-: «**تجدون من شرّ عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث**» متفق عليه.

● **وقال مالك بن دينار** -رحمه الله تعالى-:

قرأتُ فى التوراة: «بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين، يهلك الله تعالى يوم القيامة كلّ شفتين مختلفتين».

الآفة الثامنة عشر: المدح:

وقد نهى الشرع عنه فى بعض المواضع.

والمدح يدخله ست آفات: أربع فى المادح، واثنتان فى الممدوح.

فأما المادح:

فالأولى: أنه قد يفرط فينتهى به إلى الكذب.

قال خالد بن معدان -رحمه الله تعالى-:

«من مدح إمامًا أو أحدًا بما ليس فيـه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر لسانه».

والثانية: أنه قد يدخله الرياء.

والثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) الكبائر للذهبى (١٨٣، ١٨٤).

وثبت أن رجلاً مدح رجلاً عند النبىّ -ﷺ- فقال له:

«ويحك قطعت عُنق صاحبك لو سمعها ما أفلح» ثم قال:

«إن كان أحدكم لابد مادحًا أخاه فليقل: أحسب فلانًا ولا أُزكِّى على الله أحدًا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك» متفق عليه بنحوه.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز.

● **قال الحسن:** «من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعْصى الله تعالى فى أرضه».

● وعن بُريدة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تقولوا للمنافق سَيِّد، فإنه إن يكُ سيّدًا، فقد أسخطتم ربّكم عزّ وجلّ**»(١).

فالظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح: فيضره من وجهين:

أحدهما: أنه يُحدث فيه كِبْرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

الثانى: هو أنه إذا أُثنى عليه بالخير فرح به ورضى عن نفسه.

قال عمر: «المدح هو الذبح».

فإن سلم المدح من هذه فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبًا إليه.

ولذلك أثنى رسول الله -ﷺ- على الصحابة فقال:

«**لو كان بعدى نبىٌّ لكان عمر بن الخطاب!!**»(٢).

وأى ثناء يزيد على هذا؟ ولكنه -ﷺ- قال عن صدق.. وكان

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح. الترغيب (٤٢٩٧).
(٢) رواه الترمذى وحسنه.

الصحابة -رضوان الله عليهم- أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرًا وعجبًا وفتورًا.

الآفة التاسعة عشر: سَبّ الدهر:

يخطئ كثير من الناس حين يسبّون الزمان، أو الليل، أو النهار، أو الريح!

قال تعالى فى الحديث القدسى الجليل:

«يؤذينى ابنُ آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدىَ الأمر أقلّب الليل والنهار» متفق عليه.

الآفة العشرون: قول ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان:

أو قول بعض العامّة من الناس: «البركة فى ربنا وفيك» أو «سأعتمد على الله وعليك»!!:

قال رسول الله -ﷺ-: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»** رواه أحمد.

الآفة الحادية والعشرون: إفشاء الأسرار الزوجية:

نسمع كثيرًا من بعض الأزواج يحكى ما تم بينه وبين زوجته على سبيل «الفكاهة» أو «الافتخار» ولا يدرى أنه بذلك من شرّ عباد الله. وشبهه النبىّ -ﷺ- بالشيطان!.

قال -ﷺ-: **«إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفْضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرّها»** رواه مسلم.

وقوله: «يفضى إلى امرأته»: أى يصل إليها بالمباشرة أو المجامعة.

وقال عمن يفعل ذلك: «كمثل شيطان أتى شيطانة على قارعة الطريق والناس ينظرون!!».

الآفة الثانية والعشرون: من حلف على ملة غير الإسلام:

كمن يحلف قائلاً: «أكون على غير الملة لو فعلت كذا» أو قول بعض الناس:

«أكون يهوديًّا لو فعلت كذا»!! والعياذ بالله وهذا خطر عظيم.

قال -ﷺ-: «**من حلف على ملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال**» رواه البخارى.

الآفة الثالثة والعشرون: شهادة الزور:

قال رسول الله -ﷺ-: «**عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله عز وجل**» ثم تلا هذه الآية: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين**﴾ رواه أحمد.

وشاهد الزور لا يقبل الله تعالى له عملاً!!

قال -ﷺ-: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخارى.

هذا، ويترتب على شهادة الزور عدة عظائم وجرائم منها:

(١) تضليل الحاكم أو «القاضى» والتسبب فى الحكم بالباطل.

(٢) الظلم لمن شهد له، لأنه ساق إليه ما ليس من حقه.

(٣) الظلم لمن شهد عليه، حيث أخذ منه ما له بشهادة كاذبة.

(٤) إنقاذ المجرم من العقاب.

(٥) وهذه أخطرها: محاربة عدالة الله فى الأرض!!.

نسأل الله تعالى السلامة.

(جـ) فوائد اللسان:

من أعظم فوائد اللسان:

تلاوة القرآن به. . وذكر الله سبحانه وتعالى:

سأل معاذ بن جبل -رضي الله عنه- رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**» رواه الطبرانى.

«قصة»:

مَرّ مالك بن دينار -رحمه الله- على رجل مُبْتلى، فسمعه يقول:

«الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به الخلق، وفضّلنى على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً!!».

فقال له مالك: ما رأيتُ بلاء قط إلا وقد نزل بك، فماذا تقصد بالمعافاة؟

فقال الرجل المبتلى: «الحمد لله الذى أبقى لى: قلبًا يعرفه، ولسانًا يذكره!!».

ومن فوائد ذكر الله:

(١) الذاكر فى نور العرش!!

فعن أبى المخارق -رضي الله عنه- قال:

قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «**مررتُ ليلة أُسرى بى برجل مُغَيّب فى نور العرش.**

فقلت: من هذا؟ أهذا ملَكَ؟

قيل: لا.

قلتُ: نبىّ؟

قيل: لا.

قلت: من هو؟

قال: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم يستسب لوالديه!!» رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلاً.

(٢) الذاكر من أهل الكرم يوم القيامة!:

قال رسول الله - ﷺ -: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة:**

سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم.

فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟

قال: أهل مجالس الذكر» رواه أحمد.

(٣) فضل شهادة التوحيد:

قال رسول الله - ﷺ -: «**ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله قطّ مخلصًا: إلا فُتحت له أبوابُ السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**»[١].

وقال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير «عشر مرات» كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**» متفق عليه.

(٤) فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد:

قال رسول الله - ﷺ -: «**من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة فى الجنة**»[٢].

وقال - ﷺ -: «**من قال: سبحان الله وبحمده، فى يوم مائة مرة غُفرت له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر**» رواه مسلم.

وقال - ﷺ -: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة**».

فسأله سائل: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟.

---

(١) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه البزار بإسناد جيد.

قال: «يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة، أو تحط عنه ألف خطيئة»(١).

● وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

«إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله:

إن العبد إذا قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله. قبض عليهنَّ مَلَكٌ فضمّهن تحت جناحه، وصعد بهنَّ لا يمرّ بهن على جَمْع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحى بهنَّ وجه الرحمن. ثم تلا عبد الله بن مسعود:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢). رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

فضل تلاوة القرآن:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يُكْتب من الغافلين.

ومن قرأ مائة آية كُتب له قنوت ليلة.

ومن قرأ مائتى آية كُتب من القانتين.

ومن قرأ أربعمائة آية كُتب من العابدين.

ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من الحافظين.

ومن قرأ ستمائة آية كُتب من الخاشعين.

ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين.

ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار، والقنطار: ألف ومائتا أوقية، والأوقية:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

خير مما بين السماء والأرض، أو قال: خير مما طلعت عليه الشمس. ومن قرأ ألفى آية كان فى الموجبين» رواه الطبرانى.

وقوله: «**فى الموجبين**» أى: مِمَّن وجبت لهم الجنة.

● وقال -ﷺ-: «**من قرأ آية الكرسى دُبُرَ كل صلاة لم يمنعْه من دخول الجنة إلا أن يموت**» رواه النسائى.

فضل الصلاة على رسول الله -ﷺ-:

● قال رسول الله -ﷺ-: «**من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشرًا**» رواه مسلم.

● وقال -ﷺ-: «**من صلى علىّ مرة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وكن له عدل عشر رقاب**»(١).

وعن أبىّ بن كعب -رضي الله عنه- قال:

كان رسول الله -ﷺ- إذا ذهب ربع الليل قام فقال:

«**أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرَّادفة جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**».

قال أُبىّ بن كعب: فقلت: يا رسول الله إنى أكثر الصلاة: فكم أجعل لك من صلاتى؟.

قال: «**ما شئت**».

قال: قلت: الرُّبع؟.

قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير لك**».

قلتُ: النصف؟

قال: «**ما شئت، وإن زدتَ فهو خير لك**».

---

(١) رواه ابن أبى عاصم.

قال: أجعل لك صلاتى كلّها؟

قال: «**إذًا يُكفى همّك، ويُغْفر لك ذَنْبك**»(١).

وبالجملة: فذكر الله تعالى له فضل عظيم، وثواب كبير.. وهو صيانة للمسلم فى حياته.. ونجاة له بعد مماته.. فعليك أيها المسلم أن تجاهد نفسك فى ذكر ربك بالغدو والآصال.. وفى أذكار الصباح والمساء.. وأذكار دبر الصلوات.. وأدعية النوم.. والخروج من البيت والدخول فيه.. وأذكار الطعام والشراب فضل كبير.

ثانيًا: حفظ السمع:

السمع من أجل نعم الله تعالى على العبد.. لا يعرف قدرها إلاّ من حرمها.. وهذه النعمة العظيمة لابد وأن تصان عن فحش القول ومنكره.. فالإنسان سيسأل يوم القيامة عنها:

قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾(٢).

قال قتادة فى تفسيره لهذه الآية:

«لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله»(٣).

وقال الإمام القرطبى: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾: أى يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عمّا افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى وسمع.

وقيل: المعنى أن الله يسأل الإنسان عمّا حواه سمعه وبصره وفؤاده، ونظيره قوله -ﷺ-:

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٦٦).

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[(١)]. فالإنسان راع جوارحه، فكأنه قال كل هذا كان الإنسان عنه مسئولاً، فهو على حذف مضاف والمعنى الأول أبلغ فى الحُجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزى، كما قال: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(٢)]، وقوله:

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)].

وعبّر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواسّ لها إدراك، وجعلها فى هذه الآية مسئولة، فهى حالة مَنْ يعقل، فلذلك عبرّ عنها بأولئك»[(٤)].

وعن أبى ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبَه سليمًا، ولسانَه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخَليقتَه مستقيمةً، وجعل أُذُنَه مُسْتمعة، وعيْنَه ناظرةً، فأما الأُذُن فَقَمْعٌ والعينُ مُقَرَّةٌ بما يُوعِي القلبُ، وقد أفلح من جعل قلبه واعيًا»[(٤)].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«كُتب على ابن آدم نصيبه من الزّنا، فهو مدرك ذلك لا محالة، العينان: زناهما النظر، والأذنان: زناهما الاستماع، واللسان: زناه الكلام، واليد: زناها البطش، والرّجل: زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدّق ذلك الفرج، أو يكذّبه» رواه مسلم.

وذم الله تعالى أقوامًا لا يسمعون كلامه.. ولا ينتفعون بنعمة السمع، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة يس: ٦٥.

(٣) سورة فصلت: ٢٠.

(٤) تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣٤).

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(١).

وذمّ آخرين يلقون أسماعهم لكذبة البشر.. فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(٢).

وحذّر الله تعالى أهل الإيمان من مجالسة أرباب الفتن.. وأمرهم بمجانبتهم، وذلك لأن المستمع شريك المتكلّم:

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٣).

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: ما محصّله:

«فدلّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصى إذا ظهر منهم منكر لأن من لم يجتنبهم فقد رضى فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ فكل من جلس فى مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم فى الوزر سواء، وينبغى أن ينكر عليهم إذا تكلّموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغى أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية...

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) سورة المائدة: ٤١، ٤٢.

(٣) سورة النساء: ١٤٠.

وإذا ثبت تجنّب أصحاب المعاصى كما بيّنا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى...

وروى جويبر عن الضحاك قال:

«دخل فى هذه الآية كل محدِث فى الدين مبتدع إلى يوم القيامة». ا.هـ.

وعلى ما تقدم فعلى كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصون سمعه من فحش القول.. وأن يجتنب أهل المعاصى كأصحاب الخمور.. وأهل الرقص والغناء الفاحش.. وغيرهم مِمَّن جندهم الشيطان لإضلال العباد.. وسخرهم لمحاربة الفضيلة.. وسلطهم لإشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا.

قال الإمام ابن القيم: «إن الشيطان قد لزم ثغر الأُذن أن يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه، ويمنع أن يدخل إليها ما ينفعه، وإن دخل بغير اختيار أفسده عليه»(١).

ثالثًا: حفظ البصر:

البصر من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان.. ولا يعلم فضل هذه النعمة إلا من فقدها.. ولذلك جعل الله تعالى ثواب فقد البصر الجنة!!

● عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الله عزّ وجل قال: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوّضتُه منهما الجنة، يريد عينيه**» رواه البخارى.

قال الحافظ ابن حجر:

«لأنهما أحبّ أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل بفقدهما من الأسف» ا.هـ(٢).

---

(١) الداء والدواء (١١٣).

(٢) الفتح (١٠/١١٦).

● وعن عائشة بنت قدامة، قالت:

قال رسول الله -ﷺ-: «**عزيزٌ على الله أن يأخذُ كَريمتَىْ مؤمن ثم يُدْخلهُ النار**».

قال يونس: يعنى عينيه. رواها أحمد وغيره.

● وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**يقول الله: إذا أخذتُ كريمتى عبدى فصَبَر واحتسب لم أرْضَ له ثوابًا دون الجنة**»(١).

وكان النبى -ﷺ- يسأل ربه إذا أصبح وإذا أمسى أن يعافيه فى بصره، فمن هديه -ﷺ- فى أذكار الصباح والمساء قوله:

«**اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سمعى، اللهم عافنى فى بصرى**» ثلاث مرات.

وهذا البصر يجب أن يصان عن المحرمات، ويجب أن يحفظ عما يُغضب الله.

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن النبىّ -ﷺ- قال:

«**اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة:**

اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا الأمانة إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضّوا أبصاركم وكفوا أيديكم» رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه.

● وروى الطبرانى عن أبى أمامة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«**لتغضّنَّ أبصاركم، ولتحفظُن فروجكم، أو لَيَكْسِفنّ الله وجوهكم**».

● وقال بعض العقلاء:

---

(١) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمى: رجال أبى يعلى ثقات. المجمع (٢/٢٠٨).

«من سرّح ناظره، أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته، دامت حسراته، وضاعت عليه أوقاته، وفاضت عبراته. وقال الناظم:

نظر العيون إلى العيون هو الذى ... جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلاً
ما زالت اللحظات تغزو قلبه ... حتى تشحَّط بينهن قتيلا

وقال آخر:

تمتعتما يا مُقْلتىَّ بنظرة ... وأوردتما قلبى أمرَّ الموارد
أعينىَّ كُفَّا عن فؤادى فإنه ... من الظلم سَعْىُ اثنين فى قتل واحد

قلت: صدق والله، فالنظر بريد الزنا.. وهو أوسع المداخل إلى القلب، والمحرّك الأول للفرج..

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

«رب نظرة أورثت شهوة، وربّ شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلاً».

فعلى العاقل أن يغض بصره عن المُحرّم.. ويصون عرضه عن المحرمات.

ولله درُّ القائل:

إن الرجال الناظرين إلى النساء ... مثل السباع تطوف باللّحمان
إن لم تصن تلك اللحوم أسودُها ... أُكلت بلا عوض ولا أثمان

ما يعين على غض البصر:

١- مراقبة الله تعالى:

فمراقبة الله تعالى فى السر والعلانية تعين الإنسان على الاستقامة.. ومنها غض البصر:

● سئل الإمام الجنيد -رحمه الله تعالى-: بم أستعين على غض بصرى؟

قال: أن تعلم أن نظر الله أقرب من نظر المنظور إليه.

وفي الحديث: «**أفضل إيمان المرء، أن يعلم أن الله معه حيث كان**».

إذا خلوت الدهر يومًا لا تقل خلوت ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ولا أن ما تُخْفي عليه يغيبُ

«حكاية»:

«حُكي أن رجلاً بالبصرة معروف بالمِسْكي لأنه كان يفوح منه رائحة المسك، فسُئل عن ذلك فقال:

كنت من أحسن الناس وجهًا وكان لي حياء، فقيل لأبي:

لو أجلسته في السوق لانبسط مع الناس.

فأجلسني في حانوت بزاز، فجاءت عجوز، فطلبت متاعًا فأخرجتُ لها ما طلبت، فقالت:

لو توجهتَ معي لثمنه؟

فمضيتُ معها حتى أدخلتني في قصر عظيم، فيه قبة عظيمة عليها سرير، فإذا جارية على فرش مذهبة، فجذبتني إلى صدرها!! فقلت: «الله».

فقالت: لا بأس.

فقلتُ: إني حاقن[(١)]، ودخلتُ الخلاء[(٢)] وتغوطت ومسحتُ به وجهي وبدني، فقيل: إنه مجنون، فخلصت، ورأيتُ بمنامي في تلك الليلة رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب -عليه السلام-؟.

فقلتُ: من أنت؟

قال: جبريل!!، ثم مسح يده على وجهي وبدني، فمن ذلك الوقت يفوح المسك عليَّ وذلك ببركة العفة والتقوى؟»[(٣)].

(١) الحاقن: الحابس لبوله.

(٢) الخلاء: دورة المياه.

(٣) ولا تقربوا الفواحش، لجمال بن عبد الرحمن إسماعيل ص١٤٦ نقلاً عن تفسير «روح البيان».

٢- الزواج:

لقوله -ﷺ-: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج**».

٣- الاحتشام:

فتغطية المرأة لجسدها.. واحتشامها.. من أعظم الإعانة على غض البصر:

● قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ**﴾(١).

● وقال -ﷺ-: «**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**»(٢).

● وقال -ﷺ-: «**إن المرأة تقبل فى صورة شيطان، وتدبر فى صورة شيطان**»(٣).

● **وقال مجاهد**: «إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على صدرها فزينها للناظرين، وإذا أدبرت جلس الشيطان على عجزها فزينها للناظرين».

٤- الابتعاد عن أماكن الإثارة:

مثل أماكن الاختلاط.. وما يحدث فيها من مزاحمة المرأة للرجال.. مع وجود التبرج والسفور.. وضياع الغيرة.. وموت الحمية.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

«ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أسباب نزول العقوبات العامَّة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر: السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٥).

والخاصّـة، واختلاط الرجال بـالنساء سبب لكثـرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة»[١]. ا.هـ.

قلت: قال هذا فى زمنه.. فماذا يقول لو رأى أهل زماننا؟!!

الحق الثانى: «وتحفظ البطن وما حوى»:

أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن.

عن أبى بَرْزة -رضي الله عنه- عن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إنما أخشى عـليكم شهوات الغـىّ فى بطونكم، وفروجكم، ومـضلاّت الهوى»[٢].

فبها أُخرج آدم -عليه السلام- وحوّاء من دار القرار إلى دار الذل والافـتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فَبَدتْ لهما سوآتهما.

والبطن على التـحـقيق ينبـوع الشـهوات ومنبت الأدواء والآفـات، إذ يتبـعهمـا شهوة الفـرج وشدة الشبق إلى المنكوحـات، ثم تتبع شهـوة الطعام والنكاح شـدة الرغـبة فى الجـاه والمال اللذين همـا وسـيلة إلى التـوسع فى المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسـات والمحاسدات، ثم يتـولد بينهما آفـة الرياء وغائلة التفـاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسـد والعداوة والبغضاء، ثم يفضى ذلك بصاحـبه إلى اقتـحام البغى والمنكر والفـحشاء، وكل ذلك ثمـرة إهمال المعدة وما يتـولد منها من بطر الشبع والامـتلاء، ولو ذلل العبد نفـسه بالجوع وضيق مجـارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلـك سبيل البطر والطغيـان، ولم ينجر به ذلك إلى الانهمـاك فى الدنيا، وإيثـار العاجلة على العقـبى، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيـا، وإذا عظمت آفة شـهوة

(١) صيحـة تحذير من الخلوة والاختـلاط للشيخ/ محمـد بن إسماعيل المقـدم (١٨) نقلاً عن الطرق الحكمية.

(٢) قال المنذرى: رواه أحمد والبـزار والطبرانى فى معاجمه الثـلاثة، وبعض أسانيدهم رواته ثقات. الترغيب (٧٩).

البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرًا منها، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبًا فيها.. والله المستعان.

أولاً: فضيلة حفظ البطن، وذم الشبع:

● عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أكثر ما يدخل الناس النار؟

قال: «**الفمُ، والفرجُ**».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟

قال: «**تقوى الله، وحسنُ الخُلق**»(١).

● وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**ما ملأ آدمىٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أُكيلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(٢).

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**المسلم يأكل فى مِعىً واحد، والكافر فى سبعة أمعاء**» رواه مالك والبخارى ومسلم وغيرهم.

وفى رواية للبخارى: أن رجلاً كان يأكل كثيرًا فأسلم، فكان يأكلُ أكلاً قليلاً، فذكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال:

«**إن المؤمن يأكل فى معىً واحد، وإن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء**».

● وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:

تجشأ رجلٌ عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال:

«**كفّ عنا جُشاءك، فإن أكثرهم شِبَعًا فى الدنيا أطولُهم جُوعًا يوم القيامة**»(٣).

---

(١) **حسن**: انظر: صحيح سنن الترمذى (١٦٣٠).

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى (١٩٣٩).

(٣) **حسن**: انظر صحيح سنن الترمذى (٢٠١٥).

● وعن أبى جَعْدَة -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلاً عظيم البطن، فقال بأُصُبعه:

«لو كان هذا فى غير هذا لكان خيراً لك» رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيد.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«لَيُؤْتَيَنَّ يوم القيامة بالعظيم، الطويل، الأكول، الشَّروب، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[1]» رواه البيهقى.

● وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

«إياكم والبطنة فإنها ثقل فى الحياة، نتن فى الممات».

● وقال لقمان لابنه:

«يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

● وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه:

«أى شىء تخافين؟ أتخافين أن تجوعى؟ لا تخافى فى ذلك، أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه».

ثانيًا: الترغيب فى طلب الحلال والأكل منه:

● قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2].

● وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[3].

● وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

---

(١) سورة الكهف: ١٠٥.

(٢) سورة المؤمنون: ٥١.

(٣) سورة البقرة: ١٧٢.

«طلب الحلال واجبٌ على كل مُسْلم»[(١)].

● وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانة، وصدق حديث، وحسنُ خليقة، وعفةٌ في طُعْمة»[(٢)].

● وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مثلُ المؤمن مثلُ النَّحْلة: إن أكلتْ أكلت طيبًا وإن وضعت وَضَعَتْ طيبًا وإن وَقَعَتْ على عُود نَخرِ لم تَكْسِرْهُ»[(٣)].

● وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مثل المؤمن مثل النحلةً لا تأكل إلا طيبًا ولا تضعُ إلا طيبًا»[(٤)].

ثالثًا: التحذير من أكل الحرام:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله تعالى طيِّب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[(٦)]. ثم ذكر الرَّجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» رواه مسلم.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله طيب» الطيب هنا معناه الطاهر.

---

(١) **حسن**: قال المنذرى: رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن -إن شاء الله-. الترغيب (٢٥٩٠).

(٢) رواه أحمد والطبراني، وإسنادهما حسن. الترغيب (٢٥٩٣).

(٣) **حسن**: رواه البيهقي. وانظر: صحيح الجامع (٥٧٢٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٣٠) وغيره، وانظر: صحيح الجامع (٥٧٢٣).

(٥) سورة المؤمنون: ٥١.

(٦) سورة البقرة: ١٧٢.

والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى مقدّس منزه عن النقائص والعيوب كلها وقوله «**لا يقبل إلا طيبًا**»: المراد: أنه تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبًا حلالاً.

وقيل: أن المراد بقوله: «**لا يقبل إلاّ طيبًا**» أعم من ذلك وهو أن لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهرًا من المفسدات كلها كالرياء والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالاً فإن الطيب يوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، وكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث.

وقد قيل: إنه يدخل فى قوله تعالى:

﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** ﴾(١) هذا كله.

وقد قسّم الله تعالى الكلام إلى طيب وخبيث فقال:

﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ** ﴾(٢). ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ** ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾(٤).

ووصف الرسول -ﷺ- بأنه يحل الطيبات ويحرّم الخبائث.

وقد قيل: إنه يدخل فى ذلك الأقوال والأعمال والاعتقادات أيضًا ووصف الله تعالى المؤمنين بالطيب بقوله تعالى:

﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ** ﴾(٥). وأن الملائكة تقول عند الموت: «اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيّب».

---

(١) سورة المائدة: ١٠٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٦.

(٤) سورة فاطر: ١٠.

(٥) سورة النحل: ٣٢.

وأن الملائكة تسلم عليهم عند دخولهم الجنة ويقولون ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ** ﴾(١).

وقد ورد في «الحديث الصحيح»: أن المؤمن إذا زار أخاه في الله تقول له الملائكة: «**طِبتَ وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة مَنْزلاً**».

فالمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان وظهر على لسانه من الذّكر وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عزّ وجلّ.

ومن أعظم ما يحصل به طيب الأعمال للمؤمن من طيب مطعمه وأن يكون من حلال فبذلك يزكو عمله.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله، فإنه قال بعد تقريره:

«**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾. وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾**».

والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال بالعمل الصالح، فما كان الأكل حلالاً فالعمل الصالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً. وما ذكره بعد ذلك من الدعاء وأنه كيف يتقبل مع الحرام فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام.

قال أبو عبد الله الناجي الزاهد -رحمه الله-:

«خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عزّ وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السّنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل».

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.

وذلك إذا عرفتَ الله -عز وجل- ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفتَ الحق ولم تعرف الله لم تنتفع، وإن عرفتَ الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السُّنَّة لم تنتفع وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع.

وقال وهب بن الورد:

«لو قمت مقام هذه السارية[1] لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل فى بطنك حلال أو حرام».

أما الصدقة بالمال الحرام فغير مقبولة:

● فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**» رواه مسلم.

● وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله قسَمَ بينكم أخلاقكم كما قسَمَ بينكم أرزاقكم، وإن الله يُعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يُعطى الدين إلا من يُحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، ولا والذى نفسى بيده لا يُسْلم عبدٌ حتى يُسْلم، أو يَسْلم قلبُه ولسانُه، ولا يؤمن حتى يأمن جارُه بوائقه**».

قالوا: وما بوائقه؟

قال: «**غشمه وظلمه، ولا يكسب عبدٌ مالاً حرامًا فيتصدّق به فيُقْبلُ منه، ولا يُنفق منه فيُبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله تعالى لا يمحو السيئة بالسيئة، ولكن يمحو السَّيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**»[2].

---

(١) السارية: العمود.

(٢) قال المنذرى: رواه أحمد وغيره من طريق أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وقد حسّنها بعضهم، والله أعلم. الترغيب (٢٦٠٢). وقال الهيثمى: رواه الطبرانى موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح. المجمع (١٠/ ٩٠).

● **وقال الحسن**: أيها المتصدّق على المسكين ترحمه ارحم مَنْ قد ظلمت.

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله تعالى-:

«واعلم أن الصدقة بالمال الحرام تقع على وجهين:

أحدهما: أن يتصدق به الخائن أو الغاصب ونحوهما على نفسه، فهذا هو المراد من هذه الأحاديث أنه لا يتقبل منه، يعنى أنه لا يؤخر عليه بل يأثم بتصرفه فى مال غيره بغير إذنه ولا يحصل للمالك بذلك أجر لعدم قصده ونيته.

الوجه الثانى: أن يتصدق به عن صاحبه إذا عجز عن رَدّه إليه وإلى ورثته، فهذا جائز عند أكثر العلماء منهم: مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم.

قال ابن عبد البر:

«ذهب الزهرى ومالك والثورى والأوزاعى والليث إلى أن الفال إذا تفرّق أهل العسكر ولم يصل إليهم أنه يدفع إلى الإمام خُمسه ويتصدق بالباقى».

والمشهور عن الشافعى -رحمه الله- فى الأموال الحرام أنها تحفظ ولا يتصدق بها حتى يظهر مستحقها.

والصحيح: الصدقة به لأن إتلاف المال وإضاعته منهى عنه، وإرصاده أبدًا تعريض له للإتلاف واستيلاء الظلمة عليه، والصدقة به ليست عن مكتسبه حتى يكون تقربًا منه بالخبيث، وإنما هى صدقة عن مالكه ليكون نفعه له فى الآخرة حيث يتعذّر عليه الانتفاع به فى الدنيا»(١) ا.هـ.

● وقوله -ﷺ-: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يُسْتجاب لذلك**».

---

(١) جامع العلوم والحكم باختصار شديد.

هذا الكلام أشار فيه -ﷺ- إلى آداب الدعاء وإلى الأسباب التى تقتضى إجابته وإلى ما يمنع من إجابته، فذكر من الأسباب التى تقتضى إجابة الدعاء أربعة:

أحدها: إطالة السّفر:

والسفر بمجرده يقتضى إجابة الدعاء[1].

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لوالده**» أخرجه أبو داود وغيره.

ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول السفر والغربة عن الأوطان وتحمّل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

والثانى: حصول التبذل فى اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار:

وهو أيضًا من المقتضيات لإجابة الدعاء كما فى الحديث «المشهور الصحيح» عن النبى -ﷺ-: «**رُبّ أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه**».

ولما خرج النبىُّ -ﷺ- للاستسقاء خرج متبذلاً متواضعًا متضرعًا. وكان «**مطرف بن عبد الله**» قد حُبس له ابن أخ، فلبس خلقان ثيابه وأخذ عكازًا بيده فقيل له:

ما هذا؟

قال: أستكين لربى لعله أن يشفعنى فى ابن أخى.

---

(١) المقصود بالسفر هنا: سفر الطاعة.

الثالث: مد يديه إلى السماء:

وهو من آداب الدعاء التى يُرجى بسببها إجابته.

عن سلمان الفارسى -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم-:

«**إن الله تعالى حيىّ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صفرًا خائبتين**» أخرجه أحمد وغيره.

● وكان النبىّ -صلى الله عليه وسلم- يرفع يديه فى الاستسقاء حتى يُرى بياض إبطيه، ورفع يديه يوم بدر يستنصر على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

الرابع: الإلحاح على الله تعالى بتكرير ذكر ربوبيته:

وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء.. فالله تعالى يُحبّ المُلحيّن فى الدعاء.

وروى الطبرانى وغيره من حديث سعد بن خارجة:

«أن قومًا شكوا إلى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قحوط المطر، فقال:

«**اجثوا على الركب وقولوا: يا رب يا رب**»، ورفع السبابة إلى السماء فسقوا حتى أحبّوا أن يُكشف عنهم».

موانع إجابة الدعاء:

أما ما يمنع إجابة الدعاء:

١- التوسع فى الحرام أكلاً وشربًا ولبسًا:

● قال يوسف بن أسباط -رحمه الله تعالى-:

«بلغنا أن دعاء العبد يُحبس عن السمـٰوات بسوء المطعم».

● وقال وهب بن منبه: «من سَرَّه أن يستجيب الله دعوته فليطب طُعْمته».

فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذى به سبب موجب لإجابة الدعاء.

٢- المعاصى:

وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعًا من الإجابة -أيضًا- وكذلك ترك الواجبات.

● **قال وهب بن منبه:**

«الذى يدعو بغير عمل كمثل الذى يرمى بغير وتر».

● **وقال أبو ذر** -رضي الله عنه-:

«يكفى مع البر من الدعاء مثل ما يكفى الطّعام من الملح».

● **وقال مالك بن دينار:**

«أصاب بنى إسرائيل بلاءٌ فخرجوا مخرجًا، فأوحى الله تعالى إلى نبيّهِ:

أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إلىّ أكفًّا قد سفكتم بها الدّماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلاّ بعدًا».

● **وقال بعض السلف:**

«لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصى».

وأخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

نحن ندعو الإلـه فى كل كَرْب — ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة الدعاء — قد سددْنا طريقها بالذُّنوب(١)

«خوف السلف الصالح من الحرام»:

● **«أبو بكر الصديق والكاهن»**: قال زيد بن أرقم:

«كان لأبى بكر -رضي الله عنه- غلام يخرج له الخراج -أى قد كاتبه على مال- وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله:

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى.

من أين أتيت بها؟

فإن رضيه أكله وإلاّ تركه.

قال: فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائمًا فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له:

من أين جئت بهذا؟

فقال: كنت تكهنتُ لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة، إلا أنى خدعتهم!.

فقال أبو بكر: أفّ لك كدت تهلكنى! ثم أدخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له:

إنها لا تخرج إلا بالماء، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شىء فى بطنه!!، فقيل له:

يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟

فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها. إنى سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**كل جسد نبت من سُحْت فالنار أولى به**» فخشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة[1].

● **«قصّةُ الشّبلى والدِّرهم»:**

«لمّا حضرت الوفاةُ أبا بكر الشّبلى -رحمه الله- قال لخادمه:

علىَّ دِرْهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه!!!، ثم قال لخادمه:

وضئنى للصلاة.

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٧/ ٣٨٤٢)، بنحوه إلى قوله: «حتى قاء كل شىء من بطنه». والبقية مُدْرجة من حديث «زيد بن أرقم» رواه أبو نعيم، والبيهقى بنحوه بسند ضعيف.

يقول خادمه: ففعلتُ فنسيتُ تخليل لحيته، وقد أُمْسك على لسانه.

فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات!! فبكى جعفر بن نصير لـمّا سمع ذلك وقال:

«ما تقولون فى رجلٍ لم يَفُتْه فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟!!»(١).

وصفوة القول:

فيجب على كل مسلم أن يحفظ بطنه مما حَرّم الله عليه.. وأن يسعى جاهدًا فى طلب الحلال.. وأن يرضى بما قسم الله له..

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدُكم حبله فيذهب به إلى الجبل فيحتطب، ثم يأتى به فيحمله على ظهره فيأكل خيرٌ له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ تُرابًا فيجعله فى فيه خير له من أن يجعل فى فيه ما حرَّم الله عليه**»(٢).

«قصة»:

«رأى الإمام الأوزاعى -رحمه الله تعالى- إبراهيم بن أدهم- رحمه الله تعالى- وهو يعالج حزمة حطب -يريد رفعها على نفسه- فقال له الأوزاعى:

أحمل عنك؟

قال له: اسكت، بلغنى أن من وقف موقف مذلّة فى طلب الحلال وجبت له الجنة!!».

«قصة أخرى»:

«عن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له:

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٧٧).
(٢) رواه أحمد بإسناد جيد. الترغيب (٢٦٠٠).

ما فعل الله بك؟

قال: خيراً، غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها!!»(١).

الحق الثالث: «وتتذكر الموتَ والبِلَى»:

جدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقرّه، وبطن الأرض مستقرّه والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا فى الموت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلاّ لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار وتربص إلاّ له، وحقيق بأن يعدّ نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور، فإن كل ما هو آتٍ قريب والبعيد ما ليس بآت، وقد قال رسول الله -ﷺ-:

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»(٢).

ولن يتيسر الاستعداد للشىء إلا عند تجدّد ذِكره على القلب، ولا يتجدّد ذِكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكّرات له والنظر فى المنبهات له.

ونحن نذكر من أمر الموت ومقدّماته ولواحقه ما لابدّ للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحثًا على الاستعداد:

أولاً: الترغيب فى الإكثار من ذكر الموت:

اعلم أن المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المُحبّ لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكّر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم:

---

(١) الكبائر (١٣٢)، والزواجر (٢/ ٢٣٢).

(٢) **ضعيف**: رواه الترمذى (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠) وغيرهما.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١) .

ثم الناس: إما منهمك، وإما تائب مبتدئ، أو عارف منته.

أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه.

وأما التائب المبتدئ: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة.

وأما العارف: فإنه يذكر الموت دائمًا لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا فى غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصيين وينتقل إلى جوار رب العالمين.

كما روى عن حذيفة بن اليمان(٢) أنه لما حضرته الوفاة، قال:

«حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلىّ من الغنى، والسقم أحب إلىّ من الصحة، والموت أحبّ إلى من العيش فسهّل علىّ الموت حتى ألقاك!!».

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضًا يستفيد بذكر الموت إذ ينغّص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذّته. وكل ما يكدّر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة.

● عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أكثروا من ذكر هادم اللّذات»**.

قلنا: يا رسول الله: وما هادم اللذات؟

قال: **«الموت»**(٣) .

---

(١) سورة الجمعة: ٨.

(٢) وثبت عن «معاذ بن جبل» -رضي الله عنه- نحو هذا.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٣٠٧) وغيره.

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى-:

«قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قوله -ﷺ-: «**أكثروا ذكر هادم اللذات الموت**» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغّص عليه لذّته الحاضرة، ومنعه تمنّيها فى المستقبل وزهّده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففى قوله عليه الصلاة والسلام: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» مع قوله تعالى:

﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(١). ما يكفل السامع له، ويشغل الناظر فيه.

وكان أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» كثيرًا ما يتمثّل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينهما ترد
أين الملوك التى كانت لعزّتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من وروده يومًا كما وردوا

● وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سنّ معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مُسْتعدًّا لذلك.

● وكان بعض الصالحين ينادى بليل على سور المدينة: «الرّحيل، الرّحيل».

فلما تُوفّى فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه، فقيل:

إنه قد مات، فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظًا متشمّرًا ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

● **وقال إبراهيم التيمى:**

«شيئان قطعا عنى لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدى الله تعالى».

● وقال أبو نعيم: «كان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا فإن سئل عن شىء قال: لا أدرى لا أدرى»(١).

وقال الدقاق: «من أكثر من ذكر الله الموت أكرم بثلاثة أشياء:

تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة.

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء:

تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل فى العبادة».

«فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، وكفى بالموت مقرحًا، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات، فهل تفكرت يا بن آدم فى يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحبُ والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك، وغطائك إلى عرر(٢)، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر(٣)، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان، وليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟

فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا، بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك»(٤).

---

(١) خبر صحيح. أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٥٨).
(٢) عرر: صفر السنام أو قلته أو ذهابه.
(٣) مدر: قطع الطين اليابس.
(٤) التذكرة للقرطبى ص ٩، ١٠.

ولله دَرّ القائل:

هى القناعة لا تبغى بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن؟

● نظر ابن مطيع -رحمه الله تعالى- ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: «والله لولا الموت لكنتُ بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرّت بالدنيا أعيننا» ثم بكى بكاءً شديدًا.

● **«حكاية»:**

«كان بالبصرة عابدٌ قد أجهده الخوف، وأسقمه البكاء وأنحله، فلمّا حضرته الوفاةُ جلس أهله حوله يبكون، فقال لهم:

أجلسونى، فأجلسوه، فأقبل عليهم وقال لأبيه:

يا أبت ما الذى أبكاك؟!

قال: يا بنى، ذكرتُ فقدك، وانفرادى بعدك.

فالتفت إلى أمّه وقال: يا أمّاه، ما الذى أبكاك؟!

قالت: يا بنى، لتجرّعى مرارة ثكلك.

فالتفت إلى زوجته وقال: ما الذى أبكاك؟!

قالت: لفقد برّك، وحاجتى لغيرك.

فالتفت إلى أولاده، وقال: ما الذى أبكاكم؟!

قالوا: لذل اليتم، والهوان بعدك.

فعند ذلك نظر إليهم وبكى، فقالوا: ما يبكيك أنت؟

قال: أبكى لأنى رأيتُ كلا منكم يبكى لنفسه لا لى، أما فيكم مَنْ يبكى طول سفرى؟!.

أما فيكم من يبكى لقلة زادى؟!

أما فيكم من يبكى لمضجعى فى التراب؟!.

أما فيكم من يبكى لما ألقاه من طول الحساب؟!

أما فيكم من يبكى لموقفى بين يدى ربّ الأرباب؟!

ثم سقط على وجهه فحرّكوه، فإذا هو ميّت»(١).

ثانيًا: تذكر شدة سكرات الموت:

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيّما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء:

«كَرْب بيد سواكَ لا تدرى متى يغشاك».

قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**﴾(٢).

ولنسير لحظات لنرى بعضًا من حالات الاحتضار ونزلات الموت التى هى إلينا قادمة عاجلاً أو آجلاً.

● هذه حال رسول الله -ﷺ- خير الأنبياء والمرسلين وأكرم الخلق على الله أجمعين عندما أصابته سكرات الموت وشدتها.

قال وهو يدخل يده فى ركوة ماء ويمسح بها وجهه الشريف:

«**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**» رواه البخارى.

ولمّا رأت فاطمة -رضي الله عنها- ما برسول الله -ﷺ- من الكرب الذى يتغشّاه قالت:

واكرب أباه. فقال لها:

---

(١) المواعظ والمجالس لابن الجوزى (ص ١١٠).

(٢) سورة ق: ١٩، ٢٠.

«**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» رواه البخارى.

وهذا حال أبى بكر -رضي الله عنه-: لما احتضر -تمثلت عائشة- رضي الله عنها- بهذا البيت:

لعمرك ما يُغنى الحذار عن الفتى ... إذا حَشْرجت يومًا وضاق بها الصَّدرُ

فقال أبو بكر -رضي الله عنه-:

ليس كذلك يا بُنيّه ولكن قولى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾(١).

ثم قال: انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما ثم كفنونى فيهما فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت.

● وعن شهر بن حوشب، قال:

سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الموت وشدته؟ فقال:

«**إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف؟**»(٢).

قال شهر: ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه:

يا أبتاه، إنك لتقول لنا: ليتنى كنتُ ألقى رجلاً عاقلاً لبيبًا عند نزول الموت يصف لى ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لى الموت؟

فقال: يا بنى والله كأن جنبى فى تخت. وكأنى أتنفس من سُمّ إبرة.

وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى. ثم أنشأ يقول:

ليتنى كنتُ قبل ما بدا لى ... فى تلال الجبال أرعى الوعولا(٣)

---

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية «شهر بن حوشب» مرسلاً.

(٣) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات»، وإسناده ضعيف أيضًا.

ثالثًا: التفكر فى أحوال أهل القبور:

قفْ بالقبور وَقُلْ على ساحاتها من منكم المغمورُ فى ظلماتها
وَمن المكرّم منكم فى قَعْرها قد ذاق بَرْدَ الأمن من رَوْعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى رَوْضة يُفْضى إلى ما شاء من دَوْحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلّب فى حُفْرة يأوى إلى حيّاتها
وعقارب تسعى إليه فرُوحُه فى شدّة التعذيب من لدغاتها!

البصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها، لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب، وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإنهم عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيّع لها، فوطن نفسك على التحسّر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار.

«قصة»:

يروى زيد بن وهب -رحمه الله تعالى- فقال:

«خرجت إلى الجبّانة فجلست فيها، فإذا رجلٌ قد جاء إلى قبرٍ فسوّاه ثم تحوّل إلى مجلسٍ، فقلت له:

ما هذا القبر؟

قال: أخ لى مات.

فقلت: أخ لك؟!

فقال: أخٌ لى فى الله رأيتُه فيما يرى النائم، فقلت:

فلان! عشت؟!

الحمد لله رب العالمين

قال: قد قلتها؟!

لأن أقدر على أن أقولها أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها، ثم قال:

ألم تر حيث كانوا يدفنونى، فإن فلانًا قام فصلى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلىّ من الدنيا وما فيها»(١).

● ومرّ النبى -ﷺ- على قبر، فقال:

«ركعتان خفيفتان بما تحقرونّ وتنفَّلون يزيدهُما هذا فى عمله أحبُّ إليه من بقية دنياكم»(٢).

● وعن البراء -رضي الله عنه-، قال:

كنا مع رسول الله -ﷺ- فى جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى حتى بلَّ الثَّرى، ثم قال:

«يا إخوانى لمثل هذا فأعدُّوا»(٣).

● وكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته فسئل عن ذلك وقيل له:

تذكر الجنة والنار فلا تبكى! وتبكى إذا وقفت على قبر؟

فقال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

---

(١) الأثر: رواه البيهقى فى «الشعب» (٩٣٠٤). والغزالى فى الإحياء (٤/ ٤٨٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم، وابن المبارك، وانظر: صحيح الجامع (٣٥١٨).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه. الترغيب (٤٨٦٨).

«**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ**» أخرجه الترمذى وحسّنه.

● وكان يزيد الرقاشى -رحمه الله تعالى- يقول:

«أيها المقبور فى حفرته، والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى إخوانك اغتبطت؟. ثم يبكى حتى يبلّ عمامته ثم يقول:

استبشر والله بأعماله الصالح، واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى»(١).

● وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول:

«ما أحسن ظواهرك إنما الدواهى فى بواطنك!!».

● وكان الربيع بن خثيم -رحمه الله-(٢) قد حفر فى داره قبراً، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾(٣).

يردّدها، ثم يردّ على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل.

● وقال ميمون بن مهران:

خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علىّ فقال: يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أُميّة كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذّاتهم وعيشهم! أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً فى أبدانهم؟

ثم بكى وقال:

---

(١) الإحياء (٤/٤٨٦).

(٢) راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين» ط. المكتبة التوفيقية.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

والله ما أعلم أحدًا أنعم مِمَّن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله».

● ومَرّ داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهى تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت بيمناك قد وسّدوكا

ثم قالت: يا ابناه بأى خدّيك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشيًّا عليه(١).

● وقال مالك بن دينار:

مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:

أتيتُ القبور فناديتها فأين المعظّم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

قال: فنوديت من بينها، أسمع صوتًا ولا أدرى شخصًا وهو يقول:

تفانوا جميعًا فما مُخْبر وماتوا جميعًا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسنَ تلك الصوُّر
فيا سائلى عن أُناس مَضَوْا أمالك فيما تَرى مُعْتبر؟

قال: فرجعتُ وأنا باك.

«موعظة»:

«أُدخل أبو الحسن على الهادى أحد الأئمة الإثنى عشرية، وكان عابدًا زاهدًا، دخل على «المتوكل»(٢) -وهو على شرابه- فلمّا مُثّل بين يديه أجَلَّهُ وأعظمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس الذى فى يده!!، فقال:

---

(١) الإحياء (٤/ ٤٨٧).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٢١).

يا أمير المؤمنين لم يدخل باطنى، ولم يخالط لحمى ودمى قطّ فاعفْنى منه.

فأعفاه ثم قال:

أنشدنى شعرًا. فأنشده:

باتوا على قُلل الأجْبال تحرسهم غُلْبُ الرّجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستُنْزلوا بعد عزّ عن معاقلهم فأودعوا حُفرًا يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخٌ بعد ما قُبروا أين الأسرّة والتيجانُ والحُلَلُ
فأفصح القبرُ عنهم حين ساءَلهم تلك الوجوهُ عليها الدُّود يقْتَتلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما لبسوا فأصبحوا بعد طول الأكْل قد أُكلوا

فبكى المتوكل حتى بلّ الثّرى، وبكى من حوله وأمر برفع الشّراب»[١].

«مواعظ على القبور»[٢]:

وجد مكتوبًا على قبر:

تناجيك أجداث وهنّ صمُوت وسكانها تحت التراب خُفوت
أيَا جامع الدّنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدُّنيا وأَنت تموت

● وقال ابن السماك:

مررتُ على المقابر فإذا على قبر مكتوب:

يمرُّ أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جَحَدوا ديُونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيالله أسرع ما نَسونى

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢١).

(٢) الكتابة على القبر: من البدع المحدثة، فقد ثبت أن النبىّ -ﷺ-: «نهى أن يُكتب على القبر شيء» صحيح: رواه ابن ماجه. وانظر: أحكام الجنائز (٢٠٤)، وإنما أثبتناه لاحتوائه على مواعظ جيدة.

«داود الطائى يعظ نفسه عند القبر»:

يقول منازل بن سعيد -رحمه الله-:

صلينا خلف جنازة فيها داود الطائى، وهو لا يرانى خلفه، فقال: «أوه. . . ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١).»

ثم قال لنفسه: يا داود مَنْ خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومَنْ طال أمله قصر عمله، وكلّ ما هو آتٍ قريب.

اعلم يا داود، أن كل شىء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم.

واعلم يا داود، أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، وإنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون.

فبما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون.

ثم نظر إلىَّ فقال:

لو علمتُ أنك خلفى لم أنطق بحرفٍ(٢).

الحق الرابع: «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا»:

الدنيا عدوة لله، وعدوة لأولياء الله، وعدوة لأعداء الله!.

أما عداوتها لله: فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها.

وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل: فإنها تزينت لهم بزينتها وغمّتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها.

وأمّا عداوتها لأعداء الله: فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها. وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٣٤).

فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد. ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد. فهم على فراقها يتحسّرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون. بل يقال لهم:

﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[(١)].

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد من التحذير منها ومن غوائلها:

«بيان ذم الدنيا»:

الآيات الواردة فى «ذم الدنيا» كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[(٢)].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

٣- وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[(٤)].

أما الأحاديث: فأيضًا -كثيرة- منها:

١- عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَرّ بالسوق، والناس كنفتيه[(٥)]، فمرّ بِجَدْيٍ أسكّ[(٦)] ميّت، فتناوله بأذنه ثم قال:

«أيكم يحبُّ أن هذا بدرهم؟».

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٨.

(٢) سورة الكهف: ٤٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٥) كنفتيه: أى عن جانبيه.

(٦) الأسك: هو الصغير الأذن.

فقالوا: ما نُحبُّ أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟

قال: «**أتحبون أنه لكم؟**».

قالوا: والله لو كان حيًّا لكان عَيْبًا فيه لأنه أسَكُّ، وهو مَيّتٌ؟

قال: «**والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم**» رواه مسلم.

٢- وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء**»(١).

٣- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**إن الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكرُ الله، وما والاه، وعالمٌ أو متعلّم**»(٢).

٤- وعن أبى هريرة -أيضًا- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تعس عبدُ الدينار وعبد الدّرهم، وعبد الخَميصة(٣) إن أُعطى رَضى، وإن لم يُعْطَ سَخط، وتعس وانتكَس(٤) وإذا شيكَ(٥) فلا انْتَقش(٦)، طوبى لعبد آخذٌ بَعنان فَرَسه فى سبيل الله أشعثَ رأسُه مُغْبرة قدماه، وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى السّاقة كان فى السّاقة وإن لم يُؤذنْ له استأذن وإن شَفَع لم يشفَّع**» رواه البخارى.

٥- وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال:

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح الترمذى (١٨٨٩).

(٢) **حسن**: صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٠).

(٣) الخميصة: ثوب معلّم من خزّ، أو صوف.

(٤) انتكس: أى انقلب على رأسه خيبة، وخساراً.

(٥) شيك: أى دخلت فى جسمه شوكة.

(٦) فلا انتقش: أى إذا أصيب فلا انجبر.

قال رسول الله -ﷺ-: «من أُشْرِب حبَّ الدنيا الْتاط منها بثلاث:

شقاء لا ينفذ عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ مُنتهاه، فالدنيا طالبةٌ ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرَة حتى يُدرِكَه الموتُ فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يَستوفى منها رِزْقه»(١).

٦- وروى ابن ماجه عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «رحم الله من سمع مقالتى حتى يبلِّغها غيره ثلاثٌ لا يَغُلّ عليهن قلبُ امرىء مسلم:

إخلاص العمل لله، والنّصح لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعاءهم محيط من ورائهم، إنه من تكن الدنيا نيّته يجعل الله فقره بين عينيه، ويُشَتّت عليه ضَيْعته، ولا يأتيه منها إلاّ ما كُتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه فى قلبه ويكفيه ضيعته، وتأتيه الدنيا وهى راغمة».

٧- وقال زيد بن أرقم:

كنا مع أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- فدعا بشراب فأتى بماء وعسل، فلمّا أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت: ثم عاد وبكى حتى ظنّوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال:

ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟

قال: كنتُ مع رسول الله -ﷺ- فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئًا ولم أر معه أحدًا، فقلت:

يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك؟.

قال: «هذه الدنيا مَثُلَتْ لى فقلت لها: إليك عنى ثم رجعت فقالت:

إنك إن أفلت منى لم يفلت منى مَنْ بعدك»(٢).

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن. الترغيب (٤٧٢٦).

(٢) أخرجه البزار، والحاكم وصحح إسناده.

ومن الآثار:

● روى أن سليمان بن داود -عليهما السلام- مَرَّ فى موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمرّ بعابد من بنى إسرائيل فقال:

والله يا بن داود لقد آتاك الله مُلْكًا عظيمًا.

قال: فسمع سليمان وقال:

«لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أُعطى ابن داود، فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى»(١).

● وقيل لإبراهيم بن أدهم:

كيف أنت؟ فقال:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع
فطوبى لعبد آثر الله ربّه ... وجاد بدنياه لما يتوقّع

● وقال على بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا:

أولها: من عرف الله وأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها».

● وقدم على معاوية -رضي الله عنه- رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟

فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء، يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك، فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها.

فقال له: سل ما شئت.

قال: عُمْر مضى فتردّه أو أجل حضر فتدفعه.

---

(١) الإحياء (٣/٢٠٣).

قال: لا أملك ذلك.

قال: لا حاجة لى إليك.

● وقال الإمام الحسن: «لا تخرج نَفْسُ ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث:

أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه».

«مواعظ فى ذم الدنيا»:

● **قال بعضهم:** يأيها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة خدّاعة، قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطّابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمّها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، ودّها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال: فلان عليل أو مدنف ثقيل، فهل على الدواء من دليل، وهل إلى الطبيب من سبيل؟

فتدعى لك الأطباء، ولا يُرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان أوصى ولماله أحصى، ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانُك، وبكى إخوانُك، وقيل لك:

هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ومنعت من الكلام فلاتنطق، وختم على لسانك فلا ينطلق، ثم حَلّ بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عُرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأُحضرت أكفانك،

فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك واستراح حسّادك، وانصرف أهلُك إلى مالك، وبقيت مرتهنًا بأعمالك».

• وخطب على بن أبى طالب -رضي الله عنه- يومًا خطبة فقال فيها:

«اعلموا أنكم ميتون ومبعثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهى بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرّها نزالها، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور. أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها. وكلّ حتفه فيها مقدور وحظّه فيها موفور.

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممَّن كان أطول منكم أعمارًا وأشدّ منكم بطشًا وأعمر ديارًا وأبعد آثارًا.

فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلّبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق الممهدة. الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة. فمُحلّها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يسأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قُرب المكان والجوار ودنوّ الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثّرى؟

وأصبحوا بعد الحياة أمواتًا وبعد نضارة العيش رُفاتًا، فجع بهم الأحباب، وسكنوا تحت التراب. ظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات ﴿**كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾(١) فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

وضمّكم ذلك المستودع. فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور، وَحُصّل ما فى الصدور، وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحُجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**﴾[2]. جعلنا وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه حتى يحلّنا وإيَّاكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد»[3].

«موعظة»:

يا غافلاً عن ذكر قبره.

أما نقل الموتُ واحدًا واحدًا؟!

وها هو قد أضحى نحوك قاصداً.

كم سلب ولدًا وأخذ والدا؟

إلى متى تصبح جاهلاً، وتمشى ماردًا؟

أين أصحاب القصور العالية؟.

أين ملوك الأمم الخالية؟

أما رأيت حالهم؟

وقد هدم الموتُ بنيانهم، وأكل التراب أجسامهم، ومصّ الدود دماءهم، ونخر الدهر عظامهم؟!.

تناديك أجْداث وهن سُكوت ... وسكّانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت؟

(١) سورة النجم: ٣١.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٣) الإحياء (٣/ ٢١٣).

«حكاية»:

«يحكى أن الحسن -رحمه الله تعالى- صلى على جنازة وحضر دفنها، فلما دنوا به إلى حفرته نادت امرأة بأعلى صوتها:

يا أهل القبور: لو عرفتم من نقل إليكم لأكرمتموه وأعزرتموه فسمع صوتًا من الحفرة يقول:

أما والله لقد نقل إلينا بأوزار كالجبال!!.

وقد أذن للأرض أن تأكله حتى يصير ترابًا كما كان!

ويقعده الملكان ويسألانه عما بطشته اليدان.

ومشت إليه القدمان.

ونطق به اللسان.

وعملته الجوارح والأركان.

فخر الحسن مغشيًّا عليه، واضطرب الميت فوق النعش مما سمع!!»(١).

فيجب على العاقل أن يترك الدنيا قبل أن تتركه.. وأن يتذكر القبر قبل أن يدخله.. وأن يستعد للقاء الله تعالى قبل أن يلقاه.

ولا نعني بالزهد -هنا- ترك الدنيا والدعوة إلى التواكل!! ولكن الزهد الحق: أن يملك الإنسانُ الدنيا ثم يزهد فيها.. أما دعاة التواكل... وأهل البطالة.. فهم سبب تأخر هذه الأمة.. فلقد أضرّوا بفهمهم (الأعور للدين) أُمتهم ومِلّتهم.

«انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى»

---

(١) رحلة إلى الدار الآخرة للشيخ كشك ص ٢٥.

موسوعة الحقوق الإسلامية

بقلم

سعد يوسف محمود أبو عزيز

الجزء الثانى

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

«مقدمة الجزء الثانى»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبىّ بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم:

وبعد:

فهذا هو «**الجزء الثانى**» من كتاب: «**الحقوق الإسلامية**».. نواصل فيه -بإذن الله تعالى- مشوارنا مع بقية الحقوق الإسلامية، داعيًا الله تعالى أن يكتب له القبول.. وأن يجعله حجّة لنا لا علينا.. وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنى به، وينفع به المسلمين. (آمين).

والكتاب، محاولة متواضعة لتبصير المسلم المعاصر بما عليه من حقوق، وبما له من واجبات..

وهو مساهمة منا متواضعة فى نشر الثقافة الإسلامية -الصحيحة- فى مجابهة الأفكار الدخيلة على ديننا الحنيف.

والله أسأل أن يتقبله منى بقبول حسن.. وأن يجعله لى زخرًا يوم العرض عليه: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعد يوسف محمود أبو عزيز

---

(١) سورة الحاقة: ١٨.

الحق الرابع عشر:

حق الأنبياء والمرسلين

الحق الرابع عشر:

حق الأنبياء والمرسلين

«تمهيد»

• تعريف النبى:

النبىّ -فى لغة العرب- مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾(١).

وإنما سُمّى النبىُّ نبيًا لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر، فهو مُخْبَرَ أى أن الله أخبره، وأوحى إليه، ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾(٢).

وهو مخبر عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣). ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾(٤).

وقيل: النبوة مشتقة من النبْوَة، وهى ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبىّ على علم من أعلام الأرض التى يهتدى بها.

والمناسبة بين لفظ النبى والمعنى اللغوى، أن النبىَّ ذو رفعة وقدر عظيم فى الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التى يهتدى بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم(٥).

---

(١) سورة النبأ: ١، ٢.

(٢) سورة التحريم: ٣.

(٣) سورة الحجر: ٤٩.

(٤) سورة الحجر: ٥١.

(٥) الرسل والرسالات. د. عمر الأشقر ص ١٣.

• تعريف الرسول:

الإرسال فى اللغة التوجية، فإذا بعثت شخصًا فى مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكيًا عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾(١).

وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذى يتابع أخبار الذى بعثه، أخذًا من قول العرب: «جاءت الإبلُ رَسَلاً» أى متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنما سمّوا بذلك لأنهم وُجّهوا من قبل الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾(٢). وهم مبعوثون برسالة معيّنة مكلّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

الفرق بين الرسول والنبىّ:

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبىّ، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد فى عدة الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول -ﷺ- أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبىّ، وعدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً(٣)، ويدلّ على الفرق -أيضًا- ما ورد فى كتاب الله من عطف النبىّ على الرسول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾(٤). ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدلّ على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقولة فى حق موسى -عليه السلام-: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾(٥). والشائع عند العلماء أنّ الرسول أعمُّ من النبى، فالرسول هو من أوحى إليه بشرع وأُمر بتبليغه،

---

(١) سورة النمل: ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون: ٤٤.

(٣) الحديث تقدم بتمامه فى «حق الله على العباد».. وهو حديث صحيح. رواه أحمد، وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٢).

(٤) سورة الحج: ٥٢.

(٥) سورة مريم: ٥١.

والنبيُّ من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبيّ رسولاً.

وهذا الذى ذكروه هنا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل فى قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ**﴾. فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضى من النبىّ البلاغ.

الثانى: أن ترك البلاغ كتمان لوحى الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن فى صدر واحد من الناس، ثمّ يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول - ﷺ -: «**عرضت على الأمم فرأيت النبىّ ومعه الرهط، والنبىّ ومعه الرجل والرجلان، والنبىَّ وليس معه أحد...**»(١).

فدلّ هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون فى مدى الاستجابة لهم والتعريف المختار أن:

«الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبىُّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله»(٢).

وقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما مات نبىٌّ قام نبىّ، كما ثبت فى الحديث، وأنبياء بنى إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحى الله إليهم، ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا**﴾(٣).

فالنبى كما يظهر من الآية يوحى إليه شىء يوجب على قومه أمر، وهذا لا يكون مع وجوب التبليغ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) تفسير الألوسى (١٥٧/١٧).

(٣) سورة البقرة: ٢٤٦.

واعتبر فى هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحى -عليهم السلام- فهؤلاء جميعًا أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بنى إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب(١).

الأنبياء والرسل المذكورون فى القرآن:

ذكر القرآن العظيم خمسة وعشرين نبيًا ورسولاً:

● قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(٢).

● وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٣). وجاء ذكر غيرهم فى سور أخرى(٤) ومن هؤلاء الأنبياء والرسل: أربعة من العرب.. كما ورد فى الحديث الذى رواه ابن حبان -وقد تقدم-(٥) من حديث أبى ذر -رضي الله عنه- فى ذكر الأنبياء والمرسلين: «**منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر**».

مهمة الرسل:

من مهام الرسل:

---

(١) الرسل والرسالات: د. الأشقر ص ١٤، ١٥.
(٢) سورة النساء: ١٦٣.
(٣) سورة الأنعام: ٨٣ - ٨٦.
(٤) مثل: «آدم، وهود، وصالح، وشعيب، وإدريس -عليهم السلام-».
(٥) فى «حق الله على العباد».

١- التبليغ:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾(١).

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية:

«يمدح الله تبارك وتعالى ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ**﴾ أى إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ**﴾ أى يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿**وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ أى كفى بالله ناصرًا ومعينًا، وسيد الناس فى هذا المقام بل وفى كل مقام محمد رسول الله -ﷺ- فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بنى آدم، وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبىّ قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو -ﷺ- فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾(٢). ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه -رضي الله عنهم-، بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فى ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدى المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم» ا.هـ(٣).

٢- الترغيب والترهيب:

دعوة الرسل تأتى مقرونة بين الترغيب والترهيب

قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ**

(١) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨٣، ٧٨٤).

أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٢).

والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

قال الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله-:

«ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار. ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذى جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشرّ عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذى يحصِّلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تُبيَّن لها الأضرار العظيمة التى تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال» ا.هـ(٣).

هذا، والترغيب والترهيب أو الخوف والرجاء: هما ميزان المسلم فى حال حياته:

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«... الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بها يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كئود، فلا يقود إلى قُرب الرحمن وروح الجنان -مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء- إلا أزمّة الرجاء.

ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم -مع كونه محفوفًا بلطائف

---

(١) سورة المائدة: ١٩.

(٢) سورة فاطر: ٢٤.

(٣) الرسل والرسالات ص ٤٨.

الشهوات وعجائب اللذات- إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف»[(١)]
ا.هـ.

وقال على -رضي الله عنه-:

«ألا أنبئكم بالفقيه كلِّ الفقيه؟

قالوا: بلى.

قال: من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمِّنهم من مكر الله، ولم يُؤْيسهُم من رَوْحَ الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه»[(٢)].

٣- إقامة الحجّة:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[(٣)].

قال الإمام ابن كثير:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾. إخبار عن عدله تعالى، وإنه لا يُعذِّب أحدًا إلا بعد قيام الحجّة عليه بإرسال الرسول إليه، كقوله تعالى:

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾[(٤)].

وكذا قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[(٥)].

---

(١) الإحياء (٤/ ١٤٢).
(٢) رواه أبو بكر بن لال فى «مكارم الأخلاق» وابن عبد البر مرفوعًا. وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه عن علىّ.
(٣) سورة الإسراء: ١٥.
(٤) سورة الملك: ٨، ٩.
(٥) سورة الزمر: ٧١.

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(١). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه.

٤- رَدّ الناس إلى فطرة الله:

قال الله تعالى فى الحديث القدسى:

«إنى خلقتُ عبادى حُنفاء كلهم فأتتهم الشياطينُ فاجْتَالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم» رواه مسلم.

فأرسل الله تعالى الرسل.. وأنزل الكتب لردّ الناس إلى الفطرة التى فطر الناس عليها.

فكانوا -صلوات ربى وسلامه عليهم- أعلام الهداية للناس.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(٢).. وهكذا قال كلُّ نبىّ لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٣) فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

فهذه هى مهمة الأنبياء والمرسلين -صلوات ربى وسلامه عليهم أجمعين- وبعد هذا «التمهيد» نشرع فى بيان المقصود:

حَقُّ الأنبياء والمرسلين:

من هذه الحقوق:

١- الإيمان بهم:

فالإيمان بالأنبياء والمرسلين أصل من أصول الإيمان:

---

(١) سورة فاطر: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

قال تعالى: ﴿قُلْ آمنَّا باللَّه وَمَا أُنزلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزلَ عَلَىٰ إِبْرَاهيم وَإِسْمَاعيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاط وَمَا أُوتيَ مُوسَىٰ وَعيسَىٰ وَالنَّبيُّونَ من رَّبّهمْ لا نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلمُونَ﴾(١).

والكفر بهم كفر بالله تعالى:

قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ باللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه وَرُسُله وَالْيَوْم الآخر فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيدًا﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿إنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ باللَّه وَرُسُله وَيُريدُونَ أَن يُفَرّقُوا بَيْنَ اللَّه وَرُسُله وَيَقُولُونَ نُؤْمنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُريدُونَ أَن يَتَّخذُوا بَيْنَ ذَلكَ سَبيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئكَ هُمُ الْكَافرُونَ حَقًّا﴾(٣).

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية:

«نصّ سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفرًا لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردُّوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التى أُمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفرق بين الله ورسله» ا.هـ.

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل:

قال الدكتور الأشقر -ما مختصره-:

«والكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلينَ﴾(٤)، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلينَ﴾(٥)، ومن المعروف أن كلّ أمة

---

(١) سورة آل عمران: ٨٤.

(٢) سورة النساء: ١٣٦.

(٣) سورة النساء: ١٥٠، ١٥١.

(٤) سورة الشعراء: ١٠٥.

(٥) سورة الشعراء: ١٢٣.

كذّبت رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحد يعدّ تكذيبًا بالرسل كلهم، ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد، فهم وحدة يبشر المتقدم منهم بالمتأخر، ويصدّق المتأخر المتقدم.

ومن هنا كان الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض كفرًا بهم جميعًا، وقد وسم الله من هذا حاله بالكفر ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا** ﴾(١).

فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد، والنصارى لا يؤمنون بمحمد -ﷺ-. اهـ.

«ومحمد -ﷺ- خاتم المرسلين أكمل الله به صرح النبوات، وأتم به حقيقة الرسالات.

«إن مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

فإذا جاء من يدّعى النبوة بعده فهو كاذب، ومن صدقه فهو كافر.

وقد ظفرت طوائف من الحمقى تتبع رجلاً اسمه «**البهاء**» يدعى النبوة، ويطوون نحلتهم وراء قناع من التمسّح بالإسلام وإظهار التصديق به وبغيره من الأديان، وهم ليسوا من دين الله فى شىء.

وبهاؤهم دجّال، وتعاليمه زور وبهتان، وليس بعد القرآن وحى.

﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾(٢).

وقد حذرنا النبى -ﷺ- قبل موته من هؤلاء المخرفين فقال:

---

(١) سورة النساء: ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة يونس: ٣٢.

«يكون فى آخر أمتى أُناس دجّالون كذّابون يحدّثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم» رواه مسلم.

وفى حديث آخر:

«إنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذّابًا، كلهم يدّعى أنه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»(١).

٢- الإيمان بمعجزاتهم:

المعجزة: هى الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد من يشاء من عباده مقرونة بالتحدى عند دعوى النبوة.

وهى بمثابة تصديق من الله تعالى لمن أظهر المعجزة على يديه كأنه يقول:

صدق عبدى فى كل ما يبلغه عنّى إذ من المحال أن يؤيد الله تعالى الكاذب فإن تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب. والكذب على الله تعالى محال(٢).

هذا، وقد أيّد الله تعالى كلّ رسول منهم بمعجزات خارقة للعادة كناقة صالح -عليه السلام- ونار إبراهيم -عليه السلام- حين جعلها بردًا وسلامًا(٣)، وعصا موسى -عليه السلام- ويده البيضاء، وفلق البحر وتفجير الماء من الحَجَر. وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى -عليه السلام- وكانشقاق القمر لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ونبع الماء من يده الشريفة. وتكثير الطعام والشراب، وتكليم الجمادات له -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

● قال أنس -رضي الله عنه-:

---

(١) عقيدة المسلم للشيخ الغزالى (ص ٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) الدين الخالص للشيخ السبكى رحمه الله تعالى- (١/ ٥٣).

(٣) قال ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقى فى النار. وقالها محمد -صلى الله عليه وسلم- حين قالوا: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]. والحديث رواه البخارى.

«رأيتُ رسول الله -ﷺ- وحانت صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأُتى -ﷺ- بَوضوء فوضع يده فيه وأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس عن آخرهم» متفق عليه.

● وقال جابر -رضي الله عنه-:

«عطش الناس يوم «الحديبية» فأتوا رسول الله -ﷺ- وبين يديه ركَوْة [ما يُعد للماء] وقالوا: ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركْوتك، فوضع -ﷺ- يده فى الركوة، فجعل الماءُ يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضأنا وشربنا!!. قيل لجابر:

كم كنتم يومئذ؟

قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمسّ عشرة مائة». متفق عليه.

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

«كنا مع النبىّ -ﷺ- فى مسير فنفدت أزوادُ[1] القوم حتى همُّوا بنحر بعض حمائلهم. فقال عمر -رضي الله عنه-:

يا رسول الله لو جمعتَ ما بقى من أزواد القوم فدعوتَ الله عليها، ففعل فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه، وذو التمر بتمره، وذو النواة بنواته.

قيل: ما كانوا يصنعون بالنوى؟

قال: كانوا يمصُّونه ويشربون عليه الماء!!.

فدعا عليها حتى ملأ القوم مزاودهم فقال عند ذلك:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكّ فيهما إلا دخل الجنة» رواه مسلم.

● وعن جابر -رضي الله عنه- قال:

«كنا فى حفر الخندق فرأيتُ برسول الله -ﷺ- خَمْصًا[2] شديدًا

---

(١) المزاود: ما يجعل فيه الزاد.

(٢) الخمص: الجوع.

فانكفأتُ(١) إلى امرأتى فقلتُ: هل عندك شىء؟ فإنى رأيت برسول الله -ﷺ- خمصًا شديدًا. فأخرجتْ إلىّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهَيْمة(٢) داجنٌ(٣) فذبحتُها وطحنَت الشعير، ففرغتْ إلى فراغى وقطعتها فى بُرْمتها. ثم وليتُ إلى رسول الله -ﷺ- فقالت:

لا تفضحنى برسول الله -ﷺ- وبمن معه.

فجئته فساررته فقلتُ:

يا رسول الله ذبحنا بُهَيْمة وطحنَّا صاعًا من شعير كان عندنا. فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله -ﷺ- فقال:

«يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سُورًا فَحَيَّهلا بكم».

ثم قال -ﷺ-:

«لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتكم(٤) ولا تَخْبِزُنَّ عجينكم حتى أُجىء».

وجاء رسول الله -ﷺ- يَقْدُم الناس حيث جئتُ امرأتى فقالت: بك وبك(٥).

فقلتُ: قد فعلتُ الذى قُلْتِ فأخرجتْ له العجين فبصق فيه وبارك(٦).

ثم عمد إلى بُرْمتنا فبصق فيها وبارك. ثم قال:

ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى من برمتكم ولا تُنزلوها، فأقسم بالله لأكلوها حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغُطّ كما هى، وإن عجيننا ليخبز كما هو». متفق عليه.

---

(١) انكفأت: أى رجعت إلى امرأتى.

(٢) البُهَيمة: تصغير بهمة وهى ولد الضأن ذكرًا كان أو أنثى.

(٣) الداجن: الشاة التى تألف البيت وتتربى فيه.

(٤) البُرمة: القدر.

(٥) بك وبك: أى فعل الله بك كذا وفعل بك كذا. وهذا كناية عن الكلام الذى عاتبت به زوجها حيث خالف قولها: لا تفضحنى برسول الله.

(٦) بارك: أى دعا بالبركة.

● وعن جابر بن سمرة، قال:

قال رسول الله -ﷺ-:

«إن بمكة حَجَرًا كان يُسلِّم علىّ ليالى بُعثتُ، إنى لأعرفُه الآن» رواه مسلم.

«شكوى البعير!!»:

عن يعلى بن مرّة الثقفى، قال:

«بينا نحن نسيرُ مع رسول الله -ﷺ- إذ مررْنا ببعير يُسْنَى عليه[1]، فلما رآه البعير جَرْجَر[2] فوضع جرانه[3] فوقف عليه النبىُّ -ﷺ- فقال:

«أين صاحبُ هذا البعير؟».

فجاءه فقال: «بعنيه».

فقال: بل نهبُهُ لك يا رسول الله، وإنه لأهل بيتٍ ما لهم معيشةٌ غيرُهُ.

قال: «أما إذ ذكرت هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف، فأحسنوا إليه»[4].

«شهادة الشجرة!!»:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:

«كنا مع النبىّ -ﷺ- فى سفر فأقبل أعرابىٌّ فلما دنا قال له رسولُ الله -ﷺ-: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله؟».

قال: ومن يشهد على ما تقول؟

قال: «هذه السَّلَمةُ»[5].

(١) يسنى عليه: أى يستقى عليه.

(٢) جرجر: صاح.

(٣) جرانه: مقدم عنقه.

(٤) رواه أحمد والدارمى بنحوه وصححه الشيخ الألبانى. المشكاة (٣/ ١٨٨).

(٥) السّلمة: شجرة من أشجار البادية.

فدعاها رسول الله -ﷺ- وهو بشاطئ الوادى فأقبلت تخدّ[١] الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثًا فشهدت ثلاثًا أنه كما قال ثم رجعت إلى مَنْبتها!!»[٢].

(وله) -ﷺ- معجزات كثيرة غير ما ذكر. أهمها وأفضلها «**القرآن**»:

فإنه المُعجزة المستمرّة إلى قرب القيامة وقد تحدَّى النبى -ﷺ- العرب إلى معارضته وأحدّهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه. فاستولى عليهم العجز وبلغ منهم العى مبلغه وخرست ألسنتهم فلم تُحر جوابًا. قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٣].

وقال: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤].

وقال: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٥].

(وإنما) كان القرآن معجزًا لأنه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة[٦]، وهى توخى معانى الألفاظ وأسرار التركيب وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض. وهذه المزية التى امتاز بها عن سائر الكلام. فعجز المعاندون من العرب عن معارضته مع شهرتهم وامتيازهم عن غيرهم وتفوقهم فى الفصاحة ولا يلتفت إلى ما قاله بعض الكفرة المعاندين من أنه شعر وكهانة وأساطير فإنهم قوم لا يعقلون ولا يفقهون. ولو عقلوه وتدبروه ما وسعهم إلا الإيمان به:

---

(١) تخدّ: تشق.

(٢) **صحيح**: رواه الدارمى.. وصححه الشيخ الألبانى. مشكاة المصابيح (٣/ ١٨٩).

(٣) سورة الإسراء: ٨٨.

(٤) سورة هود: ١٣.

(٥) سورة البقرة: ٢٣.

(٦) سيأتى المزيد فى «حق القرآن» -إن شاء الله تعالى-.

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١)(٢).

٣- الاعتقاد بعصمتهم:

حياة الأنبياء تحلق فى مستوى من الكمال، لا تهبط عنه أبدًا.

والمؤمن -من عامة الناس- تتذبذب حرارته فى مدارج الارتقاء.

ويعتبر الحد الأسمى الذى يقف عنده هو مقام الإحسان.

وهو «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

بيد أن مقام الإحسان وهو آخر ما يصل إليه الناس بعد الجهد والمران، هو المرتبة الدنيا للأفق الذى يعيش الأنبياء فيه إذ يستحيل فى حقهم أن يسقطوا دونه.

أما ما يرقون فيه -بعد- من معانى الصلة بالله فأمر لا ندرك كنهه.. وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة.. فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها(٣).

وقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر.

وقال ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدى أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول...»(٤).

الأدلة:

وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة منها:

---

(١) سورة الحج: ٤٦.

(٢) الدين الخالص (١/ ٥٩).

(٣) عقيدة المسلم (٢٠٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

١- معصية آدم بأكله من الشجرة:

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(١).

وآدم كان نبيًّا: روى ابن حبان فى «صحيحه» أن النبىّ -ﷺ- سُئل عن آدم أنبىّ هو؟

قال: «نعم نبىّ مُكلّم».

٢- تسرّع داود -عليه السلام- فى الحكم على أحَدَ الخصمين قبل أن يسمع للخصم الآخر.. ثم استغفر ربه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(٢).

٣- قتل موسى -عليه السلام- للقبطى على سبيل الخطأ، واستغفاره:

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

«شبهتان»:

تحت هذا «العنوان» يقول الدكتور: عمر الأشقر:

«الذين منعوا من وقوع الصغائر من الأنبياء أوردوا شبهتين:

الأولى: أن الله أمر باتباع الرسل والتأسى بهم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٤).

وهذا شأن كل رسول، والأمر باتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى تناقض فى واقع الحال، إذ يقتضى أن يجتمع فى هذه المعصية التى وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسى بالرسول -ﷺ-، والنهى عن موافقتها من حيث كونها معصية منهى

---

(١) سورة طه: ١٢١.

(٢) سورة ص: ٢٤.

(٣) سورة القصص: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

عنها، وهذا تناقض، فلا يمكن أن يأمر الله عبدًا بشيء فى حال أنه ينهاه عنه.

وقولهم هذا يكون صحيحًا، لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة، بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية، أمّا وأن الله ينبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى التوبة منها، من غير تأخير فإنّ ما أوردوه لا يصلح دليلاً، بل يكون التأسى بهم فى هذا منصبًّا على الإسراع فى التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف فى هذا، تأسيًّا بالرسل والأنبياء الكرام فى مبادرتهم بالتوبة من غير تأخير.

الثانية: أن هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافى الكمال، وأنها تكون نقصًا وإن تاب التائب منها، وهذا غير صحيح، فإن التوبة تغفر الحوبة، ولا تنافى الكمال، ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم، بل إن العبد فى كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيرًا منه قبل وقوع المعصية، وذلك لما يكون فى قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء، ولما يقوم به من صالح الأعمال يرجو بذلك أن تمحو الصالحات السيئات.

وفى الكتاب الكريم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾(١).

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبىّ إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار، يدلّنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار، فآدم وزوجه عصيا فبادرا بالتوبة قائلين: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٢).

وما كادت ضربة موسى تسقط القبطى قتيلاً حتى سارع طالبًا الغفران والرحمة.

قائلاً: ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) سورة الأعراف: ٢٣.

(٣) سورة القصص: ١٦.

وداود -عليه السلام- ما كاد يشعر بخطيئته حتى خرّ راكعًا مستغفرًا ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(١).

فالأنبياء لا يقرون على الذنب، ولا يؤخرون التوبة، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها.

وبذلك انهارت هاتان الشبهتان، ولم يثبتا فى مجال الحجاج والنقاش، وحسبنا بالأدلة الواضحة البينة التى تهدى للتى هى أقوم»(٢).

وقال الشيخ مصطفى المراغى -شيخ الجامع الأزهر-:

«إن الوحى لا يلازم الأنبياء فى كل عمل يصدر عنهم، وفى كلِّ قول يبدر منهم، فهم عرضة للخطأ، يمتازون عن سائر البشر بأن الله لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحيانًا»(٣).

وقال الشيخ محمد الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة.. فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها. ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار. وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها ويوفقون إلى الصواب فيها. ولكن هذه الأخطاء لا تصل بأمور اعتقادية أو خُلقية مما يعد الوقوع فيه أمرًا شائنًا.

بل مكان ذلك الأمور التقديرية التى تتفاوت فيها الأنظار عادة من شئون الدنيا وسياسات الأمم.

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين فى حق الله، لأنهم أعرف الناس به وبجلال ذاته وعظمة حقوقه على عباده، وبقصور الهمم مهما بذلت عن الوفاء بما ينبغى له.

---

(١) سورة ص: ٢٤.
(٢) الرسل والرسالات (١٠٩ - ١١١) بتصرف.
(٣) انظر: تقديمه لكتاب «حياة محمد» لمحمد هيكل.

وإذا كانوا يعدون ذلك ذنوبًا تتطلب الاستغفار، فليس استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا أو نرتكب من سيئات . ! !

وما ورد مما يوهم غير ذلك فإن حقيقته وراء أوهام العامة. وتفصيل الموضوع فى غير هذا المكان»(١).

٤- الشهادة لهم بأنهم قد بلغوا أممهم:

قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(٢).

قال الإمام القرطبى -ما مختصره-:

قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾. المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطًا، أى جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم.

والوسط: العَدْل، وأصل هذا أنّ أحمد الأشياء أوسطها.

وروى الترمذىّ عن أبى سعيد الخدرىّ عن النبى -ﷺ- فى قوله تعالى:

﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ قال:

«**عَدْلاً**». قال: هذا حديث حسن صحيح.

ولما كان الوسط مجانبًا للغلوّ والتقصير كان محمودًا، أى هذه الأمّة لم تغل غُلوّ النصارى فى أنبيائهم، ولا قصّروا تقصير اليهود فى أنبيائهم، وفى الحديث: «**خير الأمور أوسطها**».

وفيه عن علىّ -رضي الله عنه-: «عليكم بالنَّمط الأوسط، فإليه ينزل العالى، وإليه يرتفع النازل»(٣).

قوله تعالى: ﴿**لِّتَكُونُوا**﴾ نصب بلام كى، أى لأن تكونوا.

---

(١) عقيدة المسلم (٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) فى اللسان والنهاية «. . . خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالى، ويرجع إليهم الغالى» والنمط: جماعة من الناس أمرهم واحد. قيل: هو الطريقة.

﴿شُهَدَاءَ﴾ خبر كان.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أى فى المحشر للأنبياء على أممهم، كما ثبت فى «صحيح البخارى» عن أبى سعيد الخدرى، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**يُدعى نوح -عليه السلام- يوم القيامة فيقول لبيّك وسَعْدَيْك يا رب فيقول:**

هل بلّغت؟

فيقول: نعم.

فيقال لأمّته: هل بلغكم؟

فيقولون: ما أتانا من نذير.

فيقول: مَن يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمّته!! فيشهدون أنه قد بلّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾».

قال علماؤنا: «أنبأنا الله تبارك وتعالى فى كتابه بما أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه، فجعلنا أوّلاً مكانًا وإن كنا آخرًا زمانًا، كما قال -عليه السلام-:

«**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة**»(١).

وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول، ولا ينفذ قول الغَيْر على الغير إلا أن يكون عَدْلاً»(٢) ا.هـ.

٥- الإيمان بالكتب المنزلة عليهم:

الكتب جمع كتاب، والكتاب: مصدر كتب يكتب كَتْبًا وكتابًا وكتابة إذا

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجمعة (٢٠/ ٨٥٥).

(٢) تفسير القرطبى (٢/ ١٤٥).

جمع الحروف، وألف بينها، فكانت كلمات ذات معان خاصة، ثم كون من تلك الكلمات ذات المعانى جُملاً مفيدة، تسمَّى كلامًا.

فالكتاب إذًا ما حوى كلامًا مفيدًا، ذا أغراض متعددة.

وكتب الله تعالى التى يجب الإيمان بها.

هى الصحف التى حوت كلام الله عز وجل الذى أوحاه إلى رسله -عليهم السلام- فكونت كتبًا، أو بقيت صحفًا لم تجمع، ولم يتكون منها كتاب خاص.

فالصحف كصحف إبراهيم وموسى -عليهما السلام-، والكتب كالتوراة، والزبور ، والإنجيل، والقرآن العظيم.

حقيقة الإيمان بالكتب:

إن معنى الإيمان بالكتب الإلهية الذى هو جزء من عقيدة المؤمن:

التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله -عليهم السلام-، فجُمع ودوّن فكان صحفًا مطهرة وكتبًا قيمة فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلاً، وما لم يعرف آمن به إجمالاً:

والمصدر الوحيد الذى يرجع إليه فى معرفة الكتب الإلهية بالتفصيل هو القرآن الكريم وحده، إذ هو الكتاب المحفوظ حفظًا، لا يتطرق إليه معه الزيادة، ولا النقص ولا التحريف، ولا التغيير، أو التبديل، بحال من الأحوال.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السابقة: صحف إبراهيم، وصحف موسى وثلاثة كتب هى: توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، -عليهم السلام-.

فهذه الكتب التى ذكرت فى القرآن بأسمائها، وأسماء أصحابها الذين

---

(١) سورة الحجر: ٩.

نزلت عليهم، يؤمن بها المؤمن تفصيلاً كما ذكرت مفصلة، ويؤمن بباقى كتب الله تعالى التى لم تذكر فى القرآن مفصلة، حيث لم يرد فى القرآن ذكر أسمائها، ولا أسماء من نزلت عليهم، وإنما ذكرت مجملة كما فى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١).

وكما فى قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(٢).

فقد جاء فى هاتين الآيتين ذكر الكتب مجملاً فيؤمن بها المؤمن مجملة، وإن لم يعرف أسماءها ولا أسماء من أنزلت عليهم.

وهكذا تتلخص عقيدة المؤمن فى الإيمان بالكتب بأنه يؤمن بكل كتاب أنزله الله تعالى على من اصطفى من رسله، لحمل رسالاته، وإبلاغها إلى عباده، فما عُرف منها مفصّلاً آمن به مفصلاً، وما عرفه منها مُجْملاً آمن به مجملاً. ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض تعصبًا وضلالاً، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة، والإنجيل المبدل المغير، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقى غضًّا طريًّا كما نزل، والصافى المحض، الذى لم يُشب. فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق.. وهم -يعلم الله- لكذلك(٣).

والخلاصة:

«فالإيمان بالكتب ليس واجبًا فحسب بل هو أحد أركان الإيمان الستة التى لايصح إيمان عبد إلا باستكمالها بالإيمان بها كلها».

٦- محبتهم وإزالة الشبهات التى دارت حولهم:

من علامات المحبة لأنبياء الله ورسله: إماطة اللثام عما دار حولهم من

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

(٣) عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى بتصرف.

مفتريات وأوهام. فلقد تعرض الأنبياء على مّر العصور وكرّ الدهور لحملات غاشمة ظالمة.. وأُلصقت بهم التهم.. ودارت حولهم مفتريات.. فى محاولة شيطانية صهيونية للنيل من مكانهم والحط من شأنهم.. ولم يسلم نبىّ من ذلك -حتى رسولنا الأمين -ﷺ-: ﴿**مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ**﴾(١).

لقد نسب اليهود إلى الأنبياء والمرسلين أعمالاً قبيحة، فمن ذلك:

١- أن نبىّ الله هارون -عليه السلام- صنع عجلاً، وعبده مع بنى إسرائيل!!

[إصحاح (٣٢) عدد(١) من سفر الخروج].

وقد بيّن ضلالهم هذا القرآن عندما حدثنا أن الذى صنع لهم عجلاً جسداً له خوار هو «السّامرى»، وأن هارون -عليه السلام- قد أنكر عليهم إنكاراً شديداً: ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾(٢).

٢- أن إبراهيم -عليه السلام- قدّم امرأته «سارة» إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها!! [إصحاح(١٢) عدد(١٤) من سفر التكوين].

وقد كذبوا على خليل الرحمن وقد قصّ علينا الرسول -ﷺ- قصة إبراهيم هذه عند دخوله مصر، وفيها: أن ملك مصر كان طاغية، وكان إذا وجد امرأة جميلة ذات زوج قتل زوجها وحازها لنفسه، فلما سئل إبراهيم عنها قال هى أخته، يعنى أخته فى الإسلام، وأخبر الرسول -ﷺ- أن الله حفظ سارة عندما ذهبت إلى الطاغية، فلم يمسّها بأذى، وأخدمها هاجر.

٣- ومن ذلك: أن لوطًا -عليه السلام- شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى!!! [سفر التكوين، إصحاح(١٩) عدد(٣٠)].

ومعاذ الله أن يفعل لوط -عليه السلام- ذلك، وهو الذى دعا إلى الفضيلة

---

(١) سورة فصلت: ٤٣.

(٢) سورة طه: ٩٠.

طيلة عمره، وحارب الرذيلة، ولكنّه الحقد اليهودى يمتد إلى الكملة من البشر، فلعنة الله على الظالمين.

٤- وأن يعقوب -عليه السلام- سرق مواشى من حميّه، وخرج بأهله خلسة دون أن يُعْلمه!!! {سفر التكوين إصحاح (٣١) عدد(١٧)}.

٥- وأن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب -عليه السلام-، علم بهذا الفعل القبيح وسكت!!. {سفر التكوين، إصاح (٣٥) عدد(٣٢)}.

٦- وأن داود -عليه السلام- زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبَّر حيلة لقتل الرجل فقتل، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمّها إلى نسائه، فولدت له سليمان!! {سفر صموئيل الثانى إصحاح (١١) عدد (١)}.

٧- وأن سليمان ارتدّ فى آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد!!! {سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) عدد (٥)}.

هذه بعض المخازى والقبائح والكبائر التى نسبتها هذه الأمة الغضبية إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به، ولكنها النفوس المريضة تنسب إلى خيرة الله من خلقه القبائح ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر، ويعترض معترض.

والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود فى هذا فقد نسبوا إلى الأنبياء والرسل القبائح، وذلك بتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم والتى فيها ما ذكرنا، بالإضافة إلى ما فى الإنجيل المحّرف، ومما فيه:

١- ورد فى إنجيل (مَتّى) أن عيسى من نسل سليمان بن داود وأن جدهم فارض الذى هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب!!! {إصحاح متى الأول، عدد (١٠)}.

٢- وأن يسوع شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا فى بنى إسرائيل هم سُرّاق ولصوص!!! {إنجيل يوحنّا، إصحاح(١٠) عدد(٨)}

هذا غيض من فيض مما تطفح به تلك الأناجيل المحرفة من وصف للأنبياء والرسل بما هم بريئون منه، إن الأنبياء والرسل أزكى الناس وأطهرهم

وأفضلهم، ووالله إن هؤلاء لضالون فيما وصفوا به أنبياء الله الأبرار الأطهار»(١).

«فصل» فى حُبّ النبى -ﷺ- وعلاماته

لقد أوجب الله تعالى علينا محبة رسوله -ﷺ-:

● عن عبد الله بن هشام، قال:

كنا مع النبى -ﷺ- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال له عمر:

يا رسول الله لأنت أحب إلىّ من كل شىء إلاّ من نفسى.

فقال النبى -ﷺ-: **«لا، والذى نفسى بيده! حتى أكون أحبّ إليك من نَفْسك»**.

فقال له عمر: فإنّه الآن والله! لأنت أحبّ إلىّ من نفسى.

فقال النبىّ -ﷺ-: **«الآن يا عمر»**(٢).

قال الإمام العينى -رحمه الله تعالى-:

قوله -ﷺ-: **«الآن يا عمر»**: يعنى كَمُل إيمانك(٣).

● وعن أنس -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: **«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»** رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(٤).

---

(١) الرسل والرسالات. د. الأشقر (١٠٤-١٠٦).
(٢) صحيح البخارى (٦٦٣٢).
(٣) عمدة القارئ (٢٣/ ١٦٩).
(٤) سورة التوبة: ٢٤.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية:

«وفى الآية دليل على وجوب حبّ الله ورسوله -ﷺ- ولا خلاف فى ذلك، وأن ذلك مقدَّم على كل محبوب».

● **وقال الحسن** -رحمه الله تعالى- فى قوله تعالى:

﴿ **حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾: قال: «بعقوبة آجلة أو عاجلة».

«علامات حب النبىّ -ﷺ-»:

١- السمع له والطاعة:

● قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(١).

● وقال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(٢).

وكان أصحاب النبى -ﷺ- من أسرع الناس إلى تنفيذ أوامر نبيهم والانتهاء عن نواهيه.. وهذا دليل على كمال محبتهم له -ﷺ-.

● عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

«كنت ساقى القوم فى منزل أبى طلحة -رضي الله عنه- وكان خمرهم يومئذ الفضيح، فأمر رسول الله -ﷺ- مناديًا ينادى:

«ألا إن الخَمْر قد حرّمت».

قال: فقال لى أبو طلحة: «اخرج فاهرقها».

فخرجتُ فهرقتها. فجرت فى سكك المدينة» رواه البخارى.

● وعن أنس -أيضًا- قال:

(١) سورة آل عمران: ٣١.
(٢) سورة النور: ٦٣.

«فإنى لقائم أسقى أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال:

وهل بلغكم الخبر؟

فقالوا: وما ذاك؟

قال: حرّمت الخمر.

قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس

قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل» رواه البخارى.

● وعن البراء -رضي الله عنه- قال:

«لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة صلىّ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبّ أن يتوجّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾(١).

فُوجّه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّ على قوم من الأنصار فقال:

«هو يشهد أنه صلىّ مع النبىّ -صلى الله عليه وسلم- وأنه قد وجّه إلى الكعبة».

فانحرفوا وهم ركوع فى صلاة العصر» رواه البخارى.

● وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن «عبد الله بن رواحة» -رضي الله عنه- أتى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- وهو يخطب، فسمعه وهو يقول:

«**اجلسوا**».

فجلس فى مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته، فبلغ ذلك النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«**زادك الله حِرْصًا على طواعية الله ورسوله**»(٢).

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) **إسناده صحيح**: لكنه مرسل، وصححه الحافظ فى «الإصابة» (٦/ ٧٨) وقال: أخرجه البيهقى.

● وعن سالم بن عبد بن عمر: أن عبد الله بن عمر قال:

سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

«**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها**».

قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن!!.

قال: فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبًّا سيئًا ما سمعتُه سبه مثله قطّ.

وقال: أخبرك عن رسول الله -ﷺ- وتقول: والله لنمنعهن!»(١).

● وعن خرزاذ العابد، قال:

حدّث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد بحديث (احتج آدم وموسى).

فقال رجل شريف من وجوه قريش: فأين لقيه؟

فغضب هارون، وقال:

النطع والسيف(٢). زنديق يطعن فى الحديث.

فما زال أبو معاوية يسكّنه، يقول:

«بالدرة يا أمير المؤمنين ولم يفهم». حتى سكن(٣).

هكذا كانوا يعظمون شأن السنة!.

يقول أبو قلابة:

«إذا حدثت الرجل بالسُّنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال»(٤).

قال الإمام ابن بطة:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) يريد قتله!!.

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٤).

«فاعتبروا يا أولى الأبصار فشتان بين هؤلاء العقلاء الأبرار الأخيار الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشحّ على أديانهم وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم، هذا عبد الله بن مغفل - صاحب رسول الله -ﷺ- وسيد من ساداتهم- يقطع رحمه، ويهجر حميمه، حين عارضه فى حديث رسول الله -ﷺ-، وحلف أيضًا على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما فى صلة الأقربين وقطيعة الأهلين.

وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء -سماه رسول الله -ﷺ- حكيم هذه الأمة-، وأبو سعيد الخدرى، يظعنون عن أوطانهم، وينتقلون عن بلدانهم، ويظهرون الهجرة لأخوانهم، لأجل من عارض حديث رسول الله -ﷺ- وتوقف عن استماع سنته.

فياليت شعرى كيف حالنا عند الله عز وجل ونحن نلقى أهل الزيغ فى صباحنا والمساء، يستهزئون بآيات الله ويعاندون سنة رسول الله -ﷺ- حائدين عنها وملحدين فيها سلّمنا الله وإياكم من الزيغ والزّلل»(١) اهـ.

وشاركت الصالحات المؤمنات الرجال فى حسن الاستجابة:

● عن أم سلمة -رضي الله عنها-، قالت:

لما نزلت هذه الآية:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾(٢).

خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها. رواه ابن أبى حاتم.

● وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال:

«إن امرأة أتت رسول الله -ﷺ- ومعها ابنة لها، وفى يد ابنتها مَسَكَتَان(٣) غليظتان من ذهب، فقال:

---

(١) الإبانة (٢٥٩).

(٢) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٣) مسكتان: تثنية مَسَكة: وهى السِّوار.

«أتعطين زكاة هذا؟».

قالت: لا.

قال: **«أيسرّك أن يُسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟»**.

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله -ﷺ-، وقالت:

هما لله عز وجل ولرسوله!»[١].

● وأخرج أبو داود -أيضًا- عن أبى سيد الأنصارى -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -ﷺ- وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله -ﷺ-:

«استأخرن فإنه ليس لكنّ أن تَحْقُقْن[٢] الطريق. عليكم بحافات الطريق».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها يتعلّق بالجدار من لصوقها به».

٢- فداء النبى -ﷺ- بالنفس والمال:

والأمثلة فى هذا المقام كثيرة وكثيرة نختار منها:

(أ) عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

«لمّا كان يوم أُحد ولىّ الناس كان رسول الله -ﷺ- فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً من الأنصار وفيهم «طلحة بن عبيد الله»[٣] فأدركهم المشركون. فالتفت رسول الله -ﷺ-، وقال:

«من للقوم؟».

فقال طلحة: أنا.

قال رسول الله -ﷺ-: **«كما أنت»**.

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى.

(٢) تحققن الطريق: أى تركبن حقها وهو وسطها.

(٣) أحد العشرة المبشرين بالجنة -رضي الله عنه-.

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله.

فقال: **«أنت»**.

فقاتل حتى قُتل، ثم التفتَ فإذا المشركون فقال:

«من للقوم؟».

فقال طلحة: أنا

قال: **«كما أنت»**.

فقال رجل من الأنصار: أنا

فقال: **«أنت»**.

فقاتل حتى قتل.

ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج لهم رجل من الأنصار، فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل، حتى بقي رسول الله -ﷺ- وطلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه- فقال رسول الله -ﷺ-:

«من للقوم؟».

فقال طلحة: أنا.

فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُرِبت يده فقُطِعت أصابعه، فقال: «حسّ».

فقال رسول الله -ﷺ-: **«لو قلتَ بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»**.

ثم ردّ الله المشركين»(١).

(ب) قال ابن إسحاق: وقال رسول الله -ﷺ-، حين غشيه القوم -أى فى أُحد-: **«مَنْ رجلٌ يشرى لنا نفسه؟»**.

فقام زياد بن السَّكن فى نفر خمسة من الأنصار، فقاتلوا دون رسول الله

(١) **حسن**: صحيح سنن النسائى (٢٩٥١).

-ﷺ-، رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه. حتى كان آخرهم زياد، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئةٌ من المسلمين فأجْهَضُوهم(١) عنه.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**ادنُوه منى**».

فأدنَوهُ منه، فوسَّده قدمه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله -ﷺ-!»(٢).

(جـ): وهذه السيدة «أمّ عمارة» -نسيبة بنت كعب- رضي الله عنها-:

قال الواقدى:

«شَهدتْ أُحُدًا مع زوجها غَزِيَّة بن عمرو، مع ولَدَيْها.

خرجت تسْقى، ومعها شنٌّ -أى قربة- وقاتلت، وأبليت بلاءً حسنًا، وجرحت اثنى عشر جرحًا».

وكان الرسول -ﷺ- يقول:

«**لمقام نسيبة بنت كعبٍ اليوم** -أى يوم أُحد- **خير من مقام فلان وفلان**».

وكانت يومئذ تقاتل أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا.

وتقول -رضي الله عنها- عن نفسها:

«رأيتنى، وانكشف رسول الله -ﷺ- فما بقى إلا فى نُفير ما يتمّون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نَذُبُّ عنه، والناس يمرّون منهزمين، ورآنى ولا ترس معى، فرأى رجلاً موليًا ومعه تُرس فقال:

«**ألق تُرسْكَ إلى مَنْ يقاتل**».

فألقاه، فأخذته، فجعلت أُترسُ به عن رسول الله. وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجَّالة مثلنا -أى يمشون على أرجلهم-

---

(١) أجهضوهم: أى غلبوهم.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٣)، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٣٤).

أصبناهم إن شاء الله. فيقبل رجل على فرس، فيضربنى، وترّستُ له، فلم يصنع شيئًا، وولّى، فأضرب عُرْقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى -ﷺ- يصيح:

«**يا ابن أم عمارة، أُمَّك! أُمَّك**».

قالت: فعاوننى عليه، حتى أورتُه شعوب -أى حتى قتلته-»(١).

يقول ولدُها: «عبد الله بن زيد».

جُرحتُ يومئذ جُرحًا، وجعل الدم لا يرقأ. فقال النبى -ﷺ-:

«**اعصبْ جُرْحكَ**».

فتُقبل أمى إلىّ، ومعها عصائبُ فى حَقْوها، فربطت جرحى، والنبى -ﷺ- واقفٌ، فقال:

«**انهض بنىَّ، فضارب القوم**».

وجعل يقول: «**من يطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارة؟!**».

تقول -رضي الله عنها-:

فأقبل الذى ضرب ابنى، فقال رسول الله:

«**هذا ضارب ابنك**».

قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك.

فرأيتُ رسول الله -ﷺ- يبتسم حتى رأيتُ نواجذه، وقال:

«استقدت يا أم عمارة!».

ثم أقبلنا نَعلُّه(٢) بالسلاح، حتى أتينا على نفسه!! فقال النبى -ﷺ-:

«**الحمد لله الذى ظفرّك**».

وينظر النبى -ﷺ- إلى جُرح أمّ عمارة فيقول لولدها:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٩).

(٢) نعلُّه: نتابع ضربه بالسلاح.

«أُمّك أُمّك! اعصب جُرحها! اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة».

قلت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا(١).

٣- الدفاع عن سنته وشريعته:

● قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-:

«لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعمل به إلا عملت به وإنى لأخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ».

قال الإمام ابن بطة -مُعلِّقًا على قول أبى بكر-:

«هذا يا إخوانى الصِّديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم-. فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل»(٢).

● وعن عبد الله بن مغفل -رضي الله عنه- قال:

«نهى النبى -صلى الله عليه وسلم- عن الخذف وقال:

«إنها لا تصطاد صيدًا، ولا تنكأ عدوًّا، ولكنها تفقأ العين وتكسر السّن».

فقال رجل لعبد الله بن مغفل:

وما بأس هذا؟

فقال: «إنى أحدّثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتقول هذا، والله لا أُكَلِّمكُ أبدًا»(٣).

● وعن أبى المخارق، قال:

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤١٤).

(٢) الإبانة (١/ ٢٤٦).

(٣) أخرجه البخارى (ح٥٤٧٩)، ومسلم (ح١٩٥٤)، وهذا اللفظ لابن بطة فى الإبانة (٩٦).

«ذكر عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان:

ما أرى بهذا بأسًا يدًا بيد!.

فقال عبادة: أقول قال النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وتقول: لا أرى به بأسًا؟!! والله لا يظلّني وإياك سقف أبدًا»[(١)].

هذا في ساحة الدعوة إلى الله.. أما في ساحة الجهاد:

● فهذا «سالم مولى أبي حذيفة» -رضي الله عنه- في موقعة «اليمامة».. كانت له اليد الطولى، لما انكشف المسلمون، قال -رضي الله عنه-:

«ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»، فحفر لنفسه حفرة، فقام فيها، ومعه رايةُ المهاجرين يومئذٍ، ثم قاتل حتى قُتل.

● قال أحمد بن عبد الله:

«أخذ، -رضي الله عنه-، اللواء بيمينه فقُطعت، ثم تناولها بشماله فقُطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[(٢)]. إلى أن قتل -رضي الله عنه-»[(٣)].

وهذا «سعد بن الربيع» -رضي الله عنه- يحكي لنا قصته زيدُ بن ثابت -رضي الله عنه- يوم أُحد، فيقول:

«بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أُحُد لطلب سعد بن الربيع -رضي الله عنه- وقال لي:

«إن رأيته فأقرئه مني السلام، وَقُلْ له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟»».

---

(١) أخرجه ابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) وهكذا فعل «مصعب بن عمير» -رضي الله عنه- أيضًا.

قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو فى آخر رمق، وبه سبعون ضربة:

ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلتُ له:

يا سعد! إن رسول الله -ﷺ- يقرأ عليك السلام، ويقول لك:

«خبرنى كيف تجدك؟».

قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له:

أجدنى أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار:

لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله -ﷺ- وفيكم شُفْرٌ(١) يطرف.

قال: وفاضت نفسه، -رحمه الله-(٢).

٤- الإكثار من الصلاة والسلام عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣).

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«هذه الآية شرّف الله بها رسوله -ﷺ- حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهّر بها سوء فعل من استصحب فى جهته فكرة سوء، أو فى أمر زوجاته ونحو ذلك. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره».

وقال الإمام سهل بن محمد بن سليمان:

«هذا التشريف الذى شرّف الله تعالى به محمداً -ﷺ- بقوله تعالى:

---

(١) الشفر: حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وللدكتور فضل إلهى رسالة بعنوان «حبّ النبىّ -ﷺ- وعلاماته» أفاد فيها وأجاد.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١].

أتم وأجمع من تشريف آدم -عليه السلام- بأمر الملائكة له بالسجود، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالصلاة على النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، ثم عن الملائكة فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم فى ذلك»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- فى تفسيره للآية:

«والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقرّبين، وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوى والسفلى جميعًا»[٣] ا.هـ.

كيفية الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم-:

١- عن أبى مسعود البدرىّ -رضي الله عنه- قال:

«أتانا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، ونحن فى مجلس سعد بن عُبادة، فقال له بشير بن سعد:

لقد أمرنا الله تعالى أن نصلىّ عليك يا رسول الله، فكيف نصلّى عليك؟

قال: فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.
(٢) القول البديع (ص ٤٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/٨٠٦).

إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم». رواه البخارى ومسلم واللفظ له.

٢- وعن ابن أبى ليلى -رضي الله عنه- قال:

لقينى كعبُ بن عُجْرة -رضي الله عنه- فقال:

ألا أُهدى لك هدية؟

إن النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، خرج علينا، فقلنا:

يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلِّمُ عليك، فكيف نُصلّى عليك؟

فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.**

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(١).

٣- وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى «مستدركه» من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمى عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه، عن أبى مسعود البدرى أنهم قالوا:

يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه، فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا فى صلاتنا؟

فقال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» وذكره...

ورواه الشافعى -رحمه الله- فى «مسنده» عن أبى هريرة بمثله.

قال الحافظ ابن كثير:

«ومن هاهنا ذهب الشافعى -رحمه الله- إلى أنه يجب على المُصلّى أن يصلى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح

---

(١) رواه البخارى (٦٣٥٨).

صلاتـه، وقد شرع بـعض المتأخـرين من المالكية وغـيرهم يشنع علـى الإمام الشـافـعى فى اشـتراطـه ذلك فى الصـلاة، ويزعم أنه تفـرّد بذلك، وحكى الإجماع على خلافـه أبو جعفر الطبرى، والطحاوى والخطابى وغيـرهم فيما نقله القاضى عـياض عنهم، وقد تعـسّف هذا القائل فى ردّه على الشـافعى، وتكلّف فى دعواه الإجماع فى ذلك، وقال ما لم يحط به علمًا، فإنا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالـصلاة على رسول الله -ﷺ- فى الصلاة، كـما هو ظاهر الآية، ومفسر بهـذا الحديث عن جماعة من الصحـابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله، ومن الـتابعين: الشعبىّ، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل بن حبان، وإليه ذهب الشافعى لا خلاف عنه فى ذلك ولا بين أصحـابه أيضًا، وإليـه ذهب الإمام أحـمد أخيرًا فيـما حكاه عنـه أبو زرعة الدمشـقى به، وبه قال إسحـاق بن راهويه والفقيـه الإمام محـمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكى -رحمهم الله-، حتى إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال فى الصـلاة عليه -ﷺ- كمـا علمه أن يقولوا لما سـألوه، وحتى إن بعض أصحـابنا أوجب الصلاة على آله فـيما حكاه البندنيـجى وسليم الرازى وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسى، ونقله إمام الحـرمين وصاحبه الغزالى قَوْلاً عن الشافعى.

والصحيح أنه وجه على أن الجمهور على خلافه، وحكوا الإجماع على خلافه، وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم.

والغرض أن الشافـعى -رحـمه الله- يقـول بوجـوب الصـلاة على النبى -ﷺ- فى الصلاة سلفًا وخلفًا كما تقدم، ولله الحمد والمنة، فلا إجماع على خلافه فى هذه المسألة لا قديمًا ولا حديثًا، والله أعلم.

ومما يؤيد ذلك الحـديث الآخـر الذى رواه الإمـام أحـمـد وأبو داود والترمذى وصـححه، والنسائى وابن خزيمة وابن حـبان فى صحيحيـهما من رواية حيـوة بن شريح المصـرى عن أبى هانئ حمـيد بن هانئ عن عـمرو بن مالك أبى على الحسينى عن فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- قال:

سمع رسول الله -ﷺ- رجلاً يدعو فى صلاته لم يحمد الله ولم يُصلّ على النبىّ!!.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**عجل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره:

«**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه، ثم ليصل على النبى ثم ليدع بَعْد بما شاء**»(١). وكذا الحديث الذى رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس سهل بن سعد الساعدى عن أبيه عن جده عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

«**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولا صلاة لمن لم يُصلِّ على النبىّ، ولاصلاة لمن لا يحب الأنصار**»(٢). ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبرانى من رواية أخيه أبى بن عباس، ولكن فى ذلك نظر، وإنما يعرف من رواية عبد المهيمن، والله أعلم»(٣).

فوائد الصلاة على رسول الله -ﷺ-:

للصلاة على النبىّ -ﷺ- ثمرات وفوائد جمعها الإمام ابن القيم فى كتابه: «**جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام**» من هذه الفوائد:

١- امتثال أمر الله عزّ وجل.

٢- موافقة الله تعالى فى الصلاة على نبيّه -ﷺ-.

٣- موافقة ملائكته فيها.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾(٤).

---

(١) مسند أحمد (٦/ ١٨).

(٢) منكر بهذا التمام. ضعيف سنن ابن ماجه (٨٣)، وصحّح الألبانى شطره الأول: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» صحيح سنن ابن ماجه (٤٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٠٩).

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦.

٤- سبب فى الحصول على عشر صلوات من الله تعالى على المُصلّى مرة واحدة!!.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال:

«**من صلّى علىّ صلاةً واحدةً، صلى عليه عشرًا**» رواه مسلم.

والمعنى: أى رحمه عشر رحمات، وأمده بنعمه أضعافًا، وأحسن الله إليه مرارًا.

وفى بعض ألفاظ الترمذى وكذا ابن حبان عن أبى يعلى:

«**من صلى علىّ مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات**»[١].

وفى لفظ:

«ومُحى عنه عشر سيّئات» وهو عند أحمد بسند رجاله رجال الصحيح غير ربعى بن إبراهيم وهو ثقة مأمون.

٥- سبب رفع عشر درجات للمُصلّى.

٦- سبب كتابة عشر حسنات للمُصلّى.

٧- سبب محو عشر سيئات عن المصلى.

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

إن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من صلى علىّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات**» رواه النسائى.

٨- يرجى إجابة دعاء المصلى إذا قدّمها أمامه:

قال على بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

---

(١) **قال الشيخ أحمد شاكر** -رحمه الله تعالى-: «والذى أعتقده -والله أعلم- أن قوله: «من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه عشرًا» ليست لمن قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنما هى لمن صلى عليه كما علّم، بما نصصناه عنه، والله أعلم. وهذا الذى قاله ابن العربى فقه فى السنة واضح جيد، أوافقه عليه» جامع الترمذى ٢/ ٣٥٥.

«كل دعاء محجوب حتى يُصلّى على محمدٍ وآل محمد -ﷺ-»(١).

٩- سبب حصول شفاعة النبىّ -ﷺ- إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها(٢).

١٠- أنها سبب لغفران الذنوب.

١١- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهَمّه.

عن أبىّ بن كعب -رضي الله عنه- قال:

قلتُ: يا رسول الله إنى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى؟

قال: «**ما شئت**».

قال: قلتُ: الربُع؟

قال: «**ما شئت، وإن زدتَ فهو خير لك**».

قال: فقلت: فالثلث؟

قال: «**ما شئت، وإن زدتَ فهو خير لك**».

قلت: النِّصف؟

قال: «**ما شئت، وإن زدتَ فهو خير لك**».

قال: أجعل لك صلاتى كلّها؟

قال: «**إذًا يُكْفى همّك، ويغفر لك ذنبكُ**»(٣).

١٢- أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة.

فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

---

(١) رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧٢١) موقوفًا ورواته ثقات.

(٢) روى مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: «**إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة من الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلّت له الشفاعة**».

(٣) **حسن**: صحيح سنن الترمذى (٢٠٢٤).

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة**». رواه الترمذى، وابن حبان فى «صحيحه»(١).

١٣- أنها تقوم مقام الصدقة لذى العُسْرة.

عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

«**أيّما رجلٍ مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه:**

اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك، وصلّ على المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، فإنها زكاة» وقال:

«**لا يشبعُ مؤمنٌ خيرًا حتى يكون منتهاهُ الجنة**»(٢).

١٤- أنها سبب لقضاء الحوائج.

١٥- أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه.

١٦- أنها زكاة للمصلى وطهارة له.

١٧- أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

فقد رُوى عن أنس -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**من صلى علىّ فى يوم ألف مرة لم يَمُتْ حتى يرى مقعده من الجنة**» رواه أبو حفص بن شاهين(٣).

١٨- أنها سبب للنجاة من أهوال القيامة.

١٩- أنها سبب لرد النبىّ -ﷺ- الصلاة والسلام على المُصلّى والمُسَلّم عليه.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال:

«**ما من أحد يسلّم علىّ إلا ردَ الله إلىّ روحى حتى أرُدّ عليه السلام**»(٤).

---

(١) **ضعيف**: انظر ضعيف سنن الترمذى (٧٤).

(٢) رواه ابن حبان فى «صحيحه» من طريق دراج عن أبى الهيثم: الترغيب (٢٥١٧).

(٣) الترغيب برقم (٢٥١٥)، وأشار إلى ضعفه.

(٤) رواه أحمد وأبو داود. الترغيب (٢٥٠٩).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إن لله ملائكةً سيّاحين يبلّغونى عن أمتى السلام»(١).

٢٠- أنها سبب لتذكرة العبد ما نسيه.

٢١- أنها سبب لنفى الفقر.

٢٢- أنها سبب لطيب المجلس. وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

٢٣- أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عندْ ذكره -صلى الله عليه وسلم-.

عن حُسين -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«البخيل من ذكرتُ عنده فلم يُصلِّ علىّ»(٢).

٥- قتل من سَبّه أو شتمه أو لعنه:

«إن من سبّ النبىّ -صلى الله عليه وسلم- من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله.

هذا مذهبٌ عليه عامةُ أهل العلم، قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم أن حدّ من سبّ النبى -صلى الله عليه وسلم- القتل، ومِمّن قاله مالكٌ والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعى. قال:

وحكى عن النعمان أنه لا يقتل، يعنى الذى هُمْ عليه من الشرط أعظم. وقد حكى أبو بكر الفارسى من أصحاب الشافعى إجماع المسلمين على أن حَدّ من سبّ النبىّ -صلى الله عليه وسلم- القتل كما أن حدَّ من سبّ غيره الجلد.

وهذا الإجماع الذى حكاه هذا محمولٌ على إجماع الصّدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن سابَّ النبى -صلى الله عليه وسلم- يجب قتله إذا كان مسلمًا، وكذلك قيّده القاضى عياض، فقال:

أجمعت الأمةُ على قتل متنقِّصه من المسلمين وسابه، وكذلك حكى عن غير واحدٍ الإجماع على قتله وتكفيره.

(١) رواه النسائى وابن حبان فى «صحيحه». الترغيب (٢٥٠٦).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٨١١).

وقال الإمام إسحاق بن رَاهَوَيْه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سب الله، أو سب رسول الله -ﷺ-، أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبيًا من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مُقرًّا بكل ما أنزل الله.

قال الخطابى: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبىّ -ﷺ- والمنتقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر»[1].

«إقامة الحد للإمام»:

يبقى أن يقال: إن الحدود لا يقيمها إلا الإمام أو نائبه.. ولا يجوز لآحاد الناس أن يقيم الحد دون الإمام.. وهذا هو الراجح.. والله أعلم.

---

(١) حكم الدين فيمن سب رب العالمين أو رسوله الأمين، منتقاة من كتاب: «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢، ٤٣).

الحق الخامس عشر:

حـق القــــرآن

الحق الخامس عشر:

حق القرآن

«القرآن هو النعمة الباقية، والحجة البالغة، والدّلالة الدامغة، وهو سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره.

قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها عزة، ومن بهجتها درة لاحت عليها بهجة القدرة، بهر النفوس بتمكن فواصله وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار... هذا وكم فيه من مزايا، وفى زواياه من خبايا.. فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأعزب أسلوب، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه»(١).

وجوه إعجاز القرآن:

قال القاضى عياض -رحمه الله تعالى- فى «الشفا»:

«اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة أهمها أربعة:

أولها: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة -أى المتجاوزة- عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

الثانى: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام

(١) رياض الجنة للشيخ كشك (١٠ - ١٢) نقلاً عن الإمام الزركشى -رحمه الله-.

العرب، وكل من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجازه على التحقيق. لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما.

الثالث: ما انطوى عليه من الأخبار بالغيبيات وما لم يكن فوجد كما ورد.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البادية، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده -ﷺ- على وجهه ويأتى به على نصّه وهو أمىّ لا يقرأ ولا يكتب: فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها».

نمط فريد:

شاء الله تعالى أن تكون معجزة محمد -ﷺ- نمطًا مخالفًا لمعجزات الرسل، وكان قادرًا على أن ينزل معجزة حسيّة تذهل من يراها:

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(١).

فلو شاء الله تعالى لأنزل من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالاً، ولا انصرافًا عن الإيمان، ويصور خضوعهم لهذه الآية فى صورة حسيّة:

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ملويّة محنيّة، حتى لكأنَّ هذه هيئة لهم لا تفارقهم، فهم عليها مقيمون. ولكنه -سبحانه- شاء أن يجعل معجزة هذه الرسالة الأخيرة آية غير قاهرة، لقد جعل آيتها القرآن، منهاج حياة كاملة، معجزًا فى كلِّ ناحية:

معجزًا فى بنائه التعبيرى، وتنسيقه الفنى، باستقامته على خصائص واحدة، فى مستوى واحد، لا يختلف ولا يتفاوت، ولا تتخلف خصائصه، كما هى الحال فى أعمال البشر، إذ يبدو الارتفاع والانخفاض والقوة والضعف فى عمل الفرد الواحد، المتغير الحالات، بينما تستقيم خصائص هذا

(١) سورة الشعراء: ٤.

القرآن التعبيرية على نسق واحد، ومستوى واحد، ثابت لا يتخلّف، يدلُّ على مصدره الذى لا تختلف عليه الأحوال.

معجزًا فى بنائه الفكرى، وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلتة فيه ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته تلتقى وتتناسق وتتكامل، وتحيط بالحياة البشرية، وتستوعبها، وتلبيها وتدفعها، دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهج الشامل الضخم مع جزئية أخرى، ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية، إذ تقصر عن تلبيتها.. وكلها مشدودة إلى محور واحد، فى اتساق لا يمكن أن تفطن إليه خبرة الإنسان المحدودة، ولابد أن تكون هناك خبرة مطلقة، غير مقيدة بقيود الزمان والمكان، هى التى أحاطت به هذه الإحاطة، ونظمته هذا التنظيم.

معجزًا فى يسر مداخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها، وفتح مغاليقها، واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها، وعلاجه لعقدها ومشكلاتها فى بساطة ويسر عجيبين، وفى تربيتها وتصريفها وفق منهجه بأيسر اللمسات، دون تعقيد ولا التواء ولا مغالطة.

لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة -ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادّية تلوى الأعناق وتخضعها وتضطرها إلى التسليم- ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب، لكلّ أمّة ولكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوى إلاّ أعناق من يشاهدونها، ثم تبقى بعد ذلك قصّة تروى، لا واقعًا يشهد.. فأمّا القرآن فها هو ذا بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا كتاب مفتوح ومنهج مرسوم، يستمدّ منه أهل هذا الزمان ما يقوم حياتهم -لو هدوا إلى اتخاذه إمامهم- ويلبى حاجاتهم كاملة، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل، وسيجد فيه من بعدنا كثيرًا مما لم نجده نحن، ذلك أنه يعطى كل طالب بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد، بل يتجدد[1].

---

(١) فى ظلال القرآن.

فضيلة تلاوة القرآن وحملته:

أعلى الذِّكر منزلة تلاوة القرآن.. أحسن الحديث والطيبّ من القول..

مزاميرُ الأُنس من حضرة القدس، بألحان التوحيد من رياض التمجيد، هذا طعْمُ الخبر فكيف طعم النَّظر!

آياتٌ منزلة من حول العرش، الأرض بها سماء هى منها كواكب.

ألفاظٌ إذا اشتدت فأمواج البحار الزَّاخرة، وإذا لانت فأنفاسُ الحياة الآخرة.

معان هى عذوبةٌ ترويك من ماءِ البيان، ورقَّةٌ تستروح منها نسيم الجِنَان.

ألفاظٌ لم تعهد كلم أحداقها، وثمرات لم تنبت فى قلم أوراقها.. نورُ القلوب الذى لا تستضىءُ إلا به، وحياةُ الأرواح.. بل الروح الذى تتوقف الحياة الحقيقية عليه... فضلُ الله ورحمته ونعمته الكبرى، لا يسعها ولا يُحيط بها حَمْدُ وشكر الخلائق.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢).

وإذا فرح العبد بفضل الله ورحمته وأنس به لهج به، وعلت همّته فى تلاوته وتدبره والإكثار من الذِّكر، حتى يصير الذكر والقرآن نعيم الرجل وعنوانه وجنته وبستانه وأنسه وميدانه(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(١) سورة العنكبوت: ٥١.

(٢) سورة يونس: ٥٨.

(٣) صلاح الأمة فى علو الهمة (٣/٨، ٩).

سرًّا وَعلانيةً يرجون تجارةً لَّن تبور ﴿٢٩﴾ ليوفِّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنَّه غفورٌ شكورٌ﴾[١].

● وعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**» رواه أحمد والبخارى

● وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرَة**[٢] **الكرام البررة**[٣]**، والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع**[٤] **فيه وهو شاقٌّ عليه له أجران**» رواه البخارى.

● وعن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مثلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مثلُ الأُتْرُجَّة**[٥] **ريحُها طيِّب وطعمها طيِّب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثلُ التَّمْرة لا ريح لها وطعمها حُلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحانة ريحُها طيِّب وطعمها مُرّ، ومثلُ المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ**» متفق عليه.

● وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين**» رواه مسلم.

● وعن أبى أمامة الباهلى -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» رواه مسلم.

---

(١) سورة فاطر: ٢٩، ٣٠.

(٢) السَّفرة: الملائكة الكتبة.

(٣) البررة: جمع بارّ، وهو المطيع.

(٤) يتتعتع: أى يشتد ويشق.

(٥) الأُترجّة: بضم الهمزة والرَّاء، وهى معروفة، من فصيلة الحمضيات: طيب الرائحة.

● وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**لا حسد**(١) **إلا فى اثنتين:**

رجلٌ أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل(٢) **وآناء النهار.**

ورجا آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» متفق عليه.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**اقرءوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه، أما إنى لا أقول: ﴿آلم﴾ حرف ولكن ألفٌ عَشْر، ولام عشْر، وميمٌ عشر، فتلك ثلاثون**»(٣).

● وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن لله تعالى أهْلين من الناس**».

قالو: مَنْ هم يا رسول الله؟

قال: «**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصّتهُ**»(٤).

● وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من سَرَّه أن يحبّ الله ورسوله فليقرأ فى المصحف**»(٥).

● وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

«بينما جبريل -عليه السلام- جالسٌ عند النبى -صلى الله عليه وسلم- إذ سمع نَقيضاً(٦) من فوقه فرفع رأسُه فقال:

«**هذا باب من السماء فتح لم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلاّ اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أُوتيتَهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيتَه**» رواه مسلم وغيره.

---

(١)، (٢) الحسد: هنا بمعنى الغبطة. أى لا غبطة محمودة.

(٣) **صحيح**: أخرجه الخطيب فى «التاريخ» وغيره. وانظر: صحيح الجامع (٦٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد وغيره.

(٥) **حسن**: رواه أبو نعيم فى «الحلية» وغيره، وانظر: صحيح الجامع (٢٣٤٢).

(٦) النقيض: الصوت.

● ورُوى عن أبى أمامة -رضي الله عنه- قال:

قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «**ما أذن الله لعبد فى شىء أفضلَ من ركعتين يُصَلِّيهما، وإن البرَّ ليُذَرُّ على رأسَ العبد ما دام فى صلاته، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خَرَج منه، يعنى القرآن**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب(١).

● وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارْقَ، ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأُها**» رواهُ الترمذى، وقال: حديث صحيح.

قال الإمام الخطابى -رحمه الله تعالى-:

«جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قَدْر دَرَج الجنة، فيقال للقارئ ارْقَ فى الدّرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة فى الآخرة، ومن قرأ جُزءًا منه كان رُقِيُّه فى الدرَّج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»(٢).

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ فى ليلة مائة آية كتب من القانتين**»(٣).

● وعن بريدة -رضي الله عنه-، قال:

كنت جالسًا عند النبى -صلى الله عليه وسلم- فسمعتُه يقول:

«**تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**».

---

(١) وضعفه الألبانى فى ضعيف سنن الترمذى (٥٥٥).

(٢) الترغيب (٢/ ٢٨٨).

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح على شرطهما. وانظر: صحيح ابن خزيمة (١١٤٢).

قال: ثم مكث ساعة ثم قال:

«تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو غيايتان أو فرقان- من طير صواف، وإن القرآن يلْقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول:

هل تعرفنى؟

فيقول: ما أعرفك.

فيقول له: هل تعرفنى؟

فيقول: ما أعرفك.

فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجرٍ من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطى المُلك بيمينه، والخُلْدَ بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكْسى والداه حُلَّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان:

بم كسينا هذه؟

فيقال: بأخذ ولدكما القرآن.

ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلاَ»(١).

وكان النبى -ﷺ- يكرم أهل القرآن أحياءً وأمواتًا.. ويقدّمهم على من سواهم:

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

«بعث رسول الله -ﷺ- بَعْثًا وهم ذُوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعنى ما معه من القرآن، فأتى على رجلٍ من أحدثهم سنًّا، فقال: «ما معك يا فلان؟»».

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٤٦)، وابن ماجه (٣٧٨١) وقال البوصيرى: رجاله ثقات.

قال: معى كذا وكذا، وسورة البقرة.

فقال: «**أمعك سورةُ البقرة؟**».

قال: نعم.

قال: «**اذهب فأنت أميرُهم**».

فقال رجلٌ من أشرافهم: والله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية ألاّ أقومَ بها.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**تعلّموا القرآن واقرءوه، فإن مَثَلَ القرآن لمن تعلّمه فقرأه كمثل جِرَاب مَحْشُوٍّ مسكًا يفوح ريُحه فى كل مكان، ومن تعلمه فَيرْقد وهو فى جَوْفه فمثله كمثل جرابٍ أُوكِئَ على مِسْكٍ**»[1]. رواه الترمذى واللفظ له، وقال: حديث حسن.

● وعن عبد الله بن صعير -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال يوم أُحُد:

«**زمّلوهُم فى ثيابهم**».

قال: وجعل يدفن فى القبر الرهط، قال:

وقال: «**قدِّموا أكثرهم قرآنًا**»[2].

● وعنه أيضًا، قال:

لما أشرف رسول الله -ﷺ- على قتلى أُحُد، فقال:

«**أشهد على هؤلاء ما من مجروح جرح فى الله عز وجل إلا بعثه الله يوم القيامة وجرحه يدمى، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، انظروا أكثرهم جمعًا للقرآن فقدموه أمامهم فى القبر**»[3].

---

(١) مشكاة المصابيح (٢١٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم (٢٣٥٤٦) فى «المسند»، ورواه النسائى.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد فى المسند برقم (٢٣٥٤٧).

● وعن عمرو بن سلمة عن أبيه أنهم وفدوا إلى النبى -ﷺ- فلمّا أرادوا أن ينصرفوا قالوا:

يا رسول الله من يؤمّنا؟

قال: «**أكثركم جمعًا للقرآن، أو أخذًا للقرآن**».

قال: فلم يكن أحدٌ من القوم جمع من القرآن ما جمعتُ، قال:

فقدّمونى وأنا غلام فكنتُ أؤمّهم وعلىَّ شملة لى، قال:

فما شهدت مجمعًا من جرم إلا كنت إمامهم وأصلى على جنائزهم إلى يومى هذا»(١).

وفى رواية:

«فقدمونى وأنا غلام فصلّيتُ بهم وعلىَّ بردة وكنتُ إذا ركعتُ أو سجدت قلصت فتبدوا عورتى فلما صلينا تقول عجوز لنا دهرية:

غطّوا عنا إست(٢) قارئكم!!.

قال: فقطعوا لى قميصًا، فذكر أنه فرح به فرحًا شديدًا»(٣).

● وعن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذى الشَّيْبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه، وإكرامَ ذى السلطان المقسط**»(٤).

ويرحم الله الإمام الشاطبى إذ يحدثنا عن فضل القرآن فيقول:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٥/ ١٨٢) برقم (٢٠٢١٠)، والحديث فى الصحاح بنحوه.

(٢) الإست: المقعدة.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٥/ ١٨٢، ١٨٣) برقم (٢٠٢١١).

(٤) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٣٤) وحسنه النووى فى «التبيان» ص ٢٣، والعراقى وابن حجر والألبانى.

وخير جليس لا يملّ حديثه ... وترداده تزداد فيه تجمّلا
وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته ... من القبر يلقاه سنا متهلّلا
يناشد فى إرضائه لحبيبه ... وأجدر به سؤلا إليه موصولا
فيا أيها القارئ به متمسكًا ... مجلاً له فى كل حال مبجّلا
هنيئًا مريئًا والداك عليهما ... ملابس أنوار من التاج والحلى

«ذم تلاوة الغافلين»:

● قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

«رُبّ تال للقرآن والقرآن يلعنه».

● وقال ميسرة -رحمه الله تعالى-:

«الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر».

● وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

«ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينًا لينًا، ولا ينبغى له أن يكون جافيًا ولا مماريًا ولا صيّاحًا، ولا صخّابًا، ولا حدّيدًا».

وقال بعض السلف:

«إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكةُ حتى يفرغ منها، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها!!.

فقيل: وكيف ذلك؟

فقال: إذا أحلّ حلالها وحرّم حرامها صلّت عليه وإلا لعنته»(١).

---

(١) الإحياء (١/ ٢٧٥).

● وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- :

«أُنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حَرْفًا وقد أسقط العمل به».

● وفي حديث ابن عمر وحديث جندب -رضي الله عنهما- :

«لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدُنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورةُ على محمد -صلى الله عليه وسلم- فيتعلّم حلالها وحرامها وآمرَها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها. ثم لقد رأيتُ رجالاً يؤتى أحدُهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمِرُه ولا زاجرُه ولا ما ينبغي أن يقف عنده يَنْثُرُه نَثْرَ الدَّقل».

حَقُّ القرآن:

حقوق القرآن كثيرة، منها:

الحق الأول: الإيمان به:

فالإيمان بالكتب المنزلة.. أصل من أصول الإيمان.. فمن كفر بكتاب مُنَزّل كفر كفرًا يخرجه عن الملّة والعياذ بالله..

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

والآيات في هذا الشأن كثيرة.. وهذا الإيمان يقتضي الإذعان لأوامر الله ونواهيه.. فما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه.

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران: ٥٣.

والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود.

قال الإمام الطحاوى -رحمه الله تعالى-:

«إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾(١) - علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر» ا.هـ.

قال الشارح: «هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضلّ فيه طوائف كثيرة من الناس. وهذا الذى حكاه الطحاوى -رحمه الله- هو الحق الذى دلّت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التى لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة»(٢). وهذا القرآن سيرفع آخر الزمان!:

قال الدكتور عمر الأشقر:

«بعد الانتشار العظيم للإسلام الذى يعم المشارق والمغارب، يضعف الإسلام مرَّة أخرى، ويترعرع الشرّ -أى قبل قيام الساعة- ويرفع هذا الدين العظيم، ويرفع القرآن، ويذهب العلم، ويقبض الله من كان فى نفسه بقية من إيمان، فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

أخرج ابن ماجه والحاكم عن حذيفة بن اليمان، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**يَدْرُسُ الإسلام كما يَدْرس وَشْيُ الثَّوب، حتى لا يُدْرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله فى ليلة، فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس:**

(١) سورة المدثر: ٢٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوى (١٦٨).

الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة «لا إله إلا الله» فنحن نقولها»(١).

وهذه البقية الباقية التى لا تعرف من الإسلام إلا كلمة التوحيد تفنى وتبيد، ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**».

وفى حديث آخر بين لنا الرسول -ﷺ- كيف تذهب بقية الصالحين فى آخر الزمان، ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة أن النبى -ﷺ- قال: «**إن الله يبعث ريحًا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته**».

ومن دروس الإسلام فى تلك الأيام أن تنقطع عبادة الحج، فلا حج ولا عمرة، ففى مسند أبى يعلى ومستدرك الحاكم عن أبى سعيد -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**»(٢).

ولا شك أن هذا إنما يكون بعد انبعاث الريح الطيبة وقبضها الصالحين، أمَّا قبل ذلك فإن عبادة البيت مستمرّة، ففى «صحيح البخارى» عن أبى سعيد الخدرى قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**ليحجنّ هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**».

الحق الثانى: مراعاة آداب تلاوته:

لتلاوة القرآن آداب ظاهرة وأخرى باطنة:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، ورواه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤) برقم (٤٠٤٩) وقال فى الزوائد: إسناده صحيح. رجاله ثقات. وانظر: الصحيحة برقم (٨٧).
وقوله: «يدرس الإسلام»: من درس الرسم دروسًا، إذا عفا وهلك، ومن درس الثوب درسًا إذا صار عتيقًا. وقوله «وشى الثوب»: نقشه.

(٢) صحيح الجامع الصغير (٧٢٩٦). وانظر: القيامة الصغرى د. عمر الأشقر (٢٧٧-٢٧٩) بتصرف.

فمن الآداب الظاهرة للتلاوة:

الأول: فى حال القارئ: وهو أن يكون على الوضوء، واقعًا على هيئة الأدب والسكون! إما قائمًا وإما جالسًا مستقبل القبلة مطرقًا رأسه.

الثانى: فى مقدار القراءة: وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن فى اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث!! ومنهم من يختم فى الشهر مرّة وأولى ما يرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله -ﷺ-: «**من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه**»(١).

وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل.

وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذرًا:

«إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت».

وأمر النبى -ﷺ- عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن فى كُلِّ سبع(٢).

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع. وإن كان من السالكين بأعمال القلوب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرّة. وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرّة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمّل».

وقال الإمام الذهبى -رحمه الله تعالى-:

«... فأقلّ مراتب النهى أن تكره تلاوة القرآن كله فى أقل من ثلاث، فما فَقِه ولا تدبر من تلا فى أقل من ذلك، ولو تلا ورتَّل فى أسبوع، ولازم ذلك لَكان عملاً فاضلاً، فالدِّين يُسر، فوالله إن ترتيل سُبع القرآن فى تهجّد قيام الليل، مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضُّحى وتحية المسجد، مع

(١) أخرجه أصحاب السنن، وصححه الترمذى.

(٢) متفق عليه.

الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة ودُبر المكتوبة والسَّحر، مع النظر فى العلم النافع والاشتغال به مُخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض فى جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب واجتناب الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار والصدقة وصلة الرحم والتواضع والإخلاص فى جميع ذلك -لشغل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوبٌ، فمتى تشاغل العبد بختمة فى كل يوم فقد خالف الحنيفية السَّمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه، ولا تدبّر ما يتلوه... وكل من لم يلزم نفسه فى تعبده وأوراده بالسنة النبوية يندم ويترهَّب ويسوء مزاجه، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيّه الرءوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال -ﷺ- مُعلِّمًا للأمة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التبتل والرهبانية التى لم يُبعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا فى العَشْر الأخير، ونهى عن الغُربة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهى، فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضولٌ مغرور، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ. ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنبنا الهوى والمخالفة»ا.هـ.

وقال الإمام ابن رجب الحنبلى -رحمه الله تعالى- فى «لطائف المعارف»:

«وإنما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأمّا فى الأوقات المفضَّلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدلّ عمل غيرهم كما سبق ذكره» ا.هـ(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٥ - ٨٦).

(٢) ثبت أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- «كان يقرأ القرآن فى ركعة، ثم يوتر بها!!!» إسناده صحيح: أخرجه الطحاوى والبيهقى (٣/ ٢٥) وقال الأرنؤوط: صحيح.

الثالث: فى وجه القسمة:

أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب، فقد حزب الصحابة -رضي الله عنهم- القرآن أحزابًا. قال أوس بن حذيفة:

سألت أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف تحزّبون القرآن؟

قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى: فسألنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجزئ القرآن؟

فقالوا: كان يجزئه ثلاثًا. فذكره مرفوعًا وإسناده حسن.

وروى أن عثمان -رضي الله عنه- كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم، موسى وفرعون[١]، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى «ص»، وليلة الأربعاء بتنزيل[٢] إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس[٣].

الرابع: فى الكتابة: يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصدّ عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه.

الخامس: الترتيل: هو المستحب فى هيئة القرآن لأن المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه.

ولذلك نعتت أم سلمة -رضي الله عنها- قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[٤].

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

---

(١) أى: سورة القصص.

(٢) سورة الزمر.

(٣) فيه دليل على أنه لم يداوم على قراءة القرآن كل ليلة -رضي الله عنه-.

(٤) أخرجه أبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح.

«لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحبّ إلى من أن أقرأ القرآن هذرمة».

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرّد التدبر فإن العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضًا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيرًا فى القلب من الهذرمة والاستعجال».

السادس: البكاء:

البكاء مستحب مع القراءة، قال رسول الله -ﷺ-:

«اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»(١).

وقال صالح المُرّى -رحمه الله تعالى-:

قرأت القرآن على رسول الله -ﷺ- فى المنام فقال لى:

«يا صالح هذه القراءة فأين البكاء؟».

وقال ابن عباس:

«إذا قرأتم سجدة «سبحان»، فلا تعجلوا السجود حتى تبكوا فإن لم تبك عينُ أحدكم فليبك قلبه».

وإنما طريق تكلّف البكاء أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء... ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود. ثم يتأمّل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى. فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب.

السابع: أن يراعى حق الآيات:

فإذا مرّ بآية سجدة سجد، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا

---

(١) **جيد**: أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص بإسناد جيد. العراقى على الإحياء (٢٧٧/١).

سجد التالى . . والمأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأمومًا .

الثامن: أن يقول فى مبتدإ قراءته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»:

أو «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» . لقوله تعالى :

﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ** ﴾(١) .

وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح ، وإذا مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مرّ بمرجوّ سأل وإن مرّ بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه .

قال حذيفة -رضي الله عنه- :

«صليت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمرّ بآية رحمة إلاّ سأل ، ولا بآية عذاب إلا استعاذ ، ولا بآية تنزيه إلاّ سبّح»(٢) .

التاسع: فى الجهر بالقراءة:

ولاشك فى أنه لابدّ أن يجهر به إلى حدّ يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابدّ من صوت فأقله أن يُسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته!! .

فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار :

- قوله -صلى الله عليه وسلم- : «**لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة**» رواه أبو داود .

- وقوله -صلى الله عليه وسلم- : «**خير الرزق ما يكفى، وخير الذكر الخفىّ**» رواه أحمد وغيره .

- وسمع سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- ذات ليلة فى مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه :

---

(١) سورة النحل : ٩٨ .

(٢) رواه مسلم بنحوه .

اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته.

فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب.

فرفع سعيد صوته وقال:

يا أيها المَصلّى إن كنتَ تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا!!، فسكت عمر بن عبد العزيز وخفّف ركعته فلما سلّم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذٍ أمير المدينة!!.

ويدل على استحباب الجهر:

● عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«ما أَذِن الله لشيء ما أَذِنَ لنبيٍّ حسَنَ الصَّوّت يتغنَّى بالقرآن يَجْهرَ به» متفق عليه.

ومعنى **«أَذِن»**: استمع، وهو إشارةٌ إلى الرِّضا والقبول.

● وعن فضالة بن عُبيْد -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لله أشد أَذنًا**(١) **إلى الرجل الحسن الصَّوْت بالقرآن يَجْهَرُ به من صاحب القيْنَة**(٢) **إلى قَيْنته»**. رواه ابن ماجه.

● وعن ابن أبى داود عن علىّ -رضي الله عنه-: أنه سمع ضجَّةَ ناسٍ فى المسجد يقرءون فقال:

«طوبى(٣) لهؤلاء كانوا أحبَّ الناس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»(٤).

● وعن أبى موسى -رضي الله عنه- قال:

---

(١) لله أشد أَذنًا: أى استماعًا.

(٢) القينة: المغنية.

(٣) طوبى لهؤلاء: أى خير لهم.

(٤) التبيان للنووى ص ١٠٧.

قال رسول الله -ﷺ-: «**إني لأعرف أصوات رُفْقَة الأشعريين بالليل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**» متفق عليه.

قال الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى-:

«فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنّع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلّ آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همّه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلّل من كسله، ولأنه يرجو بجهره يتقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة «فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل. وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور».

«**العاشر**» **تحسين القراءة وترتيلها** بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم قال رسول الله -ﷺ-:

«**زينوا القرآن بأصواتكم**»(١).

وعن ابن أبي مُليكة، قال:

قال عبيد بن أبي يزيد -رضي الله عنهما-:

مَرّ بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رثُّ الهيئة. يقول: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**».

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه. الترغيب (٢١٧٦).

قال: فقلت لابن أبى مُليكة: يا أبا محمد: أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟.

قال: يحسّنهُ ما استطاع»(١).

وقوله: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» قيل:

أراد به الاستغناء، وقيل: أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة(٢).

وثبت أن رسول الله -ﷺ- كان ليلة ينتظر عائشة -رضي الله عنها- فأبطأت عليه فقال -ﷺ-: «**ما حبسك؟**».

قالت: يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعتُ أحسن صوتًا منه.

فقام -ﷺ- حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال:

«**هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتي مِثْله!**»(٣).

● واستمع -ﷺ- -أيضًا- ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- فوقفوا طويلاً ثم قال -ﷺ-:

«**من أراد أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**»(٤).

● وقال -ﷺ- لابن مسعود:

«**اقرأ علىّ!**».

فقال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟!.

فقال -ﷺ-: «**إنى أُحب أن أسمعه من غيرى**».

---

(١) رواه أبو داود والمرفوع منه فى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة.

(٢) الإحياء (١/ ٢٧٩).

(٣) **رجاله ثقات:** أخرجه أبو داود، وقال الحافظ العراقى: ورجال إسناده ثقات.

(٤) أخرجه أحمد، والترمذى وقال: حسن صحيح.

فكان يقرأ وعينا رسول الله -ﷺ- تفيضان(١).

● وكان عمر -رضي الله عنه- يقول لأبى موسى:

ذكّرنا ربنا، فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط!! فيُقال:

يا أمير المؤمنين: الصلاة، الصلاة!! فيقول:

أو لسنا فى صلاة؟!. إشارة إلى قوله تعالى:

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(٢).

الآداب الباطنة للتلاوة:

الأعمال الباطنة فى التلاوة عشرة:

فهم أصل الكلام. ثم التعظيم. ثم حضور القلب. ثم التدبر. ثم التفهم. ثم التخلى عن موانع الفهم. ثم التخصيص. ثم التأثر. ثم الترقى. ثم التبرى.

فالأول: فهم عظمة الكلام وعلوّه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه. فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى إفهام خلقه؟

الثانى: التعظيم للمتكلّم:

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلّم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر.

ولمثل هذا التعظيم كان «عكرمة بن أبى جهل» -رضي الله عنه- إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول:

«هو كلام ربى، هو كلام ربّى»

ولذلك كان عثمان -رضي الله عنه- يقول:

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

«لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا».

فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلّم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله.

فإذا حضر بباله العرش والكرسى والسماوات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل فى قبضته متردّدون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله، وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى.

فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس:

قيل فى تفسير: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(1). أى: بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرّدًا له عند قراءته منصرف الهمّة إليه عن غيره وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدّث نفسك بشىء؟.

فقال: أو شىء أحب إلىّ من القرآن حتى أُحدّث به نفسى!.

وكان بعض السّلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية، وهذه الصّفة تتولد عمّا قبلها من التعظيم فإن المعظّم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه.

الرابع: التدبر:

وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره.

والمقصود من القراءة التدبر.

قال على بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«لا خير فى عبادة لا فقه فيها، ولا فى قراءة لا تدبّر فيها».

---

(1) سورة مريم: ١٢.

وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام.

● عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال:

قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنا ليلة فقام بآية يرددّها وهى:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ... ﴾(١)(٢).

● وقام تميم الدارى -رضي الله عنه- ليلة بهذه الآية:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾(٣).

● وقام سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى- ليلة يردّد هذه الآية:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾(٤).

● وقال بعضهم: إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر.

وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى لا أعدّ لها ثوابًا.

وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال:

إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.

الخامس: التفهم:

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل. وذكر أفعاله. وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام. وذكر أحوال المكذّبين لهم وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار.

---

(١) سورة المائدة: ١١٨.

(٢) صحيح: أخرجه النسائى وابن ماجه. الإحياء (١/ ٢٨٢).

(٣) سورة الجاثية: ٢١.

(٤) سورة يس: ٥٩.

قال على -رضي الله عنه-: «لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب!!».

السادس: التخلى عن موانع الفهم:

فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحُجُب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن.

وَحُجُب الفهم ثلاثة:

أولها: أن يكون الهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها بتكلّف ظاهر، فأنىّ تنكشف له المعانى؟

ثانيها: أن يكون مُقلّدًا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة.

ثالثها: أن يكون مُصرًّا على ذنب أو متَّصفًا بكبر أو مبتلًى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه... وكلما كانت الشهوات أشدّ تراكمًا كانت معانى الكلام أشدّ احتجابًا، وكلمّا خفّ عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه.

وقد شرط الله عز وجل الإنابة فى الفهم والتذكير، فقال تعالى:

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾(٢).

فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب(٣).

---

(١) سورة ق: ٨.

(٢) سورة غافر: ١٣.

(٣) من الإحياء بتصرف، وإضافة.

السابع: التخصيص:

وهو أن يقدّر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدّر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السّمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى -ﷺ- وأمّته. ولذلك قال الله تعالى:

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(١). فليقدرّ العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى.

قال محمد بن كعب القرظى -رحمه الله تعالى-:

«من بلغه القرآن فكأنما كلّمه الله».

وقال بعض العلماء:

«هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربّنا عزّ وجلّ بعهوده نتدبرها فى الصلوات، ونقف عليها فى الخلوات، وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات.

وكان مالك بن دينار(٢) -رحمه الله تعالى- يقول:

«ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن؟! إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض».

وقال قتادة -رحمه الله-:

«لم يجالس أحدٌ هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى:

﴿هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾(٣).

---

(١) سورة هود: ١٢٠.

(٢) راجع ترجمته فى كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين».

(٣) سورة الإسراء: ٨٢.

الثامن: التأثر:

وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال وَوَجْد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره.

قال الحسن: «والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه، وقلّ فرحه، وكثر بكاؤه، وقلّ ضحكه، وكثر نصبه(١)، وشغله وقلّت راحته وبطالته»(٢).

وقال وهيب بن الورد -رحمه الله تعالى-:

«نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئًا أرقّ القلوب ولا أشدّ استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره».

ولقد كان فى الخائفين من خرّ مغشيًّا عليه عند آيات الوعيد. ومنهم من مات فى سماع الآيات!!(٣).

وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعانى، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار. فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ.

التاسع: الترقّى:

وأعنى به أن يترقّى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه.

فدرجات القراءة ثلاث:

أدناها: أن يقدّر العبد أنه يقرؤه على الله عز وجل واقفًا بين يديه وهو ناظر إليه مستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملّق والتضرع والابتهال.

---

(١) النصب: التعب.

(٢) الإحياء (١/ ٢٨٥).

(٣) ستأتى نماذج من النوع المبارك -بعد ذلك- إن شاء الله تعالى.

الثانية: أنه يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم.

الثالثة: أن يرى الكلام المتكلّم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته بل يكون مقصور الهم على المتكلّم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره. وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين.

قال جعفر الصادق -رحمه الله تعالى-:

«والله لقد تجلّى الله عزّ وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون».

العاشر: التبرّى:

وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوّته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصّديقين فيها ويتشوّف إلى أن يلحقه الله عز ّوجلّ بهم، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدرّ أنه المخاطب خوفًا وإشفاقًا.

قيل ليوسف بن أسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟

فقال: بماذا أدعو؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة!!.

الحق الثالث: العمل به وتطبيق أحكامه:

أنزل الله تعالى الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط.. وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.. وفرض على المسلمين ما فيه من أحكام..

قال تعالى: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[1].

(١) سورة المائدة: ٤٩، ٥٠.

وتحت هذا العنوان: «**حكم الله أولى**».

يقول فضيلة الشيخ: «**محمد الغزالى**» -رحمه الله تعالى-:

«لا يجوز للناس أن يتخذوا غير الله ربًّا أو حكمًا.

والذى يعبد غير الله جاحد للحق، خائن للنعمة، وكذلك الذى يتبع غير ما شرع، ويحكم بغير ما أنزل الله..!!

لماذا نعطى بشرًا مّا حق منازعة الله فى أمره ونهيه، وتحليله وتحريمه؟

لماذا يملك إنسان ما أن يدع كلام الله جانبًا، وأن يطرحه وراءه ظهريًّا.. ثم يأتى لنا من عند نفسه بأحكام يزعم أنها أولى بالاتباع من أحكام الله؟!

أهو أصدق من الله؟

أهو أبصر منه بمصالح الخلق؟

أم هو أذكر لما نسى رب العالمين من حاجات الناس؟؟

.. إن إهمال التشريع الإلهى، واعتناق القانون الأرضى، عبث شائن، وجاهلية منكرة.

﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً**﴾(١).

﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢).

الواقع أن إماتة شرائع السماء معصية كبرى، وكل ما هنالك من فرق بين هذه المعصية وبين غيرها من الرذائل أن الأفراد قد يتورطون فى الإثم عن غفلة أو ضعف أو انزلاق قدم أو سورة شهوة، أما وأد أحكام السماء فما يكون إلا عن تعمد وعلانية وقلّة مبالاة بالله...

وقد توعد الله جل شأنه من يميلون عن الحق ويجنحون إلى الهوى فقال:

---

(١) سورة الأنعام: ١١٤.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾(١).

وما تترك أحكام الله إلا ببواعث الهوى، إلا أنه فى ميدان التقنين الموضوع هو منظّم مُعمَّم مُزوَّق، كأنه منطق العقل السّديد، وهدى المصلحة المؤكدة.

ولذلك، ومنعًا لهذا الغش يقول الله لرسوله:

﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢).

ويقول مرة أخرى:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٣).

ومن ثم فنحن نريد أن يعى الناس أجمعون هذه الحقيقة، وأن يثقوا بأن الشريعة لا تنطوى على باطل ولا على عبث.

إنها الحق الكامل: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾(٤).

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾(٥).

﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٦).

ربما كان للقانون سلطة على الناس فى أنحاء كثيرة من حياتهم، ولكنه

(١) سورة ص: ٢٦.
(٢) سورة المائدة: ٤٨.
(٣) سورة المائدة: ٤٩.
(٤) سورة البقرة: ١٤٧.
(٥) سورة يوسف: ٤٠.
(٦) سورة القصص: ٨٨.

سلطان منقوص الأطراف، منزوف القوى، إذا لم يصحبه سناء روحى يوفر له الاحترام والهيبة..!!

وكم يعجز القانون وحده على تأمين المجتمع وبثّ الثقة فى جنباته؟

أما تشريع الله فلا! ذلك أن الخضوع له من الخضوع لله الذى أنزله.

والتسليم التام لكل صغيرة وكبيرة فيه هو مقتضى الإيمان:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(١).

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

من أجل هذا كان التشريع السماوى مرعيًا فى السر والعلانية، منفذًا فى الظاهر والباطن لأن تنفيذه لا يكون خوفًا من سلطة يمكن خداعها بل خشية من عالم الغيب والشهادة.

والمهتم بالجريمة هو نفسه أول من يستكين لعقابها لأنه يعرف أن ذلك أمر الله الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

بل إنه قد يسعى كيما توقع العقوبة عليه فى الدنيا حتى ينجو بها من عذاب الآخرة.

وتلك ميزة فى القانون السماوى لا تعهد فيما يصطنعه الناس لأنفسهم من قوانين.

ثم إن إقامة حكم الله فريضة يتعاون عليها المجتمع والدولة، ويرى كلاهما أنه مطالب بها بوحى إيمانه.

ومن ثم تستحكم حلقات الحصار حول المجرم فلا يستطيع فرارًا من تبعات عمله، ولا يجد مجيرًا من أقرب الناس إليه.

---

(١) سورة النور: ٥١.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

إن الجميع يتقربون إلى الله بتقديمه إلى القضاء لينال جزاءه العادل، كما كتبته السماء(١) . .

أما فى الأحوال الأخرى فإن المجرم قد ترصد الجوائز للقبض عليه، ومع ذلك يجد مَنْ يخيفه، لأن حرمة القانون لم تتصل بحنايا القلوب، بل قد يمارى بعض الناس فى استحقاقه للعقاب، وفى صلاحية هذا القانون للتطبيق.

قد يخضع الإنسان لأمر صديقه الذى يحبه، أو والده الذى يبرُّه، فيبادر إلى تنفيذ ما يطلبان منه وهو رضىّ النفس قرير العين.

بل قد تبلغ العاطفة من قلبه أن يتمنى لو صدر له من أحدهما أمر قد يفعله على وجه من السرعة والإتقان يدل على مدى حبه وعظيم تعلقه.

هذه صورة من الخضوع الحبيب يعرفها الناس.

وهناك صورة أخرى للون آخر من الخضوع:

موظف مرهوب مخوف الأذى يصدر الأمر إلى مرءوسه فيستمع إليه ثم ينصرف لينفذه، والخوف وحده هو الذى يحرّك أعضاءه.

إنه يؤدى العمل المطلوب دون رغبة مقارنة، بل أحيانًا مع كره له ولمن أصدره، وما تدفعه إلى تنفيذه إلا ضرورة الطاعة، أو مخافة العقوبة، فلو أمن هذه أو تلك ترك العمل لفوره.

وقد تحتال النفس الإنسانية فى تلك الأحوال على الجمع بين كراهيتها الكامنة، ومظهر الطاعة المطلوبة، فتؤدى العمل على صورة مضطربة مكذوبة، أبعد ما تكون عن الوفاء والصدق.

إن الخضوع الأول هو الأساس الحقيقى للعلاقات الصالحة، والضمان الأوحد للمصالح الحساسة.

أما الخضوع الآخر فهو شكل من أشكال السيطرة، إن أجدى مرة، أفلس مرارًا . .

---

(١) يقصد: وحى الله تعالى.

والتشريع الذى يسود الجماهير، ويضبط مصالحهم، وينظم حقوقهم وواجباتهم يجب أن ينظر إليه على ضوء الحقيقة التى ضربنا لها المثل السابق.

أعنى القانون ينبغى أن يستقر احترامه، والتزام العامة والخاصة به من صوت الضمير المتردد بين خبايا الصدر.

وبذلك يكون الخضوع له مستندًا إلى دعائم نفسية مكينة لا تعرف احتيالاً، ولا التواء.. إنه لأمر مرهق أعظم الإرهاق أن يكون تنفيذ القانون منوطًا بالسلطة المادية وحدها.. فإذا ابتعدت -وما أكثر ما تبعد- لم يكن هناك ظل لقانون، ولا تقدير لمصلحة..

ترى أيكفى عدد الضباط والجنود لكفالة هذه المهمة؟؟

وإذا كفى، فهل نرتقب مستوى رفيعًا لما نطلب؟؟

وكم يكلفنا ذلك كله من أعباء؟

لكنى أرمق مجتمعًا آخر، أدّى الضمير الدينى فيه واجبه على نحو يستثير الرضا والإعجاب والتأمل:

● فهذا رجل ينزلق مع الشهوة الجنسية إلى جريمة زنا ارتكبها فى خفاء، ولم يره فيها أحد..

ولكنه بعد انقشاع الغمّة، وانكسار الشهوة، وصحوة الضمير يذهب بنفسه إلى النبىّ -ﷺ- ويقول له:

أقم علىّ حدّ الله.!

ما هذا..؟؟ إنه مؤمن يرى أنه ارتكب مخالفة سيئة، وأنه من الواجب أن يطهر منها بتحكيم القانون فى بدنه..!!

● وهذه فتاة على عهد عمر بن الخطاب..

يصدر أمر الدولة ألا يُغش اللبن بالماء، وينطلق عمر فى جوف الليل، يتعسّس شئون الرعية فيسمع إلى الفتاة وأمّها تهمس إليها:

امزجى اللبن بالماء.

فتقول: لا، إن أمير المؤمنين منع هذا.

فتقول أمها مغرية لها: وأين أمير المؤمنين الآن؟

فتجيبها الفتاة: إذا لم يكن أمير المؤمنين يرانا فربّ أمير المؤمنين يرانا.

● وتلك فتاة أخرى: يغريها صاحبها بالشر، والليل ساج، والكواكب ساهرة، والعزلة عن الخلق تامة، فيقول لها:

ما ترانا إلا هذه الكواكب.

فترد عليه: ويحك فأين مكوكبها؟ جل شأنه..!!

إن الضمير الموصول بالله -سبحانه- هو القانون الحقيقى.

وأظن أننا يوم نقيم سياسة التقنين على هذا المعنى نكون أرسيناها على دعائم راسخة ويومئذ نشعر جميعًا بشىء من الراحة.

إن قداسة القانون تعود قبل كل شىء إلى أصله. وإلى علاقة الناس بهذا الأصل.

فإذا اعتمد القانون على أنه من عند الله جعل الناس هيمنته على أعناقهم جزءًا من صلاتهم وزكاتهم.

والتشريع الذى يبلغ هذه الغاية هو الذى تستقيم به الأحوال وتستقر به الأوضاع.

والشريعة ضمان أى ضمان للصالح العام، فإن مبناها على الرحمة، وغايتها إسعاد الناس فى عاجلتهم قبل آجلتهم..

والخير الذى أمر الله عباده به -وما يأمر إلا بخير- تعود فائدته فى الدنيا ومثوبته فى الأخرى، على فاعليه وحدهم.

والشر الذى نهاهم عنه -وما ينهى إلا عن شر- ليس إلا وقاية لهم من أذى قريب أو بعيد، ومن شر جلىّ أو خفى..

إن الدين. وما تضمن من شرائع هو رحمة الله بالخلق. وما بالله حاجة

إلى أحد من العالمين. وقد تسمع لغطًا جهولاً حول قسوة العقوبات التى جاء بها الشرع الحكيم.

كأن الله يتشفى بالحدود والقصاص ممّن أساء إليه. أو كأن له ثأرًا عند من قتل أو سرق فهوينكل به لتهدأ نفسه. سبحانه وتعالى عمّا يفترى الأفاكون.

والحقيقة أن العقوبات السماوية رحمة بالناس وبر بالمجتمع.

إن الله إذا أرخص دم قاتل. فلكى يحقن ألوف الدماء. وإذا أرخص يد سارق، فلكى يزرع الأمان فى الأرض.

ولعل أكذب شىء فى الأرض هذه العاطفة التى تسمع صداها يتردد بين الحين والحين:

أن الغوا عقوبة الإعدام أو انسوا ما أنزل الله من حدود.

واستجابة هذه المشاعر الطفلة هو انتزاع للعدل والأمان من آفاق الأرض. وإشاعة للطغيان والعدوان فى كل مكان.

إن شرائع الله -منذ بعث بها المرسلين- هى نداء الرحمة العاقلة.

وقد بيّن الله فى كتابه العزيز أنه أباح لبنى إسرائيل الطيبات. فلما بغوا. ونزعت عروقهم إلى الجريمة شدّد عليهم. ثم قال مبينًا حكمة ما صنع.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(١).

وإذا كان القانون السماوى يبطش بفرد أثيم فهو يصرح بأن الغرض إحاطة الجماعة الإنسانية كلها بسياج يحفظ عليها الحياة والطمأنينة.

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٧.

(٢) سورة المائدة: ٣٢.

نعم، إنه عدوان عام على البشرية كلها، يوشك -إن لم يوقف بالقصاص الحاسم- يحصدها فردًا فردًا:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾(١).

إن الأرض قد يبارك فيها بعد المطر، فتخضر، وتؤتى ثمارها.

وهذه البركة التى تجتنى حبوبًا وفواكه أقل بركة أخرى يفرط الناس فيها للأسف الشديد.

هذه النعمة المضيعة هى ما عناه الرسول -ﷺ- بقوله:

«**حَدٌّ يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا**»(٢).

ولا عجب ففى الحديث: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة**»(٣).

وعزائم الشريعة التى كُلِّف بها المؤمنون ليست أغلالاً فى الأعناق أو قيودًا فى الأقدام، إنها أعمال تجمع بين الوفاء لحقوق الله والضمان لحظوظ الناس.

ومن الخطأ أن نحسب الدين أفعالاً مرهقة، وواجبات مضنية.

نعم. هو نشاط ونظام، والذين ألفوا الكسل والفوضى يكرهون هذه المعانى وهو جهاد لبلوغ الكمال وإقرار الحق، ولو أن امرءًا زرع شجرة فى الثرى لاحتاجت تنميتها إلى عناية، فكيف بتربية النفس، وطبعها على الفضائل، والمحافظة عليها من الغوائل؟

ومع ذلك فإن الأمر إذا بلغ حدّ المشقة والعنت جاء لطف الله برفع الحرج عن الناس والتيسير عليهم.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢)، (٣) هو حديث واحد ولفظه: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**يوم من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستين سنة، وحَدّ يقام فى الأرض بحقِّه أزكى فيها من مطر أربعين صباحًا**» رواه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط»، وإسناد «الكبير» حسن. الترغيب (٣٢٤٨).

فإلى جانب العزائم المطلوبة رُخَص مخفّفة، فمن فقد الماء تيمم، ومن سافر خفف من صلاته، ومن مرض قضى الصيام أيام صحته.

ومن لبس الحذاء أو الجوارب على طهر حسبه أن يمسح عليها يومًا كاملاً فى الإقامة، وثلاثة أيام فى السّفر

ويجوز عند الضرورة ما لا يجوز فى أوقات أخرى.

فكلمة الكفر إذا قالها المُكْره لم يؤاخذ بها:

﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وإذا كانت القاعدة أن الضرورات تبيح المحذورات، فإن طبيعة الضرورة التوقيت والإلجاء، لا الدوام والاختيار.

ومن ثم فالذين يستبيحون الأنظمة الربوية للضرورة -كما يقولون- ليسوا على ذرة من الصواب، لأنهم يجعلون بناء المجتمع يقوم على الحرام دون تفكير فى تغييره أو أدنى شعور بإنكاره، وهذا معناه استباحة المحظور أبدًا وتحليل الحرام سرمدًا..

والشريعة -كالحقائق الكونية والقواعد العلمية- عامة لا تختلف فى عصر عن عصر، ولا فى قطر عن قطر.

أما القانون فمبناه العُرف المتغاير بين قوم وقوم، وبلد وبلد، دون مقياس محترم للخير والشّر.

والقانون المدنى المنقول إلينا عن «أوربا» يبيح الزنا ما دام قد وقع بين شخصين لهما إرادتهما الحّرة!

---

(١) سورة النحل: ١٠٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥.

وهو كذلك يبيح شرب الخمر ما دام السّكير لم يعربد فى الطريق مزعجًا المارّه.

والقانون المدنى فى بلاد أخرى يبيح زراعة الأفيون والحشيش.

أما فى بلادنا فهو يحرم هذه المواد زراعة وتداولا.

ومعنى هذا التغاير أن ضوابط الفضيلة والرذيلة مائعة فى القانون، وذلك شىء لا تعرفه الشريعة بتة.

وقد تكون القوانين قائمة على إصلاح جزء ما من الحياة العامة، وناجحة فى هذا الإصلاح الواجب، لكن الحياة العامة كل لا يتجزأ، ولا علاج النقص فى ناحية منها لا يغنى عن استدراك الخلل فى بقية النواحى.

لذلك ترك للدراسات الخلقية أن تكمل ما يقصر القانون عن تكميله.

والأخلاق بشرحها للحقوق والواجبات والمثل العليا تكفل بزعمهم هذا الجانب الإنسانى الخطير.

والحق أن علم الأخلاق بانفصاله هو الأخير عن الدين أصبح بناء على الرمال، وأصبح جهده فى تصحيح القيم الإنسانية ليس أحسن حالاً من جهد القانون..

ولا علاج إلا بإعادة القداسة إلى التشريع الدينى كله، وترك أحكام السماء(١) تؤدى رسالتها العتيدة فى الهداية والإسعاد.

إن الأبحاث الفقهية فى الشريعة الإسلامية ظلت عدة قرون مزدهرة ازدهاراً لا نظير له فى أرجاء العالمين.

والتراث الضخم الذى خلّفه الإسلاف الواعون فى هذا المضمار يدل على استبحار فى المعرفة، وأصالة فى النظر والاستدلال، وبراعة فى القياس والتخريج.

---

(١) يلاحظ أن الشيخ -رحمه الله تعالى- يذكر وحى السماء، وأحكام السماء.. والمقصود: وحى الله، وأحكام الله.

ثم ركدت ريح الفقه، ونشأ علماء مقلّدون.

ثم انقضى أصحاب هذا العلم التقليدى، وأتى من بعدهم ببغاوات تردد ما لا تعقل.

ومرّت فترة عصيبة بالفقه الإسلامى فإذا هو طريح فى زوايا الإهمال.

وانطلقت الحياة العامة وحدها، متجرّدة من منطق العقيدة والشريعة جميعًا ثم أخذت الحياة تدب رويدًا رويدًا فى العملاق الغافى، وشرع المسلمون يثوبون إلى رشدهم، ويعودون إلى كنوزهم الدفينة يستخرجون منها الأعاجيب.

وقد انتعشت الدراسات الإسلامية إبان النهضة الأخيرة... ثم تمت خطوة أخرى بأن أخذ رجال القانون الأصلاء يعودون به إلى منابعه من الإسلام العظيم بعد أن نما الإحساس بضرورة حسم هذا الاستعمار التشريعى، والعودة بأمتنا الكبرى إلى مواريثها وأمجادها.

ويضيق المقام عن إثبات مشاعر رجال القانون العرب تجاه التشريع الإسلامى عندما تعرّفوا عليه، وبهرهم سناؤه.

وحسبنا أن نثبت هنا شهادات القانونيين الأجانب فى هذا الشأن وفيها عبرة وذكرى(١).

قال العلامة فارس الخورى -وهو من أعلام الشرق، وأحد كبراء الإقليم السورى النصرانيين-:

«إن محمدًا أعظم عظماء العالم، ولم يَجُد الدهر -بعد- بمثله.

والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأتمّها وأكملها، وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية، واجتماعية، وتشريعية.

ولم يستطيع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضله، وبأن مبادئه متفقة مع العقل، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية».

---

(١) من رسالة للأستاذ على حسب الله.

وقال الأستاذ «**سليم باز**» -وهو نصرانى لبنانى-:

«إنى أعتقد بكل اطمئنان أن فى الفقه الإسلامى كل حاجات البشر: من عقود، ومعاملات، وأقضية، والتزامات، وذلك ماثل فى الكتب المودعة بخزائن الكتب فى البلاد الإسلامية، أو فى البلاد الأوربية.

فإن ما فى هذه المكتبات من موسوعات الفقه الإسلامى إنما هو ثمرة جهود الألوف من فحول العلماء، وهى الشاهد الأكبر على أنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام التى يُنشد بها العدل، ولا حاجة من حاجات البشر فى التشريع إلا تقدم لفقيه مسلم قول فيها».

ولندع شهادة النصارى من الشرقيين فقد يشدون تعصبًا لشرقيتهم، ولنلتمس شهادة من الأوربيين لأولئك الذين لا يرضون إلا شهادتهم، وقد وجدنا فيهم منصفين والحمد لله.

وقال «**هوكنج**» الأمريكى أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد فى كتابه: «روح السياسة العالمية»:

«إنى أشعر بأنى على حق حين أقرّ أن فى «الشريعة الإسلامية» كل المبادئ اللازمة للنهوض».

وقال الدكتور «**أتريكو أنساباتو**»:

«إن الشريعة الإسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوربية، بل هى تعطى العالم أقوى الشرائع ثباتًا ورسوخًا».

وقال الأستاذ «**سبرل**» عميد كلية الحقوق بجامعة فينا، فى مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧م:

«إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، فإنه -على أُمّيته- استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتى بتشريع نكون -نحن الأوربيين- أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة»[١].

---

(١) هذا ديننا (٢١٦ - ٢٢٦) بتصرف يسير.

فما أحوجنا اليوم إلى تعاليم القرآن وتطبيق أحكامه.. لننهض من كوبتنا.. ونستيقظ من غفلتنا..

ولن تسترد الأمةُ الإسلامية عافيتها.. ولن يعود إليها مجدها إلا أذا جعلت القرآن العظيم قائدًا لها.. ومهيمنًا على حياتها:

● عن أبى شريح الخزاعى -رضي الله عنه- قال:

خرج علينا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟».

قالوا: بلى.

قال: **«إن هذا القرآن طرفُه بيد الله، وطرفهُ بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلّوا، ولن تَهْلِكوا بعده أبدًا»**(١).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إن هذا القرآن شافع مشفَّعٌ، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه (أو كلمة نحوها) **زُجَّ فى قفاه إلى النار»**(٢).

«أحوالُ الصالحين مع القرآن الكريم»

قال الإمام الحسن:

«قرأ القرآن ثلاثةُ أصناف:

صنف اتخذوه بضاعة.

وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لاكثرهم الله. وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف،

---

(١) **إسناده جيد:** رواه الطبرانى فى «الكبير» بإسناد جيد. الترغيب (٦٠).

(٢) **إسناده جيد:** رواه البزار. المجمع (١/ ١٧١). الترغيب (٦٧).

وركدوا فى محاربهم، وخَبَواْ فى برانسهم فأولئك الله ينصر بهم على الأعداء، ويسقى بهم الغيث، فوالله لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر».

ومع هذا الصنف الأخير نعيش على السطور القادمة.

• عثمان بن عفان يقرأ القرآن كاملاً فى ركعة!!!:

قال الإمام محمد بن سيرين -رحمه الله تعالى-:

قالت امرأة عثمان حين قُتل:

«لقد قتلتموه، وإنه ليحيى الليل كلّه بالقرآن فى ركعة!!»(١).

وعن الحسن، قال:

قال عثمان: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنى لأكره أن يأتى علىَّ يوم لا أنظر فى المصحف».

وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر(٢) فيه(٣).

• بكاء عمر بن الخطاب ومرضه عند سماع آيات القرآن!!:

عن الحسن، قال:

قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾(٤).

فربا منها ربوة، عيد(٥) منها عشرين يومًا!!.

وعن عبد الله بن شداد، قال:

---

(١) قال الذهبى: وصحّ من وجوه، أن عثمان قرأ القرآن كلّه فى ركعة [سير/ جزء الخلفاء ص١٥٧]. وتقدم النهى عن ذلك.. وقول ابن رجب: «وإنما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك» ا.هـ. لطائف المعارف (١٩١).

(٢) يديم النظر: يطيل النظر.

(٣) البداية (٥/ ٣٠٧).

(٤) سورة الطور: ٧، ٨.

(٥) عيد: يعوده الناس فى بيته.

سمعت نشيج(١) عمر، وأنا فى آخر الصفوف فى صلاة الصبح، وهو يقرأ «سورة يوسف»، حتى بلغ:

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾(٢).

وعن عبيد بن عمر -رضي الله عنه- قال:

«صلى عمر بن الخطاب صلاة الفجر، فافتتح «سورة يوسف» فقرأها حتى إذا بلغ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٣)، بكى حتى انقطع، فركع.

وعن هشام بن الحسن، قال:

«كان عمر يمُرّ بالآية، فتخنقه، فيبكى حتى يسقط، ثم يلزم بيته، حتى يعاد، يحسبونه مريضًا!!»

● **عبد الله بن عباس وحاله مع القرآن:**

عن ابن أبى مليكة، قال:

صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان إذا أنزل، قام شطر الليل فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟

قال: قرأ:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٤).

فجعل يرتل ويُكْثِرُ فى ذلك النشيج(٥).

والنشيج: أحرّ البكاء.

وعن أبى رجاء، قال:

(١) نشيج: صوت معه توجّع وبكاء. حياة الصحابة (٣/ ٢٦٠).
(٢) سورة يوسف: ٨٦.
(٣) سورة يوسف: ٨٤.
(٤) سورة ق: ١٩.
(٥) حلية الأولياء (١/ ٣٢٧).

كان هذا الموضع من ابن عباس -مجرى الدموع- كأنه الشراك[(١)] البالي[(٢)].

● عبد الله بن عمر يبكي حتى يبلّ لحيته بدموعه!!:

عن نافع، قال:

كان ابن عمر إذا قرأ:

﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[(٣)]، بكى حتى يغلبه البكاء[(٤)].

وتلا عبيد بن عمر -رضي الله عنه-:

﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...** ﴾[(٥)]. فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت لحيته[(٦)] وجيبه من دموعه، فأراد رجل أن يقول لأبى أقصر، فقد آذيت الشيخ.

ويقول له نافع:

ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قطّ من آخر سورة البقرة إلا بكى:

﴿ **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ** ﴾[(٧)]. ثم يقول:

«إن هذا الإحصاء شديد» رواه الإمام أحمد.

وروى أحمد -أيضًا- أنه قرأ:

---

(١) الشراك: رباط النعل وغيره.

(٢) حياة الصحابة (٣/ ٢٦٢).

(٣) سورة الحديد: ١٦.

(٤) سورة النساء: ٤١.

(٥) أخرجه أبو نعيم، وقال الأرنؤوط فى السير (٣/ ٢١٤): رجاله ثقات.

(٦) لثقت لحيته: ابتلت من الدموع.

(٧) سورة البقرة: ٢٨٤.

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

قال: فبكى حتى حنَّ وامتنع من قراءة ما بعد!!.

وعن سمير الرياحى عن أبيه، قال:

شرب عبد الله بن عمر ماءً مبردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له:

ما يبكيك؟

فقال: ذكرت آية فى كتاب الله عز وجل.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾(٢). فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء، وقد قال الله عزّ وجل:

﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾(٣)(٤).

● ثابت بن قيس وآيات القرآن:

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

لما نزلت هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾(٥). إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال:

أنا من أهل النار!!

واحتبس عن النبى -صلى الله عليه وسلم-، فسأل النبى -صلى الله عليه وسلم- سعد بن معاذ فقال:

«يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟».

---

(١) سورة المطففين: ١-٦.

(٢) سورة سبأ: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٠.

(٤) صفة الصفوة (١/ ٢٩٥)، قال الإمام سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى- فى هذه الآية: «ينادى الرجل أباه أو أخاه فيقول له: قد احترقتُ فأفض علىّ من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم. فيقولون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٠]. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥١).

(٥) سورة الحجرات: ٢.

قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى.

قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله -ﷺ-، فقال ثابت:

أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله -ﷺ-، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي -ﷺ- فقال رسول الله -ﷺ-: «**بل هو من أهل الجنة**» رواه مسلم.

وعندما نزل قوله تعالى:

﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(١).

انطلق «ثابت» مسرعًا إلى رسول الله -ﷺ- وقال:

إني أخشى أن أكون قد هلكت، ينهانا الله أن نحب أن نحمد بما لا نفعل، وأجدني أُحب الحمد.

وينهانا عن الخُيلاء، وإني امرؤٌ أحب الجمال، وينهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا رجل رفيع الصوت، فقال:

«**يا ثابت! أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة**»(٢).

● حارثة بن النعمان يُرتل آيات الله في جنة الخلد!!!:

عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت:

قال رسول الله -ﷺ-:

«**دخلتُ الجنة فسمعتُ فيها قراءة!! قلت: من هذا؟.**

قالوا: حارثة بن النعمان كذاكم البر، كذاكم البر» وكان برًّا بأمه(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٨.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦٢١): إسناده قوي، لكنه مرسل.

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥٧٣٦)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

فأىّ فضل يعلو هذا الفضل؟! إنها لمنقبة جليلة لا يصل إليها إلا المقربون.

● تميم الدارى وأحواله مع القرآن:

عن مسروق -رحمه الله- قال:

قال لى رجل من أهل مكة:

هذا مقام أخيك «تميم الدارى»، صلى ليلة حتى أصبح، أو كاد، يقرأ آية يرددها ويبكى!!:

﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...**﴾(١) الآية.

● الربيع بن خثيم العابد الذى صُعِق عند سماع القرآن!!

عن أبى وائل، قال:

خرجنا مع عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حَدّاد، فقام عبد الله ينظر حديدةً في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، فمضى عبد الله حتى أتينا على أَتُّون على شاطىء الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية:

﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**﴾. إلى قوله ﴿**ثُبُورًا**﴾(٢).

فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله.

قال: ثم رابطه(٣) عبد الله إلى الظهر فلم يُفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يُفق، ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم إنه أفاق، فرجع «عبد الله» إلى أهله(٤).

---

(١) سورة الجاثية: ٢١.

(٢) سورة الفرقان: ١٢، ١٣.

(٣) رابطه: راقبه وانتظره.

(٤) صفة الصفوة (٣/ ٤٢).

وعن حفص بن عمر، قال:

قال الربيع بن خثيم:

إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممتَ فاذكرُ علمه بك، وإذا نظرت فاذكرُ نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(١).

وكان ابن مسعود -رضي الله عنه- إذا نظر إلى الربيع، قال:

أبا يزيد لو رآك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأحبّك ولأوسع لك جنبه ثم يقول: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾(٢)(٣).

※ أبو إسحاق السبيعى يقرأ ألف آية وهو قائم!!!:

قال الإمام ابن الجوزى فى «ترجمته»:

ولد فى ولاية «عثمان» -رضي الله عنه-(٤) وعن مغيرة، قال:

كنتُ إذا رأيتُ أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأول

قال أبو بكر بن عياش:

سمعت أبا إسحاق السبيعى يقول:

«ذهبت الصلاة منى وضعفتُ ورقّ عظمى، إنى اليوم أقوم فى الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران!!».

وقال العلاء بن سام العبدى:

ضعف أبو إسحاق عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام، فإذا أقاموه فاستتمّ قائمًا قرأ ألف آية وهو قائم!!؟(٥).

(١) سورة الإسراء: ٣٦.
(٢) سورة الحج: ٣٤.
(٣) صفة الصفوة (٣/ ٣٧).
(٤) كان أبو إسحاق من مشايخ التابعين -رحمه الله تعالى-.
(٥) صفة الصفوة (٣/ ٦٨).

* عمرو بن قيس وآية من آيات الله تعالى:

كان -رحمه الله- من العباد الزهاد.. قُرَّاء القرآن.. العاملين به:

قال إسحاق بن خف:

أقام عمرو بن قيس عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدق بغذائه ويصوم، وأهله لا يدرون!!.

وقال سفيان: عمرو بن قيس هو الذى أدبنى، علَّمنى قراءة القرآن وعلَّمنى الفرائض، وكنت أطلبه فى سوقه فإن لم أجده فى سوقه وجدته فى بيته إما يُصلّى وإما يقرأ فى المصحف، كأنه يبادر أمورًا تفوته، فإن لم أجده فى بيته وجدتُه فى بعض مساجد الكوفة فى زاوية من زوايا المسجد كأنه سارقٌ قاعدًا يبكى. فإن لم أجده وجدته فى المقبرة قاعدًا ينوح على نفسه!!.

فلمّا مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته.

فلمّا خرجوا إلى الجبان -المقابر- وبرزوا بسريره، وكان أوصى أن يصلى عليه أبو حيان التيمى، تقدم أبو حيان وكبّر عليه أربعًا، وسمعوا صائحًا يصيح:

«قد جاء المُحْسن!!».

وإذا البرّية مملوءة من طير أبيض لم يُر على خلقتها وحسنها. فجعل الناس يعجبون من حُسْنها وكثرتها.

فقال أبو حيان: من أىّ شىء تعجبون؟ هذه الملائكة جاءت فشهدت عَمْرًا.

قال أبو خالد، وهو الأحمر:

«لما مات عمرو بن قيس الملائى رأوا الصحراء مملوءة رجالاً عليهم ثياب بيض فلمّا صُلِّى عليه ودفن لم نر فى الصحراء أحدًا[١]».

(١) صفة الصفوة (٣/ ٨٢ - ٨٣).

• داود الطائى العابد الأوّاب:

كان -رحمه الله- من عباد الله العابدين المتصدقين الزاهدين

عن حماد بن أبى حنيفة قال:

قالت مولاة لداود الطائى: يا داود لو طبختُ لك دسمًا.

قال: فافعلى.

فطبختُ له شحمًا ثم جاءته به.

فقال: ما فعل أيتام بنى فلان؟

قالت: على حالهم.

قال: اذهبى به إليهم.

فقالت له: فديتُك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟

قال: إنى إذا أكلته كان فى الحُشّ وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورًا.

حلاوة صوته بالقرآن:

عن إسحاق بن منصور، قال:

حدّثتنى أم سعيد بن علقمة النخعىّ وكانت طائية.

قالت: كان بيننا وبين داود الطائى حائط قصير فكنت أسمع حسّه عامة الليل لا يهدأ.

قالت: وربما سمعتهُ فى جوف الليل يقول:

«اللهم همُّك عطل علىّ الهموم، وحالف بينى وبين السُّهاد، وشَوْقى إلى النظر إليك، أوثق منّى وحال بينى وبين اللّذات، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب».

قالت: وربّما ترنّم بالآية فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع فى ترنّمه!!.

مرضه بسبب آية!!

عن حفص بن عمر الجعفى، قال:

اشتكى داود الطائى أيامًا وكان سبب علّته أنه مَرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مرارًا فى ليلته فأصبح مريضًا. فوجده قد مات ورأسه على لَبِنة!!.

رثاء يكتب بماء الذهب:

قال ابن السماك -الواعظ- حين مات داود الطائى:

يا أيها الناس إن أهل الدنيا تعجّلوا غموم القلب، وهموم النفس، وتعب الأبدان مع شدّة الحساب، فالرغبة متعبة لأهلها فى الدنيا والآخرة، والزهادة راحة لأهلها فى الدنيا والآخرة.

وإن داود الطائى نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأغشى بصَرُ قلبه بصر العيون فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون، وهو منكم يتعجب، فلما نظر إليكم راغبين مغرورين، قد ذهبت على الدنيا عقولكم، وماتت من حبها قلوبكم، وعشقتها أنفسكم، وامتدت إليها أبصاركم، استوحش الزاهد منكم، فكنت إذا نظرت إليه عرفت أنه من أهل الدنيا وحش، وذلك أنه كان حيًّا وسط موتى.

يا داود ما أعجب شأنك!! وقد يزيد فى عجبك أنك من أهل زمانك ألزمت نفسك الصمت حتى قوّمتها على العدل، أهنتها وإنما تريد كرامتها، وأذللتها وإنما تريد إعزازها، ووضعتها وإنما تريد تشريفها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، وأجعتها وإنما تريد إشباعها، وأظمأتها وإنما تريد ريّها، وخشنت الملبس وإنما تريد لينه، وجشبت المطعم وإنما تريد طيبه، وأمت نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تقبر، وعذّبتها قبل أن تعذّب، وغيبتها عن الناس كى لا تذكر، ورغبت بنفسك عن الدنيا فلم تر لها قدرًا ولا خطرًا، ورغبت بنفسك عن الدنيا، عن أزواجها ومطاعمها وملابسها، إلى الآخرة وأزواجها ولباسها وسندسها وحريرها وإستبرقها، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت، وظفرت بما فيه رغبت، كان سيماك فى عملك وسرّك، ولم تكن سيماؤك فى

وجهك ولا إظهارك، فقهت فى دينك ثم تركت الناس يفتون ويتفقهون وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يتحدثون ويروون، وخرست عن القول وتركت الناس ينطقون، لا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الأمراء هدية، ولا تدنيك المطامع، ولا ترغب إلى الناس فى الصنائع، آنس ما تكون إذا كنت بالله خاليًا، وأوحش ما تكون إذا كنت مع الناس جالسًا، فأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس، وآنس ما تكون أوحش ما يكون الناس، جاوزت حد المسافرين فى أسفارهم، وجاوزت حد المسجونين فى سجونهم، فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون، وأما أنت فإنما هى خبزة أو خبزتان فى شهرك ترمى بها فى دن عندك، فإذا أفطرت أخذت منها حاجتك، فجعلته فى مطهرتك ثم صببت من الماء ما يكفيك، ثم اصطبغت به ملجأ، فهذا إدامك وحلواؤك وكل نومك، فمن سمع بمثلك صبر صبرك أو عزم عزمك؟! وما أظنك إلا قد لحقت بالماضين، وما أظنك إلا قد فضلت على الآخرين، ولا أحسبك إلا قد أتعبت العابدين، **داود** أنت كنت حيًّا فى الآخرين، وقد لحقت بالأولين، وأنت فى زمن الراغبين، ولقد أخذت بذروة الزاهدين، وأما المسجون فيكون مع الناس محبوسًا فيأنس بهم، لأن العدد كثير منهم معه، وأمّا أنت فسجنت نفسك فى بيتك وحدك، فلا محدث ولا جليس معك، فلا أدرى أى الأمرين أشد عليك؟ الخلوة فى بيتك تمر به الشهور والسنون؟ أم تركك المطاعم والمشارب لا تأكل منها ولا تريح إلى شىء منها، لا ستر على بابك، ولا فراش تحتك، ولا قلّة يبرد فيها ماؤك، ولا قصعة فيها غذاؤك وعشاؤك، مطهرتك قُلّتك، وقصعتك تورك، وكل أمرك داود عجبًا!! أما كنت تشتهى من الماء بارده؟ ولا من الطعام طيبه؟ ولا من اللباس ليّنه؟ بلى ولكنك زهدت فيه لما بين يديك مما دُعيت إليه، ورغبت فيه فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر ما فعلت فى جنب ما أملت أو طلبتَ، أما أنت فقد ظفرت بروح العاجل، وسعيت إن شاء الله فى الآجل، عزلت الشهوة عنك فى حياتك لكيلا يدخلك عجبها ولا تلحقك فتنتها، فلمّا مت شهرك ربك بموتك وألبسك رداء عملك، فلم تنثر ما عملت فى سرّك فأظهر الله اليوم ذلك، وأكثر نفعك

وخشيت الجماعة، فلو رأيت اليوم كثرة تبعك عرفت أن ربك قد أكرمك وشرفك فقل لعشيرتك: اليوم تتكلم بألسنتها فقد أوضح اليوم ربك فضلها أن كنت منها، فلو لم تسترح إلى خير تعمله إلا حسن هذا النشر، وجميل هذا المشهد، لكثرة هذا التبع، إن ربك لا يضيع مطيعًا، ولا ينسى صنيعًا، يشكر لخلقه ما صنع فيما أنعم عليهم أكثر من شكرهم إياه، فسبحانه شاكرًا مجازيًا مثيبًا»[(١)].

فلما فرغ، قام أبو بكر النهشلي -رحمه الله- فحمد الله ثم قال:

«يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموا، اللهم اغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله»[(٢)].

● عامر بن عبد قيس «آية في جهاد النفس»:

قال مالك بن دينار:

بلغنا أن كعبًا رأى «عامر بن عبد قيس» فقال:

من هذا؟

فقالوا: هذا عامر.

فقال: «هذا راهب هذه الأمة».

وكان عامر -رحمه الله- يقول لنفسه:

قومى يا مأوى كُلِّ سوء فوعزة ربّك لأزحفن بك زُحوف البعير، ولئن استطعت أن لا يمسّ الأرض من زُهْمك[(٣)] لأفعلن.

ثم يتلوى كما تتلوى الحيَّة على المِقْلى. ثم يقوم فينادى:

«اللهم إن النار قد منعتنى من النوم فاغفرْلى».

قال الحسن:

«كان عامر بن عبد قيس إذا صلى تنحّى فى ناحية المسجد فقال:

---

(١) الحلية (٧/ ٣٣٦ - ٣٣٨).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٩٦).

(٣) الزهمة: الريح المنتنة.

من أُقرئه؟

قال: فيأتيه قوم فيُقرئهم، حتى إذا طلعت الشمس وأمكنته الصلاة قام يُصلّى إلى أن ينتصف النهار ثم يرجع إلى منزله فَيَقيل[1]، ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلى حتى يصلّى الظهر، ثم يصلى إلى العصر فإذا صلى العصر تنحّى فى ناحية المسجد ثم يقول:

من أُقرئه؟

قال: فيأتيه قوم فيُقْرئهم حتى إذا غربت الشمس صلّى المغرب ثم يصلّى حتى يصلّى العشاء الآخرة ثم يرجع إلى منزله فيتناول أحد رغيفيه فيأكل ثم يهجع هجعة خفيفة، ثم يقوم.

فإذا أسْحَر تناول رغيفه الآخر فأكله ثم شرب عليه شربةً من ماء ثم يخرج إلى المسجد!».

• صفوان بن محرز «آية فى الإخلاص والتعبد»:

قال الإمام الحسن -رحمه الله تعالى-:

«لقيت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرّم الله عليكم، ولقد لقيت أقوامًا كانوا من حسناتهم أشفق أن لا تُقبل منهم من سيئاتكم.

ولقد صحبت أقوامًا كان أحدهم يأكل على الأرض وينام على الأرض، منهم صفوان بن محرز المازنى.

وكان يقول: إذا أويت إلى أهلى وأصبتُ رغيفًا أكلته فجزى الله الدنيا عن أهلها شرًّا.

والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا، يظلُّ صائمًا ويُفطر على رغيف ويشرب عليه من الماء حتى يتروّى ثم يقوم فيصلّى حتى يصبح، فإذا صلّى الفجر أخذ المصحف فوضعه فى حُجْره يقرأ حتى يترجل النهار، ثم يقوم فيصلى حتى ينتصف النهار، فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض فنام إلى الظهر فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا.

---

(١) أى ينام القيلولة.

فإذا صلى الظهر قام فصلّى إلى العصر، فإذا صلى العصر وضع المصحف فى حجره فلا يزال يقرأ حتى تصفرّ الشمس!!»[١].

وهذا الاجتهاد أثمر إخلاصًا ظهر أثره على حاله وفى وعظه:

قال غيلان بن جرير:

كانوا يجتمعون، صفوان وإخوانهُ، فيتحدثون فلا يَرَوْن تلك الرّقة. فيقولون:

يا صفوان حدّث أصحابك.

قال: فيقول: «الحمد لله» فيرقّ القوم وتسيل دموعهم، كأنها أفواه المزاد[٢].

*** زرارة بن أوفى يموت من آية!!:**

قال بَهْز بن حكيم:

صلى بنا زرارة بن أوفى فى مسجد بنى قشير فقرأ:

﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**﴾[٣]. فخرّ ميتًا فَحُمل إلى داره فكنتُ فيمن حمله إلى داره!![٤].

وقال أبو جناب القصار:

«صلى بنا زرارة بن أوفى الفجر فلما بلغ «**فإذا نقر فى الناقور**» شهق شهقة فمات. -رحمه الله-[٥].

قلت: ترجم له الحافظ «الذهبى» فقال:

«الإمام الكبير، قاضى البصرة، أبو حاجب العامرىّ، البصرىّ، أحد

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٣٨).

(٢) أى القرب.

(٣) سورة المدثر: ٨.

(٤)، (٥) صفة الصفوة (٣/ ١٥٣).

الأعلام. سمع عمران بن حصين، وأبا هريرة، وابن عباس.. وثّقه النسائى وغيره صحّ أنه قرأ فى صلاة الفجر فلمّا قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾(١).

خرّ ميتًا. وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين»(٢).

أخى القارئ:

تأمل حال سلفنا الصالح مع إسلامهم وقارن بين حالهم وحالنا، واسكب العبرات:

هذى بساتين الجنان تزيّنت ... للخاطبين فأين من يَرْتادُ
يا ويْحنا ماذا أصاب رجَالَنا ... أَوَ ما لنا سعدٌ ولا مقْدادُ
نامتْ ليالى الغافلينَ وليلُنا ... أرقٌ يذيب قلوبَنا وسُهَادُ
سُلَّتْ سيوفُ المعتدين وعربدتْ ... وسيوفُنا ضاقت بها الأغمادُ
أهو القُنُوط يهدُّ رُكْن عزيمتى ... وبه ظلُمُ مخاوفى تزدادُ
يا ليل أُمَّتنا الطويل متَى نَرَى ... فجراً تُغَرِّد فوقه الأمجادُ
أجدادنا كتبوا مآثرَ عزِّها ... فَمَحا مآثر عزِّها الأحْفادُ
ترعى حماها كلُّ سَائبَة وفى ... تمزيقها يتجمّع الأضدادُ
تصغى لأغنية الهوى فنهارها ... نومٌ ثقيلٌ والمساء سفادُ
دَعْنا نسافر فى دروب إبائنا ... ولنا من الهمّ العظيمة زادُ
ميعادُنا النصرُ المبينُ فإن يكن ... موتٌ فعند إلهنا الميعادُ
دَعنا نَمُت حتى ننالَ شهادةً ... فالموت فى درب الهُدى ميلادُ(٣)

وتعال أخى القارئ نواصل مع الصالحين المشوار:

● طَلْق بن حبيب يقوم بين يدى الله حتى يشتكى ظهره!!

عن الحجاج بن زيد، قال:

---

(١) سورة المدثر: ٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٦).

(٣) إصلاح الأمة (٣/ ٣٠٨).

كان طلق بن حبيب العنزى يقول:

إنى لأحب أن أقوم لله حتى أشتكى ظهرى. فيقوم فيبتدى بالقرآن حتى يبلغ «الحجر» {السورة رقم ١٥ من سورة القرآن} ثم يركع!!!(١).

● ثابت البُنانى يرتل بعد موته!!

كان -رحمه الله- يصحب أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال أنس لثابت يومًا:

ما أشبه عينك بعينىْ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-!! فما زال «ثابت» يبكى حتى عمِشتْ عيناه!.

قال سهل بن أسلم:

كان ثابت البُنانى يصلى كل ليلة ثلاث مائة ركعة، فإذا أصبح ضمرتْ قدماه فيأخذهما بيده فيعصرهما ثم يقول:

مضى العابدون وقُطع بى والهفاه.

وكان أنس بن مالك شديد الحب له:

قال حميد: كنا نأتى أنس بن مالك ومعنا ثابت، فكلمّا مرّ بمسجد صلّى فيه فكنا نأتى أنسًا فيقول:

أين ثابت؟ أين ثابت؟ إن ثابتًا دُوَيْبَّةَ أُحبها.

فضل عظيم:

قال محمد بن ثابت البنانى:

ذهبت أُلقّن أبى وهو فى الموت، فقلت:

يا أبت قل: «لا إله إلا الله».

فقال: يا بنىّ خلِّ عنى فإنى فى وِرْدى السادس أو السابع.

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٧٣).

آية:

قال إبراهيم بن الضّمة:

حدثنى الذين كانوا يمرّون بالجصّ بالأسحار قالوا:

كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن!![١].

● أبو جعفر القارئ «غُرّة القرآن تظهر على صَدرْه عند موته!!»:

الإمام أبو جعفر القارئ، أحَدُ القُرَّاء العشرة -رحمه الله تعالى-:

يقول سليمان بن مسلم: شهدتُ أبا جعفر حين احتُضر، جاء أبو حازم ومشيخةٌ، فأكبّوا عليه يصرخون به، فلم يجبهم.

قال شيبة -وكان ختَنَه على ابنة أبى جعفر-:

ألا أريكم منه عجبًا؟

قالوا: بلى، فكشف عَنْ صدره، فإذا دَوَّارة بيضاء مثل اللبن!!.

فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن.

قال سليمان: فقالت لى أمُّ ولده بعد ما مات:

صار ذلك البياض غرةً بين عينيه.

وعن نافع، قال:

لمّا غُسّل أبو جعفر القارئ، نظروا فوجدوا ما بين نَحْره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن، -رحمه الله-[٢].

«فتاوى تتعلق بالقرآن»

● حكم قراءة القرآن للناس بأجرة:

● سئل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-:

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٧٧).

(٢) معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٧٥ - ٧٦).

ما حكم قراءة القرآن للناس بأجرة؟

الجواب: إن كان المقصود تعليم القرآن للناس وتحفيظهم إياه فلا حرج في أخذ الأجرة على ذلك في أصح قولي العلماء للحديث الصحيح في القراءة على اللديغ بشرط أجرة معلومة ولقوله -ﷺ- في الحديث نفسه:

«**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**» أخرجه البخاري -رحمه الله- في «صحيحه».

أمّا إن كان المراد أخذ الأجرة على مجرد التلاوة في أي مناسبة فهذا لا يجوز أخذ الأجرة عليه.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لأنه لا يعلم نزاعًا بين أهل العلم في تحريم ذلك(١).

● قراءة سورة «تبت» في الصلاة:

● سئل الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-:

كنت مرة أقرأ في صلاتي سورة المسد فسمعتني أخت لي فقالت لي:

إنه لا يصح قراءة هذه السورة وتكرارها في الصلاة لأنها لعنة لعم الرسول -ﷺ-، فذكرتُ لها أنه مشرك كافر وقد آذى الرسول -ﷺ-، ولكنها أصرت على كلامها! فأرجو إفادتي إذا ما كنتُ على خطأ أو صواب؟

الجواب: لا حرج في قراءة سورة تبت كغيرها من السور فهي من جملة سور القرآن الكريم وفيها بيان حال أبي لهب، وما حكم الله عليه من الخسران ودخول جهنم هو وزوجته لكفرهما بالله وإيذائهما رسول الله -ﷺ- والله سبحانه يقول في كتابه الكريم:

﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾(٢).

ويقول النبي -ﷺ- للمسئ صلاته:

«**ثم اقرأ بما تيسّر معك من القرآن**».

---

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح لفضيلته ص ٥١٣.

(٢) سورة المزمل: ٢٠.

وهذا النصّ القرآني والنص النبوي يعمّان سورة «تبت» وغيرها.

والخلاصة: أن الصواب معك أيتها السائلة، أما أختك فقد غلطت وعليها التوبة إلى الله سبحانه من قولها وإنكارها لأنها قالت قولاً باطلاً، وقالت على الله بغير علم نسأل الله لنا ولها الهداية والتوفيق(١).

● حكم رفع الصوت بالتلاوة فى المسجد:

وسئل -رحمه الله تعالى- أيضًا-:

هل تجوز تلاوة القرآن بصوت مرتفع بالمسجد علمًا بوجود من يتنفّل فى تلك اللحظات بالمسجد من المصلين؟

الجواب: لا ينبغى رفع الصوت بالقراءة فى المسجد إذا كان حوله من يتشوش بذلك من المصلين أو القراء وهكذا إذا كان القارئ فى أى مكان حوله مصلون أو قرّاء فإن السّنّة ألا يرفع صوته عليهم لما ثبت عنه -ﷺ- أنه خرج ذات يوم على أناس يصلون فى المسجد ويجهرون بالقراءة فقال -عليه الصلاة والسلام-:

«كلكم يناجى الله فلا يؤذ بعضكم بعضًا»(٢).

«مناجاة تكتب بماء الذهب»

كان الإمام الشيرازى -رحمه الله- إذا جاءه الليل يقوم يناجى ربّ العالمين جلّ وعلا بالصلاة والقرآن والذكر وبأبيات رقيقة من نظمه فيقول:

لبستُ ثَوْبَ الرَّجا والناس قد رقدوا ... وقمتُ أشكو إلى مولاى ما أَجِدُ
وقلت يا عُدّتى فى كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضّر أَعْتَمِدُ
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... ما لى على حملها صَبْر ولا جَلَدُ
وقد مددتُ يدى بالذلّ معترفًا ... إليك يا خَيْر من مُدَّتْ إليه يَدُ
فلا تردَّنها يا ربّ خائبة ... فبحر جُودك يَرْوِى كلّ مَنْ يَرِدُ

يردد هذا ويبكى -رحمه الله تعالى-.

(١) نفس المرجع (٥١٣، ٥١٤).
(٢) نفس المرجع (٥١٤).

الحق السادس عشر:

حق الصحابة

الحق السادس عشر:

حق الصحابة رضي الله عنهم

إن المسلمين -بل الإنسانية كلها- أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب النبىّ -ﷺ-، وكرم معدنهم، وأثر تربيته فيهم، وما كانوا عليه من علوّ المنزلة التى صاروا فيها «الجيل المثالى» الفذ فى تاريخ البشر.

وشباب الإسلام معذورون إذا لم يحسنوا التأسى بالجيل المثالى فى الإسلام.

لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل فى قلوب شحنت بالغلّ على المؤمنين الأولين، فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان!!.

وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع «تصحيح تاريخ صدر الإسلام» أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له، ويجتهد فيه ما استطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به، ويجددون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.

وهذا التوجيه يذكرنا بأثر ورد عن الصحابى الجليل «جابر بن عبد الله»:

«إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد -ﷺ-!»(١).

ونحن اليوم فى زمن تطاول فيه الأباعر على الأكابر!!.. فأساءوا معهم الأدب.. وحطّوا من شأنهم.. وحاولوا تهميش دَوْرهم!!

﴿أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾(٢).

---

(١) من مقدمة الشيخ محمد مهدى الاستانبولى لكتاب «العواصم من القواصم» ص٤٢.
(٢) سورة النحل: ٢٥.

إن أصحاب النبى -ﷺ- هم قدر الله، اصطفاهم وانتقاهم واختارهم لنصرة دينه ونبيّه فأى فضل بعد هذا الفضل؟!.

● عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمتّه حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخْلُفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، من جاهدهم بقلبه، فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم.

● وقال ابن مسعود -أيضًا-:

«إن الله عز وجل نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد -ﷺ- خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته، ثم نظر فى قلوب العباد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه -ﷺ-، يقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا، فهو عند الله سيىء»(١).

● وقال رسول الله -ﷺ-:

«إن الله تبارك وتعالى اختارنى، واختار لى أصحابًا، فجعل لى منهم وزراء وأنصارًا وأطهارًا، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف(٢) ولا عدل»(٣)(٤).

إن أصحاب النبىّ -ﷺ- كانوا كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن.. وهل ينكر فضلهم إلا أعمى البصر، ميت القلب، مشلول الضمير!!

قال الإمام الذهبى -رحمه الله تعالى-:

---

(١) قال الهيثمى: رواه أحمد والبزار والطبرانى فى «الكبير» ورجاله موثقون. المجمع (١/ ١٧٧)، وقال الألبانى: حسن موقوفًا. شرح الطحاوية (٤٧٠).

(٢) الصرف: النافلة.

(٣) العدل: الفريضة.

(٤) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد (٣/ ٦٣٢)، ووافقه الذهبى.

«إنما يعرف فضائل الصحابة -رضي الله عنهم- من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسّنن سُنَّة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم، أوسّبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبِّهم.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسَلَمَ من النفاق والزندقة والإلحاد فى عقيدته»(١) ا.هـ

زين العابدين يدافع عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

عن محمد بن حاطب، عن زين العابدين على بن الحسين أنه أتاه نفرٌ من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- فلمّا فرغوا قال:

ألا تخبرونى: أنتم المهاجرون الأولون ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾(٢).

قالوا: لا.

قال: فأنتم ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾(٣).

---

(١) الكبائر للذهبى. كبيرة «سَبّ الصحابة».
(٢) سورة الحشر: ٨.
(٣) سورة الحشر: ٩.

قالوا: لا.

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين. ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) اخرجوا فعل الله بكم(٢).

آيات فى فضائل الصحابة -رضوان الله عليهم-:

ورد فى فضائل الصحابة رضوان الله عليهم آيات كثيرة شهدت بسبقهم وفضلهم.. وعلوّ شأنهم من هذه الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣).

٢- وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٤).

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٥).

---

(١) سورة الحشر: ١٠.

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٦٩).

(٣) سورة التوبة: ١١٧، ١١٨.

(٤) سورة الفتح: ١٨، ١٩.

(٥) سورة التوبة: ١٠٠.

ذكرهم فى الكتب المتقدمة:

أخرج أبو نعيم(١) عن سعيد بن أبى هلال: أن عبد الله بن عمرو قال لكعب(٢):

أخبرنى عن صفة محمد -ﷺ- وأمته.

قال: أجدهم فى كتاب الله تعالى(٣):

«إن أحمد وأمّته حمّادون يحمدون الله عز وجل على كل خير وشرّ يكبرّون الله على كل شُرف(٤) ويسبحون الله فى كل منزل، نداؤهم فى جوّ السماء لهم دوىّ(٥) فى صلاتهم كدوىّ النحل على الصخر، يصفّون فى الصلاة كصفوف الملائكة، ويصفّون فى القتال كصفوفهم فى الصلاة، إذا غزوا فى سبيل الله عليهم مظلاً -وأشار بيده- كما تظل النسور على وكورها، لا يتأخرون زحفًا أبدًا».

وأخرجه أيضًا بإسناد آخر عن كعب بنحوه وفيه:

«وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال ويكبّرونه على كل شرف، رعاة الشمس(٦)، يصلون الصلوات الخمس لوقتهن ولو على كناسة(٧) يأتزرون على أوساطهن ويوضئون أطرافهم».

● **وفى الأثر**: أن الله تعالى أوحى إلى عيسى -عليه السلام-:

«. . . وقضيتُ يوم خلقت السماوات والأرض أنى مثبت هذا الأمر على يدى عبدى محمد وأختم به الأنبياء والرسل، ومولده بمكة، ومهاجره

---

(١) فى الحلية (٥/ ٣٨٦).

(٢) هو: كعب الأحبار.. كان من أحبار اليهود فأسلم وحسن إسلامه -رضي الله عنه-.

(٣) يقصد التوراة.

(٤) الشرف: المكان المرتفع.

(٥) الدوى: الصوت ليس بالعالى.

(٦) رعاة الشمس: أى يراقبون الشمس لأجل الصلاة.

(٧) الكناسة: أى القمامة، هذا إذا كانت هناك ضرورة، لأن طهارة المكان من شروط صحة الصلاة.

بطيبة(١)، وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ، ولاسخاب فى الأسواق، ولا يزر بالفحش، ولاقوّال بالخنا، أسدّده لكل أمر جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل التقوى ضميره، والحكم معقوله، والوفاء طبيعته، والعدل سيرته، والحق شريعته، والإسلام ملّته -اسمه أحمد- . أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأغنى به بعد العائلة، وأرفع به بعد الضيعة.

أهدى وأفتح به بين آذان صمٍّ، وقلوب غُلف، وأهواء مختلفة متفرّقة، أجعل أمّته خير أمّة أُخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إخلاصًا لاسمى، وتصديقًا لما جاءت به الرسل.

ألهمهم التسبيح والتقديس، والتهليل فى مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومتقلّبهم ومثواهم.

يصلّون لى قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا ويقاتلون فى سبيل الله صفوفًا وزحوفًا قرباتهم دماؤهم، وأناجيلهم فى صدورهم، وقربانهم فى بطونهم.

رهبان بالليل ليوث(٢) بالنهار. ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم»(٣).

● وذكر وهب بن منبه -رحمه الله تعالى-:

«أن الله أوحى إلى داود فى «الزبور»:

يا داود إنه سيأتى من بعدك نبىّ اسمه أحمد ومحمد، صادقًا سيّدًا، لا أغضب عليه أبدًا ولا يغضبنى أبدًا.

وقد غفرتُ له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأمّته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيتُ الأنبياء، وفرضتُ عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء -إلى أن قال-:

---

(١) طيبة: المدينة المنورة.

(٢) الليث: الأسد.

(٣) البداية والنهاية (١/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

يا داود! إنى فضلت محمد وأمته على الأمم كلها»[1].

أحاديث فى فضائل الصحابة -رضي الله عنهم-:

الأحاديث التى وردت فى فضائل «الصحابة» كثيرة، نذكر منها:

١- عن أبى بردة، عن أبيه[2]، قال:

رفع -يعنى النبى -صلى الله عليه وسلم- رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ممّا يرفع رأسه إلى السماء. فقال:

«النجوم أَمَنَةٌ[3] للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما توعدُ، وأنا أمَنَةٌ لأصحابى، فإذا ذهبتُ أنا أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنةٌ لأمّتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون» رواه مسلم.

٢- وعن أبى سعيد الخدرى، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«يأتى على الناس زمانٌ فيغزو فئام[4] من الناس، فيقولون: هل فيكم مَنْ صاحبَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟.**

فيقولون: نعم.

فيُفتَحُ لهم، ثم يأتى على الناس زمانٌ، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَنْ صاحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

فيقولون: نعم.

فيُفْتَحُ لهم، ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَنْ صاحب مَنْ صاحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فيقولون: نعم.

فيُفْتَحُ لهم» متفق عليه.

وفى رواية لمسلم قال:

---

(١) رواه البيهقى فى «الدلائل» (١/ ٣٨٠).

(٢) وهو: أبو موسى الأشعرى -رضي الله عنه-.

(٣) أمنة: أى أمن.

(٤) الفئام: الجماعة.

«يأتى على الناس زمانٌ يُبعث منهم البعث فيقولون:

انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب رسول الله -ﷺ-؟

فيوجد الرجل، فيفتح لهم به!!.

ثم يبعث البعث الثانى فيقولون: هل فيهم من رأى رسول الله -ﷺ-؟

فيفتح لهم به.

ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا، هل ترون فيهم مَنْ رأى مَنْ رأى أصحاب النبى -ﷺ-؟

ثم يكونُ البعثُ الرابع فيقال: انظروا هل تَرَوْن فيهم أحدًا رأى مَنْ رأى أحدًا رأى أصحاب النبى -ﷺ-؟

فيوجد الرجل، فيفتح لهم به».

٣- عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «خير أمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدهم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ».

وفى رواية: «ويحلفون ولا يُستحلفون». متفق عليه.

آثار فى فضائل الصحابة -رضي الله عنهم-:

١- أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السّدِّى فى قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١). قال:

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لو شاء الله لقال: «أنتم» فكنا كلنا ولكن قال:

﴿كُنتُمْ﴾ خاصة فى أصحاب محمد -ﷺ- ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمّة أخرجت للناس(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) رواه الطبرى فى «تفسيره» (٤/ ٤٣).

٢- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

أنتم أكثر صيامًا وأكثر صلاة[١] وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم كانوا خيرًا منكم!.

قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟

قال: هم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة[٢].

٣- وعن أبى وائل قال:

سمع عبد الله رجلاً يقول: أين الزاهدونَ فى الدنيا الراغبون فى الآخرة؟

فقال عبد الله: أولئك أصحاب الجابية[٣]، اشترط خمسمائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يقتلوا، فحلقوا رءوسهم ولقوا العدو فقُتلوا إلا مخبر عنهم[٤].

٤- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رجلاً يقول:

أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة؟

فأراه قبر النبى -صلى الله عليه وسلم- وأبى بكر، وعمر -رضي الله عنهما-، فقال:

«عن هؤلاء تسأل»[٥].

٥- وعن قتادة، قال:

سئل ابن عمر -رضي الله عنهما-: هل كان أصحاب النبىّ -صلى الله عليه وسلم- يضحكون؟

قال: نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبال.

---

(١) يقصد صيام وصلاة التطوع.

(٢) الحلية (١/ ١٣٦).

(٣) الجابية: قرية فى «حوران» من بلاد الشام بين جاسم ونوى، كانت مركزًا للجيوش الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

(٤) الحلية (١/ ١٢٥).

(٥) الحلية (١/ ٣٠٧).

٦- وعن أبى صالح، قال:

دخل ضرار بن ضمرة الكنانى على معاوية فقال له:

صف لى عليًّا.

فقال: أو تعفينى يا أمير المؤمنين؟

قال: لا أعفيك.

قال: «أما إذ لابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة[١]، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب[٢]، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربة منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوىّ فى باطله، ولاييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله قد رأيته فى بعض مواقفه -وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه- يميل فى محرابه قابضًا على لحيته، يتململ[٣] تململ السليم[٤]، ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمعه الآن، وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: «ألى تغررت؟ ألى تشوّفت؟![٥] هيهات هيهات، غرّى غيرى، قد بتتُّك[٦] ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

---

(١) العبرة: الدمعة.

(٢) ما جشب: ما غلظ وخشن.

(٣) يتململ: يضطرب ويتقلّب.

(٤) السليم: أى الملدوغ، والعرب تسمى الملدوغ سليمًا تفاؤلاً بشفائه.

(٥) تشوف إليه: اطلع.

(٦) بتتك: طلقتُك.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشّفها[١] بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال:

كذا كان أبو الحسن -رحمه الله-، كيف وَجْدك[٢] عليه يا ضرار؟

قال: وَجْد من ذُبح واحدها في حِجْرها لا ترفأ دمعتها ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج[٣].

٧- وعن أبي سعيد المقبري، قال:

لما طُعن أبو عبيدة -رضي الله عنه- قال:

يا معاذ! صلّ بالناس، فصلى معاذ بالناس ثم مات أبو عبيده بن الجراح فقام معاذ في الناس فقال:

«يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحًا فإن عبد الله لا يلقى الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقًّا على الله أن يغفر له».

ثم قال: «إنكم أيها الناس قد فجعتم برجل والله ما أزعم أني رأيتُ من عباد الله عبدًا قطّ أقل غمْرًا[٤]، ولا أبر صدرًا، ولا أبعد غائلة[٥]، ولا أشدّ حُبًّا للعاقبة، ولا أنصح لعامة منه، فترحّموا عليه ثم أصحروا[٦] للصلاة عليه فو الله لا يلي عليكم مثله أبدًا».

فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة -رضي الله عنه- فصلّى عليه حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس، فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنوا عليه التراب فقال معاذ بن جبل:

---

(١) ينشفها: يمسحها.

(٢) الوجد: الحزن.

(٣) الحلية، والأثر رواه الطبراني. البداية (٥/ ٤٩٥). وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٤٤) بنحوه.

(٤) الغمر: بكسر الغيم أي الحقد.

(٥) الغائلة: الداهية.

(٦) أصحروا: خرجوا إلى الصحراء.

«يا أبا عبيدة، لأثْنين عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقنى بها من الله مقت، كنتَ والله ما علمتُ من الذاكرين الله كثيرًا، ومن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا، وكنت والله من المخبتين[1] المتواضعين الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين المتكبرين»[2].

وبعد هذا «التمهيد» نشرع الآن -بإذن الله تعالى- فى بيان المراد:

«حق الصحابة رضوان الله عليهم»:

من حق الصحابة علينا:

الحق الأول: الاعتراف بسبقهم وفضلهم:

قال الإمام الطحاوى -رحمه الله تعالى-:

«ونحب أصحاب رسول الله -ﷺ-، ولا نفرط فى حُبّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ».

قال الشارح -رحمه الله- ما مختصره:

يشير الشيخ -رحمه الله- إلى الردّ على الروافض والنواصب. وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله، -رضي الله عنهم- ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

---

(١) من المخبتين: أى من الخاشعين.

(٢) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٢٦٤).

(٣) سورة الحديد: ١٠.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾(١) إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وهذه الآيات تتضمّن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل فى قلوبهم غلاً لهم، وتتضمّن أن هؤلاء هم المستحقون للفىء، فمن كان فى قلبه غلّ للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق فى الفىء نصيبًا، بنص القرآن.

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرىّ -رضي الله عنه-، قال:

كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء، فسبّه خالد، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابى، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصيفه**» رواه مسلم.

فالنبىّ -صلى الله عليه وسلم- يقول لخالد ونحوه: «**لا تسبوا أصحابى**»، يعنى عبد الرحمن وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخصّ بصحبته ممّن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبىّ -صلى الله عليه وسلم- أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممّن تأخرّ إسلامهم إلى فتح مكة، وسمّوا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة الحشر: ٨-١٠.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسبّ من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدُهم مثل أحُد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه. فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ -رضي الله عنهم- أجمعين.

فمن أضل مِمَّن يكون فى قلبه غلّ على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبين؟

وقوله: «ولا نفرط فى حبّ أحد منهم» أى لا نتجاوز الحد فى حبّ أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين. قال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾(١).

وقوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم» -كما فعلت الرافضة! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أى لا يتولّى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر -رضي الله عنهما-!!

وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصّب. فإن ذلك كله من البغي الذى هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

وقوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان». لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص.

وقوله: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٣)(٤).

---

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة الجاثية: ١٧.

(٣) سورة المائدة: ٤٤.

(٤) **فائدة:** قال الشيخ أبو بكر الجزائرى: «الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله لا يكفر بمجرّد الحكم بغير ما أنزل الله حتى يكون قد جحد أحكام الله مصرحًا بذلك معلنًا له أو يكون=

لقطات من حياة الصحابة -رضي الله عنهم-:

وحتى نُجلّي حقيقة أمرهم.. نعايش على هذه السطور صورًا ومواقف من حياتهم -رضي الله عنهم-.. ثم يقارن الإنسان بين ما قدّمه هؤلاء لدينهم.. وما قَدّمه هو لدينه.

علمهم -رضي الله عنهم-:

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

«من كان مُستَنًّا فليستّن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه -صلى الله عليه وسلم- ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كانوا على الهدى المستقيم والله ربّ الكعبة».

ويكفى أن الله تعالى مدح علْمهم، وزكّى أعمالهم، ورضى عنهم، وعن أتباعهم!!.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وشهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعظيم فضلهم وأوصى بحسن متابعتهم:

عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه-، قال:

وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب وزرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مُودِّع فأوصنا.

= قد استهزأ بها وسخر منها أمّا مجرّد عدم تطبيقها والحكم بها بدون جحود ولا استخفاف ولا استهزاء فلا يكفر بذلك كفرًا يخرجه عن الملّة، وإنما كفره كفر معصية وهو الكفر الأصغر ككفر من وطئ امرأة فى دبرها أو امرأة فى حيضها، وككفر قتال المسلم أو قتله... وككفر من قال لمسلم أنت كافر...» راجع رسالة «القول المبين فى حكم تكفير المؤمنين» لفضيلته. هدية أصدرتها مجلة التوحيد (ص٣٠)، وهى رسالة هامة فى موضوعها.

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبدٌ. وإنه من يَعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتى وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

وجاءت الآثار شاهدة وناطقة بسعة علمهم ورسوخ أقدامهم:

● عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال:

«لقد تركنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما يحرّك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علمًا(٢).

● وعن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال:

«عقلت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألف مثل!!»(٣).

● وعن أبى وائل، قال:

قال عبد الله -رضي الله عنه-:

«لو أن علم عمر -رضي الله عنه- وضع فى كفة، ووضع علم أهل الأرض فى كفّة لرجح علمه بعلمهم!!».

قال الأعمش: فأنكرت ذلك فأتيتُ إبراهيم فذكرته له فقال:

وما أنكرت من ذلك؟ فوالله لقد قال عبد الله أفضل من ذلك، قال:

«إنى لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمر!!»(٤).

● وعن مسروق، قال:

قال عبد الله -أى ابن مسعود-:

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٢١٥٧).

(٢) رواه أحمد فى «المسند» (٥/ ١٥٣).

(٣) رواه أحمد، وقال الهيثمى إسناده حسن. المجمع (٨/ ٢٦٤).

(٤) قال الهيثمى (٩/ ٦٩): رواه الطبرانى بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

«ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيته».

قال مسروق: لقد جالست أصحاب محمد -ﷺ- فوجدتهم كالإخاذ[١]، فالإخاذ يروى الرجل، والإخاذ يروى الرجلين، والإخاذ يروى العشرة والإخاذ يروى المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدتُ عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ[٢].

● وعن أبى وائل، قال:

حججتُ أنا وصاحب لى وابن عباس على الحج فجعل يقرأ سورة النور[٣] ويفسرها فقال صاحبى: يا سبحان الله ماذا يخرج من رأس هذا الرجل؟ لو سمعت هذا الترك لأسلمت![٤].

● وعن علم ابن عباس -أيضًا- يحدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فيقول:

«كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسيب ونائل.

وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله -ﷺ- منه، ولا أعلم بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- منه، ولا أفقه فى رأى منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأيًا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يومًا ما يذكر فيه إلا الفقه، ويومًا التأويل[٥]، ويومًا المغازى، ويومًا الشِّعر، ويومًا أيام العرب. وما رأيت عالمًا قطّ جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قطّ إلا وجد عنده علمًا.

---

(١) الإخاذ: مجتمع الماء.

(٢) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٤/ ١٥٩).

(٣) وفى رواية «سورة البقرة».

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٧)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) التأويل: التفسير.

وأخرج ابن سعد: لما مات ابن عباس قال رافع بن خديج:

«مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب فى العلم.

«آية عند مماته»:

لما مات ابن عباس -رضي الله عنهما- حدثت آية وكرامة دلَّت على علوّ شأنه -رضي الله عنه-، قال سعيد بن جبير:

«مات ابن عباس بالطائف فشهدنا جنازته، فجاء طائر لم يُر على خلْقته حتى دخل فى نعشه، ثم لم يُرَ خارجًا منه، فلما دُفن تُليت هذه الآية على شفير القبر لم يدر من تلاها:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[(١)][(٢)].

قال الإمام الذهبى: «فهذه قضية متواترة»[(٣)].

وكانوا يَرَوْن هذا الطائر أنه عِلْمه -رضي الله عنه-!!.

أخى القارئ:

هؤلاء هم الرجال، فبهداهم اقتده.

ولله دَرُّ القائل:

لا تأخذ العلْمَ إلا عن جَهَابذة ... بالعلم نحيا وبالأرواح نفديه
أمّا ذَوُو الجَهْل فارْغَب عن مَجَالسهم ... قَد ضَلَّ من كانت العُمْيانُ تَهْديه

خشيتهم وخوفهم من ربهم -رضي الله عنهم-:

كان أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- من أخشى الناس لله، وأشدهم خوفًا منه بعد نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، وها هى بعض الأدلة على ما نقول:

(١) سورة الفجر: ٢٨-٣٠.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٨٥) برقم (١٥٥٣٥): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٨).

● **خوف عمر:** كان لعمر -رضي الله عنه- خطان أسودان من كثرة البكاء، وكان -رضي الله عنه- كثير التهجد، شديد الخوف من الله تعالى:

عن عبد الله بن عامر، قال:

رأيتُ عمر أخذ تبنة من الأرض، فقال:

«ليتنى كنت هذه التبنة، ليتنى لم أُخلق، ليت أمّى لم تلدنى، ليتنى لم أكن شيئًا، ليتنى كنتُ نسيًا منسيًا».

وكان -رضي الله عنه- يُصَلِّى من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان بآخر الليل أيقظ أهله، وقال:

الصلاة، الصلاة! ويتلو: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾(١).

وعن أم سلمة -رضي الله عنها-:

أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها، فقال:

يا أمه، قد خفتُ أن يهلكنى مالى، وأنا أكثر قريش مالاً.

قالت: يا بُنى فأنفق، فإنى سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**إن من أصحابى مَنْ لا يرانى بعد أن أُفارقه!!**».

فخرج عبد الرحمن بن عوف، فلقى عمر فأخبره بالذى قالت أُمّ سلمة، فدخل عليها عمر، فقال:

بالله، منهم أنا؟

فقالت: لا ولا أبرئ أحدًا بعدك»(٢).

خوف عثمان بن عفان -رضي الله عنه-:

عن عبد الله بن الرومى، قال:

«بلغنى أن عثمان -رضي الله عنه- قال:

---

(١) سورة طه: ١٣٢.

(٢) قال الهيثمى: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٤٤٤٩).

لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتها يؤمربى، لاخترتُ أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

وكان -رضي الله عنه- إذا وقف على قبر يبكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له:

تذكر الجنة والنار، فلا تبكى، وتذكر القبر فتبكى؟

فقال: إنى سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

قال: وسمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«ما رأيتُ منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»(١).

وقال هانئ، مولاه:

سمعت «عثمان» ينشد على قبر:

فإن تنْجُ منها تَنْجُ من ذِى عظيمةٍ ... وإلاَّ فإنى لا إخالُك ناجيًا

خوف شداد بن أوس -رضي الله عنه-:

أخرج أبو نعيم(٢) عن شداد بن أوس الأنصارى -رضي الله عنه- أنه كان إذا دخل الفراش يتقلّب على فراشه، لا يأتيه النوم، فيقول:

«اللهم إن النار أذهبت منى النوم» فيقوم، فيصلى حتى يصبح.

هكذا كان حالهم وخوفهم مع علوّ كعبهم وعظيم فضلهم.. فماذا عن حالنا؟!

دعونى على نفسى أنوح وأندب ... بدمع غزير واكف يتصبّب

دعونى على نفسى أنُوح فإننى ... أخاف على نفسى الضعيفة تعطب

---

(١) **حسن**: صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٦١).

(٢) الحلية (١/ ٢٦٤).

فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى إلى أين إلجائى إلى أين أهرب
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها وقد مرّ بالميزان والنار تلهب
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى لئن كنت فى قعر الجحيم أُعَذّب

قصة مؤثرة:

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

لما أنزل الله عزّ وجل على نبيه -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(١).

تلاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم على أصحابه، فخرّ فتى مغشيًّا عليه، فوضع النبىّ -صلى الله عليه وسلم- يده على فؤاده، فإذا هو يتحرّك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**يا فتى! قل: لا إله إلا الله**».

فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه:

يا رسول الله أمِن بيننا؟

فقال: «**أو ما سمعتم قوله تعالى:**

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾(٢)»(٣).

أبو هريرة يبكى!:

أخرج ابن سعد عن مسلم بن بشير، قال:

بكى أبو هريرة -رضي الله عنه- فى مرضه، فقيل له:

ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه، ولكنى

(١) سورة التحريم: ٦.
(٢) سورة إبراهيم: ١٤.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥١).

أبكى لبعد سفرى وقلّة زادى، أصبحت فى صعود مهبطه على جنة أو نار، فلا أدرى إلى أيهما يسلك بى!».

خبَّاب يبكى على بسط الدنيا:

عن يحيى بن جعدة، قال:

عاد خبابًا -رضي الله عنه- ناسٌ من أصحاب رسول الله، فقالوا:

أبشر يا أبا عبد الله تَرِد على محمد -صلى الله عليه وسلم- الحوض.

فقال: كيف بهذا؟

وأشار إلى أعلى البيت وأسفله، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إنما يكفى أحدكم كزاد الراكب»(١).

وعند أبى نعيم فى «الحلية»(١/ ١٤٥):

عن طارق بن شهاب، قال:

عاد خبابًا نفر من أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- فقالوا:

أبشر يا أبا عبد الله إخوانك تقدم عليهم غدًا.

قال: فبكى، وقال:

«أما إنه ليس بى جزع ولكنكم ذكرتمونى أقوامًا وسميتم لى إخوانا وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم، وإنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم!!.

هكذا كانوا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاحُ

---

(١) أخرجه أبو يعلى والطبرانى بإسناد جيد.

خوفهم من الرياء -رضي الله عنهم-:

● عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمّر -رضي الله عنه- خرج إلى المسجد فوجد معاذًا عند قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبكى، فقال:

ما يبكيك؟

قال: حديث سمعتُه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة: إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياءِ الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كُلِّ غبراء مظلمة»(١).

● وقال رجل لابن عمر يومًا: يا خير الناس، أو يا ابن خير الناس.

فقال: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكنى عبد من عباد الله، أرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه(٢).

● وعن الحسن، قال:

خرج ابن مسعود -رضي الله عنه- يومًا من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال:

علام تتبعونى؟ فو الله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان. وهكذا يجب أن يكون المسلم يكره مدح المداحين، ولا يريد ثناء المثنين وكما قيل:

كن بخمول النفوس قانع ... لا تطلبْ الذكر فى المجامع
فلن يزال الفتى بخير ... ما لم تُشِر نحوه الأصابع

علاج داء الرياء: قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

«لا يجتمع الإخلاص فى القلب ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت، فإذا حدَّثتك نفُسك بطلب

(١) رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح ولا علّة له. الترغيب (٤٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٠٧).

الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا فى الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح سَهُل عليك الإخلاص فإن قلت: وما الذى يُسهِّل علىّ ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع فيسهّله عليك يقينًا أنه ليس شىء يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئًا سواه، وأما الزهد فى الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضرّ ذمه ويشين إلا الله وحده»(١) ا.هـ

إنفاق أموالهم فى سبيل الله تعالى:

بذل أصحاب النبى -ﷺ- أموالهم فى سبيل رضاء ربهم.. فكان إنفاقهم فى سبيله أحب إليهم من إنفاقهم على أنفسهم وأهليهم!!، وهذه أدلتنا:

١- عن عمر -رضي الله عنه-، قال:

أمرنا رسول الله -ﷺ- يومًا أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندى، فقلتُ: اليوم أسبق أبا بكر -رضي الله عنه- إن سبقته يومًا. فجئت بنصف مالى فقال رسول الله -ﷺ-: **«ما أبقيت لأهلك؟»**.

قلتُ: أبقيتُ لهم.

قال: **«ما أبقيت لهم؟»**.

قلت: مثله.

وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال:

«يا أبا بكر ما أبقيت إلى أهلك؟».

قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢١٨).

قلتُ: لا أسبقه إلى شيء أبدًا(١).

مضى السَّلف الأبرار يَعْبُق ذكرهم فسيروا كما ساروا على البرِّ واصْنعوا

٢- وعن نافع عن ابن عمر: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عزّ وجل. قال:

وربّما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا!!!

قال: وأعطاه ابن عامر مرتين، ثلاثين ألفًا فقال:

يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر، وكان لا يدمن اللحم شهرًا إلا مسافرًا أو في رمضان.

قال: وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مذعة لحم!(٢).

٣- وأخرج الشيخان عن أنس، -رضي الله عنه-، قال:

كان أبو طلحة -رضي الله عنه- أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه (بيرحاء) وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية:

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(٣).

قام أبو طلحة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾. وإن أحب أموالي إليَّ «بيرحاء» وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله!.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح وغيرهما.
(٢) حياة الصحابة (٢/ ٢٧٢).
(٣) سورة آل عمران: ٩٢.

قال: فقال رسول الله -ﷺ-: «**بخ! ذلك مال رابح! ذلك مال رابح!**» وزاد في «صحيح البخاري» بعده:

«**وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه.

٣- «قصة أبي عقيل»:

أخرج الطبراني عن أبي عقيل -رضي الله عنه- أنه بات يجر الجرير[١] على ظهره على صاعين من تمر فانفلت[٢] بأحدهما إلى أهله ينتفعون به، وجاء بالآخر فيتقرب به إلى الله عز جل فأتى به رسول الله -ﷺ- فأخبره، فقال له رسول الله-ﷺ-:

«**انثره في الصدقة**».

فقال فيه المنافقون -وسخروا منه-:

ما كان أغنى هذا أن يتقرّب إلى الله بصاع من تمر!. فأنزل الله عز وجل:

﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾[٣][٤].

ورواه البزار عن أبي سلمة وأبي هريرة -رضي الله عنهما- قالا:

قال رسول الله -ﷺ-: «**تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا**»[٥].

قالا: فجاء عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- فقال:

(١) الجرير: الحَبْل.

(٢) كذا في «حياة الصحابة» والظاهر: فانقلب.

(٣) سورة التوبة: ٧٩.

(٤) قال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه ولا جرحه. المجمع (٧/ ٣٣).

(٥) البعث: السرية.

يا رسول الله عندى أربعة آلاف: ألفان أقرضتهما ربى، وألفان لعيالى.

فقال رسول الله -ﷺ-: «**بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك لك فيما أمسكت**».

وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال:

يا رسول الله إنى أصبت صاعين من تمر: صاع لربى، وصاع لعيالى.

قالا: فلمزه[1] المنافقون، وقالوا:

ما أعطى مثل الذى أعطى ابن عوف إلا رياء -أو قالوا:

لم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا[2]؟ -فأنزل الله:

﴿**الذين يلمزون**﴾ الآية[3].

٤- قصة أبى الدحداح:

عن أنس -رضي الله عنه-: أن رجلاً قال:

يا رسول الله إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطى بها فأمره أن يعطنى حتى أقيم حائطى بها.

فقال النبى -ﷺ-: «**أعطه إياها بنخلة فى الجنة**».

فأبى!!.

قال: فأتاه أبو الدحداح -رضي الله عنه-، فقال:

بعنى نخلتك بحائطى.

قال: ففعل.

فأتى النبى -ﷺ- فقال:

---

(١) لمزه: أى عابه.

(٢) كذا فى «حياة الصحابة» ولعل الصواب: «أن الله ورسوله غنيان عن صاع هذا».

(٣) قال الهيثمى: وفيه عمر بن أبى سلمة، وثقة العجلى، وأبو خيثمة، وابن حبان، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجالهما ثقات.

يا رسول الله ابتعت[١] النخلة بحائطى فاجعلها له فقد أعطيتكها.

فقال: «**كم من عذق[٢] رداح[٣] لأبى الدحداح فى الجنّة**» -قالها مرارًا-.

قال: فأتى امرأته فقال:

يا أم الدحداح اخرجى من الحائط فإنى قد بعتُه بنخلة فى الجنة.

فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها![٤].

٥- قصة رجل من الأنصار:

أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة -رضي الله عنه-، قال:

جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:

إنى مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت:

لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلّهن مثل ذلك:

لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء!

فقال: «**من يضيف هذا الليلة رحمه الله**».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله.

فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شىء؟.

قالت: لا، إلا قوت صبيانى.

قال: فعلّليهم بشىء، فإذا أرادوا العشاء فنوميهم، فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل.

---

(١) ابتاع: بمعنى اشترى.

(٢) العذق: النخلة.

(٣) ردّاح: ثقيل.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد والبغوى والحاكم.

وفى رواية: فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين[١].

فلما أصبح غدا على رسول الله -ﷺ- فقال:

«قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما».

زاد فى رواية: فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢].

حيِّ جيلاً بالمكرمات تناجى — أثلجَ الصدرَ صَحْوُه إثلاجا
حيِّهم مؤمنين أو مؤمنات — حيِّ فيهم للصالحات انتهاجا
حيِّ جيلاً صحا فقرّت عيون — وانتشى الدين فرحة وابتهاجا

صور ومواقف من جهادهم -رضي الله عنهم-:

ضرب الصحابة -رضوان الله عليهم- مثلاً أعلى فى حسن الجهاد فى سبيل الله تعالى.. وإن دلّ ذلك على شىء فإنما يدل على عمق إيمانهم، وإخلاصهم لدينهم، ورغبتهم فيما عند الله عز وجل.

والجهاد فى سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام، فلا غرو إذ رأينا منهم من يقذف بنفسه فى أتون المعركة باحثًا عن الشهادة قبل بحثه عن النصر!!

ولا عجب حين يذكر التاريخ أنهم أخضعوا العالم لسلطان الله فى سنين عددًا، واستطاعوا بقوة إيمانهم بعد عَوْن ربهم أن ينكّسوا أعلام الكفر فى مشارق الأرض ومغاربها!.

وها هو رسول الله -ﷺ- يحرّض المؤمنين على القتال.. ويرغبهم فى عظيم الثواب:

- روى مسلم فى «صحيحه» عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

---

(١) طاويين: جائعين.

(٢) سورة الحشر: ٩.

قال رسول الله -ﷺ-: «تضمّن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهادٌ فى سبيلى، وإيمانٌ بى، وتصديقٌ برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذى نفس محمد بيده ما كَلْمٌ يُكْلَمُ فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم لونه لون الدم، وريحه رِيح مسك، والذى نفس محمد بيده لولا أن أشقَ على المسلمين ما قعدتُ خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعَةً فأحملُهم ولا يجدون سَعَة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذى نفس محمد بيده: لوددْتُ أن أغزو فى سبيل الله فأُقْتَل، ثم أغزو فأُقتَل، ثم أغزو فأُقتَل».

● وعن معاذ بن جبل -ﷺ- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول:

«من قاتل فى سبيل الله فُواق ناقة، فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقًا، ثم مات، أو قُتل، فإن له أجر شهيد، ومن جرح جُرحًا فى سبيل الله، أو نُكِبَ نكْبَةً، فإنها تجيء يوم القيامة كأغْزَرِ ما كانت، لونها لون الزعفران، وريحها رِيح المسك»(١).

● وعن معاذ بن أنس -ﷺ- عن النبى -ﷺ- أن امرأة أتته، فقالت:

يا رسول الله انطلق زوجى غازيًا، وكنتُ أقتدى بصلاته إذا صلّى وبفعله كُلِّه فأخبرنى بعمل يُبْلغُنى عمله حتى يرجع.

قال لها: «أتستطيعين أن تقومى ولا تقعدى، وتصومى ولا تُفْطرى، وتذكرى الله تعالى ولا تَفْتُرى، حتى يرجع؟».

قالت: ما أُطيق هذا يا رسول الله.

فقال: «والذى نفسى بيده: لو أطَقْتِه ما بَلَغْتِ العُشُور من عمله!!»(٢).

---

(١) قال المنذرى: رواه أبو داود والترمذى. وقال: حديث حسن صحيح. الترغيب برقم (١٩٥٦).

(٢) قال المنذرى: رواه أحمد من رواية رُشْدين بن سعد، وهو ثقة عنده، ولا بأس بحديثه فى المتابعات والرقائق. الترغيب برقم (٢٠١١). والعشور: جمع عشره، وهو الواحد من عشرة أجزاء.

● وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ؛

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكي من خشية الله حتى يعود اللَّبن في الضَّرْع، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله وَدُخانُ جهنم»**(١).

● وعن أبي المصبِّح المُقرائي -رضي الله عنه- قال:

بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها «مالك بن عبد الله الخثعمي» إذ مَرّ مالكٌ بجابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- وهو يقود بغلاً له، فقال له مالك: أي أبا عبد الله ارْكب فقد حملك الله؟

فقال جابر: أُصلحُ دابتي وأَسْتغْني عن قومي، وسمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«من اغبرت قدماه في سبيل الله حَرَّمه الله على النار».

فسار حتى إذا كان حيث يسمعُهُ الصَّوْت نادى بأعلى صَوْته:

يا أبا عبد الله اركب فقد حملك الله، فعرف جابر الذي يريد فقال:

أصلح دابتي، وأستغْني عن قومي، وسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«من اغبرّت قدماه في سبيل الله حَرَّمه الله على النار».

فتواثب الناس عن دوابهم، فما رأيتُ يومًا أكثر ما شيًا منه(٢).

● وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«مَنْ رمى بسهم في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة»**(٣).

● وعن مَعْدان بن أبي طلحة -رضي الله عنه- قال:

حاصرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الطائف فسمعته يقول:

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (١٨٨١).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه»، واللفظ له، وانظر: صحيح الترغيب (٦٨٧).

(٣) قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن. الترغيب (١٩٧٥).

«**من بلغ بسَهْم فى سبيل الله فهو له درجةٌ فى الجنة**». قال: فبلغْتُ يومئذٍ ستَّة عشر سهمًا. رواه ابن حبان فى «صحيحه».

جهادُ أبى عمرو الأنصارى:

أتسمع أخى القارئ عن هذا الاسم؟ إنه أحد الأعلام المجاهدين فى سبيل الله، شهد بدرًا وأحدًا.. وشهد قبلهما العقبة!!.

ما قصته؟:

يحكى لنا محمد بن حنفية -رحمه الله تعالى- قصته فيقول:

رأيت أبا عمرو الأنصارىّ -رضي الله عنه-، وكان بدريًّا عقبيًّا أُحُديًّا، وهو صائمٌ يتلوّى من العطش، وهو يقول لغلامه:

ويحْكَ ترِّسنى فترسَّه الغلام حتى نزع بسهم نَزْعًا ضعيفًا، حتى رمى بثلاثة أسهم، ثم قال:

سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**من رمى بسهم فى سبيل الله قصَّر أو بَلَغَ كان له نوراً يوم القيامة**»، فقُتل قبل غروب الشمس -رضي الله عنه-!!. رواه الطبرانى.

أرأيتم الوفاء؟ أرأيتم الإخلاص؟ أرأيتم كيف يفعل الإيمان الحق بالنفوس؟

الشهيد المجهول:

كان أصحاب النبىّ -صلى الله عليه وسلم- من أبعد الناس عن الرياء.. كلّ همهم مرضات ربهم.. تعلّقت هممهم بالملأ الأعلى.. فأداموا النظر للحق بنسيان رؤية الخلق، وهذا هو الإخلاص بعينه.

عن البراء -رضي الله عنه- قال:

أتى النبىَّ -صلى الله عليه وسلم- رجلٌ مقنَّع(١) بالحديد، فقال:

---

(١) مقنّع: أى متغطّ بالحديد، وقيل: على رأسه خوذة.

يا رسول الله أُقاتل أو أُسلم؟

قال: «**أسْلم ثم قاتل**».

فأسلم ثم قاتل فَقُتل! فقال رسول الله -ﷺ-:

«**عَمِل قليلاً، وأُجِر كثيرًا**» رواه البخارى.

وآخر على الطريق:

عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال:

سمعتُ أبى وهو بحضرة العدوّ يقول:

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**».

فقام رجلٌ رثُّ الهيئة، فقال:

يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله -ﷺ- يقول هذا؟

قال: نعم.

فرجع إلى أصحابه فقال:

أقرأ عليكم السلام ثمَّ كسر جَفْن سيفه[1] فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدوّ فضرب به حتى قُتل!. رواه مسلم وغيره.

عميرُ بن الحِمام يَدُقّ أبوابَ الجنة!:

عن أنس -رضي الله عنه- قال:

انطلق رسول الله -ﷺ- وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله -ﷺ-:

«**لا يتقدّمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه**».

فدنا المشركون فقال رسول الله -ﷺ-:

«**قوموا إلى جنة عرضها السمـٰوات والأرض**».

---

(١) جفن السيف: أى قرابه (غمده).

قال عمير بن الحِمام: يا رسول الله: جنةٌ عرضها السمٰوات والأرض؟

قال: «**نعم**».

قال: بخ، بخ[1].

فقال رسول الله -ﷺ-: «**ما يحملك على قَوْلك بَخٍ بَخٍ؟**».

فقال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قال: «**فإنك من أهلها**».

فأخرج تمرات من قَرَنه[2]، فجعل يأكل مِنْهُنَّ، ثم قال:

إن أنا حييتُ حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة. فرمى بما كان معه من التّمْر. ثم قاتلهم حتى قُتل -رضي الله عنه-. رواه مسلم.

عمير بن أبى وقاص: قدوة الشباب المؤمن!:

عن سعد بن أبى وقاص -رضي الله عنه- قال:

رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله -ﷺ- للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت:

ما لك يا أخى؟

فقال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله -ﷺ- فيستصغرنى، فيردّنى، وأنا أُحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة.

قال: فعرض على رسول الله -ﷺ- فاستصغره، فقال:

«**ارجع**».

فبكى عمير، فأجازه رسول الله -ﷺ-.

---

(١) بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير.

(٢) القَرَن: بفتح القاف والراء: هو: جعبة النشاب.

قال سعد: وكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقُتل ببدر، وهو ابن ست عشرة سنة، قتل عمرو بن عبد ودّ(١).

قصة الأعرابى الصادق:

عن شداد بن الهادى -رضي الله عنه- أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فآمن به، واتبعه، ثم قال:

أهاجرُ معك فأوصى به النبى -صلى الله عليه وسلم- بعض أصحابه، فلمّا كانت غُزاته غَنمَ النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فقَسَم وقَسَم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال:

ما هذا؟

قالوا: قَسَمٌ قَسَمَهُ لك النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فأخذه، فجاء به إلى النبى -صلى الله عليه وسلم-.

فقال: ما هذا؟

قال: «**قسمتُهُ لك**».

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى ها هنا، وأشار إلى حَلْقِه بسهم، فأموتُ فأدخل الجنة.

فقال: «**إن تُصْدِقِ الله يصْدُقْك**».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا إلى قتال العدوّ، فأُتى به إلى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- يُحْملُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار!.

فقال النبىُّ -صلى الله عليه وسلم-: «**أَهُوَ هُوَ؟**».

قال: نعم.

قال: «**صدق الله فصدقه**».

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٣/ ١٤١). وعمرو بن عبد ود من فرسان قريش قتله علىٌّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-.

ثم كفّنه النبيُّ -ﷺ- فى جُبَّته التى عليه، ثم قَدَّمه فصلَّى عليه، وكان ممَّا ظهر من صلاته:

«اللهم هذا عبدُك خرج مهاجرًا فى سبيلك، فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك»(١).

• النعمان بن مُقرّن: الشهيد المشتاق:

أخرج الطبرانى (٤/ ٢٤٩): عن معقل بن يسار، أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- شاور الهرمزان(٢)، فقال:

ما ترى أبدأ بفارس، أم بأذربيجان، أم بأصبهان؟

فقال: إن فارس وأذربيجان، : الجناحان، وأصبهان الرأس، فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر، فإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فابدأ بالرأس.

فدخل عمر -رضي الله عنه- المسجد والنعمان بن مقرن -رضي الله عنه- يصلى، فقعد إلى جنبه. فلما قضى صلاته قال:

إنى أريد أن أستعملك.

قال: جابيًا، فلا، ولكن غازيًا.

قال: فأنت غاز.

فوجّهه إلى «أصبهان» فذكر الحديث، وفيه:

فقال المغيرة(٣) للنعمان -رضي الله عنهما-:

يرحمك الله إنه قد أسرع فى الناس، فأحمل.

فقال: والله إنك لذو مناقب، لقد شهدت مع رسول الله -ﷺ- القتال، وكان إذا لم يقاتل أوّل النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر.

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن النسائى (٦٠ - ٦١).

(٢) من قادة الفرس، وقع أسيرًا وأسلم.

(٣) هو: المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-.

قال: ثم قال: إنى هاز لوائى -ثلاث مرات-:

فأمّا الهزة الأولى: فقضى رجل حاجته وتوضأ:

وأما الثانية: فنظر رجل فى سلاحه، وفى شسعه[١] فأصلحه.

وأما الثالثة: فأحملوا ولا يلوين أحدٌ على أحد، وإن قتل النعمان فلا يَلْوِ عليه أحد، فإنى أدعو الله عزّ وجلّ بدعوة، فعزمت على كل امرئ منكم لما أَمّن عليها:

«اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة فى نصر المسلمين، وافتح عليهم»[٢].

وهزّ لواءه أوّل مرة، ثم هزّ الثانية، ثم هزّ الثالثة، ثم شل درعه، ثم حمل فكان أوّل صريع!.

فقال معقل: فأتيتُ عليه، فذكرت عزمته فجعلتُ عليه علمًا، ثم ذهبت.

وكنا إذا قتلنا رجلاً شغل عنّا أصحابه. ووقع «ذو الحاجبين»[٣] عن بغلته، فانشق بطنه، فهزمهم الله.

ثم جئت إلى النعمان ومعى إداوة فيها ماء، فغسلتُ عن وجهه التراب.

فقال: من أنت؟

قلت: معقل بن يسار.

قال: ما فعل الناس؟

فقلت: فتح الله عليهم.

قال: الحمد لله! اكتبو بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه!!.

وكان ذلك فى وقعة «نهاوند» -رضي الله عنه-.

---

(١) الشسع: النعل.

(٢) وفى رواية أنه دعا: «اللهم إنى أسألك أن تقرّ عينى اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام، وذلّ يذلّ به الكفار؛ ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة. أمِّنوا -يرحمكم الله-! فأمّنا وبكينا.

(٣) قائد العدوّ.

قلت: هكذا كان الجهاد الإسلامى: استعداد للقتال بالوضوء!! ثم تشمير لقتال الأعداء، ثم طاعة للأمير، ثم نية صادقة فى الاستشهاد تسبق كل ذلك، ثم يأتى النصر بإذن الله.

يا قوم قد بان الطريق فهل تُرى
أزف الرحيل إلى ذرى أمجادى
أدُّو الأمانة قبل ألا تملكوا
إلا البكاء وحرقة الأكباد
وتوغّلوا فى كل درب نافع
لا تتركوا الميدان للأوغاد
ربُّوا النفوس على الثبات سجيةً
عند الحوادث فالخطوب غوادى
وتريّثوا فالنصر ليس بخطبة
تُلْقى وليس بوفرة الأَعداد
ما قلّة الأَعداد نشكوا إنما
تشكو الكتائبُ قلّة الإعداد
تأتى البشائرُ بعد طول مشقة
كالغَيْثً بعد البَرْق والإرْعَادِ(١)

• أبو عقيل: يحارب بيد واحدة!!:

إنها حقًّا عزائم تفلّ الحديد.. وإخلاص يهزّ الجبال.. وإيمان يحرك السمٰوات!!.

---

(١) من كتاب «غرْقى فمن ينقذهم» لعبد المحسن بن عبد الرحمن، تقديم الشيخ على القرنى ص٥٨.

أخرج ابن سعد(١) عن جعفر بن عبد الله الهمدانى -رضي الله عنه-، قال:

لما كان يوم اليمامة كان أول الناس جرح «أبو عقيل الأنيفى» -رضي الله عنه- رمى بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فشطب فى غير مقتل، فأخرج السهم -ووهن له شقه الأيسر- لما كان فيه، وهذا أول النهار وجرّ إلى الرحل(٢).

فلما حمى القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جُرْحه، سمع «معن بن عدى» -رضي الله عنه- يصيح بالأنصار.

اللهَ اللهَ الكرّة على عدوّكم، وأعنق معن(٣) يقدم القوم، وذلك حين صاحت الأنصار: أخلصونا! أخلصونا! فأخلَصُوا رجلاً رجلاً يميزون.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: فنهض أبو عقيل يريد قومه!! فقلت:

ما تريد يا أبا عقيل؟ ما فيك قتال؟

قال: قَدْ نوَّه المنادى باسمى.

قال ابن عمر: فقلت: إنما يقول: يا للأنصار! لا يعنى الجرحى.

قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبوًا.

قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجردًا، ثم جعل ينادى: ياللأنصار كرّة كيوم حنين، فاجتمعوا -رحمهم الله- جميعًا يقدمون المسلمين دربة(٤) دون عدوّهم حتى اقتحموا عدوّهم الحديقة، فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبى عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت على الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدوّ الله مسيلمة(٥).

---

(١) الطبقات (٣/ ٣٧٤).

(٢) الرحل: المنزل والخيمة.

(٣) أعنق معن: أسرع معن.

(٤) دربة: بضم الدال وسكون الراء وفتح الباء: جراءة وشجاعة.

(٥) كانت وقعة اليمامة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، وبين بنى حنيفة بقيادة مسيلمة الكذاب.

قال ابن عمر: فوقعتُ على أبى عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل:

فقال: لبيك -بلسان ملتاث-(١)! لمن الدبرة؟

قال: قلتُ: أبشر ورفعتُ صوتى: قد قُتل عدوّ الله، فرفع أصبعه إلى السماء يحمد الله ومات -يرحمه الله-.

قال ابن عمر: فأخبرتُ عمر -رضي الله عنهما- بعد أن قدمتُ خبره كلّه، فقال:

-رحمه الله- ما زال يسأل الشهادة ويطلبها وإن كان ما علمتُ من خير أصحاب نبينا -صلى الله عليه وسلم- وقديم إسلام.

أخى القارئ:

كانت هذه شجاعة أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم-، وكانت هذه أخلاقهم فماذا يقول أعداؤهم؟

يا فتية الإسلام هذا يومكم	**هيا بأخلاق النبىّ تخلّقوا**
فكّوا الحجاب عن العيون فباطلٌ	**ما يدّعيه مغربٌ ومشرقٌ**
عجبًا أيسكتُ ذو الفضيلة والهُدْى	**وأخو المفاسد بالخنا يَتَشَدَّقُ**

• عمر بن الخطاب يفتح بيت المقدس:

فى سنة (١٥هـ) شخص عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى بيت المقدس وفتحه وانتزعه من أيدى «الرومان» التى كانت تعدّ حينئذ من أَعْتى دول الكفر فى العالم.

يقول الشيخ محمد الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«دخل المسلمون بيت المقدس فى الشروق الإسلامى الأول، كانت العاصمة العتيقة فى أيدى الرومان، وكان دخولها محرمًا على اليهود، وأقبل أمير المؤمنين عمر من جوف الصحراء يتألق جبينه بشعاع الوحى الخاتم.

---

(١) لسان ملتاث: لا يستطيع النطق ولا يحسنه.

قال التاريخ: كان التواضع المذهل يكسو موكبه، وكان الرجل الذى قوّض صرح الدولتين العظيمتين(١) فى العالم يتحرك مطرق الطرف خاشعًا لله، فوق رحل رث وبين حاشية مستكينة، يقول بصوت رهيب:

«كنا نحن العرب أذلّ الناس حتى أعزّنا الله بالإسلام، فمهما ابْتَغَيْنا العزة غيره أذلنا الله».

ولم يقل عمر: الويل للمغلوب! بل أمَّنَ النصارى على كنيستهم وقرر حرية العبادة، ثم شرع يرسى قواعد الدولة الجديدة على التقوى والعدالة والمرحمة، شرف العروبة فى هذه الدولة ذوبانها فى إعلاء كلمة الله... !!»(٢).

وظل البيت المقدس فى ظل المسلمين.. إلى أن وهنت قوتهم.. وانهزمت عافية الإيمان فى قلوبهم.. فأخذه الصليبيون من أيديهم.. وتقلّص ظلّ المسلمين عنه!!

ومرت الأيام.. ودارت عجلة الزمن.. وذات يوم أرسل شابّ من أهل دمشق -كان مأسورًا ببيت المقدس- رقعة إلى صلاح الدين الأيوبى -رحمه الله- فيها هذه الأبيات:

يا أيها الملكُ الذى ... لمعالم الصُّلْبان نَكَّسْ
جاءَتْ إليك ظُلامةٌ ... تسعى من البيت المُقْدَّسْ
كلُّ المساجد طُهِّرتْ ... وأنا على شَرَفى مُنَجَّسْ

فحمل صلاح الدين على الصليبيين واسترده من بين أيديهم وعاد إلى أحضان المسلمين مرة ثانية، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات.

وظل البيت المقدس تحت أيدى المسلمين، حتى جاءت هذه الأيام النحسات، فإذا ناس من العرب ينسون «عمر» و«صلاح الدين» والإسلام،

(١) هى: فارس والروم.
(٢) هموم داعية (٣٢ - ٣٣).

والتاريخ كله، ويقولون: نحن أبناء كنعان!! مسحورين بالاستعمار العالمى الذى ألغى الدين وجعل مكانه الوطنية أو القومية!!

وبقى أن يقول العرب فى جنوب الجزيرة: نحن أبناء «عاد»، وأن يقول العرب فى شمال الجزيرة: ونحن أبناء ثمود!.

وانقض اليهود على حرمات الأقصى والمسلمين فانتهكوها وانتهبوها، وها هو المسجد الأقصى إلى اليوم يئن تحت وطأة اليهود ويستصرخ المسلمين لإنقاذه.

«وفى الوقت الذى يتعرّى العربُ فيه عن دينهم ويحيون مكشوفى السوأة، يتسربل اليهود بعقيدتهم ويصرخون بحماس هائل نحن أبناء التوراة، وأولاد الأنبياء، نحن بنو إسرائيل..!!»(١).

فمن للأقصى اليوم؟!:

فاضت شجونى حين حَلّ الموعدُ ... يا مسجدًا أسْرى إليه محمدُ
كم من سنين وقد مضت يا أمَّتى ... والمسجد الأقصى بنا يَسْتنجد
أن الجريح.. وما يزال أنينه ... أصداؤه فى قلبنا تتردّد
يبكى.. ينادينا.. هَلُمِّى أُمَّتى ... إن اليهود لسَهْمهم قد سدّدوا
كم حاولوا حَرْقى وهَدْمى غيلة ... محْرابُ طه -بعد ربى- شاهدُ
كم قَتّلوا فى ساحتى من أَنْجُم ... كَم ذبّحوا وَرْدًا هنا يَتَعَبَّدُ
لكننى.. رغم العداوة كلّهاً ... فى ساحتى طيرٌ شجاع سَاجدُ
يدعو.. إلهى إن قومى نُوّم ... والعار فى أحوالهم يتجَسَّدُ
والقدس تشكو من قُرودٍ أفسدوا ... من كل أخلاق العباد تجرَّدوا
قد دمَّروا كل البلاد.. وأحرقوا ... كلّ الحصاد.. وصخرتى قد هَوّدوا
لكن صوتى سوف يبقى مُزْعجًا ... للبوم، حتى عن بلادى يبعدوا
إنى وأطيارى تجمَّعنا هنا ... فى ساحة الأقصى نقوم ونَسْجدُ

---

(١) هموم داعية (٣٣).

الاعـــتـــصـــام بربنا دربٌ لـنا … وبنور آيات الـهُـدَى نَسْتَـرْشِـد
والله أكـبـر حين نرفـعـهـا مـعًـا … فى كـل أذان يحنّ المسـجـد

• • •

إنى أرى الطَّيـرَ الذى فى ساحتى … روح الجـهـاد بكفّه تتجـسـدُ
رغم الهـوان أراه حُـرًّا واثقًـا … للنور فى قَلْب الظلام -يُغَـرِّد
قـد عـاهد الرحـمن أن يحـيا هنا … حـتى يضمّ النـور أو يستـشـهـد
يا قـوم.. هلاَّ تقـتـدون بطيـركم … يا ليت بـالطيـر المرابط تقْتـدوا
يا قـوم هُـبُّـوا إن جُـرْحى غـائر … أمٌّ.. وأختٌ.. وابنـةٌ تُسـتـنـجـد
يا قـــوم هبــوا إننى مـتـلطِّخ … بالعـار.. هُبُّـوا حـرّرونى وانجـدوا
ما هب قومى حـين دوت صرختى … كى يستـردّوا سـاحـتى وتردّدوا
لكـنهم زفّـــوا إلـى تلك الـدنى … وعلى التنعم فى الحـيـاة تعـوّدوا
يا ليـتهم سـاروا على مَجْـد الأُلَى … أو لاح فـيـهم مـصـعبٌ أو خـالدُ

• • •

فى ليلة الإسـراء.. والذكرى بكت … مـحـراب طه.. ثم صاح المسجـد
كـانت صـفوف الأنبـيـاء تنيـرنى … و«مـحـمـد» فى قلب قلبى ساجـد
أين الصفـوف؟ وأين جندُ محـمد … أين الضيـاء؟.. وأين أين القائد؟!
إنى أقـــول بـأننـى هذا الـذى … صلى بقـلبى الأنبـيـاء وأحـمـد
لكننـى.. مـهـمـا يكيـد الكائد … أنا صامدٌ.. يا قومنا.. أنا صامد(١)

وبعد هذا العـرض السريع لصـفحات من جـهاد الصـحابة -رضي الله عنهم-.. يتضح لنا مدى الجـهد الذى بذلوه.. نسأل الله التوفيق لاتبـاعهم وأن يجعلنا من أتباعهم.

الحق الثانى: الكفّ عمَّا شَجَر بينهم:

زلّت أقدام وأقـلام كثير ممَّن كـتبوا عن الخلاف الذى دار بين أصـحاب

(١) قصـيدة للشـاعر: نجـاح عبـد القادر سـرور. بعنوان «صرخـة الأقصى». مـجلة الأزهر (١١٩٠، ١١٩١).

النبىّ -ﷺ-.. وضلّت أفهام كثير منهم.. وأعان على ذلك بعض أعداء الإسلام الذين دسّوا معلومات مزوّرة.. بقصد تهميش دورهم، والتقليل من شأنهم.. وتقليص ظلّهم.. فسمعنا من المسلمين من يَسُبّ «معاوية بن أبى سفيان» -رضي الله عنه-، ويشتم «عمرو بن العاص» -رضي الله عنه- وغيرهما من أصحاب الرسول -ﷺ- الكرام.. وصمّوا آذانهم عن تحذير نبيهم.. وأعموا أبصارهم عن مشوار جهادهم.. وبذلهم لأموالهم فى سبيل إعزاز الدين والتمكين له!! حقًّا:

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١).

أحاديث تُحذّر من سَبِّ أصحاب النبى -ﷺ-:

وإليك أخى القارئ بعض الأحاديث الثابتة التى جاءت تحذر من سب الصحابة -رضي الله عنهم- والانتقاص منهم:

١- عن أبى سعيد -رضي الله عنه-، قال:

قال النبىّ -ﷺ-: **«لا تسبُّوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه»**(٢).

٢- وروى البخارى فى «صحيحه»: أن رسول الله -ﷺ- قال:

«قال الله تعالى: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب».

٣- وقال رسول الله -ﷺ-:

«إن الله اختارنى، واختار لى أصحابًا، فجعل لى منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»(٣).

٤- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

---

(١) سورة الحج: ٤٦.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٦٣٢)، وقال: صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبى.

قال أناس من أصحاب رسول الله -ﷺ-: إنا نسب! فقال رسول الله -ﷺ-: **«من سبّ أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**(١).

٥- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: **«إذا ذُكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القَدَر فأَمْسكوا»**(٢).

قال العلماء -فى شرح الحديث-:

«معناه من فحص عن سرّ القدر فى الخلق، وهو: أى الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعّالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مُشْرك، وكذلك مَنْ ذمّ أصحاب رسول الله -ﷺ- بشىء وتتبع عثراتهم وذكر عيبًا وأضافه إليهم كان منافقًا، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله، وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحبّ من يأخذ بهديه ويعمل بسنته، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه، وخدّامه، وحب من يحبهم، وبغض من يبغضهم، لأن: «أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله»(٣).

قال أيوب السختيانى -رحمه الله تعالى-:

«من أحب أبا بكر، فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر، فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان، فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًّا، فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله -ﷺ- برئ من النفاق»(٤).

معاوية بن أبى سفيان فى الميزان:

معاوية بن أبى سفيان -رضي الله عنه- هو الصحابى الذى نال قسطًا وافرًا من

(١) **حسن**: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس، ورمز له السيوطى بالحسن (الجامع الصغير).

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى بإسناد حسن، وحسنه السيوطى. الجامع الكبير (١/ ٥٨).

(٣)، (٤) الكبائر للذهبى (٢٨٠).

الانتقاص، والكثير يشير إليه بأصابع الاتهام!! مع أن تاريخه -رضي الله عنه- حافل بالعطاء.. وصحّت أحاديث فى فضله، وأثنى عليه النبى -صلى الله عليه وسلم- ومن بعدهم، ولم يُذكر أن أحدًا من أهل العلم طعن فى دينه أو شك فى فضله:

ومن الأحاديث التى شهدت له بالفضل:

١- عن عبد الرحمن بن أبى عميرة.، وكان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لمعاوية:

«اللهم اجْعَلْه هاديًا مَهْديًّا واهْد به»(١).

٢- وعن أبى إدريس الخولانى قال:

لما عزل عمر بن الخطاب، عمير بن سعد عن حِمْص، ولى معاوية فقال الناس: عزل عُميرًا وولى معاوية؟!.

فقال عمير: لا تذكر معاوية إلا بخير، فإنى سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«اللهم اهد به»(٢).

ثناء الصحابة عليه:

١- عن علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-، قال:

«لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تند عن كواهلها»(٣).

٢- وعن كُريب مولى ابن عباس: أنه رأى معاوية صلّى العشاء، ثم أوتر بركعة واحدة لم يزد، فأخبر ابن عباس، فقال:

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٣٠١٨).

(٢) صحيح سنن الترمذى (٣٠١٩)، وقال الألبانى: صحيح بما قبله.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبى (٢/٣٧٨).

«أصاب، أى بُنىّ! ليس أحدٌ منا أعلم من معاوية، هى واحدة، أو خمس، أو سبع أو أكثر»(١).

دفاع العلماء عنه:

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- فى ترجمته لمعاوية -رضي الله عنه-:

«. . . ثم كان بينه -أى معاوية-، وبين علىّ بعد مقتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأى، فجرى بينهما قتال عظيم(٢) . . . وكان الحق والصواب مع علىّ، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين، كما ثبت فى الحديث «الصحيح»:

«تمرق مارقة على خير فرقة المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق».

فكانت المارقة «الخوارج»، وقتلهم علىٌّ وأصحابه، ثم قُتل علىٌّ، فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين، وكان يغزو الروم فى كل سنة مَرْتين، مرة فى الصيف، ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس، وحجّ هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين: وفيها أو فى التى بعدها أغزاه بلاد الروم. . . فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت فى «الصحيح»:

«أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»(٣).

● **وقال الحافظ الذهبى** -رحمه الله تعالى- فى ترجمته:

«قلت: حسبُك بمن يؤمِّره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر، فيضبطه، ويقوم به أتمّ قيام، ويُرضى الناس بسخائه وحلْمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيرُهُ مَن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجلُ ساد، وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلْمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه.

---

(١) **رجاله ثقات**: وانظر مسند الشافعى (١/ ١٠٨). وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٢).

(٢) كان ذلك فى موقعة «صفّين».

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٦٢٩ - ٦٣٠).

وله هنات وأمور، والله الموعد.

وكان محببًا إلى رعيته. عمل على نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجهُ أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك»(١).

وفى موطن آخر، قال:

«ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلُهم على ظلمهم، وما هو ببرئ من الَهَنات، والله يعفو عنه»(٢).

● **وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية:** عمَّن يلْعن معاوية فماذا يجب عليه؟.

فأجاب:

«الحمد لله، ومن لعن أحدًا من أصحاب النبى -ﷺ-، كمعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما... فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازع العلماء: هل يعاقب بالقتل أو ما دون القتل؟(٣).

● **رأى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-:**

عن الفضل بن زياد، قال:

سمعتُ أبا عبد الله -أى أحمد بن حنبل- يُسْئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟.

فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

(٢) نفس المرجع (٣/ ١٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧ - ٣٨) ط. دار الوفاء.

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٦٤٤).

«رأى عُلماء الإسلام فيمن يَسُبّ أصحاب النبى -ﷺ-»

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ما مختصره:

«فأما من سَبّ أحدًا من أصحاب رسول الله -ﷺ- من أهل بيته وغيرهم- فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضربًا نكالاً، وتوقف عن قتله وكفره.

قال أبو طالب: سألت أحمد عمّن شتم أصحاب النبى -ﷺ-، قال:

«القتل أجبُن عنه، ولكن أضربه ضرْبًا نكالاً».

وقال عبد الله: سألت أبى عمّن شتم أصحاب النبى -ﷺ-، قال:

«أرى أن يُضرب».

قلتُ له: حَدّ؟ فلم يقف على الحد، إلا أنه قال:

«يُضرب»، وقال:

«وما أراه على الإسلام».

وقال فى الرسالة التى رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الاصْطَخَرِى وغيره:

«وخير هذه الأمة بعد النبى -ﷺ- أبو بكر، وعمر بعد أبى بكر، وعثمان بعد عمر، وعلى بعد عثمان، ووقف قوم، وهم خلفاء راشدون مهديّون، ثم أصحاب رسول الله -ﷺ- بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلّده فى الحبس حتى يموت أو يراجع».

وقال الميمونى:

سمعت أحمد يقول: ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية، وقال لى:

يا أبا الحسن إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله -ﷺ- بسوء فاتهمه على الإسلام.

وقال إسحاق بن رَاهَوَيْه:

من شتم أصحاب النبى-ﷺ- يعاقب ويحبس.

وهذا قول كثير من أصحابنا، منهم ابن أبى موسى، قال:

«ومن سبّ السلف من الروافض فليس بكفؤ ولا يزوّج، ومن رمى عائشة -رضي الله عنها- بما برأها الله منه فقد مَرَق من الدين، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة، إلا أن يتوب ويظهر توبته، وهذا فى الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحوال وغيرهما من التابعين».

وقال إبراهيم بن ميسرة:

«ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط، إلا رجلاً شتم معاوية فضربه أسواطًا».

وقال مالك -رحمه الله تعالى-:

«من شتم النبىّ -ﷺ- قُتل، ومن سبّ أصحابه أُدّب».

وقال القاضى أبو يعلى:

«الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة: إن كان مُستحلاً لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر».

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سَبّ الصحابة وكفر الرافضة.

قال محمد بن يوسف الفِرْيابى، وسئل عمن شتم أبا بكر، قال:

كافر.

قيل: فيصلى عليه؟

قال: لا.

وسأل: كيف يصنع به وهو يقول: «لا إله إلا الله»؟

قال: لا تمسُّوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه فى حفرته!![١]

ا.هـ

الحق الثالث: الدفاع عنهم والذود عن أعراضهم:

لا يكاد اليوم صحابى من أصحاب الرسول -ﷺ- ومسلم من ألسنة الطاعنين من أعداء الملة المأجورين، وردّ سهام هؤلاء إلى نحورهم من فروض الدين، فالله تعالى حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرّمًا.

وجاءت الأحاديث تحضّ على الدفاع عن عرض المسلمين، والذود عن حرماتهم، منها:

١- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: **«لا يقفن أحدكم موقفًا يُقْتل فيه رجلٌ ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على كلّ من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم مَوْقفًا يُضْرب فيه رجلٌ ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»**[٢].

فإذا كانت اللعنة تنزل على من شاهد مضروبًا لأنه لم يدفع عنه الأذى! فكيف بمن يسمع من يسب أصحاب النبىّ -ﷺ- ويأكل لحومهم، ويفرى فى أعراضهم، ولا ينبس ببنت شفة، ولا تتحرك فيه شعره؟!، بل أحيانًا يداهن ويجامل!.

٢- عن جابر وأبى طلحة -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«ما من مسلم يخذُلُ مُسْلمًا فى موضِع تُنتهك فيه حُرْمته، ويُنْتقصُ فيه من عِرْضه إلا خذله الله فى موطن يحبّ فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا فى موضِع يُنتقص فيه من عِرْضه وينتهك فيه من حُرْمته إلا نصره الله فى موطن يُحبّ فيه نُصْرتَه» رواه أبو داود.

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٦٧ - ٥٧٠) بتصرف.

(٢) قال المنذرى: رواه الطبرانى والبيهقى بإسناد حسن. الترغيب (٣٦٢٤).

٣- وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من حمى مؤمنًا من منافق أراه قال: بعث الله مَلَكًا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مُسْلمًا يريد به شيْنه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**»(١).

وعلى ما تقدم فلابد من ردّ غيبة أصحاب النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، والذَوْد عن أعراضهم، وإجلال مقامهم، وإعلاء شأنهم، فأصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- ليسوا من دهماء الخلق ولا سقط المتاع، إنهم أشرف أصحاب احتفّوا بنبى أرسله الله من بدء الخليقة إلى انتهاء الوحى..

إنهم امتداد لكيان محمد -صلى الله عليه وسلم- الروحى، ومجلى لإعجازه التاريخى، حملوا معه العبء وأحسنوا البلاغ وكافحوا المظالم الراسية على الثرى قرونًا طويلة، وصانوا التراث السماوى على حين بادت مواريث أخرى وشأنها التحريف والتشويه... ثم هم هادمو الطواغيت فى المشارق والمغارب وناقلو الوحى من صحراء الجزيرة إلى أودية الحضارات، أى أنهم المنفذون العمليون لعالمية الرسالة والدعائم المستخيفة تحت طباق الوجود الإسلامى الحاضر!!

إنهم جزء من حياة محمد -صلى الله عليه وسلم- نفسه، فالنيل منهم نيل منه، والاستخفاف بهم استخفاف به -نستعيذ بالله-.

ومع هدم السلف، وضياع كرامة الصحابة يبقى الإسلام بلا قاعدة يعتمد عليها، وبلا تاريخ يحدد مساره.

يقول الشيخ الغزالى -رحمه الله تعالى- مدافعًا عن سلفنا الصالح:

«الواقع أن الحزن خامرنى وأنا أرى التافهين يخاطبون السابقين الأولين بهذا الأسلوب الفاجر، وإذا كان القادة الفاتحون يعاملون بهذا التهجم والاستهانة فهل يبقى للأمم تاريخ؟

---

(١) حسن: صحيح سنن أبى داود (٨٦-٤).

إن نبيّنا -صلوات الله وسلامه عليه- استبعد من جماعة المسلمين مَنْ فقد الأدب مع الكبار وتعمّد خدش أقدارهم فقال:

«**ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه**».

إننى أقول ذلك لأنى لاحظت نابتة من الغوغاء تتّبع الأعلام من رجالنا، بدءًا من العصر الأول إلى هذا العصر فلا ترى سنى إلا ردَمته، ولا غلطة إلا كبرّتها ألف مرة!

لمصلحة من يتم هذا الجَوْر؟

لحساب مَنْ تبدو أمتنا هزيلة فى عالم يحاول فيه النحاف أن يَسْمَنوا؟»[١].

عن أبى راكة، قال:

صليتُ مع علىّ -رضي الله عنه- صلاة الفجر، فلما انفتل[٢] عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رُمح صلّى ركعتين، ثم قلب يده، فقال:

«والله لقد رأيت أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا، وغُبْرًا، بين أعينهم كأمثال رُكَب المعْزى قد باتوا لله سُجَّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأَقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا[٣] كما يميد الشجر فى يوم الريح، وَهَمَلَت[٤] أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله فكأن القوم[٥] قد باتوا غافلين»[٦]، ثم نهض فما رُئى بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق»[٧].

(١) الحق المر ص ١١٦، ١١٧ باختصار.
(٢) انفتل: انصرف.
(٣) مادوا: تحركوا.
(٤) هملت: أرخت بالبكاء.
(٥) يقصد أصحابه الذين صلوا خلفه ذلك اليوم.
(٦) قال هذا عن قوم كانوا من خير القرون، فماذا لو رأى حال أهل زماننا؟!!.
(٧) حياة الصحابة (١/ ٢٣).

ويصف الحسن البصرى أحوال الصحابة -رضي الله عنهم-، فيقول:

«والله لقد أدركت أقواماً وصحبتُ طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شىء منها أدبر، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوَ له ثَوْب قطّ، ولا نُصب له قدْر، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل، فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربّهم فى فكاك رقابهم، وكانوا إذا عملوا حسنة، دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة، أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا على ذلك، فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم فى أجل منفوص، وعمل محفوظ، والموت والله فى رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة»(١).

ولله درّ ابن القيم -رحمه الله- عندما قال:

قل لى متى سلم الرسول وصحبه
والتابعون لهم على الإحسان
من جاهلٍ ومعاند ومنافق
ومحاربٍ بالبغى والطغيان
وتظن أنك وارثًا لهم وما
نُلْتَ الأذى فى نُصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حقّ جهاده
فى الله لا بيد ولا بلسان(٢)

---

(١) الزهد للحسن البصرى ص ٣٠.

(٢) من نونية ابن القيم -رحمه الله.

الحق السابع عشر:

حـــق العلمـــاء

الحق السابع عشر:

حق العلماء

مكانة العلماء وفضلهم:

إن مكانة العلماء فى الإسلام مكانة عالية وغالية، فلقد رفع الإسلامُ شأنهم، وأعلى قدرهم، وصان حقهم، نطقت بذلك آيات القرآن، والأحاديث، والآثار:

● **فمن الآيات:**

١- قوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(١).

فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلاً وجلاء ونبلاً.

٢- وقال الله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٢).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام!.

٣- وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٣).

٤- وقال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

وأولو الأمر -كما يقول أهل العلم-: هم العلماء.

وقال بعض المفسِّرين: أولو الأمر: الأمراء والعلماء.

والآيات فى هذا المقام كثيرة، وفيما ذكرنا الكفاية والحمد لله.

● ومن الأحاديث:

١- قوله -ﷺ-: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين**»(٢).

قال ابن المُنيِّر: «من لم يفقّهه الله فى الدين فلم يُرد به خيرًا».

٢- وعن أبى الدرداء -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر. العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورِّثوا درهمًا ولا دينارًا، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذ به، فقد أخذ بحظ وافر**»(٣).

٣- وعن أبى أمامة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى**»(٤).

● ومن الآثار:

١- عن كُميْل بن زياد، قال:

أخذ على بن أبى طالب بيدى، فأخرجنى إلى ناحية الجبَّان(٥)، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس، ثم قال:

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) رواه البخارى.

(٣) صحيح: صحيح سنن ابن ماجه (١٨٢).

(٤) قال الحافظ العراقى: أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال: حسن صحيح. الإحياء (٦/١).

(٥) الجبّان: المقابر.

«يا كُمَيل بن زياد: القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك الناس ثلاثة:

فعالم ربانى.

ومتعلّم على سبيل النجاة.

وهَمَج رِعَاع اتباع كُلِّ ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق

العلم خير من الماء، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو[1] على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها.

العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وضيعة المال تزول بزواله.

مات خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة، هاه، إن هاهنا -وأشار بيده إلى صدره- علمًا لو أصبتُ له حملة!! بلى أصبته لقنًا غير مأمون عليه:

يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه، يقتدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة، لاذا ولا ذاك.

أو مفهوم باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، وليسا من دعاة الدين.

أقرب شبهًا بهما من الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهّم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدّوها إلى نظرائهم، ويزرعونها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعرمنه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون.

---

(١) يزكو: ينمو.

صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء الله فى بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه، هاه شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لى ولك، إذا شئت فَقُم»(١).

٢- ومن أقواله -رضي الله عنه-:

مـا الفخـر إلا لأهل العلم إنهم	**على الهدى لمن استهدى أدلاءُ**
وقدر كل امرئ مـا كان يحسنه	**والجـاهلون لأهل العلم أعـداءُ**
فـفـز بعلم تـعش حَـيّـا به أبدا	**الناسُ مَوْتى وأهلُ العلم أحياءُ**

٣- وسئل ابن المبارك: من الناس؟

فقال: العلماء.

قيل: فمن الملوك؟

قال: الزهاد.

قيل: فمن السِّفْلة؟

قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين.

٤- وقال فتح الموصلى -رحمه الله-:

«أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟

قالوا: بلى.

قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت!».

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى- مُعَلِّقًا-:

«ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به، إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه، وكما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعًا، فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٩ - ٨٠).

وتحسر تحسرًا عظيمًا ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السُّكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»(١) ا.هـ.

٥- وقال الحسن -رحمه الله تعالى-:

«يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء».

٦- ومن وصايا لقمان لولده:

«يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء».

٧- وقال الحسن -رحمه الله-:

«كانوا يقولون: موت العالم ثُلْمة فى الإسلام لا يسدّها شىء ما اختلف الليلُ والنهار».

٨- وقال الأوزاعى -رحمه الله-:

«الناس عندنا أهل العلم، ومن سواهم فلا شىء!».

٩- وقال يحيى بن معاذ الرازى -رحمه الله-:

«العلماء أرحم بأمة محمد -ﷺ- من آبائهم وأمهاتهم.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة»(٢).

من هذه النصوص الكريمة، ثم من هذه الأقوال المأثورة، تتبين لنا المكانة العظيمة، والدرجة العالية، التى يتمتع بها علماء الأمة، ومن هنا وجب أن يوفيهم الناس حقهم من التعظيم والتقدير، والإجلال وحفظ الحرمات.

---

(١) الإحياء (١/٨).

(٢) الإحياء (١/١١).

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾(١).

ويقول جل وعلا: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٢).

والشعيرة -كما قال العلماء-:

«كلُّ ما أذن الله وأشَعَرَ بفضله وتعظيمه».

والعلماء -بلا ريب- يدخلون دخولاً أوَّليًا فيما أَذِن الله وأشعر بفضله وتعظيمه، بدلالة النصوص الكريمة السالفة الإيراد.

أخي القارئ:

وبعد هذا التمهيد: نشرع فى بيان المقصود، والله المستعان:

حَقُّ العلماء:

حقوق العلماء علينا كثيرة نذكر منها:

الحق الأول: أن نحفظ مكانتهم، ونتأدب معهم:

إن فى معاملة السلف لعلمائهم لقدوة لنا، يجب الاقتداء بها، وإن فيما سطروه من بيان لآداب طالب العلم لنوراً، ينبغى لشداة العلم أن يستنيروا به فى طريق الطلب:

● قال الشَّعْبى -رحمه الله-:

صلى زيدُ بن ثابت على جنازة ثم قُـرِّبتْ له بغلةٌ ليـركبـها، فجـاء ابن عبَّاس فأخذ بركابه، فقال له زيد:

خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله -ﷺ-.

فقال ابن عباس: هكذا يُفعْل بالعلماء!»(٣).

---

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) سورة الحج: ٣٢.

(٣) أخرجه الطبرانى والبيهقى فى «المدخل» والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم. العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٥٠).

● وعن أيوب، قال:

«كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاثَ سنين، فلا يسأله عن شيء هَيْبَة له».

● وعن إسحاق الشهيدى، قال:

«كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر، ثم يستند إلى أصل منارة المسجد، فيقف بين يديه: علىُّ بن المدينى، والشاذكونى، وعمرو بن على، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن مَعين، وغيرهم، يسألونه عن الحديث -وهم قيام على أرجلهم- إلى أن تحين صلاة المغرب. لا يقول لواحدٍ منهم: اجْلس، ولا يجلسون هَيْبَة له وإعظامًا.

● وعن الغلابى، قال:

قال ابن الخياط يمدح مالك بن أنس:

يَدَعُ الجوابَ فلا يُراجَعُ هَيْبةً ... والسائلون نَوَاكسُ الأَذْقانِ

نورُ الوقار وعزُّ السلطان التُّقى ... فهو المهَيبُ وليس ذا سلطانِ

● وعن عبد الرحمن بن حَرْملة الأسلمى، قال:

ما كان إنسانٌ يجترئ على سعيد بن المسيبّ يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يُسْتأذن الأمير!.

● وقال أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- لخلف الأحمر -رحمه الله-:

«لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه».

«فعلى طالب العلم أن ينقاد لشيخه فى أموره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر فيشاوره فيما يقصده، ويتحرّى رضاه فيما يتعمَّده، ويبالغ فى حُرْمته، ويتقرب إلى الله تعالى بخدمته، ويعلم أن ذلَّه لشيخه عزٌّ، وخضوعه له فخرٌ، وتواضعه له رفعةٌ.

وعلى طالب العلم أن ينظر شيخه بعين الإجلال، فإن ذلك أقرب إلى نفعه به، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدَّق بشيء وقال:

«اللهم استُر غيْب شيخي عنيّ، ولا تُذهب بركة علمه مني»(١).

● وقال الشافعي -رحمه الله-:

«كنتُ أصفح الورقة بين يدي مالكٍ -رحمه الله- صفحًا رقيقًا هيبة له لئلا يسمع وقْعها!».

● وقال حمدان الأصفهاني:

«كنتُ عند شُريك -رحمه الله-، فأتاه بعض أولاد الخليفة المهديّ، فاستند إلى الحائط، وسأله عن حديثٍ فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم عاد معاذ لمثل ذلك، فقال:

أتستخفُّ بأولاد الخلفاء؟

فقال شريك: لا، ولكنَّ العلم أجلُّ عند الله تعالى مِنْ أن أضَعَهُ، فجثا على رُكبتيه، فقال شريك:

هكذا يُطلبُ العِلْم».

● وقال الخطيب -في التأدب مع العلماء ومخاطبتهم-:

«يقول: أيها العالم، أيها الحافظ، ونحو ذلك، وما تقولون في كذا؟

وما رأيكم في كذا؟ وشبه ذلك، ولا نُسَمِّيه في غيبته أيضًا باسمه، إلا مقرونًا بما يُشْعِرُ بتعظيمه، كقوله: قال الشيخ، أو الأستاذ، أو قال شيخنا كذا.

وعليه أن يعرف للشيخ حقه، ولا ينسى فضله، وأن يعظِّم حُرْمته، ويردَّ غيبته، ويغضب لها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس، وينبغي أن يدعو للشيخ مُدَّة حياته، ويرعى ذرّيته وأقاربه وأُودَّاءه بعد وفاته، ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له، والصَّدقة عنه، ويَسْلُك في السَّمْت والهَدْى

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٨.

مسلكه، ويراعى فى العلم والدين عادته، ويقتدى بحركاته وسكناته فى عاداته وعباداته، ويتأدب بآدابه، ولا يدع الاقتداء به»[(١)].

وفى المقابل: فينبغى للعالم أن يكون قدوة صالحة، يُرى عليه بركاتُ العلم، ويريد به وجه الله.

«قصة»:

كان حمّاد بن سلمة -رحمه الله تعالى- عالـمًا عابدًا محاسبًا لنفسه لا يضيِّع لحظة فى غير طاعة.

قال عبد الرحمن بن محمد:

لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد فى العمل شيئًا.

وكان يبيع الثياب، فإذا ربح حبة أو حبتين نهض.

يقول مقاتل بن صالح الخراسانى:

دخلت على «حمّاد» فإذا ليس فى بيته إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ فيها، فبينما أنا عنده جالس دق داقّ الباب، فقال:

يا صبية اخرجى فانظرى مَنْ هذا؟

فقالت: رسول محمد بن سليمان -الأمير-.

قال: قولى له يدخل وَحْده.

فدخل فناوله كتابًا فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حمّاد بن سلمة، أمّا بعد:

فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة، فإننا نسألك عنها والسلام».

---

(١) آداب طالب العلم د. محمد سعيد رسلان، نقلاً عن تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٩.

فقال: يا صبيّة هلميّ الدواة، ثم قال لى:

اقلب الكتاب واكتب:

«أما بعد: وأنت صبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون لأحد، فإن كانت وقعت مسألة فأتنا وسَلْنا على ما بدا لك، فإن أتيتنى فلا تأتنى إلا وحدك، ولا تأتنى بخيلك ورَجِلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسى والسلام».

يقول مقاتل بن صالح:

فبينما أنا عنده دقّ الباب، فقال:

يا صبية اخرجى فانظرى مَنْ هذا؟

فقالت: محمد بن سليمان «الأمير»!.

قال: قولى له ليدخل وحده!!.

فدخل فسَلَّم ثم جلس بين يديه، فقال:

«ما لى إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رُعْبًا؟!»

فقال حماد: سمعتُ ثابت البُنانى يقول: سمعت أنس بن مالك يقول:

سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

«إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كلُّ شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء».

فقال (الأمير): أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه.

فقال: أرددها على مِنْ ظلمته بها.

فقال: والله لا أعطيك إلا ما ورثته.

قال: لاحاجة لى فيها، أزوها عنى زوى الله عنك أوزارك.

قال: فتقسمها.

قال: فلعلى إن عدلتُ فى قسمتها أن يقول بعض من لم يُرْزق منها لم يعدل، أزوها عنى زوى الله عنك أوزارك»[(١)].

وبمثل هؤلاء يحسن الاقتداء:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[(٢)].

الحق الثانى: كفّ ألسنتنا عن الوقوع فيهم:

قال الحافظ ابن عساكر -رحمه الله تعالى-:

«اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك لمرضاته، وجعلنى وإياك ممَّن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله فى هَتْك أستار مُنْتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، بلاه الله قبل مَوْته بموت القلب. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٣)(٤)].

إن النيل من العلماء وانتقاصهم، والحط من أقدارهم يعد إعراضًا أو تقصيراً فى تعظيم شعيرة من شعائر الله. وما أبلغ قول بعض العلماء:

«أعراض العلماء على حفرة من حُفر جهنم».

وإن ممّا يدلّ على خطورة إيذاء العلماء، ما رواه البخارى عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«قال الله -عزّ وجلّ- من عادى لى وليًّا فقد آذنتُه بالحرب»[(٥)].

أخى القارئ:

«كلنا يدرك أن مَنْ أكل الربَّا فقد آذنه الله بالحرب، إن لم ينته ويتب عن

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٨/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

(٣) سورة النور: ٦٣.

(٤) التبيان للنووى ص٢٥. وانظر: «لحوم العلماء مسمومة» وهى رسالة قيمة للدكتور: ناصر العمر -حفظه الله- وقد استفدنا منها كثيرًا.

(٥) رواه البخارى.

ذلك الجُرم العظيم، كلنا يدرك هذا، ولكن هل نحن ندرك -أيضًا- أن من آذى أولياء الله فقد حارب الله -جلّ وعلا- كما تبين من الحديث السابق!؟

هل نحن نستحضر هذا الوعيد الشديد، عندما نهمّ بالحديث فى عالم من العلماء؟!

روى الخطيب البغدادى عن أبى حنيفة والشافعى -رحمهما الله- أنهما قالا:

«إن لم يكن الفقهاء أولياء الله، فليس لله ولىّ».

قال الشافعى: «الفقهاء العاملون»

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

«من آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن آذى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد آذى الله عز وجل»[1].

● وذكر المفسّرون فى قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[2].

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلاً من المنافقين قال فى غزوة تبوك:

ما رأيتُ مثل هؤلاء القوم أرعب قلوبًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء -يعنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين-!!.

فقال واحد من الصحابة: كذبت ولأنت منافق.

ثم ذهب ليخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوجد القرآن قد سبقه.

فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان قد ركب ناقته، فقال:

---

(١) لحوم العلماء مسمومة ص ١٢، ١٣.

(٢) سورة التوبة: ٦٥، ٦٦.

يا رسول الله إنما كنا نلعب ونتحدّث بحديث الركب نقطع به الطريق.

وكان يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله -ﷺ- يقول:

﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ولا يلتفت إليه وما يزيده عليه(١).

فمن كان يرجو لقاء ربه، ويخشى عذابه فليحفظ لسانه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، وطوبى لعبد أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله.

«واللسان من أجل النعم، ومن أكبر المنن الإلهية علينا. فهل حافظنا عليها؟ هل استخدمناها فى الخير وجنبناها الزور والوقيعة فى أعراض العلماء وغير العلماء؟

إن النصوص تدل على خطورة أمر هذه الجارحة، وفداحة الخسارة الناجمة عن التهاون فى حفظها، قال تعالى فى شأن الإفك:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾(٢).

وقال تعالى فى المنافقين:

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾(٣).

وفى الحديث الذى رواه الترمذى، وصححه الألبانى:

«وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

ويقول الرسول -ﷺ- فى الحديث المتفق على صحته:

«من يضمن لى ما بين لَحيْيه وما بين فخذيه، أضمن له الجنة».

---

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ٨٢).

(٢) سورة النور: ١٥.

(٣) سورة الأحزاب: ١٩.

إن كثيرًا من الناس -وبخاصة الطيبون المستقيمون- يضمنون ما بين الفخذين، وهذه نعمة عظيمة، وفقهم الله تعالى إليها.

ولكن.. هل نحن نضمن ما بين اللحيين؟

هل يمرّ علينا يوم بدون أن نقع فى عرض مسلم، عالمًا كان أو غير عالم؟!

ليحاسب كلُّ امرئ نفسه، وليناقشها فى ذلك الأمر الخطير، لكى نصحح أوضاعنا فى هذا الجانب، امتثالاً لقول الرسول -ﷺ-:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(١).

وحَذَرًا من الوعيد فى مثل قوله -ﷺ-:

«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(٢).

وما أحكم قول الشاعر:

يُصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يُصاب المرءُ من عثرة الرِّجْلِ
فعثرته بالقول تُذْهبُ رأسه
وعثرته بالرِّجل تبرأ على مَهْلِ(٣)

فعلى العاقل أن يراقب ربه، وأن يحفظ لسانه، وإن يعظم حرمات الله.

قال حاتم الأصم:

«لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك، لاحترزتَ منه. وكلامك يُعرض على الله جل وعلا فلا تحترز!!».

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) لحوم العلماء مسمومة (١٤-١٦) بتصرف.

قال الإمام النووى -رحمه الله تعالى-:

«اعلم أنه ينبغى لكلّ مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة، فالسنة الإمساكُ عنه، لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير فى العادة، والسلامة لا يعدلُها شىءٌ.

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت»(١).

وهذا الحديث صريحٌ فى أنه ينبغى أن لا يتكلّم إلا إذا كان الكلامُ خيرًا، وهو الذى ظهرت مصلحته، ومتى شكَّ فى ظهور المصلحة فلا يتكلم» ا.هـ.

وقال الإمام ابن قدامه المقدسى -رحمه الله تعالى-:

«فمن عرف قَدْر زمانه، وأنه رأسُ ماله، لم ينفقه إلا فى فائدة، وهذه المعرفة تُوجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعنى، لأنه من ترك ذِكر الله تعالى واشتعل بما لا يعنيه، كان كمن قدر على أخذ جوهرة، فأخذ عوضها مَدَرة(٢)، وهذا من خسران العمر» ا.هـ.

هذا، ولئن كان الخوض فى أعراض عامة الناس يُعَدّ حرامًا، ويوجب المقت، فالوقيعة فى العلماء أشدّ مقتًا، وأعظم جُرْمًا. فهل نحن منتهون؟.

أسباب الوقيعة فى العلماء:

الأسباب الدافعة للوقيعة فى العلماء كثيرة، منها:

١- الحقد والحسد:

فمنها تنشأ الغيبة، ويتحرك اللسان بالسخرية، والسب، والانتقاص.

والدافع لذلك حُب الظهور.. وتمكن الرياء.. وعبادة الذات!!.

---

(١) متفق عليه.

(٢) المَدَرة: القطعة من الطين اللّزج المتماسك.

٢- اتباع الهوى:

إن بعض الذين يأكلون لحوم العلماء لم يتجردوا لله تعالى، وإنما دفعهم الهوى، للوقوع فى أعراض علماء الأمة. واتباع الهوى لا يؤدى إلى خير أبدًا.

● قال تعالى:

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١).

● وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

● وعن أبى برزة -رضي الله عنه- عن النبىّ -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إنما أخشى عليكم شهوات الغىّ فى بطونكم، وفروجكم، ومضلات الهوى**»(٣).

● **وقال ابن تيمية** -رحمه الله تعالى-:

«صاحب الهوى يُعميه الهوى ويُصِمُّه».

● **وقال بعض السلف:**

«احذروا من الناس صنفين:

صاحب هوى قد فتنه هواه.

وصاحب دنيا أعمته دنياه.

٣- التعصب الأعمى:

فالتعصب يولّد الفرقة بين المسلمين.. ويؤدَى إلى الإعجاب بالرأى وإن خالف الأدلة الشرعية!!

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

(٣) قال المنذرى: رواه أحمد والبزار والطبرانى فى معاجيمه الثلاثة، وبعض أسانيدهم رواته ثقات. الترغيب برقم (٧٩).

● عن أبى الدرداء -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم-، قال:

«**حبك الشىء يصم ويعمى**»(١).

● وعن عباد بن كثير الشامى -من أهل فلسطين- عن امرأة يقال لها: «فسيلة»، قالت: سمعتُ أبى يقول:

سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-... فقلت:

يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجلُ قومه؟

قال: «**لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجلُ قومه على الظلم**»(٢).

وعلى ما تقدم، فلا يجوز لأى إنسان أن يأخذ برأى عالم إذا جاء النص على خلافه.

فلا اجتهاد فى مَوْرد النّص، وكما قيل: «إذا ظهر الأثر بطل النظر».

«وكل إمام من الأئمة الأربعة قال:

«إذا خالف كلامى كلام رسول الله، فخذوا بكلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واضربوا بكلامى عرض الحائط».

ولم يقل أحد منهم: «فضل الله وعلم الشريعة محصور فينا فقط ولا يأتى واحد بعدنا وليس أحد معاصرًا لنا يعلم شيئًا من الشريعة كما نعلم ولذلك يجب على الأمة جميعًا تقليدنا فقط واتباع أقوالنا فقط ولا يجوز لأحد الخروج على أقوالنا بحال».

أقول: ما قال أحد منهم ذلك ولا أفتى بذلك بل جميعهم -رضي الله عنهم- كانوا حربًا على التقليد والجمود، وكلهم دعاة إلى الاتباع والأخذ بالدليل»(٣).

مع رسوخ أقدامهم، وعلو شأنهم.

قال الدكتور: ناصر العمر:

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (٢٧٤١٩) وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (٧٤٠٢).

(٣) السلفيون والأئمة الأربعة، للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق ص ٤٩.

«سمعتُ أن بعض طلاب العلم يتكلمون فى بعض العلماء، وفجأة تغيّر موقفهم، وصاروا يثنون عليه، لأنهم سمعوا أن فلانًا يثنى عليه، فأثنوا عليه، وسبحان مغيّر الأحوال.

إذا ضلّ من يتعصبون له، ضلّوا معه، وإذا اهتدى للصواب، اهتدوا معه، لقد سلَّم بعض الطلاب والدعاة عقولهم لغيرهم، وقلّدوا فى دينهم الرجال[١].

● ولقد رأينا من ينتصر لعلماء بلده، ويقدح فى علماء البلاد الأخرى، سبحان الله! أليست بلاد المسلمين واحدة؟!

أليس هذا من التعصب المذموم؟!

أليس من الشطط أن يتعصب أهل الشرق لعلماء الشرق، وأهل الغرب لعلماء الغرب، وأهل الوسط لعلماء الوسط؟!

إن هذا التعصب مخالف للمنهج الصحيح، الذى يدعونا إلى أن نأخذ بالحق مهما كان قائله[٢]، ولهذا قال أبو حامد الغزالى فى ذم التعصب:

«وهذه عادة ضعفاء العقول، ويعرفون الحق بالرجال، ولا الرجال بالحق»[٣].

وقال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى-:

«لا يحلُّ لمن يُفتى من كتبى أن يُفْتى حتى يعلم من أين قلت».

٤- الجهل:

فلا يعلم قدر الرجال إلا الرجال، والتعالم سوأة فكرية مغلظة.. دفعت

---

(١) قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «لا يقلدنّ أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة فى الشرّ». وقال: لا تكونن إمّعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلّوا ضللت، ألا ليوطنن أحدُكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر» صفة الصفوة (١/ ٢٢٠).

(٢) قال تعالى: ﴿ وإذا قلتم فاعْدِلوا ﴾.

(٣) لحوم العلماء مسمومة (٢٣).

أصحابها للتطاول على رموز الإسلام وأئمته الأعلام! وتكاثروا فى هذا الزمان.

«حتى ساموا باعة البقول عَدَدًا، ولم يبق منهم من يُحْسن الجمع بين كلمتين إلا استطال على منازل العلماء؟

فهؤلاء المُنازلون فى ساحة العلم، وليس لهم من عُدَّة فيه سوى «القلم والدواة» هم: الصَّحفية المتعالمون، من كل من يَدَّعى العلْم وليس بعالم، شخصيةٌ مؤذيَّة، تتابعت الشكوى منهم على مدى العصور، وتوالى النُّذر، سلفًا وخلفًا:

شعوذة تخطر فى حجلين

وفتنة تمشى على رجلين

فهذا القطيع حقًّا هم غول العلم»(١).

وشكا حالهم ابن القيم -رحمه الله تعالى- فقال:

هذا وإنى بعد ممتحن بأر

بعة وكلهم ذوو أضغان

فظٌّ، غليظٌ، جاهلٌ مُتَمَعْلِمٌ

ضخمُ العمامةِ، واسعُ الأردان

مُتَفَيْهِقٌ، مُتَضَلِّعٌ بالجهلِ، ذُو

ضلعٍ، وذُو جلح مِنَ العرفان

مُزْجَى البضاعةِ فى العلوم وإنَّهُ

زاج من الإيهامِ والْهَذَيان

يشكو إلى الله الحقوقَ تَظَلُّمًا

من جَهْلِهِ كشكايةِ الأبْدَان

(١) التعالم وأثره على الفكر والكتاب د. بكر بن عبد الله أبو زيد ص ٨.

من جاهلٍ مُتطبِّبٍ يُفْتي الورَى
ويحيل ذاك على قَضَا الرَّحمن!

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم**».

قلنا: يا رسول الله وما ظهر فى الأمم قبلنا؟

قال: «**الملك فى صغاركم، والفاحشة فى كباركم، والعلم فى رذالتكم**(١)»(٢).

وكان علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه- يقول:

قصم ظهرى رجلان:

جاهلٌ مُتنسّك.

وعالم متهتك.

٥- تحالف المنافقين مع أعداء الدين:

انتقاص العلماء هدف من أهداف أعداء الإسلام، وعلامة مَرَضيَّة من علامات النفاق:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾(٣).

وقد استخدموا هذا الإسلوب الفاجر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾(٤).

---

(١) رذالتكم: فسّاقكم.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وقال فى الزوائد: وإسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) سورة البقرة: ١٤.

(٤) سورة محمد: ١٦.

يقول الدكتور: العُمر:

«إن المنافقين الكارهين للحق، من العلمانيين، والحداثيين، والقوميين، وأمثالهم، من أقوى أسباب أكل لحوم العلماء، لما فى قلوبهم من المرض والبغض للحق وأهله.

ومن المؤسف الممضّ أننى استمعتُ فى مجلس من المجالس إلى أحد هؤلاء المنافقين، يستطيل فى أعراض العلماء، فقلّده بعض الطيبين من حيث لا يشعر، ووافقه على ما يقول، حتى رُدّ عليه فى ذلك المجلس. إن العلمانيين الآن يتحدثون فى علمائنا بكلام بذئ، يعفُّ القلم عن تسطيره، مما يدُلّ على ما فى قلوبهم من الدَّغل، ومعاداة ورثة الأنبياء، وما يحملونه من الحق»(١).

ولا يخفى أن الطعن فى العلماء يترتب عليه عدة أمور، منها:

(أ) الاستخفاف بالعالم وما يحمله من علم، فيضيع علمُه دون الاستفادة منه، وهذا يعد محاربة للمد الإسلامى، قطعًا للحبل الموروث.

(ب) إن الطعن فى العالم سيؤدى حتمًا إلى انصراف طلبة العلم عنه، وهذا يُعّد تجفيفًا لمنبع إسلامى، الأمة فى حاجة إليه.

(جـ) الوقوف مع أعداء الإسلام فى خندق واحدًا، والضرب بسهامهم لشل حركة العلم واجتثات جذور العلماء، وهذا يعد جريمة فى حق أمّتنا وملتنا.

الحقُّ الثالث: أن نُحْسن الظن بعلمائنا:

لا حرج على العالم إذا اجتهد فأخطأ، فليس من شروط العالم أن يصيب أبدًا، فلكل جواد كبوة.. وكما قيل: كفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبُه، وإقالة عثرة العالم من حق العلماء علينا:

قال عمر -رضي الله عنه-:

---

(١) لحوم العلماء مسمومة (٢٥).

«لا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم سوءًا وأنت تجد لها فى الخير محملاً».

لكن لا يتابع على اجتهاده الخاطئ، وفى نفس الوقت لا يُنْتقص من قَدْره.

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

«إن الأدلة الشرعية حجة على جميع عباده، بخلاف رأى العالم...

وقال الله سبحانه:

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(1).

وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبى -ﷺ- بقول أحد من الناس، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لرجل سأله عن مسألة، فأجابه فيها بحديث، فقال له:

قال أبو بكر وعمر.

فقال ابن عباس:

«يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله -ﷺ-، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!!»(2).

وبالجملة: فعلى طلاب العلم والمسلمين أجمعين أن يكفّوا ألسنتهم عن الولوغ فى أعراض العلماء، بل الواجب: الذَّبّ عن أعراضهم، وإظهار فضلهم، فهم على هناتهم وهفواتهم حملة الرسالة وورثة الأنبياء ومن كف لسانه فقد سلك سبيل النجاة.

عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال:

قلت: يا رسول الله ما النجاة؟

---

(1) سورة النساء: ٥٩.

(2) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ٢٨، ٢٩ بتصرف.

قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعْك بيتُك، وابْك على خطيئتك**»(١).

بيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

ورد فى علماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنهم أشد الخلق عذابًا يوم القيامة.

فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة.

ونعنى بعلماء الدنيا: علماء السوء الذين قصدُهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها:

● عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**من تعلم علمًا ممّا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلاّ ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف(٢) الجنة يوم القيامة**»(٣).

● وعن كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**من طلب العلم ليجارى به العلماء، أو ليمارى به السُّفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»(٤).

● وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**من تعلم علما لغير الله، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، وصححه الألبانى.

(٢) عَرْف الجنة: أى ريحها.

(٣) **صحيح**: انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٤).

(٤) **حسن**: انظر صحيح سنن الترمذى (٢١٣٨).

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه، رجال إسنادهما ثقات. الترغيب (١٨١).

● وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال:

«كيف بكم إذا لبستكم فتنةٌ يَرْبو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتُتَّخذ سُنَّةً، فإن غُيِّرت يومًا، قيل هذا مُنْكر».

قيل: ومتى ذلك؟

قال: «إذا قلت أُمناؤكم، وكَثُرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكَثُرت قرّاؤكم، وتفقه لغير الدين، والْتُمست الدنيا بعمل الآخرة»(١).

● وقال عيسى -عليه السلام-:

«إلى متى تصفون الطريق للمُدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيّرين!!».

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم، فإن العالم إمّا متعرّض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد، وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة!.

وأما الآثار:

● فقد قال عمر -رضي الله عنه-:

إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم.

قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا؟

قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

● وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-:

«إنى لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنى قوم افتقر، وعالمًا تلعب به الدنيا».

● وقال الحسن -رحمه الله تعالى-:

«عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة».

وأنشدوا:

---

(١) رواه عبد الرزاق موقوفًا، وانظر: كتاب «القيام» للألبانى (ص٤).

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال عيسى -عليه السلام-:

«مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع.

ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى!».

فهذه الآثار والأخبار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخسّ حالاً وأشدّ عذابًا من الجاهل. وإن الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة ولهم علامات.

علامات علماء الآخرة:

لعلماء الآخرة علامات يعرفون بها، منها:

١- أن لا يطلب الدنيا بعلمه:

فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل.

فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟

ومن لا يعلم عظم الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له؟

ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع.

فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كلّه من أوله إلى آخره فكيف يعدّ من زمرة العلماء؟!

ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته؟!

قال سعيد بن المُسَيّب -رحمه الله-:

«إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لصّ».

وكان **يحيى بن معاذ الرازي** -رحمه الله- يقول لعلماء الدنيا:

«يا أصحاب العلم: قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟».

قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟

وقال الآخر:

يا معشر القّراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا المِلْحُ فَسَد؟

وروى أبو هريرة -رضي الله عنه-، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«من طلب علمًا مما يُبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجدْ عَرْف الجنة يوم القيامة»[1].

«قصة»:

قال ابن عيينة:

(١) صحيح: وقد تقدم قريبًا.

دخل هشام[(١)] الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله[(٢)]، فقال:

سلني حاجة؟

قال: إني أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره!

فلمّا خرجا، قال:

الآن فسلني حاجة؟

فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فقال: من حوائج الدنيا.

قال: والله ما سألتُ الدنيا من يملكها، فكيف أسألها مَنْ لا يملكها[(٣)].

٢- أن لا يخالف فعلهُ قولهَ:

بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أوّل عامل به.

● قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[(٤)].

● وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[(٥)].

● وقال تعالى في قصة شعيب:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[(٦)].

● وقال رسول الله -ﷺ-:

«مررت ليلة أُسرى بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟

---

(١) هو: هشام بن عبد الملك [الخليفة].

(٢) هو: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة. سير (٤/٤٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٤٦٦).

(٤) سورة البقرة: ٤٤.

(٥) سورة الصف: ٣.

(٦) سورة هود: ٨٨.

فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه»(١).

● وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:

«بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان!!».

● وقال مالك بن دينار:

«إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا»(٢).

وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا
إذ عبتَ منهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحتَ تنصحهم بالوعظ مجتهدًا
فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها
وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

● وقال ابن السماك -رحمه الله-:

كم من مُذكّر بالله ناس لله!

وكم من مخوّف بالله جرىء على الله!

وكم من مقرّب إلى الله بعيد من الله!

---

(١) أخرجه ابن حبان، وسكت عليه الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء (١/١٢٦).

(٢) الصفا: الحجَر الأملس.

وكم من داع إلى الله فارّ من الله!

وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله!.

● وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

«ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم الخشية».

● وقال الحسن -رحمه الله-:

«تعلموا ما شئتم أن تعلموا فو الله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية، والعلماء همتهم الرعاية».

٣- أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة:

المرغب فى الطاعات مجتنبًا للعلوم التى تقلّ نفعها، ويكثر فيها الجدال والقيل والقال.

فمثال من يعرض عن علم الأعمال، ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة، وقد صادف طبيبًا حاذقًا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمة الذى هو مؤاخذ به.

بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم -تلميذ شقيق البلخى -رضي الله عنهما- أنه قال له شقيق:

«منذ كم صحبتنى؟

قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

قال: فما تعلمت منى فى هذه المدة؟

قال: ثمانى مسائل.

قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل؟

قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لا أحب أن أكذب.

فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيتُ كل واحد يحب محبوبًا فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه!! فجعلتُ الحسنات محبوبى، فإذا دخلتُ القبر دخل محبوبى معى.

فقال: أحسنت يا حاتم فما **الثانية**؟

فقال: نظرتُ فى قول الله عزّ وجلّ:

﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾(١).

فعلمت أن قوله تعالى هو الحق فأجهدتُ نفسى فى دفع الهوى حتى استقرّت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيتُ كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله تعالى:

﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾(٢)، فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجّهته إلى الله ليبقى عنده محفوظًا.

الرابعة: أنى نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيتُ كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرتُ فيها فإذا هى لا شىء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى:

﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٣). فعملتُ فى التقوى حتى أكون عند الله كريمًا.

الخامسة: أنى نظرت إلى هذا الخَلْق وهم يطعن بعضهم فى بعض،

(١) سورة النازعات: ٤٠، ٤١.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

ويلعن بعضهم بعضًا وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرتُ إلى قول الله عزّ وجل: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(١).

فتركت الحسد، واجتنبت الخَلْق، وعلمتُ أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخَلْق عنى.

السادسة: نظرتُ إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، فرجعتُ إلى قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(٢)، فعاديتُه وحده، واجتهدتُ فى أخذ حذرى منه، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لى فتركتُ عداوة الخَلْق غيره.

السابعة: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيتُ كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة(٣)، فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرتُ إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(٤). فعلمتُ أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها، فاشتغلتُ بما لله تعالى علىّ وتركت مالى عنده.

الثامنة: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيتُهم كلهم متوكلين على مخلوق -هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه- وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعتُ إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(٥). فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى.

---

(١) سورة الزخرف: ٣٢.

(٢) سورة فاطر: ٦.

(٣) الكسرة: القطعة من الخبز.

(٤) سورة هود: ٦.

(٥) سورة الطلاق: ٣.

قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدتُ جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة».

فهذا النوع من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه، ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم -عليهم السلام-.

قال الضحاك بن مزاحم:

«أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع، وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام!!».

٤- أن يكون غير مائل إلى التَّرفُّه في المطعم والمشرب والتنعّم في الملبس، والتجمّل في الأثاث والمسكن:

بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك، ويتشبه فيه بالسَّلف -رحمهم الله تعالى-، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك.

● عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، قال:

سمعتُ عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجلٌ فقال:

ألسنا من فقراء المهاجرين؟

فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟

قال: نعم.

قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟

قال: نعم.

قال: فأنت من الأغنياء.

قال: فإنّي لي خادمٌ؟

قال: فأنت من الملوك!![١].

---

(١) رواه مسلم.

● وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال:

نظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الجوع في وجوه أصحابه فقال:

«أبْشروا، فإنه سيأتي عليكم زمانٌ يُغْدَى على أحدكم بالقَصْعة من الثَّريد، ويُرَاح عليه بمثلها».

قالوا: يا رسول الله نحن يؤمئذٍ خير؟

قال: **«بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ»**(١).

والتحقيق فيه أن التزّين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشقّ تركه.

٥- أن يكون مستعصيًا عن السلاطين:

فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه، فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لا يخلو عن تكلف في طيب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم -دون الخروج عليهم-.

فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجمّلهم فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنًا لهم، أو يتكلّف في كلامه كلامًا لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السُّحت.

وعلى الجملة: فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افْتُتن».**

---

(١) قال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد. الترغيب (٤٨١٦).

وقال -ﷺ-: «**سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى**».

قيل: أفلا نقاتلهم؟

قال -ﷺ-: «**لا ما صلّوا**».

وقال الحسن -رحمه الله-:

«كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله -ﷺ- -قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال:

وكان لا يغشى السلاطين وينفر منهم. فقال له بنوه:

يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم؟

فقال: يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها.

قالوا: يا أبانا إذن نهلك هزالاً.

قال: يا بني لأن أموت مؤمنًا مهزولاً أحبّ إليّ من أن أموت منافقًا سمينًا.

قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان».

وقال أبو ذرّ لسلمة:

«يا سلمة لا تغشى أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئًا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه».

قال الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- معلّقًا-:

«وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لايزال الشيطان يلقى إليه:

أن فى عظتك لهم ودخولك عليهم ما يزجـرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليـه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتطلف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطـراء وفيه هلاك الدين. وكان يقال:

«العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شـغلوا، فإذا شغلوا فُقدوا، فإذا فقدوا طلُبوا، فإذا طلبوا هربوا».

ولم يزل السلف من العلماء مثل الحسن والثـورى وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمـونَ فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا، وإما لمخالطتهم السلاطين».

قلت: فإن اضطروا لدخول عليهم، صدعوا بكلمة الحق.. ولم يداهنوا وفى الحديث: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**».

مواقف تاريخية للعلماء:

كان لعلمائنا مـواقف تاريخية أظهرت صدق إيمانهم، ونفاسـة معدنهم، منها:

أولاً: لقاء العمرى مع هارون الرشيد:

كتب عبد الله العُمَرىّ -رحمـه الله تعالى- إلى هارون الرشيد مَرَّة يقول له:

«الحمـد لله رب العالمين. والعاقبـة للمتقين. الذى لا يخـذل من أطاعه ولا يكرم عليه أحدٌ عصاه.

يا أمير المؤمنين، هذا داعى القرآن يُسْمعك يقول:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(١).

فلا استـقامة إلا على طريق نجاة، فاحـفظ وصية الله وارْجُ ثوابه وخف عقابـه، وتواضع له بحسن الاستمـاع من رعيتك، واعلم أنك عبـد قد بليت

(١) سورة الفاتحة: ٦.

برعاية أمم لا تحصى، قد خفرت أمانتها وتفرّقت أهواؤها واختلف فى دينها. فأمرهم مريج، وبأسهم بينهم شديد. وليتهُم لإحدى اثنين:

إمّا أدَّيت أمانتهم وعطفتهم على ربِّهم، فعلَّم الله بك جاهلهم وذكّر بك ناسيهم، وجَدَّد بك العدل وأحيا بك الحق، فكنت بذلك من الصالحين، ونُلتْ به من الله عز وجل ثواب القائمين بالقسط.

وإمّا خفرْت أمانة الله عز وجل ونقضتَ عهده، وزدت المفسدين فسادًا، وظلمت اليتيم حقّه، ومنعت المسكين نصيبه، وحكمت فى عباد الله بغير ما أنزل الله، استكبارًا وعلوًّا على المستضعفين، والله لا يحب المستكبرين.

والإمام العادل: كالوالد فى برِّه، يسعى لهم صغارًا، ويعلّمهم كبارًا، ويجمع لهم حياته ويدّخر لهم بعد مماته، ويؤثرهم على نفسه.

والإمام العادل خليفة المرسلين، والقائم بين الله وبين عباده.

لا تكن كعبد ائتمنه سيّده واستحفظه ماله، فعطَّل الضيعة وبذر المال، وشرّد العيال وأفقر أهله، وأهلك ماله.

ولا يغرّنك المدّاحون الزور، ولا تولّين قريبًا لقرابته، ولا صديقًا لصداقته، ولا تحابينَّ فى دين الله عز وجل فيحاجَّك الدِّين غدًا عند الله عز وجل، وإنى لم آلُك نصيحة وعليك شفقة فأنزل كلامى بمنزلة المداوى جُرحه:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾[1]»[2].

ثانيًا: لقاء الليث بن سعد مع هارون الرشيد:

يقول عبد الله بن صالح:

سمعتُ الليث بن سعد يقول:

لما قدمتُ على هارون الرشيد قال لى:

يا ليث: ما صلاح بلدكم؟

---

(١) سورة البقرة: ٢٨١.

(٢) حلية الأولياء.

قلت: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل، وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتى الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقى فقال: صدقت يا أبا الحارث(١).

ثالثًا: أبو حازم وسليمان بن عبد الملك:

أبو حازم هو «سلمة بن دينار» الزاهد، الفقيه، العابد -رحمه الله-.

قال عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبى حازم:

حدثنى أبى قال:

بعث سليمان بن عبد الملك (الخليفة) إلى أبى حازم، فجاءه فقال:

يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم أخربتم أخراكم، وعمرّتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: صدقت، فكيف القدوم على الله عزّ وجلّ؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان وقال: ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم؟

فقال: اعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عند الله.

قال: يا أبا حازم، وأين أصيب ذلك؟

قال: عند قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾(٢).

فقال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

---

(١) صلاح الأمة (٣/١٣٩).

(٢) سورة الانفطار: ١٣، ١٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٦.

قال: فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: اعفنى من هذا.

قال سليمان: نصيحة تلقيها.

قال أبو حازم: إن ناسًا أخذوا هذا الأمر[١] عنوة[٢] من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شعرى ما قالوا وما قيل لهم.

فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ.

فقال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتمونه.

فقال سليمان: أصبحنا يا أبا حازم تُصب منا ونصب منك.

قال: أعوذ بالله من ذلك.

قال: ولم؟

قال: أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال: فأشر علىّ.

قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

فقال: يا أبا حازم، ادع لنا بخير.

فقال: اللهم إن كان «سليمان» وليّك فيسره للخير، وإن كان عدوّك فخذ إلى الخير بناصيته.

فقال: يا غلام، هات مائة دينار.

ثم قال: خذها يا أبا حازم.

---

(١) أى: المُلْك.

(٢) عنوة: أى بالقوة.

قال: لا حاجة لى فيها، إنى أخاف أن يكون لما سمعتَ من كلامى(١).

رابعًا: ابن الطَّلاَّية والسلطان مسعود:

ابن الطَّلاَّية: أحد العلماء الزّهاد، أفنى عمره فى العبادة والقيام والصيام قال أبو المظفر بن الجوزى:

سمعتُ مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم أن السلطان مسعودًا لما أتى بغداد، كان يحب زيارة العلماء والصالحين، فالتمس حضور ابن الطّلاَّية، فقال للرسول:

أنافى هذا المسجد أنتظر داعى الله فى النهار خمس مرات.

فذهب الرسولُ، فقال السلطان.

أنا أولى بالمشى إليه.

فزاره، فرآه يُصلّى الضُّحى، وكان يطوِّلُها يصليها بثمانية أجزاء!!

فصلى معه بعضها.

فقال له الخادم: السلطان قائم على رأسك.

فقال(٢): أين مسعود؟

قال: ها أنا.

قال: يا مسعود، اعدل، وادعُ لى، الله أكبر. ثم دخل فى الصلاة، فبكى السلطان، وكتب ورقة بخطه بإزالة المُكوس والضرائب، وتاب توبة صادقة(٣).

مواقف خالدة لعلماء الأزهر الشريف:

ملئ التاريخ بكثير من المواقف الخالدة لعلماء الأزهر الشريف، من هذه المواقف:

---

(١) المنتظم (٨/ ٣٢ - ٣٤).

(٢) أى: بعد انصرافه من صلاته.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٠).

الموقف الأول:

«موقف الشيخ حسن العدوى، الذى شهد له الزعيم أحمد عرابى فى مذكراته السياسية شهادة تزن ما على الأرض من ثروة ومتاع! فقد كان وزملاؤه الأزهريين فى طليعة رجال المؤتمر الوطنى الذى أصدر قراره التاريخى بعزل «توفيق» وتكليف الزعيم أحمد عرابى بالدفاع عن الوطن بعد أن قرئت على المجتمعين فتوى أزهرية إسلامية بمروق الخديوى وخيانته، فكان لها أكبر الأثر فى هيجان الشعور المصرى ضد الحاكم الخائن.

وحين انتهت الثورة إلى خاتمتها الأليمة تقدم الشيخ العدوى إلى المحاكمة بجنان ثابت ووقار مهيب فسأله الرئيس:

هل أفتيت بعزل الجناب الخديوى؟

فأجاب من فوره: لم تصدر منى فتوى بذلك ومع هذا فإذا تقدمتم إلى بمنشور يتضمن هذه الفتوى فسأوقعه! وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديو يستحق العزل لمروقه عن الوطن والدين!

يقول هذا وقد شحذ الباطل أسنته وحرابه لينكل بالأحرار الباسلين، فتتضائل فى تقديره كل عقوبة ظالمة تتخيلها الأذهان ويرفع هامته فى ساحة المحاكمة عالية شماء!»[١].

الموقف الثانى:

وهذا الموقف للعالم الجليل الشيخ «حسن الطويل» فقد كان -رحمه الله- من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع ممتاز!

دخل عليه «رياض باشا» وهو يدرس لطلابه بدار العلوم فما غير موقفه أو بدّل جلسته!! وحين هم الزائر بالخروج قال له الشيخ:

لماذا لا أكون وزيراً معكم يا باشا؟

فدهش الزائر وقال: أى وزارة تريد؟

---

(١) مواقف تاريخية لعلماء الإسلام د. محمد رجب بيومى (ص٢٢٠، ٢٢١). كتاب الهلال.

فقال: وزارة المالية لأستبيح من أموالها ما تستبيحون!!

وكانت لطمة أليمة توجه إلى حاكم ارستقراطى لم يألف التهكم والاستخفاف!

فخرج ثائرًا مهتاجًا واستدعى ناظر المعارف «على مبارك» ليعجّل بفصله من وظيفته ولكن يدًا أعلى من يد «رياض باشا» تقف فى وجهه فيتراجع عن غطرسته العاتية مدحورًاوقد آثر ألا يزور مدرسة أو معهدًا بعد ذلك!

هذا الرجل الكبير «الشيخ حسن الطويل»، قد طلب منه أن يرتدى ملابس خاصة ليقابل بها الخديوتوفيق.

وحان الموعد المرتقب فجاء بملابسه المعتادة ومعه منديل يضم الملابس الرسمية، ثم قدمها للخديو قائلاً فى بساطة:

إن كنت تريد الجبة والقفطان فهما هما، وإن كنت تريد حسن الطويل فهأنذا حسن الطويل!!.

ثم قال الشيخ لجلسائه: كيف أتجمل لتوفيق بلباس لا أتجمل به لربى فى الصلاة؟!.

وهذا لعمرى منطق اليقين الجازم والإيمان العجيب(١).

الموقف الثالث:

وهذا الموقف للشيخ: «الإنبابى» شيخ الجامع الأزهر:

دخل عليه «اللورد كرومر» مُحيِّيًا فصافحه الشيخ من جلوس!! فاستعظم اللورد ما صنع وسأله:

ألستَ تقوم للخديوى؟

فقال: نعم لأن الخديوى ولى الأمر، وهو منا ولستَ مثله لدينا فى شىء!!

(١) نفس المرجع السابق (٢٢١ - ٢٢٢).

ولم يقل الشيخ ذلك تزلفًا للخديوى فهو العالم الجرىء الذى جابه توفيقًا وأفتى بعزله ومروقه دون تحفظ أو اكتراث»[١].

٦- أن لا يكون مسارعًا إلى الفتيا:

بل يكون متوقفًا ومحترزًا ما وجد إلى الخلاص سبيلاً

فإن سئل عما يعلمه تحقيقًا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلىّ أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدرى!

وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية.

هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم.

وفى الخبر: «**العلمُ ثلاثة: كتابٌ ناطِقٌ، وسُنَّة قائمة، ولا أَدْرى**»[٢].

وقال الشعبى: «لا أدرى» نصف العلم.

ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجْرًا مِمنَّ نطق لأن الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس، فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف -رضي الله عنهم-.

● قال ابن مسعود: جُنة[٣] العالِم «لا أدرى»، فإن أخطأها فقه أُصيبت مقاتله.

وقال: «إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون».

● وقال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-:

«ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول:

انظروا إلى هذا سكوته أشدّ علىّ من كلامه».

---

(١) نفس المرجع (ص ٢٢٢).

(٢) أخرجه الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفًا على ابن عمر.

(٣) جُنة العالم: أى وقايته.

● وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:

سُئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن خير البقاع فى الأرض وشرّها قال:

«**لا أدرى**».

حتى نزل جبريل -عليه السلام- فسأله فقال:

«**لا أدرى**».

إلى أن أعلمه الله عز وجل: «**إن خير البقاع المساجد، وشرّها الأسواق**»(١).

● وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع!!.

● قال عبد الرحمن بن أبى ليلى:

«أدركتُ فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما منهم أحد يُسأل عن حديث أو فُتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك».

وفى لفظ آخر:

«كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردّها إلى الآخر، ويردّها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأوّل!!».

فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبًا والمطلوب مهروبًا عنه؟.

قال ابن حصين: إن أحدهم ليفتى فى مسألة لَوْ ورَدَتْ على «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه- لجمع لها أهل بدر!.

٧- أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة:

فالحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه بنحوه من حديث ابن عمر. وانظر: صحيح الجامع (٣٢٧١).

الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عزّ وجلّ فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عمّا سواه، فذلك مفتاح الإلهام.

فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعة بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب. وفى الخبر:

«من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»(١).

٨- أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين:

فإن اليقين هو رأس مال الدين:

قال رسول الله -ﷺ-: **«اليقين الإيمان كُلّه»**(٢).

فلابد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه إن شاء الله وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دلّ بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

ومن ثمرات اليقين:

(أ) الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق، فتطمئن نفسُ الداعية.

(ب) اليقين بأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

(جـ) اليقين بأنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفى رزقها وأجَلَها.

كل هذا وغيره يقوّى من عزائم الداعية، ويدفعه إلى إبلاغ كلمة الله للناس، ولا يخشى أحدًا إلاّ الله.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» من حديث أنس وضعفه.

(٢) **حسن**: أخرجه البيهقى فى «الزهد»، والخطيب فى «التاريخ» من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. هامش الإحياء (١/ ١٤٠).

٩- أن يكون حزينًا منكسرًا مطرقًا صامتًا:

يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته، وسيرته، وحركته، وسكونه، ونطقه، وسكوته، لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرًا لله تعالى، وكانت صورته دليلاً على عمله، فالجواد عينه مرآته، وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع.

● عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أولياء الله تعالى، الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى»**(١).

أما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق، فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه، وهو دأب أبناء الغافلين عن الله دون العلماء به.

● قال عمر -رضي الله عنه-:

«تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم».

● وفى الخبر: **«إن من خيار أمتى قومًا يضحكون جهرًا من سعة رحمة الله، ويبكون سرًّا من خوف عذابه، أبدانهم فى الأرض، وقلوبهم فى السماء، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة، يتمشون بالسّكينة ويتقرّبون بالوسيلة»**(٢).

● قال ابن عمر -رضي الله عنهما-:

«لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤُتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها، ولقد رأيتُ رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة

---

(١) حسن: رواه الحكيم الترمذى، والطبرانى فى «الكبير»، وانظر: الصحيحة (١٧٣٢).

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقى فى «الشعب» وضعفه من حديث عياض بن سليمان.

الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمِره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره الدَّقَل»(١).

● وقيل: خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل:

الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد،

فأما الخشية: فمن قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢).

وأما الخشوع: فمن قوله تعالى

﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾(٣).

وأما التواضع: فمن قوله تعالى:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

وأما حسن الأخلاق: فمن قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾(٥).

وأما الزهد: فمن قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾(٦).

● ولما تلا رسول الله -ﷺ- قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى، وسكت عليه العراقى فى تخريجه لأحاديث الإحياء (١/ ١٤٦).

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٩.

(٤) سورة الحجر: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٦) سورة القصص: ٨٠.

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾(١).

فقيل له: ما هذا الشرح؟

فقال: «**إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح**».

قيل: فهل لذلك من علامة؟

قال -ﷺ-: «**نعم، التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**»(٢).

١٠- أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعمّا يفسدها ويشوش القلوب، ويهيج الوسواس ويثير الشّر:

فإن أصل الدين التوقى من الشر، ولذلك قيل:

عرفتُ الشّرَّ لا للشر لكن لتوقّيه

ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه

ولقد كان الحسن البصرى -رحمه الله- أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وأقربهم هديًا من الصحابة -رضي الله عنهم-: اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك، وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له:

يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يُسمع من غيرك فمن أين أخذته؟

قال: من حذيفة بن اليمان.

وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟

قال: خصّنى به رسول الله -ﷺ-، كان الناس يسألونه عن الخير

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقى فى «الزهد» من حديث ابن مسعود، وسكت عليه العراقى. الإحياء (١/ ١٤٧).

وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمتُ أن الخير لا يسبقني علمه.
فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى.

وعلى الجملة: فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم، فإن الحق مرّ والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر، ولاسيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة، فإن ذلك نزع للروح على الدوام، وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء، وينزل منزلة من جعل مدّة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق؟

«قصة»:

«عن مصعب بن عثمان، قال:

كان عبد الرحمن بن أبان يشترى أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويذهبون، ثم يعرضون عليه فيقول:

أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت!.

قال: فمات وهو قائم فى مسجده!»(١).

١١- أن يكون متبعًا للأثر:

● قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

«ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-».

● وقال أبو سليمان الداراني:

«لا يَنْبغى لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر».

١٢- أن يكون شديد التَّوقى من مُحْدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور:

فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة -رضي الله عنهم-، وليكن حريصًا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم.

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٧/ ١٢٢).

قال الإمام الحسن:

«محدثان أحدثا فى الإسلام:

رجل ذو رأى سيئ زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه.

ومترف يعبد الدنيا لها ويغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار. وإن رجلاً أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرّض لأجر عظيم فكذلك كونوا».

وفى الحديث: «**من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو ردّ**»(١).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها. قال الله تعالى:

﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا**﴾(٢). وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾(٣).

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف، فكن أحد رجلين:

إما متصفًا بهذه الصفات. أو معترفًا بالتقصير مع الإقرار به، وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين، وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين. نعوذ بالله من خدع الشيطان، فبها هلك الجمهور، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغرّه الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الأنعام: ٧٠.

(٣) سورة فاطر: ٨.

الحق الثامن عشر:

حق السائل والمحروم

الحق الثامن عشر:

حق السائل والمحروم

من هو السائل؟ ومن هو المحروم؟

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- ما مختصره-:

«أما السائل فمعروف وهو الذى يبتدئ بالسؤال، وله حق كما قال رسول الله -ﷺ-:

«للسائل حق وإن جاء على فرس»(١).

وأما المحروم: فقال ابن عباس ومجاهد: هو المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم، يعنى لا سهم له فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفه يتقوت منها.

وقالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

«هو الـمُحارَف(٢) الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه»

وقال الضحاك:

«هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك».

وقال أبو قلابة:

«جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من الصحابة -رضي الله عنهم-: هو المحروم».

وقال قتادة والزهرى:

«المحروم الذى لا يسأل الناس شيئًا».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠١).

(٢) المحارف: يقال: حورف كسب فلان إذا شُدِّد عليه فى معاشه.

قال الزهرى وقد قال رسول الله -ﷺ-:

«ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه»(١). وهذا الحديث قد أسنده الشيخان فى «صحيحيهما» من وجه آخر(٢).

واختار ابن جرير: «أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها»(٣).

وروى ابن وهب عن مالك:

«إنه الذى يحرم الرزق».

قال القرطبى: «وهذا قول حسن، لأنه يعم جميع الأقوال»(٤).

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾(٦).

وصف الله تعالى المتقين.. أهل الصلاة بأنهم: «يجعلون فى أموالهم نصيبًا معلومًا يشعرون أنه حق للسائل والمحروم. وفى هذا تخلص من الشح

---

(١) وفى «المسند» عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«ليس المسكينُ الطوَّاف عليكم الذى ترده اللقمةُ واللقمتان، ولكن المسكين المتَعفّف»** صحيح. أخرجه أحمد برقم (٩٧٤٠).

(٢) البخارى (٢/ ١٥٤)، مسلم (٣/ ٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦١، ٣٦٢).

(٤) تفسير القرطبى (١٧/ ٣٧).

(٥) سورة الذاريات: ١٥-١٩.

(٦) سورة المعارج: ١٩-٢٥.

واستعلاء على الحرص! كما أن فيه شعوراً بواجب الواجد تجاه المحروم، فى هذه الأمة المتضامنة المتكافلة. . والسائل الذى يسأل، والمحروم الذى لا يسأل ولا يعبر عن حاجته فيحرم. أو لعله الذى نزلت به النوازل فحرم وعفّ عن السؤال. والشعور بأن للمحتاجين والمحرومين حقًّا فى الأموال هو شعور بفضل الله من جهة، وبآصرة الإنسانية من جهة، فوق ما فيه من تحرر شعورى من ربقة الحرص والشح. وهو فى الوقت ذاته ضمانة اجتماعية لتكافل الأمة كلها وتعاونها. فهى فريضة ذات دلالات شتى، فى عالم الضمير وعالم الواقع سواء. . وذكرها هنا فوق أنه يرسم خطًّا فى ملامح النفس المؤمنة فهو حلقة من حلقات العلاج للشح والحرص فى السورة»[1].

الترغيب فى آداء الزكاة والجود، والترهيب من البخل والشح:

١- قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

فالذى يدعو الناس إلى البخل والشح هو الشيطان.

دَلَّاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمّ أَوْرَدَهُمْ … إِنَّ الخَبِيثَ لِمَن وَالاه غَرَّارُ

فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان، فلينظر البخيل والمنفق أىَّ الوعدين هو أوثق، وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه؟!

٢- وقال تعالى:

(١) الظلال (٦/ ٣٦٩٩ - ٣٧٠٠).

(٢) سورة البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

اعلم أن إنفاق حبة، يثـمر لك الوفاق والمحبة ﴿ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ فالزم فعل الخير مكانك، وأطعم البُرّ إمكانك، وعامل مولاك بما أَوْلاك.

٣- وقال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٢).

قال ابن كثير:

«يخلف عليكم فى الدنيا بالبدل، وفى الآخرة بالجزاء والثواب».

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«قال الله عز وجل: أَنْفِقْ أُنفِقْ عليك»(٣).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«أنفق يا بلال، ولا تخش من ذى العرش إقلالاً»(٤).

٤- وقال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

(٢) سورة سبأ: ٣٩.

(٣) متفق عليه.

(٤) **صحيح**: رواه البزار عن بلال وعن أبى هريرة -رضي الله عنهما- وانظر: صحيح الجامع (١٥٠٨).

(٥) سورة البقرة: ٢٦٥.

وقال رسول الله -ﷺ-:

«ما تصدق أحد بصدقة من طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو فى كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُربِّى أحدُكم فَلُوّه أو فصيله»(١).

واعجبًا للقمة كانت قليلة فكثرت، وفانيةً فبقيت، ومحفوفةً فحفظت إن اللقمة إذا أُكلت صارت أذىً وقبائح فى الحُشِّ، وإذا تُصَدِّق بها صارت إذًا مدائح عند العرش(٢).

٥- وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٣).

الكنز: هو المال الذى لا تؤدى زكاته.

قال ابن عمر:

«ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز».

وقال عمر: «أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا فى الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض».

وفى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول **الله** -ﷺ- قال:

«ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذى وغيره.

(٢) صلاح الأمة (٢/٥٠٦).

(٣) سورة التوبة: ٣٤، ٣٥.

فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

ومن الأحاديث:

● عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«يا معشر المهاجرين خصال خمسٌ إذا ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن:

لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين، وشدة المُوْنة، وجَوْر السلطان.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطروا.

ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتَاب الله إلا جُعل بأسهم بينهم»(٢).

● وعن أنس -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«صنائعُ المعروف تقى مصارع السُّوء والآفات والهَلَكَات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»(٣).

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«سبق درْهمٌ درهمين».

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٧١).

(٢) رواه البيهقى، وابن ماجه بنحوه وإسناده حسن لشواهده.

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم. وانظر: صحيح الجامع (٣٦٨٩).

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: «**كان لرجل درهمان فتصدَّق أجودَهما، فانطلق رجلٌ إلى عرض ماله فأخذ منه ألفَ دِرْهم فتصدَّق بها**»(١).

● وعن أبى هريرة -أيضًا- قال:

جاء رجل إلى النبى -ﷺ- فقال:

يا رسول الله، أىُّ الصدقة أعظم؟

قال: «**أن تتصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهّلْ حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**»(٢).

● وعن جعدة أن النبى -ﷺ- رأى لرجل رؤيا. قال:

فبعث إليه فجعل يقصها عليه، وكان الرجل عظيم البطن. قال:

فجعل يقول بأصبعه فى بطنه:

«**لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرًا لك**»(٣).

● وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:

«**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشّح فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»(٤).

● وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-:

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (٨٩١٦)، وحسنه الألبانى. صحيح النسائى (٢٣٦٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (٩٣٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٤/ ٣٤٣) برقم (١٨٨٨٥).

(٤) رواه مسلم.

«شرٌّ ما فى الرَّجُل شُحٌّ هَالِع[(١)]، وجُبْنٌ خَالِع[(٢)]»[(٣)].

الآداب والشروط الظاهرة والباطنة فى إخراج الزكاة والصدقات:

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة خمسة أمور:

الأول: النية:

وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسنّ عليه تعيين الأموال.

الثانى: البدار عقيب الحول، وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر.

ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان.

ووقت تعجيلها شهر رمضان كله. ومن آخر زكاة ماله مع التمكن عصى. وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حَوْلين. ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتدّ أو صار غنيًّا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات، فالمدفوع ليس بزكاة، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجّل مراقبًا آخر الأمور وسلامة العاقبة.

الثالث: أن لا يخرج بدلاً باعتبار القيمة: بل يخرج المنصوص عليه، فلا يجزئ وَرِق[(٤)] عنْ ذهب ولا ذهب عن وَرِق وإن زاد عليه فى القيمة.

الرابع: أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر: فإن أَعْيُن المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها، وفى النقل تخييب للظنون، فإن فعل ذلك أجزأه فى

(١) شح هالع: أى مُحْزِن، والهلع: أشد الفزع.

(٢) جبن خالع: هو شدة الخوف، وعدم الإقدام، ومعناه أنه يخلع قلبه من شدة تمكنه منه.

(٣) صحيح: صحيح سنن أبى داود (٢١٩٢).

(٤) الورق: الفضة.

قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أَوْلى فليخرج زكاة كل مال من تلك البلدة، ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة.

الخامس: أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده: فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾(١) الآية.

بيان الآداب الباطنة فى الزكاة والصدقة:

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف:

الوظيفة الأولى: فهم وجوب الزكاة ومعناها، ووجه الامتحان بها، وأنها لم جُعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرّف مالى وليست من عبادة الأبدان؟ **وفيه ثلاثة معان:**

الأوّل: أن التلفظ بكلمتى الشهادة للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحّد محبوب سوى الواحد الفرد، فإن المحبة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب، واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(٢).

وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقًا إلى لقاء الله عز وجل، والمسامحة بالمال أهون.

ولـمّا فُهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) سورة التوبة: ١١١.

قسم: صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدّخروا دينارًا ولا درهمًا. كالصّديق -رضي الله عنه-:

القسم الثانى: درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات، فيكون قصدهم فى الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعيم، وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة.

وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقًا سوى الزكاة قال الشّعبى بعد أن قيل له:

هل فى المال حق سوى الزكاة؟

قال: نعم، أما سمعت قوله عز وجل:

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾(١).

القسم الثالث: وهم الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرُّتب، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة، فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال.

والمعنى الثانى: التطهير من صفة البخل، فإنه من المهلكات.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المَرْء بنفسه**».

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

المعنى الثالث: شكر النعمة، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيّق عليه الرزق وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة الحشر: ٩.

الوظيفة الثانية: في وقت الأداء، ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء.

الوظيفة الثالثة: الإسْرار، فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة.

وفي الحديث المشهور:

«**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه** -أحدهم: **رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**».

وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القَابض من المُعْطى!!.

فكان بعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم!!

وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى، وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه.

كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب -سبحانه- واحترازاً من الرياء والسمعة.

الوظيفة الرابعة: أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سرّه من داعية الرياء.

قال تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾(١).

وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل عن ملأ من الناس، فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغى أن يتصدّق ويحفظ سرّه عن الرياء بقدر الإمكان، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربّما يتأذى بأن يُرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه.

قال تعالى: ﴿**وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾(١).

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

(٢) سورة فاطر: ٢٩.

ندب إلى العلانية أيضًا لما فيه من فائدة الترغيب.

ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى:

قال تعالى: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾(١).

واختلفوا فى حقيقة المن والأذى، فقيل:

المنّ: أن يذكرها، والأذي: أن يظهرها.

وقال سفيان: مَنْ مَنَّ فسدت صدقته!

فقيل له: كيف المنّ؟

فقال: أن يذكره ويتحدّث به.

وقيل: المَنّ: أن يستخدمه بالعطاء، والأذى: أن يعيّره بالفقر.

وقيل: المَنّ: أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى: أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة.

قال الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«وعندى أنّ المَنّ له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، فأصله أن يرى نفسه محسنًا إليه ومنعمًا عليه، وحقّه أن يرى الفقير محسنًا إليه بقبول حق الله عزّ وجلّ منه الذى هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنًا به فحقه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفّه نائبًا عن الله عزّ وجلّ فى قبض حق الله عز وجل.

قال رسول الله -ﷺ-:

«**إن الصدقة تقع بيد الله عزّوجلّ قبل أن تقع فى يد السائل**»(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) **ضعيف**: أخرجه الدارقطنى، وضعفه العراقى.

فليتحقق أنه مُسَلِّم إلى الله عز وجل حقّه، والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته إلى الله عزّ وجل، ولو كان عليه دَيْن لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفّل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدَّيْن كون القابض تحت منّته سفهًا وجهلاً، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه، أما هو فإنما يقضى الذَى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمّن به على غيره!».

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطية، فإنه إن استعظمها أعجب بها، والعُجب من المهلكات وهو محبط للأعمال.

قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** ﴾(١).

ويقال: إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل.

وقيل: «لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور:

تصغيره، وتعجيله، وستره».

الوظيفة السابعة: أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله تعالى طيبّ لا يقبل إلا طيبًا.

وفى حديث أبان عن أنس بن مالك:

«**طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية**»(٢).

وإذا لم يكن المُخْرج من جيّد المال فهو من سوء الأدب، إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عزّ وجلّ غيره، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره، هذا إن كان نظره إلى الله عزّ وجل، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه، وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى، والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار، وقد قال الله تعالى:

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) أخرجه ابن عدى والبزار، وسكت عليه العراقى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾(١).

أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم.

وفى الخبر: «**سبق درهم مائة ألف درهم**»(٢). وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشىء مما يُحبه، وبذلك ذم الله تعالى قومًا جعلوا لله ما يكرهون، فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا ﴾، وقف بعض القُرّاء على النفى تكذيبًا لهم، ثم ابتدأ وقال: ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾(٣).

الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة مثل: أهل التُّقى، فعن أبى سعيد -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقى**»(٤).

ومثل: أهل العلم، فقد كان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم، فقيل له: لو عَمَّمت؟

فقال: إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرّغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل.

ومثل: أهل التعفّف الذين لا يكثرون البثّ والشكوى.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٧.

(٢) أخرجه النسائى وابن حبان وصححه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم قريبًا بلفظ: «سبق درهم درهمين».

(٣) سورة النحل: ٦٢.

(٤) أخرجه أبو داود والترمذى.

قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾(١)، أى: لا يلحوّن فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم، وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمّل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال.

ومثل: الأقارب وذوى الأرحام، فتكون صدقة وصلة رحم:

● عن سلمان بن عامر -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوى الرحم ثنتان: صدقةٌ، وصلةٌ**»(٢).

● وعن حكيم بن حِزَام -رضي الله عنه- أن رجلاً سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصدقات أيّها أفضل؟

قال: «**على ذى الرَّحم الكاشِح**»(٣).

والكاشح: هو الذى يضمر عداوته فى كشحه، وهو خصره، يعنى: «أن أفضل الصدقة على ذى الرحم القاطع المُضمر العداوة فى باطنه».

بيان وظائف القابض:

القابض: هو الآخذ المحتاج، ووظائفه خمسة:

الأولى: أن يعلم أن الله عزّ وجلّ أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همّه ويجعل همومه همًّا واحدًا.

فقد تعبّد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدًا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٢) **صحيح**: رواه النسائى والترمذى وحسنه، وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. الترغيب (١٣٢٧)، والمشكاة (١٩٣٩).

(٣) **حسن**: رواه أحمد والطبرانى، وإسناد أحمد حسن. الترغيب (١٣٢٨).

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] .

الثانية: أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه، ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه.

قال رسول الله -ﷺ-:

«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[٢] .

وقد أثنى الله -عز وجل- على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالق، وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى:

﴿ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٣] . إلى غير ذلك.

وقال -ﷺ-: **«من صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه»**[٤] .

ومن تمام الشكر: أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عَيْب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخّم عند نفسه وعند الناس صنيعه.

الثالثة: أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّ تورّع عنه، **﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾**[٥] .

ولن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحًا من الحلال.

الرابعة: أن يتوقّى مواقع الرّيبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق.

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) أخرجه الترمذيّ وحسنه.

(٣) سورة ص: ٤٤.

(٤) أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح.

(٥) سورة الطلاق: ٢، ٣.

وفى الحديث: «**من سأل وله ما يغنيه فإنما يستكثر من جَمْر جهنم**»(١).

الخامسة: أن يسأل صاحب المال عن القدر الواجب عليه، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه، وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق، فإنهم لا يراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم.

«صور من حياة الأسخياء»

١- قصة الرجل الصالح الذى رَوَتْ السَّحابةُ أرْضَه!!:

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا فى سحابة يقول:

اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحاب، فأفْرغ ماءه فى حَرَّة، فإذا هى شرْجَةٌ من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائمٌ فى حديقته يُحوّل الماء بمسْحاته، فقال له:

يا عبد الله، ما اسمُك؟

قال: فلان. للاسم الذى سمع فى السّحابة.

فقال له: يا عبد الله، لم تسألنى عن اسْمى؟

قال: إنى سمعتُ صوتًا فى السّحاب الذى هذا ماؤه يقول:

اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟

قال: أمّا إذْ قلتَ هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرُدّ فيها ثلثًا»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود وابن حبان.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

٢- حاتم الطائى يكرم النملَ:

كان حاتم الطائى كافرًا!! وكان يُطعم حاضرًا ومسافرًا، فإذا فضِلت لقماتٌ ألقاهنّ على الرَّمل، وقال:

إنّهن جارات -يعنى النمل-!!

ولما وصل إلى النبىّ -ﷺ- ما كان من كرمه عن طريق ابنته، قال:

«لو كان أبوكِ مُسْلمًا لترحمنا عليه».

٣- كرم طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-:

عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عبيد الله، أنه أتاه مالٌ من حضرموت سبعمائة ألف. قال:

فبات ليلته يتململ.

فقالت له زوجته: يا أبا محمد، مالى أراك منذ الليلة تتململ؟ أرابك منا أمرٌ فنُعْتِبك؟

قال: لعمرى لنعم زوجة المرء أنت، ولكنْ تفكَّرتُ منذ الليلة، فقلتُ:

ما ظن رجلٍ بربّه عز وجل يبيتُ وهذا المال فى بيته؟

قالت: فأين أنت عن بعض أخلاقك؟

قال: وما هو؟

قالت: إذا أصبحتَ دعوتَ بجفانٍ وقِصاع، فقسمته على بيوت المهاجرين والأنصار على قَدْر منازلهم.

قال: فقال لها: يرحمك الله تعالى، إنك ما علمتُ موفّقة بنت موفَّق.

-وهى أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق -رضي الله عنه-.

فلما أصبح دعا بجفانٍ وقِصاع، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علىّ بن أبى طالب منها بجفنه، فقالت له زوجته:

يا أبا محمد، أما كان لنا فى هذا المال من نصيب؟

قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك ما بقى.

قالت: فكانت صَرَّة فيها نحوٌ من ألف درهم(١).

٤- سخاء عبد الرحمن بن خالد:

كان عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية رجلاً فقيهًا فاضلاً موسرًا، كثير الغزو والحج، أعطى حتى بلغت عطاياه قواعد المسجد.

وبينما هو يومًا يتغدَّى حيث فرغ من غذائه، إذ استأذن عليه رجلٌ مكفوف من بنى فِهر، تقوده أَمَةٌ سوداء، فقال:

يا غلام، طعامك.

فأقبل يأكل معه كأنه لم يأكل شيئًا، ثم قال:

حاجتك؟

قال: حفظك الله، شيخ من بنى فهر، لى أربع بنات، ليس لى ولاهنّ إلاّ الأمة السوداء، فإن خدمتنى أضرّ ذلك بهنّ، وإن خَدَمْتهُنَّ أضرَّ ذلك بى، ووالله ما أصبحتُ أملك شيئًا، فانظر فى حاجتى، وصلك الله.

فأقبل يعتذر إليه، ويذكر مسيره ومَنْ يأتيه من قومه وما يتكلّف.

فقلنا(٢): يعطيه خمسة دنانير، فإن أعطاه عشرة فذلك كثير!

فقال: يا غلام، أعطه مائة دينار، وأخْدمْ كلّ ابنة له خادمًا، وأعطه قائدًا، وأجْر عليه من مالنا بالسُّقيا كذا وكذا وسقًا من تمْرٍ.

فلما نهض الشيخ قيل له:

يرحمك الله، اعتذرت إليه، فقلنا: يعطيه خمسة دنانير، فإن زاده أعطاه عشرة دنانير! فقال:

إى والله، لأن يكون فِعْلى أحسن من قولى، أحبُّ إلىّ من أن يكون قولى أحسن من فِعْلى(٣).

(١) **حسن**: رواه الدارقطنى وابن عساكر.

(٢) أى: الحضور فى مجلسه.

(٣) صلاح الأمة (٢/ ٥٦٩) نقلاً عن لباب الآداب ص١٠٣ - ١٠٥.

٥- سخاء عبد الله بن المبارك:

قال علي بن الحسين بن شقيق(١):

كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو، فيقولون: نصحبك.

فيقول: هاتوا نفقاتكم.

فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يَكْترى لهم، ويخرجهم من مَرْو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول -ﷺ-، فيقول لكل واحد:

ما أَمَرك عيالُك أن تشترى لهم من المدينة مِنْ طُرَفها؟

فيقول: كذا وكذا، فيشترى لهم.

ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حَجَّهم، قال لكل واحد منهم:

ما أمرك عيالُك أن تشترى لهم من متاع مكة؟

فيقول: كذا وكذا، فيشترى لهم.

ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصِّص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته عليها اسمه!!.

«حكاية»:

يقول أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه-:

لما حضر أبا موسى الوفاةُ قال:

يا بنىّ اذكروا صاحب الرغيف.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٨٦).

قال: كان رجل يتعبد فى صومعةٍ -أراه سبعين سنة- لا ينزل إلا فى يوم واحد.

قال: فشبّه أو شبه الشيطان فى عينه امرأة قال:

فكان معها سبع ليال، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا فكان كلما خطا خطوة صلّى وسجد، فآواه الليل إلى مكان عليه اثنا عشر مسكينًا فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم.

وكان ثمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة أرغفة، فيعطى كل إنسان رغيفًا، فجاء صاحب الرُغف وأعطى كل إنسان رغيفًا، ومَرّ على ذلك الرجل الذى خرج تائبًا، وظن أنه مسكين فأعطاه رغيفًا، فقال المتروك لصاحب الرُّغف:

مالك لم تعطنى رغيفى؟

فقال: ترانى أمسكته عنك! سل هل أعطيتُ أحدًا منكم رغيفين؟!

قالوا: لا.

فقال: ترانى أمسكته عنك، والله لا أعطيك الليلة شيئًا، فعمد التائب إلى الرغيف الذى دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذى تُرك، فأصبح التائب ميتًا.

قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالى فرجحت الليالى، فوُزن الرغيف بالسبع الليالى فرجح الرغيف.

فقال أبو موسى: يا بنىّ، اذكروا صاحب الرغيف(١).

«حكاية ثانية»:

يروى أبو يعلى البصرى -رحمه الله- عن إسحاق بن عباد البصرى قال:

رأيت فى منامى ذات ليلة قائلاً يقول:

أغث الملهوف فانتبهت، فقلت:

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٦٣).

انظروا هل فى جيراننا محتاج؟

فقالوا: ما ندرى.

فنمتُ ثانيًا فعاد إلىَّ، فقال: تنام ولم تغث الملهوف؟!

قال: فانتبهتُ، ونمت الثالثة فعاد إلىّ، فقمت فقلت للغلام:

أسرجْ البغل، وأخذت معى ثلاثمائة درهم، ثم ركبتُ البغل وأطلقتُ عنانه، فمرّ فأخذ على مسجد الجامع، ثم مضى فى سكة المربد، حتى خرج من الدروب إلى الجبانة فصار إلى المقابر، ثم عطف يُمنه إلى مسجد يُصلى فيه على الجنائز، فوقف البغل هناك، فنظرت فإذا رجل يصلى، فلمّا أحسّ بى انصرف فدنوتُ منه فقلت: يا عبد الله، فى هذا الوقت، فى هذا الموضع، ما أخرجك؟

فقال: أنا رجل خواص كان رأس مالى مائة درهم فذهبت من يدى، ولزمنى دَيْنٌ مائتا درهم.

قال: فأخرجت الدراهم فقلت:

هذه ثلاثمائة درهم فخذها، فأخذها.

فقلتُ: تعرفنى؟

قال: لا.

قلت: أنا إسحاق بن عبّاد فإن نابتك نائبة فأتنى فإن منزلى فى موضع كذا.

فقال: رحمك الله، بل إن تأتينا نائبة فزعنا إلى مَنْ أخرجك فى هذا الوقت، حتى جاء بك إلينا!!!»(١).

«حكاية ثالثة»:

«قيل لإبراهيم الحربى -رحمه الله-: هل كسبت بالعلم شيئًا؟

---

(١) البر والصلة لابن الجوزى (٤٥٤).

قال: كسبتُ به نصف فلس!! كانت أمّى تجرى علىَّ كل يوم رغيفين، وقُطيعة فيها نصف دانق، فخرجتُ فى يوم ذى طين، وأجمع رأيى على أن آكل شيئًا حُلوًا، فلم أر شيئًا أرخص من الدِّبس(١)، فأتيتُ بقالاً فدفعت إليه القطيعة، فإذا فيها قيراط إلا نصف فِلْس، وتذاكرنا حديث السخاء والكرم، فقال البقال:

يا أبا إسحاق تكتب الأخبار والحديث، حدثنا فى السخاء بحديث.

قلتُ: نعم. حدثنى أبو بكر عبد الله بن الزبير حدثنا أبى، عن شيخ له، قال: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضياعة ينظر إليها، فإذا فى حائط لنسيب له عبد أسود، بيده رغيف وهو يأكل لقمة، ويطرح لكلب لقمة، فلما رأى ذلك استحسنه، فقال:

يا أسود، لمن أنت؟

قال: لمصعب بن الزبير.

قال: وهذه الضيعة لمن؟

قال: له.

قال: لقد رأيتُ منك عجبًا، تأكل لقمةً، وتطرح للكلب لقمة!

قال: إنى لأستحيى من عين تنظر إلىَّ أن أوثر نفسى عليها.

قال: فرجع إلى المدينة، فاشترى الضيعة، والعبد، ثم رجع وإذا بالعبد، فقال:

يا أسود، إنى قد اشتريتك من مصعب قائمًا.

قال: جعلنى الله عليك ميمون الطلعة.

قال: وإنى اشتريت هذه الضيعة.

فقال: أكمل الله لك خيرها.

قال: وإنى أشهد أنك حرٌّ لوجه الله.

---

(١) الدِّبس: عسل التمّر وعصارته.

قال: أحسن الله جزاءك.

قال: وأشهد الله أن الضيعة منى هدية لك.

قال: جزاك الله بالحسنى.

ثم قال العبد: فأشهد الله وأشهدك أن هذه الضيعة وقفٌ منى على الفقراء!!.

فرجع وهو يقول: العبد أكرم منا»(١).

«حكاية رابعة»:

«عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال:

حدثتنى مولاة أبى أمامة، قالت:

كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، وما يرد سائلاً ولو ببصلة، أو بتمرة، أو بشىء مما يؤكل.

فأتاه سائلٌ ذات يوم، وقد افتقر من ذلك كله، وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائلٌ فأعطاه دينارًا.

قالت: فغضبتُ وقلت: لم تترك لنا شيئًا!

قالت: فوضع رأسه للقائلة(٢)، فلما نودى للعصر أيقظته فتوضأ وراح إلى المسجد، فرفقت عليه وكان صائمًا، فتقرضتُ وجعلت له عشاء، وأسرجتُ له سراجًا، وجئتُ إلى فراشه لأمهد له فإذا بذَهبٍ فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار!!!، قلت:

ما صنع الذى صنع إلا وقد وثق بما خلّف.

فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة، ورأى السّراج تبسم، وقال:

هذا خيرٌ من عنده.

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٣).

(٢) القائلة: القيلولة وهى النوم فى الظهيرة.

قالت: فقمتُ على رأسه حتى تعشّى فقلت: يرحمك الله خلّفت هذه النفقة سبيل، ولم تخبرنى فارفعها.

قال: وأى نفقة؟! ما خلقتُ شيئًا.

قالت: فرفعت الفراش، فلما أن رآه فرح واشتد عجبه.

قالت: فقمت فقطعت زنارى(١)، وأسلمتُ.

قال ابن جابر: فأدركتها فى مسجد حمص، وهى تعلم النساء القرآن والسنن، والفرائض، وتفقههن فى الدين(٢).

ومن القصص النبوى فى السخاء:

١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن نبى الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«رجلان سلكا مفازةً: عابدٌ، والآخر به رَهَقٌ(٣)، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه، وهو صريع فقال:

والله إن مات هذا العبد الصالح عطشًا، ومعى ماءٌ لا أُصيب من الله خيراً أبدًا، ولئن سقيتُه مائى لأموتنّ، فتوكل على الله وعَزَم فَرَشّ عليه من مائه وسقاه فضلَهُ، فقام فقطع المفازة، فيُوقف الذى به رهق للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد، فيقول:

يا فلان أما تعرفنى؟

فيقول: ومن أنت؟

فيقول: أنا الذى آثرتُك على نفسى يوم المفازة.

فيقول: بل أَعْرفك، فيقول للملائكة: قِفوا فيقفون فيجىء حتى يقف فيدعو ربه عز وجل فيَقول يا رب:

قد عرفتَ يده عندى، وكيف آثرنى على نفسه. يا ربِّ. هَبْهُ لى.

---

(١) الزُّنار: ما على وسط المجوسى والنصرانى وعُرّف بأنه ما يلبسه الذمّىُّ يشده على وسطه.

(٢) الحلية (١٠/ ١٢٩).

(٣) الرهق: السّفه وغشيان المحارم.

فيقول: هو لك فيجىء فيأخذ بيد أخيه فيدخله الجنة!!» .

٢- وعن ثابت البُنانى عن أنس -رضى الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«أن رجلاً من أهل الجنة يُشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجلٌ من أهل النار، فيقول:

يا فلان هل تعرفنى؟

فيقول: لا، والله ما أعرفك مَنْ أنت؟

فيقول: أنا الذى مررتَ بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربةً من ماء فسقيتُك.

قال: قدعرفتُ.

قال: فاشفع لى بها عند ربك.

قال: فيسأل الله تعالى جلّ ذكْرُهُ، فيقول: إنى أشرفتُ على النار فنادانى رجل من أهلها، فقال لى هل تعرفنَى؟ قلت: لا والله ما أعرفك من أنت؟

قال: أنا الذى مررتَ بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربة من ماء فسقيتك، فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه، فيشفّعه الله فيأمرُ به، فيُخْرجُ من النار» رواه ابن ماجه، ولفظه قال:

«يُصف الناس يوم القيامة صفوفًا، ثم يمُّر أهل الجنة فيمرُّ الرجلُ على الرجل من أهل النار، فيقول:

يا فلان أما تذكر يوم استسقيتَ فسقيتُك شربة.

قال: فيشفع له، ويمرُّ الرجلُ على الرجل فيقول:

أما تذكر يوم ناولتك طهُوراً فيشفع له.

ويمّر الرجلُ على الرجل فيقول:

يا فلان أما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبتُ لك. فيشفع له» .

٣- وعن كُدَيْر الضَّبى أن رجلاً أعرابيًا أتى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال:

أخبرنى بعمل يقرّبنى من الجنة، ويباعدنى من النار؟

فقال النبى -ﷺ-: «**أَوْهُمَا أَعْمَلَتَاكَ؟**».

قال: «**نعم، تقول العَدْل، وتعطى الفضل**».

قال: والله لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، وما أستطيع أن أعطى الفضل.

قال: «**فتطعم الطعام وتفشى السلام**».

قال: هذه أيضًا شديدة.

قال: «**فهل لك إبل؟**».

قال: نعم.

قال: «**فانظر إلى بعير من إبلك وسقاء، ثم اعْمَدْ إلى أهل بيت لا يشربون الماء إلا غبًّا**(١) **فاسقهم فلعلك لا يَهْلِك بعيرُك، ولا ينخرق سقاؤك حتى تجب لك الجنة**».

قال: فانطلق الأعرابىُّ يكبر فما انخرق سقاؤه، ولا هلك بعيره حتى قُتل شهيدًا»(٢).

٤- وعن محمود بن الربيع أن سُراقة بن جُعشم. قال:

يا رسول الله: الضالة تردُ على الحوض فهل لى فيها من أجر إن سقيتُها.

قال: «**اسقها، فإن فى كل ذات كبد حَرَّاء أجرًا**»(٣).

٥- وعن على بن الحسين بن شقيق، قال:

«سمعتُ ابن المبارك، وسأله رجل:

---

(١) قليلاً زمنًا بعد زمن.

(٢) قال المنذرى: رواه الطبرانى والبيهقى، ورواه الطبرانى إلى «كدير» رواة الصحيح. الترغيب (١٤٢١).

(٣) رواه ابن حبان فى «صحيحه».

يا أبا عبد الرحمن: قُرحةٌ خرجت فى رُكْبتى منذ سبع سنين، وقد عالجْتُ بأنواع العلاج، وسألتُ الأطباء فلم أنتفع به.

قال: اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناسُ الماء فاحْفُر هناك بئرًا فإنى أرجو أن تنبع هناك عَيْنٌ، ويُمْسكُ عنك الدّم، ففعل الرجل فَبرَأ». رواه البيهقى، وقال:

وفى هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبى عبد الله -رحمه الله-:

فإنه قُرح وجْهُه وعالجه بأنواع المُعالجة فلم يذهب، وبقى قريبًا من سنة فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابونى أن يدعو له فى مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلمّا كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأةٌ فى المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها، واجتهدت فى الدعاء للحاكم أبى عبد الله تلك الليلة، فرأت فى منامها رسول الله -ﷺ- كأنه يقول لها:

«قولى لأبى عبد الله يُوسِّعُ الماء على المسلمين»، فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بُنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصبِّ الماء فيها، وطُرح الجمَدْ فى الماء، وأخذ الناس فى الشُّرْب، فما مَرّ عليه أسبوعٌ حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القُروح، وعاد وجهُه ألى أحسن ما كان، وعاش بعد ذلك سنين.

قال الدكتور: مصطفى عمارة -معلّقًا-:

«فيه أن عمل الخيرات العامة فى طريق المسلمين يسبب طول العمر، ونضارة الصحة، ويجلب بهجة الحياة ورخاء العيش وهناء البال وراحة الضمير وزيادة الرزق والكسب، وهذا مُجرّب. لعمرى رأيتُ صالحين عمرّوا الطرق بسقاية أو ظلة، فسهّل الله لهم أرزاقهم وأثابهم وبارك فى نسلهم»[1] ا.هـ.

أخى القارئ:

كان هذا هو حال الصالحين، فماذا عن حال المسلمين اليوم؟!

(١) هامش الترغيب والترهيب (٢/ ٧٤ - ٧٥).

كـان الكرام وأبناءُ الكرام إذا تسامعوا بكريم ناله عَدَمُ
تسابقوا فيواسيه أخو كرم منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
فاليوم صاروا يَعُدُّون النَّدَى سرفًا ويُنكرون على المُعْطِي إذا علموا!

وما أصدق الشاعر لبيد حين قال:

ذهب الذين يُعَاش في أكنافهم
وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ!

رحم الله لبيدًا فكيف لو أدرك مَنْ نحن بين ظهرانيهم؟

فهيا -أيها المسلم- سارع بالصدقات، وتحرر من داء البخل تكن من المفلحين، وامسح دموع اليتامى والأرامل، وأحسن إلى السائل والمحروم.

﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(١).

«مصارع البخلاء»

قالوا: بشّر مال البخيل بحادث أو وارث».

وكان الإمام الحسن -رحمه الله تعالى- يقول:

«ابن آدم بين ثلاثة أشياء: بليةٍ نازلةٍ، ونعمةٍ زائلةٍ، ومنيَّةٍ قاتلة»(١).

والقرآن العظيم ذكر لنا مآل البخلاء... ونهاية أمرهم.. ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ومن هذا القصص:

«قصة أصحاب الجنة»:

والقصة، وقعت أحداثها في «اليمن» في قرية يقال لها «ضروان» -على الراجح- حيث عاش أحد الصالحين الأغنياء، وكان يمتلك «جنة»(٣).. قال

---

(١) سورة المزمل: ٢٠.
(٢) الزهد للحسن البصري (ص٢٤).
(٣) الجنة: البستان.

ابن كثير: «وقد كان يسير فيها سيرة حسنة، فكان يستغل منها ويرد فيها ما تحتاج إليه -من زرعها- ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلمّا مات وورثه بنوه قالوا:

لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء»(١).

اقرأ:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾. يريد أهل مكة. والابتلاء الاختبار. والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليَبْطَروا، فلما بَطِروا وعادَوْا محمداً -ﷺ- ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا أهل الجنة المعروف خبرها عندهم.

﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا﴾. يعني حلفوا فيما بينهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾. يعني لنجذّنها وقت الصبح قبل أن تخرج المساكين.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣٦).

(٢) سورة القلم: ١٧-٣٣.

﴿ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾ يعنى لم يقولوا إن شاء الله(١).

قال ابن عباس: كانت تلك الجنة دون صنعاء بفرسخين، غرسها رجل من أهل الصلاح وكان له ثلاثة بنين، وكان للمساكين كل ما تعدّاه المِنْجل فلم يجذّه من الكَرم، فإذا طُرح على البساط فكل شيء سقط على البِساط فهو أيضًا للمساكين، فإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعدّاه المَنْجل فهو للمساكين، فإذا دَرَسُوا كان لهم كل شيء انتشر، فكان أبوهم يتصدق منها على المساكين، وكان يعيش فى ذلك فى حياة أبيهم اليتامى والأرامل والمساكين، فلما مات أبوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم. فقالوا:

قلّ المال وكثر العيال، فتحالفوا بينهم ليغدُون غدوة قبل خروج الناس ثم لَيصْرِمنها ولا تعرف المساكين. وهو قوله:

﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ أى حلفوا ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ ليقطعن ثمر نخيلهم إذا أصبحوا بسُدْفة(٢) من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم. والصرم: القطع.

يقال: صرم العِذق عن النخلة. وأصرم النخلُ أى حان وقت صِرامه.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾. فجاؤها ليلاً فرأوا الجنة مسودّة قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. قيل: الطائف جبريل -عليه السلام- وقال ابن عباس: أمرٌ من ربك.

وقال قتادة: عذاب من ربك.

وقال ابن جريح: عنق من نار خرج من وادى جهنم.

والطائف لا يكون إلا بالليل، قاله الفراء.

قال الإمام القرطبى: «فى هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى:

---

(١) وقال عكرمة: «ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذى كان يدفعه أبوهم إليهم».

(٢) السدفة: الظلمة.

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

وفى «الصحيح» عن النبى -ﷺ- قال:

«إذا التقى المُسْلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار».

قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه» ا.هـ.

قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أى كالليل المظلم. أى احترقت فصارت كالليل الأسود!!.

قال ابن عباس: كالرَّماد الأسود.

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أى يتسارّون، أى يخفون كلامهم ويسرّونه لئلا يعلم بهم أحد.

وقيل: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم. وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصِّرام.

﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أى قصْد وقدرة فى أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم.

قال ابن عباس: والحَرْد القصد.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى لما رأوها محترقة لا شىء فيها وقد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد، أنكروها وشكُّوا فيها: وقال بعضهم لبعض:

﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى ضللنا الطريق إلى جَنَّتنا، قاله قتادة.

وقيل: أى إنا لضالون عن الصواب فى غدوّنا على نية منع المساكين، فلذلك عوقبنا.

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى حُرمنا جنتنا بما صنعنا.

---

(١) سورة الحج: ٢٥.

روى أسباط عن ابن مسعود، قال:

قال رسول الله - ﷺ -:

«**إياكم والمعاصى إن العبد ليُذنب الذنب فيُحرم به رزقًا كان هُيِّء له** - ثم تلا: ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ**﴾. الآيتين»(١).

﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ**﴾ أى أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم:

﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ**﴾ أى هلاَّ تستثنون. وكان استثناؤهم تسبيحًا، قاله مجاهد وغيره. وهذا يدل علىٰ أن هذا الأوسط كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه.

وقيل: هلاَّ تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خُبْث نيّتكم، فإن أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكّرهم انتقامه من المجرمين.

﴿ **قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا**﴾ أى نستغفر الله من ذنبنا.

﴿**إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ لأنفسنا فى منعنا المساكين.

﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ**﴾ أى يلوم هذا هذا فى القسم ومنع المساكين، ويقول: بل أنت أشرت علينا بهذا.

﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ**﴾ أى عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كَيْسان: طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل.

﴿**عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا**﴾ تعاقدوا وقالوا:

إن أبدلنا الله خيرًا منها لنصنعن كما صنعت آباؤنا، فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله خيرًا منها.

قال ابن مسعود:

«إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان».

---

(١) رواه ابن أبى حاتم، وللحديث شواهد عند أحمد وغيره.

وقال الحسن: قول أهل الجنة:

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: لا أدرى إيمانًا كان ذلك منهم، أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشِّدة، فيوقف فى كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟

فقال: لقد كلّفتنى تعبًا.

والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا، حكاه القشيرى.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أى عذاب الدنيا وهلاك الأموال.

وقيل: إن هذا وعظٌ لأهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجَدْب لدعاء النبى -ﷺ-، أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدّى حدودنا فى الدنيا.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

نعوذ بالله من نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع.

الحق التاسع عشر والعشرون:

حـــق الراعى والرعـيـة

الحق التاسع عشر والعشرون:

حق الراعى والرعية

أخى القارئ:

لما كانت الولاية سببًا لسلامة الخلق فى أبدانهم وأديانهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، وضع الإسلام حقوقًا للراعى والرعية، نستعرض منها ما تيسر على السطور القادمة -إن شاء الله تعالى-.

أولاً: حق الراعى:

وضع الإسلام حقوقًا للراعى على الرعية، من هذه الحقوق:

الحق الأول: السمع له والطاعة:

بامتثال أمره وترك نهيه ما لم يكن فى ذلك معصية الله ورسوله، فإن كان فى طاعة الولاة معصية لله ورسوله فلا سمع لهم ولا طاعة.

- قال -ﷺ-: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**» حديث صحيح.
- وفى «الصحيحين» عن على بن أبى طالب -رضي الله عنه- قال:

«بعث النبى -ﷺ- سريّة واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وَجَد عليهم[1] فى نفسه شيئًا فقال لهم:

أليس قد أمركم رسول الله -ﷺ- أن تطيعونى؟

قالوا: بلى.

قال: فاجمعوا لى حطبًا. ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال:

عزمتُ عليكم لتدخلنها!!.

(١) أى غضب عليهم.

فقال لهم شابٌّ منهم: إنما فررتم إلى رسول الله -ﷺ- من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله -ﷺ- فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، فرجعوا إلى رسول الله فأخبروه، فقال لهم رسول الله -ﷺ-:

«لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا إنما الطاعة فى المعروف».

● وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبى -ﷺ- قال لكعب بن عُجْرة:

«أعاذك الله من إمارة السُّفهاء».

قال: وما إمارةُ السّفهاء؟

قال: **«أمراء يكونون بعدى لا يهتدون بهدْيى، ولا يستنون بسنتى، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا منى ولستُ منهم، ولا يردون على حوضى.**

ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على ظلمهم، فأولئك منى، وأنا منهم، وسيردون على حوْضى.

يا كعب بن عُجْرة: الصيام جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قُرْبان».

أو قال: **«برهان»**.

يا كعب بن عُجرة: الناس غاديان فمبتاعٌ نفسَه فمُعْتقها، وبَائعٌ نفسه فموبقها»(١).

ودعا الإسلام إلى الصبر على جَوْرهم وظلمهم:

قال -ﷺ-: **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية»**.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد واللفظ له والبزار، ورواتهما محتج بهم فى الصحيح. الترغيب برقم (٣٣٣١).

«إن من طاعة ولاة الأمور التى أمر الله بها أن يتمشّى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة إذا لم تخالف الشريعة فمتى تمشى على ذلك كان مطيعًا لله ورسوله ومثابًا على عمله، ومن خالف ذلك كان عاصيًا لله ورسوله وآثمًا بذلك»(١).

● قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾(٢).

قال سهل بن عبد الله التسترى -رحمه الله تعالى-:

«أطيعوا السلطان فى سبعة: ضرب الدراهم والدنانير، والمكاييل والأوزان، والأحكام والحج والجمعة والعيدين والجهاد».

قال سهل: وإذا نهى السلطان العالم أن يُفْتى فليس له أن يُفْتى، فإن أفتى فهو عاص وإن كان أميرًا جائرًا».

وقال ابن خُوَيْز مَنْدَاد:

«وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة، ولا تجب فيما كان لله فيه معصية».

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى- معلّقًا على قول سهل:

«ولذلك قلنا: إن ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معانتهم(٣) ولا تعظيمهم، ويجب الغزو معهم متى غَزَوْا، والحُكم من قِبلهم، وتولية الإمامة والحسبة، وإقامة ذلك على وجه الشريعة. وإن صلّوا بنا وكانوا فسقة من جهة المعاصى جازت الصلاة معهم، وإن كانوا مُبتدعة لم تجز الصلاة معهم إلاّ أن يُخافوا فيصلّى معهم تقيّة وتعاد الصلاة»(٤).

---

(١) حقوق الراعى والرعية للشيخ العثيمين (ص ١٨).

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) أى فى المعصية.

(٤) تفسير القرطبى (٥/ ٢٢٤).

وقال أيضًا:

«قلتُ: رُوى عن على بن أبى طالب -رضي الله عنه- أنه قال:

«حقٌّ على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدى الأمانة، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه، لأن الله تعالى أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمر بطاعته»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

قال ابن عباس: يعنى أهل الفقه والدين.

قال ابن كثير: «والظاهر والله أعلم أنها عامة فى كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء»(٢).

قال سهل بن عبد الله:

«لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطان والعلماء، فإذا عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم».

● وعن أبى نجيح: العرباض بن سارية -رضي الله عنه-، قال:

وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا:

يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا.

قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عَبْدٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدّيين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

والشاهد فى الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم-:

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٧٨٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

«**والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عَبْدٌ**».

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله تعالى- فى شرح الحديث:

«وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد فى معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم كما قال علىّ بن أبى طالب -رضي الله عنه-:

«إن الناس لا يصلحهم إلا إمام برّ أو فاجر، إن كان فاجرًا عَبَد المؤمنُ فيه ربه وحمل الفاجر فيها إلى أجله».

وقال الحسن فى الأمراء:

«هم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر».

وخرّج الخلال فى كتاب الإمارة من حديث أبى أمامة قال:

«أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه حين صلّوا العشاء أن:

«**احشدوا فإن لى إليكم حاجة**».

فلما فرغوا من صلاة الصبح قال:

«**هل حشدتم كما أمرتكم؟**».

قالوا: نعم.

قال: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، هل عقلتم هذه؟**» ثلاثًا.

قلنا: نعم.

قال: «**فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هل عقلتم هذه؟**» ثلاثًا.

قلنا: نعم.

قال: «**اسمعوا وأطيعوا، هل عقلتم هذه؟**» ثلاثًا.

قلنا: نعم.

قال: فكنا نرى أن رسول الله -ﷺ- سيتكلم كلامًا طويلاً، ثم نظرنا فى كلامه فإذا هو قد جمع لنا الأمر كله».

فهذين الأصلين وصّى النبىّ -ﷺ- فى حجة الوداع فى خطبته أيضًا.

كما خرّجه الإمام أحمد والترمذى من رواية أم الحصين الأخمسية قالت: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يخطب فى حجة الوداع فسمعته يقول:

«يا أيها الناس اتقوا الله، وإن تأمّر عليكم عبدٌ حبشىّ مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله»(١).

وخرج الإمام أحمد والترمذى أيضًا من حديث أبى أمامة -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يخطب فى حجة الوداع يقول:

«اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»(٢).

وقوله -ﷺ-: «**ولو تأمر عليكم عبد**» وفى رواية: «**حبشىّ**» هذا مما تكاثرت به الروايات عن النبىّ -ﷺ- وهو مما اطلع عليه النبىّ -ﷺ- من أمر أمّته بعده وولاية العبيد عليهم.

وفى «صحيح البخارى» عن أنس -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة»(٣).

وفى «صحيح مسلم» عن أبى ذر -رضي الله عنه- قال:

إن خليلى -ﷺ- أوصانى أن أسمع وأطيع ولو كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٢)، والترمذى (١٧٠٦)، وقال: حسن صحيح.
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)، والترمذى (٦١٦)، وقال: حسن صحيح.
(٣) البخارى (٧١٤٢).
(٤) مسلم (٦٤٨/ ٢٤٠).

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدًّا، ولا ينافى هذا قوله -ﷺ-: «**لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان**»(١).

وقوله -ﷺ-: «**الناس تبع لقريش**»(٢).

وقوله -ﷺ-: «**الأئمة من قريش**»(٣) لا ولاية للعبيد.

قد تكون من جهة إمام قريش، ويشهد لذلك ما أخرجه الحاكم من حديث على -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«**الأئمة من قريش: أبرارها أمراء أبرارها، وفجّارها أمراء فجارها، ولكل حق، فآتوا كلّ ذى حقّ حقه، وإن أمرت قريش فيكم عبدًا حبشيًّا مجدعًا فاسمعوا له وأطيعوا**». وإسناده جيّد ولكنه روى عن علىّ موقوفًا، وقال الدارقطنى هو أشبه.

وقد قيل: إن العبد الحبشى إنما ذكره على وجه ضرب المثل ولم يصحّ وقوعه كما قال النبىّ -ﷺ- فيمن بنى مسجدًا ولو كمحفص قطاة(٤)» ا.هـ(٥).

الحق الثانى: النّصح له:

عن أبى رُقيّة تميم الدارى -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال:

«**الدين النصيحة**» (ثلاثًا).

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «**لله -عز وجل- ولكتابه، ولرسوله -ﷺ- ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٩) وغيره.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٤١).

(٥) جامع العلوم والحكم شرح الحديث رقم (٢٨).

قال الإمام الخطابى -رحمه الله تعالى-:

«النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير المنصوح له، قال:

وأصل النصح فى اللغة الخلوص يقال: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع، فمعنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد فى وحدانيته وإخلاص النية فى عبادته.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه.

والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم» ا.هـ.

وقد حكى الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى فى كتاب «**تعظيم قدر الصلاة**» عن بعض أهل العلم أنه فسّر هذا الحديث بما لا مزيد على حسنه، ونحن نحكيه هاهنا بلفظه إن شاء الله تعالى.

قال محمد بن نصر:

قال بعض أهل العلم:

جماع تفسير النصيحة هى عناية القلب للمنصوح له كائنًا من كان وهى **على وجهين:**

أحدهما فرض والآخر نافلة، فالنصيحة المفترضة لله هى شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله فى أداء ما افترض ومجانبة ما حرّم.

وأما النصيحة التى هى نافلة فهى إيثار محبته على محبة نفسه وذلك أن يعرض له أمران، أحدهما لنفسه والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه، فهذه جملة تفسير النصيحة لله الفرض منه والنافلة ولذلك تفسير، وسنذكر بعضه ليفهم بالتفسير من لا يفهم بالجملة.

فالفرض منها مجانبة نهيه، وإقامة فرضه بجميع جوارحه ما كان مطيقًا له، فإن عجز عن الإقامة بفرضه لآفة حلّت به من مرض أو حبس أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلّة المانعة له.

قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾(١) الآية. فسماهم محسنين لنصيحتهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بأنفسهم. وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد فى بعض الحالات ولا يرفع عنهم النصح لله، فلو كان من مرض بحال لا يمكنه عمل شيء من جوارحه بلسان ولا غيره غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه وهو أن يندم على ذنوبه وينوى إن صح أن يقوم بما افترض الله عليه ويجتنبّ ما نهاه عنه وإلا كان غير ناصح لله بقلبه.

وكذلك النصح لله ورسوله -ﷺ- فيما أوجبه على الناس عن أمر به.

ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصى ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله.

وأما النصيحة التى هى نافلة لا فرض فبذل المجهود بإيثار الله تعالى على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون فى الناصح فضل عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان فى القيام به سروره ومحبته فكذلك الناصح لربه، ومن تنفّل لله بدون اجتهاد فهو ناصح على قدر عمله غير مستحق للنصح بكماله.

وأما النصيحة لكتابه فشدة حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة فى فهمه، وشدة العناية فى تدبره، والوقوف عند تلاوته لطلب معانى ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ويقوم به له بعد ما يفهمه.

وكذلك الناصح من العباد ويتفهم وصية من ينصحه وإن ورد عليه كتاب منه عنى بفهمه ليقوم عليه بما كتب فيه إليه.

فكذلك الناصح لكتاب ربه يعنى يفهمه ليقوم لله بما أمره به كما يحب

(١) سورة التوبة: ٩١.

ربّنًا ويرضى ثم ينشر ما فهم فى العباد ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

وأما النصيحة لرسول الله -ﷺ- فى حياته فبذْل المجهود فى طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته.

وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، وشدة الغضب، والإعراض عمن يدين بخلاف سنته، والغضب على من صنعها لأثرة دنيا وإن كان متدنيًا بها، وحب من كان منه بسبيل من قرابة أو صهر أو هجرة أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام، والتشبه به فى زيه ولباسه.

وأما النصيحة (لأئمة المسلمين) فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم فى طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم فى طاعة الله عز وجل.

وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك فى دنياه، كرخص أسعارهم، وإن كان فى ذلك فوات ربح ما يبيع من تجارته، وكذلك يكره جميع ما يضرهم عامة، ويحب ما يصلحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوّهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم.

وقال الإمام ابن الصلاح -رحمه الله تعالى-:

«النصيحة كلمة جامعة تتضمّن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً:

فالنصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عمّا يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الإخلاص، والحب فيه والبغض فيه، وجهاد من كفر به تعالى، وما ضاهى ذلك، والدعاء إلى ذلك، والحث عليه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به، وتعظيمه وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع لأوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته، والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه.

والنصيحة لرسوله -ﷺ-: قريب من ذلك الإيمان به وبما جاء به، وتوقيره وتبجيله، والتمسك بطاعته، وإحياء سنته، واستنشار علومها ونشرها، ومعاداة من عاداه وعاداها، وموالاة من والاه ووالاها، والتخلّق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمر دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسدّ خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذّب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، وما شابه ذلك» ا.هـ.

صور ومواقف من مواعظ العلماء للأمراء:

سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال: إن كنت فاعلاً ولابد ففيما بينك وبينه.

وعلى هذه الصفحات نقدم نماذج رائعة لطريقة وعظ العلماء للأمراء، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

١- رسالة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز -رحمهما الله تعالى-:

كتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لمّا ولي الخلافة إلى الحسن البصري، أن يكتب له بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن:

«اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونَصَفَة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- كالراعى الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويُكنها من أذى الحرّ والقرّ(١).

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم فى حياته، ويدّخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- كالأم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها حملته كُرها، ووضعته كرها، وربّته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، تُرضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- وصى اليتامى، وخازن المساكين، يُربّى صغيرهم، ويِمُون كبيرهم.

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل -يا أمير المؤمنين- هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله، ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيّده، واستحفظه ماله وعياله، فبّدد المال وشرّد العيال، فأفقر أهله وفرّق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟!.

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزوّد له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذى أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك فى قعره فريداً وحيداً، فتزوّد له ما يصحبك:

---
(١) القرُّ: البرد.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[١]، واذكر يا أمير المؤمنين ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[٢].

فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فالآن **يا أمير المؤمنين** وأنت فى مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم **يا أمير المؤمنين** فى عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزارًا مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنّك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك.

ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحىّ القيّوم.

إنى يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النُّهى من قبلى، فلم آلك شفقة ونصحًا، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته»[٣].

٢- حوار رائع بين الإمام الأوزاعى والخليفة المنصور:

قال الأوزاعى -رحمه الله-:

بعث إلى المنصور أمير المؤمنين وأنا بساحل الشام، فأتيته، فلمّا وصلت إليه وسلّمت عليه بالخلافة، ردَّ علىّ واستجلسنى ثم قال:

ما الذى أبطأك عنا يا أوزاعى؟

(١) سورة عبس: ٣٤-٣٦.
(٢) سورة العاديات: ٩، ١٠.
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٣٥-٣٦).

قلت: وما الذى تريد يا أمير المؤمنين؟

قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم.

قلتُ: فانظر يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئًا ثم لا تعمل به.

فصاح بى «الربيع»(١) وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال:

هذا مجلس مثُوبة لا مجلس عقوبة.

فطابت نفسى وانبسطتُ فى الكلام، فقلت:

يا أمير المؤمنين، قال رسول الله -ﷺ-:

«أيما عبد جاءته موعظةٌ من الله فى دينه، فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجَّة من الله عليه».

يا أمير المؤمنين، قال رسول الله -ﷺ-:

«أيّما وال بات غاشًا لرعيّته، حرّم الله عليه الجنة»(٢).

يا أمير المؤمنين، إن رسول الله -ﷺ- دعا إلى القصاص من نفسه فى خدْش خدشه أعرابيًّا لم يتعمّده، فأتاه جبريل فقال:

يا محمد، إن الله لم يبعثك جبّارًا متكبرًا. فدعا النبى -ﷺ- الأعرابى فقال: **«اقتص منى»**.

فقال الأعرابى: قد احللتك بأبى أنت وأمى، وما كنتُ لأفعل ذلك أبدًا ولو أتيتَ على نفسى فدعا له بخير.

يا أمير المؤمنين، رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربّك.

يا أمير المؤمنين، إن المُلك لو بقى لمن قبلك، لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبَقْ لغيرك.

---

(١) من حاشية المنصور.

(٢) **صحيح**: رواه ابن عساكر ولفظه: **«أيما راع غش رعيته فهو فى النار»**، وفى الصحيحين: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حرّم الله عليه الجنة»**.

يا أمير المؤمنين، جاء فى تأويل هذه الآية عن النبى -ﷺ- :

﴿ **مَا لِهَـٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾(١). قال: «**الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك**».

فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن؟!.

يا أمير المومنين، بلغنى أن عمر بن الخطاب قال:

«لو ماتت سَخْلَةٌ على شاطئ الفرات ضيعةً، لخشيت أن أسأل عنها».

فكيف بمن حرُم عدلك وهو على بساطك.

يا أمير المؤمنين، جاء فى تأويل هذه الآية عن جدِّك:

﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(٢). قال:

«يا داود، أقْعد الخصمين بين يديك، وإن كان لك فى أحدهما هوىً فلا تمنّينّ فى نفسك أنَ يكون الحق له، فيفُلج على صاحبه، فأمحوك من نبوّتي ثم لا تكون خليفتى».

يا أمير المؤمنين، استعمل عمر بن الخطاب رجلاً من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيمًا، فقال له:

ما منعك من الخروج إلى عملك، أما علمتَ أن لك مِثل أجر المجاهد فى سبيل الله؟.

قال: لا.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنه بلغنى أن رسول الله -ﷺ- قال:

«**ما من والٍ يلى شيئًا من أمور المسلمين، إلا أُتى به يوم القيامة مغلولاً**

---

(١) سورة الكهف: ٤٩.

(٢) سورة ص: ٢٦.

يده إلى عنقه على جسر في النار، ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة، يزيل كلّ عضو منه عن موضعه، ثم يُعاد فيُحاسب، فإن كان محسنًا نجا بإحسانه، وإن كان مسيئًا انْخرق به ذلك الجسر، فهو به فى النار سبعين خريفًا»(١). فقال له:

ممَّن سمعتَ هذا؟

فقال: من أبى ذر وسلمان.

فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم، سمعناه من رسول الله -ﷺ-. فقال عمر: واعمراه، من يتولاها بما فيها.

فأخذ أبو جعفر المنديل فوضعه على وجهه، ثم بكى وانْتَحبَ حتى أبكانى يقول الأوزاعى ثم قلت للمنصور:

يا أمير المؤمنين، قد سأل جدُّك العباسُ النبيَّ -ﷺ- إمارة مكة والطائف أو اليمن، فقال له النبىّ -ﷺ-:

«يا عمّ، نفْسٌ تُنجيها، خير من إمارة لا تُحصيها».

نصيحة منه لعمّه وشفقةً منه عليه، وأنه لا يُغنى عنه من الله شيئًا، إذ أوحى الله إليه:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(٢) فقال:

«يا عباس ويا صفية ويا فاطمة، إنى لستُ أغنى عنكم من الله شيئًا، لى عملى ولكم عملكم».

وقد قال عمر بن الخطاب: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، لا تأخذه فى الله لومة لائم. وقال:

---

(١) **حسن:** بلفظ: «ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى الله مغلولاً يدُه إلى عنقه، فكَّه برُّه، أو أوثقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزى يوم القيامة» أخرجه أحمد فى «المسند» عن أبى أمامة، وحسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» برقم(٥٥٩٤).

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

السلطان أربعة أمراء: فأمير ظَلَف نفسه وعمّاله، فذلك كالمجاهد فى سبيل الله، يد الله عليه باسطة بالرحمة.

وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرْتع عماله بضعفه، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله.

وأمير ظلفَ عماله وأرتع نفسه، فذلك الذى قال رسول الله -ﷺ-: «**شرّ الرُّعاة الحُطَمَة**»(١). فهو الهالك وحده.

وأمير أرتع نفسه وعماله، فهلكوا جميعًا.

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبى -ﷺ- فقال:

«**أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار، فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة**».

فقال له: «**جبريل صف لى النار**».

فقال: «إن الله عز وجل أمر بها فأُوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، ثم أُوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة لا يضىء لهبها ولا يطفأ جمرها. والذى بعثك بالحق، لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار أُظهر لأهل الأرض، لماتوا جميعًا.

ولو أن ذَنُوبًا من شرابها صُب فى ماء الأرض جميعًا، لقتل من ذاقه.

ولو أن ذراعًا من السلسلة التى ذَكَر الله، وُضع على جبال الأرض جميعًا، لذابت وما استقرت.

ولو أن رجلاً أُدخل النار، ثم أُخرج منها لمات أهلُ الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه.

فبكى النبى -ﷺ-، وبكى جبريل لبكائه وقال:

أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد ولفظه: «إن شرّ الرِّعاء الحُطمة».

قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا! ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين؟**».

فقال: أخاف أن أُبتلى بما ابتُلى به هاروت وماروت»[(١)].

يا أمير المؤمنين: إن أشدّ الشّدة القيام لله بحقّه، وإن أكرم الكرم عند الله تعالى التقوى، وإنه من طلب العزّ بطاعة الله رفعه الله وأعزّه، ومن طلبه بمعصية الله أذلّه الله ووضعه، فهى نصيحتى، والسلام عليك.

ثم نهضتُ فقال:

إلى أين؟

قلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين، إن شاء الله.

قال: فقد أذنتُ لك، وشكرتُ لك نصيحتك، وقبلتها بقبولها، والله الموفِّق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل، وهو حسبى ونعم الوكيل، فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثلها، فإنك المقبول القول غير المتَّهم فى النصيحة..

قلتُ: أفعل إن شاء الله.

قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه، فلم يقبلْه وقال: لنا فى ذلك غِنى عنه، وما كنتُ لأَبيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها.

قال عبد الحميد بن حبيب:

لـمّا سوّينا على الأوزاعى تراب قبره، قام والى السّاحل عند رأسه فقال: «رحمك الله أبا عمرو، فوالله لقد كنتُ لك أشدّ تقيّة من الذى ولاّنى، فمن ظُلم بعدك فليصبر»[(٢)].

٣- موعظة محمد بن أوس لهارون الرشيد:

كان هارون الرشيد -الخليفة- يطوف بالبيت وهو متكئ على الفضل ابن

(١) رواه الطبرانى، وضعفه المنذرى. الترغيب برقم (٥٣٢٠).
(٢) الجرح والتعديل (١/٢٠٧).

الربيع ورجل آخر، فقام إليه «محمد بن أوس الهلالى» واعترضه عند الحجر وقال:

يا أمير المؤمنين، استمعْ كلامى، فإنك إن سمعته حقًّا قبلتَه، وإن سمعته باطلاً فلا تعبأ به، فوقف فقال:

يا من غُذِّىَ فى نعيم، وتردَّد فى مُلك سليم، إن خفت العذاب الأليم، وأحببت البقاء فى سرور مقيم، فلا تسمعنّ ممن أنت بينهما، ولا تفترن بشىء من قولهما، فإن الله عز وجل يخلو بك دونهما، فالموت يصل إليك على الطَّوع والكُره منهما، فلا تقتصدن بالذليل، ولا تتكثّرنّ بالقليل، ولا تعتصم بغير دافع، ولا تطمئن إلى غير مانع، لا يمنع ولا يدفع عنك، فإنك بعين الله، وبحضرة بيته الذى جعله مثابةً للزائر، ومنحجزًا للفاجر.

فانتفض الرشيد وجلس وخلا يديه عنهما، وأومأ أن خذوا الرجل، فأُخذ، حتى قضى طوافه وصلى، ورجع إلى المنزل الذى به نزل، ودعا بالرجل فأُدخل عليه شيخ جليل، فقال:

من أين أنت؟

قال: من مكة.

قال: ما اسمك؟

قال: محمد.

قال: ابن من؟

قال: ابن أوس.

قال: مَنْ قبيلتك؟

قال: بنو هلال.

قال: قبيلة مشهورة، فما حملك أن كلَّمتنى بالذى كلمتنى؟

قال: إشفاقًا عليك، إذ أنضيت الرّكاب، وأتعبت الرجال، وأنفقت الأموال فى أمورٍ الله عز وجل أعلم بها، حتى صرتَ إلى غاية الطالب،

وموضع ترجو فيه الرحمة، اعتمدت على ظالِمَيْن طاغيين، قد جُبلا على الغَشم، ونُشِّئا على الظلم، وقد قال الله تعالى:

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

فنكس الرشيد رأسه. وأقبل ينكتُ فى الأرض وعيناه تذرفان، ثم رفع رأسه فقال:

من أين مطعمك ومشربك؟

قال: من عند مَنْ يرزقك.

قال: مَنْ ذاك؟

قال: من عند مَنْ فلق الحبّ والنوى، وأخرجَ الحبّ من الثرى، من طعام سهرت فيه العيون، وتعبت فى حصاده الأجساد، وحرسته الملائكة، حتى أتانى به القَدَر بلارنق ولا كدر.

قال: ألك عيال؟

قال: نعم.

قال: ومن هن؟

قال: زوجة.

قال: أفلا أجرى عليك رزقًا تستعين به على بعض أمورك، وتستغنى به عن الطّلب من غيرك؟

قال: إنى بالله عز وجل أغْنَى منى بما بذلتَ لى من ذلك.

قال: ألك حاجة؟

قال: نعم، أطع الله عز وجل فيما تعلم من سِرّك، فإنك تصل إلى كل محبوب، وتنال به كل مطلوب.

قال: ألك حاجة غيرها؟

---

(١) سورة الكهف: ٥١.

قال: أتؤمنني من الموت؟

قال: لا أقدر على ذلك.

قال: فتُجيرني من النار؟

قال: ليست في يدي.

قال: فتدخلني الجنة؟

قال: لستُ أملك.

قال: أفتحيي لي ميتًا، حتى أسأله عما عاين ورأى؟

قال: ذاك في قدرة غيري.

قال: ما أنت إلا كسائر مَنْ ترى من رعيّتك، غير أن الله عز وجل فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل، واستخلفك في الأرض لينظر كيف تعمل.

وذكر كلامًا ثم خرج. فقال الرشيد:

«الحمد لله الذي جعل في رعيّة أنا عليها مثله، ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه»(١).

الحق الثالث: ترك الخروج عليه:

لما يترتب على ذلك من مفاسد، ومآثم:

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-:

«ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاوروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»(٢).

---

(١) صلاح الأمة (٣/١٣٨ - ١٣٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٧٩).

قال الشارح: «قال تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ منكُمْ﴾(١).

وفى «الصحيح» عن النبى -ﷺ-، أنه قال:

«من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعصى الأمير فقد عصانى»(٢).

وفى «الصحيحين»: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**(٣).

وعن حذيفة بن اليمان قال:

كان الناس يسألون رسول الله -ﷺ- عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشّر، مخافة أن يدركنى، فقلت:

يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟

قال: **«نعم»**.

فقلتُ: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: **«نعم، وفيه دَخَنٌ»**.

قال: قلتُ: وما دخنُه؟

قال: **«قوم يسنون بغير سنتى، ويهدون بغير هديى، تعرف منهم وتُنكر»**.

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟

قال: **«نعم: دعاةٌ على أبواب جهنم. من أجابهم إليها قذفوه فيها»**.

فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟

قال: **«نعم، قوم من جلدتنا، يتكلّمون بألسنتنا»**.

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر.

قلتُ: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركنى ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم**».

فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» رواه مسلم.

وعن عوف بن مالك -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**».

فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟

قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا مَنْ ولى عليه وال، فرآه يأتى شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزعنّ يدًا من طاعته**» رواه مسلم.

فقد دلّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى:

﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾(٢). كيف قال: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾. ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر منكم؟ لأن أولى الأمر لا يُفردون بالطاعة، بل يُطاعون فما هو طاعة لله ورسوله. وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم فى ذلك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

وأما وليّ الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يُطاع إلا فيما هو طاعةٌ لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جَوْرهم تكفيرُ السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد فى الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٣).

فإذا أراد الرعية أن يتخلّصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار: أنه جاء فى بعض كتب الله.

«أنا الله مالكُ الملك، قلوب الملوك بيدى، فمن أطاعنى جعلتُهم عليه رحمة، ومن عصانى جعلتُهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم»(٤)(٥).

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.

(٢) سورة النساء: ٧٩.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٩.

(٤) قال الشيخ الألبانى: هذا من الإسرائيليات، وقد رفعه بعض الضعفاء إلى النبى -ﷺ-، رواه الطبرانى فى «الأوسط» عن أبى الدرداء، قال الهيثمى: (٥/ ٢٤٩): «فيه إبراهيم بن راشد وهو متروك». شرح الطحاوية (٣٨٢).

(٥) شرح الطحاوية (٣٧٩ - ٣٨٢).

ثانيًا: حق الرعية:

من حقوق الرعية على الراعى:

الحق الأول: المبالغة فى ملاحظتهم وتفقد أحوالهم:

● قال رسول الله -ﷺ-:

«إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفِظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(١).

● وقال رسول الله -ﷺ-:

«ما من أمير عشرة، إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكّه العدل، أو يوبقه الجَوْر»(٢).

فالإمام الرحيم هو الذى يدقق فى أحوال رعيته.. ويحوطهم برحمته وشفقته.

● عن ابن مريم عمرو بن مُرَّة الجهنى -رضي الله عنه- أنه قال لمعاوية:

سمعنا رسول الله -ﷺ- يقول:

«من ولاّه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتهم وفَقْرهم احتجب الله دون حاجته وخَلَّته وفقره يوم القيامة» فجعل معاوية -رضي الله عنه- رَجُلاً على حوائج المسلمين(٣).

● وكان الرسول -ﷺ- يدعو للراعى الشفيق.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول فى بيتى هذا:

---

(١) **حسن**: رواه النسائى وابن حبان فى «صحيحه» وحسنه الشيخ الألبانى. الصحيحة (١٦٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقى فى «السنن» وقال الألبانى: صحيح. صحيح الجامع (٥٥٧١).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود (٢٥٥٥).

«**اللهم مَنْ ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فَرَفق بهم، فأرفق به**» رواه مسلم والنسائى.

فكان ولى أمر المسلمين يرعد خوفًا من خطورة إمارته.. ومسئوليته عن رعيته:

صور من رحمة الرُّعاة بالرَّعية:

١- عمر بن الخطاب وامرأة تلد ليلاً:

عن أنس بن مالك قال:

بينا عمر يعُسُّ بالمدينة إذ مَرَّ برَحبةٍ من رحابها، فإذا هو ببيتٍ من شَعْرٍ لم يكن بالأمس.

فدنا منه فسمع أنين امرأة. ورأى رجلاً قاعدًا، فدنا منه فسلَّم عليه، ثم قال: من الرجل؟

قال: رجل من البادية، جئتُ إلى أمير المؤمنين أُصيب من فضله.

قال عمر: ما هذا الصوتُ الذى أسمعُه فى البيت؟

قال الرجل: انطلق -رحمك الله- لحاجتك!.

قال عمر: ما هو؟

قال الرجل: امرأةٌ تَمْخض!(١).

قال عمر: هل عندها أحد؟

قال الرجل: لا.

فانطلق عمر حتى أتى منزله، فقال لامرأته «أم كلثوم»:

هل لك فى أجر ساقه الله إليك؟

قالت: ما هو؟

قال: امرأة غريبة تلد، ليس عندها أحدٌ.

---

(١) المخاض: مقدمات الولادة من الأوجاع.

قالت: نعم، إن شئت.

قال: فخذى معك ما يُصْلح المرأة حين ولادتها من الخِرق والدُّهن.

وجيئ بِبُرْمةٍ[(١)]، وشحم، وحبوب. فجاءت به.

فقال لها: انطلقى.

وحمل البُرْمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت.

فقال عمر لزوجته: ادْخلى إلى المرأة.

وجاء هو حتى قعد إلى الرجل، فقال له:

«أوقد لى نارًا». . فأوقد النار، وظلّ عمرُ ينفخُ فى النار حتى أنضج البُرْمة، والدخان يتخلّل لحيته!

وولدت المرأة، فقالت «أمُّ كلثوم»:

يا أمير المؤمنين، بشرِّ صاحبك بغلام!

فلمّا سمع الرجل اسم أمير المؤمنين كأنه هابه! فجعل يتنحَّى عنه.

فقال له عمر: مكانك. كما أنت!

فحمل هو البُرْمة فوضعها على الباب، ثم قال لزوجته:

«أشبعيها». ففعلت، ثم أخرجت البرمة، فوضعتها على الباب.

فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدى الرَّجل.

فقال: كُل، ويحك، فإنك قد سَهِرت من الليل، ففعل.

ثم قال عمر لامرأته: اخْرُجى.

وقال للرجل: إذا كان فى الغد فأتنا نأمرُ لك بما يُصْلحك.

ففعل الرجل، فأجازه وأعطاه![(٢)].

---

(١) البرمة: ما يشبه القدْر من الفخار.

(٢) سيرة عمر. للأستاذ: أحمد التاجى (٨٥ - ٨٧).

٢- عمر وذات الأطفال الجياع:

موقف آخر تتجلّى فيه رحمة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- برعيته، وشدة تواضعه لهم:

قال أسلم مولى عمر:

خرجتُ مع عمر إلى حَرَّة واقم(١) حتى إذا كنا بموضع (صِرَار).

إذا بضوء نار. فقال عمر: يا أسلم، إنى أرى هاهنا رَكْبًا. قد أضرَّ بهم الليل والبرد، انطلق بنا إليهم.

فخرجنا فهُرْول(٢) حتى دنوْنا منهم، فإذا امرأةٌ معها صبيانْ وقِدْرٌ مرفوعة على نار، وصبيانها يتصايحون.

فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضَّوْء!

فقالت: وعليكم السلام.

قال: أأدنو؟

قالت: ادْنُ بخير أو دَعْ، فدنا منها.

ثم قال: ما بالكم؟

قالت: أضرَّ بنا الليل والبرد!

قال: وما بال هؤلاء الصبية يتصايحون؟

قالت: من الجوع.

قال: وأى شىء فى القدْر؟

قالت: ماءٌ أسكِّتهم به حتى يناموا. الله بيننا وبين عمر!

قال: أىْ رحمك الله! وما يُدْرى عمر بكم؟

قالت: يتولى أمرنا، ثم يغفل عَنَّا؟!

(١) الحرة: الحجارة السود البركانية، وحرة واقم، عَلَم على واحدة منها.
(٢) فهرول: نسرع إليه.

قال أسلم: فأقبل عمر عليَّ، وقال:

انطلق بنا، فخرجنا نُهرْول حتى أتينا دار الدّقيق، فأخرج عِدْلاً من دقيق، وكبَّة من شَحْم(١).

فقال: احمله عليَّ.

فقلت: أنا أحمله عنك!

قال عمر: أأنت تحمل وزرى يوم القيامة، لا أُمّ لك!.

فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها.

وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها:

ذُرِّى الدقيق على القدْر، وأنا أحرّك الماء فى البُرْمة!.

وجعل ينفخ تحت القدر، والدخان يتخلّل لحيته، حتى نضج الطعام، وأنزل البرمة.

ثم سألها صَحْفَة(٢) فأفرغها فيها، وجعل يُبرِّد لهم الطعام.

ولم يزل عندهم حتى أطعمتهم أمّهم وأشبعتهم!

وبقى عندهم فضلٌ من الطعام، فجعلت الأم تقول:

جزاك الله خيرًا، كنت بهذا الأمر أوْلى من عمر!

فكان يقول لها:

«قولى خيرًا، إذا جئت عمر وجدتنى عنده!»

وتنحّى عمر ناحية حتى نام الأطفال وهدءُوا!.

فقال: «يا أسلم، أحببتُ ألاّ أنصرف حتى أراهم كذلك.

إن الجوع، أسهرهم وأبكاهم، فأردتُ أن أرى أثر الشِّبع فيهم!».

ثم انصرفنا إلى حال سبيلنا(٣).

---

(١) عدل الدقيق: غرارة. وكبة الشحم: شريحة كبيرة.

(٢) الصحفة: الطبق الكبير.

(٣) سيرة عمر (٩٠ - ٩١).

٣- موقف ثالث لعمر -رضي الله عنه-:

كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يمرّ بالناس متستراً ليعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز فى خبائها، فسلّم عليها وقال لها:

ما فعل عمر؟.

قالت: لا جزاه الله عنى خيراً!!

قال لها: ولم؟

قالت: لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم.

فقال لها: وما يُدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع؟

قالت: سبحان الله!! والله ما ظننتُ أن أحداً يلى عمل الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها.

وبكى عمر ثم قال:

«واعمراه!! كل أحد أفق منك حتى العجائز يا عمر!!».

ثم قال لها: يا أمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر؟ فإنى أرحمه من النار.

قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله.

فقال لها: لستُ بهزاء.

ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

وبينما هو كذلك إذ أقبل علىّ بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- فقالا:

السلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فوضعت العجوز يدها على رأسها، وقالت:

واسوأتاه! شتمتُ أمير المؤمنين فى وجهه.

فقال لها عمر: لا بأس عليك رحمك الله. ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارًا، فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر منه برىء».

وشهد على ذلك على بن أبى طالب وابن مسعود. ورفع عمر الكتاب إلى ولده وقال:

«إذا أنامتُّ فاجعله فى كفنى ألقى به ربى»(١).

٤- عمر بن عبد العزيز وفرتونة السوداء:

حمل البريد يومًا إلى «عمر بن عبد العزيز» رسالة من الجيزة بمصر..

أما صاحبة الرسالة فاسمها «فرتونة السوداء» تشكو لأمير المؤمنين. أن لها حائطًا متهدِّمًا لدارها يتسوَّره اللصوص ويسرقون دجاجها، وليس معها مال تنفقه فى هذا السبيل.

ولا يكاد الخليفة يتلو الرسالة وهو فى عاصمة خلافته بالشام حتى يكتب إلى واليه على مصر «أيوب بن شرُحبيل» هذا الخطاب..

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أيوب بن شرحبيل.

سلام الله عليكم..

أما بعد، فإن فرتونة السوداء كتبت إلى تشكو قِصَر حائطها، وأن دجاجها يسرق منها، وتسأل تحصينه لها.

فإذا جاءك كتابى هذا، فاركب بنفسك وحصّنه لها»..!!

والبريد نفسه الذى حمل هذا الكتاب لوالى مصر. حمل كتابًا آخر من الخليفة لفرتونة السوداء..

«من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء.

---

(١) أقباس روحانية للواء محمود شيت خطاب (ص٨٨، ٨٩).

سلام الله عليك.

أما بعد، فقد بلغنى كتابك، وما ذكرتِ فيه من قِصر حائطك حيث يُقتحم عليك ويُسرق دجاجك.

وقد كتبت إلى «أيوب بن شرحبيل» آمره أن يبنى لك الحائط حتى يحصّنه مما تخافين إن شاء الله..

يقول ابن عبد الحكم الذى روى لنا هذه الواقعة الباهرة:

«فلما جاء الكتاب إلى أيوب بن شرحبيل، ركب بنفسه حتى أتى الجيزة، وظل يسأل عن «فرتونة السوداء» حتى وجدها، فإذا هى سوداء مسكينة، فأعلى لها حائطها»..!!

٥- أبو بكر الصديق والعجوز المقعدة:

كانت بساطته -رضي الله عنه- أهم عناصر عظمته..

وكان قبل أن يصير خليفة يُقدّم لأهل الحىّ الذى يسكنه خدمة تناهت فى الطرافة والروعة.

فقد كان فى جيرته بعض الأرامل العجائز الائى مات أزواجهن أو استشهدوا فى سبيل الله.

كما كان هناك بعض اليتامى الذين فقدوا آباءهم..

وكان -رضي الله عنه- يؤم بيوت الأوليات فيحلُب لهن الشِّياه.

ويؤم بيوت الآخرين فيطهو لهم الطعام.

ولما صار خليفة، تناهى إلى سمعه حسْرة العجائز لأنهن سيُحْرمن منذ اليوم من الخدمة الجليلة التى يؤديها لهم الرجل الصالح..

لكنه أخلف ظنونهن..!!

ويحكى التاريخ لنا قصة تدل على مدى تمكن الرحمة من قلب هذا الصِّديق الكبير:

عن أبى صالح الغفارى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يتعهد عجوزًا فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادتْ، فجاءها غير مرّة كيْلا يُسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الذى يجيئها، وهو يومئذ خليفة!!.

فقال عمر: «أنت هو لعمرى».

حالت لفقدكم أيامنا فَغَدتْ
سُوداً وكانتِ بكم بيضًا ليالينا
ليسُق عهدكم عهد السُّرور
فما كنتم لأرواحِنا إلا ريَاحِينا

الحق الثانى: العدل بينهم

الترغيب فى العدل والترهيب من الظلم:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

قال عكرمة -رحمه الله تعالى-:

قرأ النبىّ -صلى الله عليه وسلم- على الوليد بن المغيرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ إلى آخرها.

فقال: يا ابن أخى أعد!

فأعاد عليه: فقال:

«والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمُورق، وأعلاه لمثمر، وما هو بقول بشر!»(٢).

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) تفسير القرطبى (١٠/ ١٥٠).

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- فى هذه الآية الكريمة:

«هذه أجمع آية فى القرآن لخير يمتثل، ولشرٍّ يُجْتنب»(١).

قال الإمام القرطبى -فى تفسيره لهذه الآية- ما مختصره-:

اختلف العلماء فى تأويل العدل والإحسان:

قيل: العدل الفرض، والإحسان النافلة.

وقال سفيان بن عيينة: العدل ها هنا استواء السريرة، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية.

وقال على بن أبى طالب: العدل الإنصاف، والإحسان التفضل.

وقال ابن عطية: العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع فى أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق. والإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن حَدّ الإجزاء منه داخل فى العدل، والتكميل الزائد على الإجزاء داخل فى الإحسان.

وقال ابن العربى(٢):

«العدل بين العبد وبين ربه إيثارُ حقه تعالى على حفظ نفسه، وتقديمُ رضاه على هواه، والاجتنابُ للزواجر والامتثال للأوامر.

وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها.

قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾(٣).

وغُزوبُ الأطماع عن الاتباع، ولزومُ القناعة فى كل حالٍ ومعنىً.

وأما العدل بينه وبين الخلق فبذلُ النصيحة، وترك الخيانة فيما قلّ وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣٣٥٨) فى تفسيره سورة النحل.

(٢) فى أحكام القرآن (٣/ ١٥٣ - ١٥٤).

(٣) سورة النازعات: ٤٠.

ولا فعل لا فى سرٍّ ولا فى علن، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقلّ ذلك الإنصافُ وترك الأذى.

قلتُ(١): هذا التفصيل فى العدل حسنٌ وعدل، وأما الإحسان فقد قال علماؤنا: الإحسان مصدر أحسن يُحْسن إحسانًا ويقال على معنيين:

أحدهما: متعدٍّ بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أى حسّنته وكلّمته، وهو منقول بالهمزة من حَسُن الشىء.

وثانيهما: متعدٍّ بحرف جر، كقولك. أحسنت إلى فلان، أى أوصلت إليه ما ينتفع به.

قلت(٢): وهو فى هذه الآية مراد بالمعنيين معًا، فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى أن الطائر فى سجنك والسِّنور فى دارك لا ينبغى أن تقصر تعهده بإحسانك، وهو تعالى غَنِىّ عن إحسانهم، ومنه الإحسان والنعم والفضل والمنن» ا.هـ.

٢- وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(٣).

قال الإمام القرطبى -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية -ما مختصره-:

«هذه الآية من أمّهات الأحكام تضمّنت جميع الدِّين والشّرع وقد اخْتُلف من المخاطب بها:

فقال علىّ بن أبى طالب وزيد بن أسلم وشهر بن حَوْشب وابن زيد:

هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة، فهى للنبىّ -ﷺ- وأُمرائه، ثم تتناول من بعدهم.

---

(١) الكلام للقرطبى -رحمه الله-.

(٢) أى القرطبى -رحمه الله-.

(٣) سورة النساء: ٥٨.

وقال ابن جريج وغيره:

ذلك خطاب للنبىّ -ﷺ- خاصة فى أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من «عثمان بن أبى طلحة» ومن ابن عمه «شيبة بن عثمان بن أبى طلحة» وكانا كافرين وقت فتح مكة، فطلبه العباس بن عبد المطلب لتنضاف له السِّدانة إلى السقاية، فدخل رسول الله -ﷺ- الكعبة فكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج من مقام إبراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية.

قال عمر بن الخطاب:

وخرج رسول الله -ﷺ- وهو يقرأ هذه الآية، وما كنتُ سمعتها قبلُ منه، فدعا عثمان وشيبة فقال:

«**خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم**».

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

الآية فى الولاة خاصة فى أن يعظوا النساء فى النشوز ونحوه ويردّوهن إلى الأزواج.

والأظهر فى الآية أنها عامة فى جميع الناس فهى تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات فى قسمة الأموال وردّ الظلامات والعدل فى الحكومات. وهذا اختيار الطبرى. وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع والتحرّز فى الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم فى نازلة مّا ونحوه، والصلاة والزكاةُ وسائر العبادات أمانة الله تعالى.

ورُوى هذا المعنى مرفوعًا من حديث ابن مسعود عن النبىّ -ﷺ- قال:

«**القتل فى سبيل الله يكفّر الذنوب كلها**» أو قال:

«**كل شىء إلا الأمانة -والأمانة فى الصلاة، والأمانة فى الصوم، والأمانة فى الحديث، وأشدّ ذلك الودائع**» ذكره أبو نعيم الحافظ فى «الحلية».

وممّن قال أن الآية عامة فى الجميع: البراء بن غارب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبىّ بن كعب قالوا:

«الأمانة فى كل شىء فى الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع».

وقال ابن عباس:

«لم يرخّص الله لمُعْسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة».

قلت: -أى القرطبى رحمه الله-: وهذا إجماع.

وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار، قاله ابن المنذر.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾(١).

قال الضحاك:

«بالبيّنة على المدّعِي واليمين على من أنكر».

وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام، ويدخل فى ذلك بالمعنى جميعُ الخلق كما ذكرنا فى أداء الأمانات.

قال -ﷺ-:

«**إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**»(٢).

وقال: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهله وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيّده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(٣).

فجعل فى هذه الأحاديث الصحيحة كل هؤلاء رعاة وحكّامًا على مراتبهم، وكذلك العالم الحاكم، لأنه إذا أفتى حكم وقضى وفصَلَ بين الحلال

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه أحمد فى «المسند» (٤٤٩٥).

والحرام، والفرض والندب، والصحة والفساد، فجميع ذلك أمانة تؤدّى وحكم يُقضى»(١).

٣- وقال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١).

«إنه نداء للذين آمنوا، نداء لهم بصفتهم الجديدة، وهى صفتهم الفريدة، صفتهم التى بها أنشئوا نشأة أخرى، وولدوا ميلادًا آخر، ولدت أرواحهم، وولدت تصوراتهم، وولدت مبادئهم وأهدافهم، وولدت معهم المهمة الجديدة التى تناط بهم، والأمانة العظيمة التى وكلت إليهم، أمانة القوامة على البشرية، والحكم بين الناس بالعدل، ومن ثم كان للنداء بهذه الصفة قيمته وكان له معناه.

وكان التكليف بهذه الأمانة الكبرى تكليفًا شاقًّا ثقيلاً.

إنها أمانة القيام بالقسط... بالقسط على إطلاقه فى كل حال وفى كل مجال، القسط الذى يمنع البغى والظلم فى الأرض، والذى يكفل العدل بين الناس، والذى يعطى كل ذى حق حقه.

﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾.

حسبة لله، وتجرّدًا من كل مَيْل ومن كل مصلحة، ومن كل اعتبار.

﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾.

وهنا يحاول المنهج تجنيد النفس فى وجه ذاتها، وفى وجه عواطفها، تجاه ذاتها أولاً، وتجاه الوالدين والأقربين ثانيًا، وهى محاولة شاقة... أشق كثيرًا من نطقها باللسان، ومن إدراك معناها ومدلولها بالعقل... ولكن المنهج

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/ ٢٢١ - ٢٢٣) بتصرف.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

يجنِّد النفس المؤمنة لهذه التجربة الشاقة. . . لأنها لابد أن توجد فى الأرض هذه القاعدة، ولابد أن يقيمها ناس من البشر.

ثم هو يُجنِّد النفس كذلك فى وجه مشاعرها الفطرية أو الاجتماعية حين يكون المشهود له أو عليه فقيرًا، تشفق النفس من شهادة الحق ضده، وتود أن تشهد له، ومعاونة لضعفه، أو من يكون فقره مدعاة للشهادة ضده بحكم الرواسب النفسية والاجتماعية كما هو الحال فى المجتمعات الجاهلية.

وحين يكون المشهود له أو عليه غنيًّا، تقضى الأوضاع الاجتماعية مجاملته، أو قد يثير غناه وتبطره النفس ضده فتحاول أن تشهد ضده! وهى مشاعر فطرية أو مقتضيات اجتماعية لها ثقلها حين يواجهها الناس فى عالم الواقع. . . والمنهج يجنِّد النفس تجاهها كذلك كما جنَّدها تجاه حب الذات وحب الوالدين والأقربين.

﴿ **إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا** ﴾.

وهى محاولة شاقة. . . ولا نفتأ نكرر أنها محاولة شاقة. . . وأن الإسلام حين دفع نفوس المؤمنين -فى عالم الواقع- إلى هذه الذروة، التى تشهد بها تجارب الواقع التى وعاها التاريخ، كان ينشئ معجزة حقيقية فى عالم البشرية، معجزة لا تقع إلا فى ظل المنهج الإلهى العظيم القويم.

﴿ **فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا** ﴾.

والهوى صنوف شتى. . . حب الذات هوى، وحب الأهل والأقربين هوى، والعطف على الفقير -فى موطن الشهادة والحكم- هوى، ومجاملة الغنى هوى، وكراهة الأعداء -ولو كانوا أعداء الدين- فى موطن الشهادة والحكم هوى، وأهواء شتى الصنوف والألوان. . . كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها، والعدل عن الحق والصدق تحت تأثيرها.

وأخيرًا يجىء التهديد والإنذار والوعيد من تحريف الشهادة، والإعراض عن هذا التوجيه فيها. . . ﴿ **وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾. ويكفى أن يتذكر المؤمن أن الله خبير بما يعمل ليستشعر ماذا وراء

هذا من تهديد خطير، يرتجف له كيانه، فقد كان الله يخاطب بهذا القرآن المؤمنين»(١).

٤- وقال -ﷺ-:

«**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن أمر بغيره فإن عليه وزرًا**»(٢).

٥- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«**ثلاثة لا ترد دعوتهم:**

الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزّتى لأنصرنك ولو بعد حين»(٣).

٦- وقال رسول الله -ﷺ-:

«**أهل الجنة ثلاثة:**

ذو سلطان مُقْسطٌ مُوَفَّق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكلِّ ذى قُرْبى مُسْلم، وعفيف متعفّف ذو عيال»(٤).

٧- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**يومٌ من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستِّين سنةً، وحدٌّ يقامُ فى الأرض بحقِّه أزكى فيها مِنْ مطرٍ أربعين صباحًا**»(٥).

٨- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «**أربعة يُبغضهم الله:**

---

(١) الظلال (٢/ ٧٧٥ - ٧٧٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وغيرهم. الترغيب (٣٢٤٥).

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط»، وإسناد «الكبير» حسن. الترغيب (٣٢٤٨).

البياعُ الحلاف، والفتى المختال، والشيخُ الزانى، والإمامُ الجائر»[١].

٩- عن أبى الدرداء -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون»**[٢].

١٠- وعن أبى أمامة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى:

إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق»[٣].

١١- وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«من ولى من أمور المسلمين شيئًا، فاحتجب دون خلّتهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة، دون خلّته، وحاجته، وفاقته، وفقره»[٤].

١٢- وعن أنس -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إن الله تعالى هو: الخالق، القابض، الباسط، الرازق، المُسعِّر، وإنى لأرجو أن ألقى الله، ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولا مال»[٥].

١٣- وقال سعيد بن سويد -رضي الله عنه-:

«أيها الناس إن للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحق

---

(١) **صحيح**: رواه النسائى، وابن حبان فى «صحيحه». الترغيب (٣٢٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى «المسند»، والطبرانى فى «الكبير» وانظر: الصحيحة برقم (١٥٨٢).

(٣) **حسن**: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» وقال الألبانى: حسن. صحيح الجامع (٣٦٩٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود، وغيره، وانظر: الصحيحة برقم (٦٢٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد، وغيره، وانظر: صحيح الجامع (١٨٤٦).

وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل».

١٤- وقال بعض الحكماء:

«إمام عادل، خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، ولما ينزع الله بالسلطان أكثر مما ينزع القرآن».

١٥- وقالوا:

«خير الملوك من إذا وَلى لم يُطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسىء خائف».

قلت: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لا ينام إلاّ جالسًا، فلمّا سئل عن ذلك، قال:

«إن نمت النهار ضيَّعتُ حق الرعية، وإن نمتُ الليل ضيَّعتُ حق ربى!!».

صور ومواقف من حياة أئمة العدل:

زيّنت صحائف التاريخ بمواقف مشهورة ومنشورة لأئمة العدل فى حياة هذه الأمة.. كانت بمثابة شارات واضحة لمن اهتدى، من هذه المواقف:

١- موقف النبى -صلى الله عليه وسلم- مع سواد بن غزية:

بينما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -فى بدر- يعدل صفوف جيشه، مَرّ بسواد ابن غزية -رضي الله عنه- وهو خارج عن الصف فطعنه فى بطنه بعود كان فى يده قائلاً:

«استو يا سواد».

فقال سواد: أوْجعتنى يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يعطى القصاص من نفسه قائلاً:

أقدنى!!

فكشف الرسول الأعظم عن بطنه الشريف، وقال:

«استقد».

فانحنى سواد على بطن رسول الله -ﷺ- فقبّلها بدلاً من أن يضربها!!.

فقال له رسول الله -ﷺ-:

«ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال: يا رسول الله حضر ما ترى -يعنى القتال- فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدى جلدك!! فدعا له الرّسول -ﷺ- بخير.

٢- موقف أبى بكر -رضي الله عنه- من مال الدولة:

قال أبو بكر -رضي الله عنه- حين حضره الموت لعائشة -رضي الله عنها-:

«أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً، ولا درهمًا ولكنا قد أكلنا من جريش[1] طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فئ المسلمين قليل، ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح[2] وجَرْد هذه القطيفة، فإذا متّ فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن، ففعلتُ.

فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[3].

أنا مولاى إمامٌ ضحكت ... من ثناى فَضْله آىُ الزُّمَرْ[4]
صدَّق المُرسَل إيمانًا به ... ولَحَا فى الله مَنْ كان كَفَرْ
ثم بالغار له مَنْقَبةٌ ... خصَّه الله بها دون البشر
ثانى اثنين وقَولُ المصطفى ... معنا الله فلا تُبْدى الحَذَرْ

---

(١) الجريش: خشن الطعام.

(٢) بعير خُصّص للسُّقيا.

(٣) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ١٩٦).

(٤) أى: آيات سورة الزمر.

٣- موقف لعمر مع أبى موسى الأشعرى:

وهذا موقف عجيب يتجلى فيه عدل عمر بن الخطاب، يحكيه لنا جرير ابن عبد الله البجلَىّ، فيقول:

إن رجلاً كان مع أبى موسى الأشعرىّ -وكان ذا صوت ونكاية فى العدوّ، فغنموا مَغْنمًا فأعطاه أبو موسى بعضَ سهمه، ولم يُوفِّهً حقّه فأبى الرجل أن يقبل حقّه منقوصًا.

فجلده أبو موسى عشرين سوطًا، وحلق شَعْر رأسه!.

فجمع الرجلُ شَعْره، ثم رحل إلى عمر، حتى قدم عليه فى مجلسه.

ثم ضرب بشعره صدر عمر، وقال:

«أما والله لولا النار لصنعتُ بعاملك ما صنعتُ!».

ثم حكى له ما صنع به أبو موسى.

فكتب عمر إلى أبى موسى:

«سلام عليك: أما بعد:

فإن فلانًا أخبرنى بكذا وكذا.

فإن كنت فعلت ذاك فى ملأ من الناس، فأقسمتُ عليك إلاّ قعدت له فى ملأ من الناس، حتى يقتصّ منك.

وإن كنتَ فعلت ذلك فى خلاءٍ، فاقْعد له كذلك».

فقدم الرجل بالكتاب إلى أبى موسى، فقال له الناس:

اعْفُ عنه!.

فقال: لا والله لا أدَعُهُ لأحدٍ من الناس.

فلمّا قعد أبو موسى ليقتصّ الرَّجلُ منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال:

«اللهم إنى قد عفوتُ عنه!».

أميرٌ يجلس لأحد رعيته للقصاص أمام جنوده، وينكّس رأسه له!!

هل رأيتم من فعل هذا فى دنيا الناس؟!!

بارك الله فى دين علمهم.. وفى نبى ربّاهم.

ما أعظم هذا الدين وأعلاه.

٤- موقف عمر بن الخطاب مع أحد أطفاله:

وهذا موقف رائع لعمر، يكشف لنا عن صدقِ معدنه، وشدة ملاحظته لرعيته والتى لا تترك شاردة ولا واردة:

عن قتادة -رحمه الله تعالى- قال:

كان «معيقيب» خازنًا لبيت المال، فكنس بيت المال فوجد فيه دِرْهما، فدفعه إلى صبىٍّ لعمر.

قال «معيقيب»:

ثم انصرفتُ إلى بيتى، فإذا رسولُ عمر قد جاءنى يدعونى، فجئتُ فإذا الدرهم فى يده.

فقال: ويحك يا مُعَيْقيب! أَوَجَدْتَ(١) علىَّ فى نفسك شيئًا؟!

مالك ومالى؟

فقلتُ: وما ذاك؟

قال: أردتَ أن تخاصمنى أمَّةُ محمد -ﷺ- فى هذا الدِّرهم يوم القيامة!

[وردَّ الدِّرهم إليه]!!(٢).

نقدم هذه الضمائر «اليقظة» لأفاعى هذا الزمان الذين خرجوا من جحورهم يتحدثون عن الإسلام بحقد غريب.. والله من ورائهم محيط.

---

(١) الموجدة: الغضب.

(٢) سيرة عمر للأستاذ أحمد التاجى ص ٦١.

٥- صورة أخرى مشرقة فى دنيا العدل:

قال الأحنف بن قيس -سيّد بنى تميم-:

وفَدْنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال:

أين نزلتم؟

قلنا: فى مكان كذا.

فقام معنا حتى انتهينا إلى مُناخ رواحلنا، فجعل يتخللُها ببصره، ويقول:

ألا اتقيتم الله فى ركائبكم هذه؟ أما علمتم أن لها حَقًّا؟

ألا خلَّيتم عنها فأكلت من نبْت الأرض؟

فقلنا: يا أمير المؤمنين: إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا التَّسرُّع إلى أمير المؤمنين وإلى المسلمين بما يَسُرُّهم.

ثم انصرف راجعًا ونحن معه.

فلقيه رجلٌ فقال:

يا أمير المؤمنين، انطلق معى فاعْدُنى على فلان، فإنه ظلمنى.

قال الأحنف: فرفع عمر الدِّرَّة فخفق بها رأسه!

وقال: تَدَعُون عمر وهو مُقْبلٌ عليكم حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين، أتيتموه، اعْدُنى، اعْدُنى!.

فانصرف الرجل وهو يتذمَّر(١)!.

فقال عمر: علىّ بالرَّجل.

فألقى إليه بالدِّرة، وقال:

«أمسك، واخفُقْنى كما خفقتك!».

قال: لا، أدعها لله ولك!.

---

(١) يتذمّر: يتألم.

قال عمر: ليس كذلك! إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردّها عليَّ!. فاعلَمَ ذلك.

قال الرجل: أدَعُها لله. وانصرف.

ثم جاء عمر يمشى حتى دخل بيته، ونحن معه، فافتتح الصلاة، فصلّى ركعتين، ثم جلس فقال يخاطب نفسه:

«يا ابن الخطاب، كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزّك الله!.

ثم حملك على رقاب المسلمين فجاءك رجل يستعديك(١) فضربته!.

ما تقول لربك غدًا إذا أتيتَه؟

فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننتُ أنه من خير أهل الأرض!(٢).

٦- عمر وهدايا العمال:

قال قيس بن سلمة الأشجعىّ:

ولانى عمرُ جيشًا لمقاتلة «الأكراد» بالعراق، فسرتُ إليهم وهزمتهم، ولمّا قسّمتُ النَّفل(٣) على الجند رأيتُ شيئًا من حِلْية، فقلتُ لهم:

إن هذا لا يَبْلغ فيكم شيئًا! فهل تطيبُ أنفسكم بأن نبعث به إلى أمير المؤمنين؟

قالوا: نعم، قد طابت أنفسُنا.

فجعلتُ تلك «الحِلْية» فى سَفَطٍ، ثم بعثتُ بها مع رجل من قومى إلى عمر بالمدينة.

قال الرسولُ: فأتيتُ المدينة فإذا عمر يُغَدِّى الناس مُتكئًا على عصًا، كما يصنع الرَّاعى، وهو يدور على القصاع.

---

(١) يستنصرك.

(٢) سيرة عمر للتاجى (٨٧، ٧٨).

(٣) النفل: الزيادة بعد قسمة الغنائم.

فلما دفعتُ إليه السَّفَط، قال:

اجلسّ، فجلستُ فى أدْنى الناس، فإذا طعام فيه خشونةٌ، وطعامى الذى معى أطيبُ منه.

فلما فرغ الناسُ، قال عمر:

يا يَرْفأ(١)، ارفع قصاعك:

ثم أدبر فاتَّبعتُه، فدخل دارًا، ثم دخل حجرةً، فاستأنتُ وسلَّمتُ، فأذن لى، فدخلتُ عليه، فإذا هو جالسٌ على مَسْحٍ من جلد، متكئ على وسادتين من أدَم، محشوتين ليفًا. فنبذ لى بإحداهما، فجلستُ عليها، فإذا بَهْوٌ فى صُفَّة فيها بَيْتٌ عليه سَتارة، فقال:

يا أمَّ كلثوم، غداءَنا!.

فأخْرَجَتْ إليه خَبْزةً بزيت، فى عُرْضها مِلْحٌ لم يُدقّ!!

فقال: يا أم كلثوم: ألا تخرُجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟

فقالت: إنى أسمع عندك حِسَّ رجل!

قال: نعم، ولا أراه من أهل البلد!

قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كما كسا عبد الله بن جعفر امرأته، وكما كسا الزبيرُ امرأته، وكما كسا طلحةُ امرأته!.

قال عمر: أو ما يكفيك أن يقال: أمُ كلثومٍ بنتُ على بن أبى طالب، وامرأة أمير المؤمنين عمر؟!.

ثم قال للرجل: كُلْ، فلو كانت راضيةً لأطعَمَتْك أطيب من هذا!

قال الرجل: فأكلتُ قليلاً، وطعامى الذى معه أطيب منه!

وأكل عمر، فما رأيتُ أحدًا أحسن أكلاً منه، ما يتلَّبث طعامُه بيده ولا فمه!

ولـمّا أكلنا قال لى: ما حاجتك؟

---

(١) يرفأ: مولى عمر -رضي الله عنه-.

قلتُ: يا أمير المؤمنين. أنا رسول «سلمة بن قيس».

قال: مرحبًا بسَلَمة، ورسول سلمة! حدّثنى عن المهاجرين والأنصار كيف هم؟

قلتُ: كما تحبُّ من السلامة والظَّفر على عدوّهم.

قال: كيف اللّحم فيهم؟ فإنها شجرةُ العرب، ولا تصلح العربُ إلا بشجرتها.

قلتُ: البقرة بكذا. والشاة بكذا.

ثم أديتُ إليه الرَّسالة، وأخبرته خبر الحِلّية التى اختصّه بها «سلمة».

فلما نظر عمر إلى فصوصها، وثَبَ واقفًا، ثمَّ جعل يده فى خاصرته.

ثم قال: لا أشبع الله -إذَن- بطن عمر!.

ثم قال: اذهب بما جئتَ به، والله لئن تفرّق جُندُكم فى مشاتيهم قبل أن يقسَّم هذا فيهم -لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة!

قال: فارتحلت حتى أتيتُ «سلمة»، فقلتُ:

ما بارك الله فيما بعثتنى به!، اقْسم هذا فى الناس قبل أن يُصيبنى وإيّاك داهيةٌ! فقسَّمه فيهم(١).

فمن يجارى أبا حفص وسيرته ... أو مَنْ يحاول للفاروق تشبيها!

٧- عمر يأمرُ بإقامة الحَدِّ على ولده!!:

قال عمرو بن العاص -رضي الله عنه- والى مصر:

ما رأيتُ أحدًا بعد نبى الله -صلى الله عليه وسلم- وأبى بكر أخوفَ لله من عمر!

لا يبالى على من وقع الحق، على ولدٍ أوْ والد!

ثم قال:

إنى لفى منزِلى (بمصر) إذ أتانى آتٍ فقاتل:

(١) سيرة عمر (١١٠ - ١١٢) للتاجى.

قدم عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الرحمن، ونزلا فى مَوْضع كذا وكذا.

وكان قد كتب إلىَّ عمر:

«إياك أن يقدم عليك أحدٌ من أهلى، فتحبُوَه بأمرٍ لا تصنعه لغَيْره، فأفعل بك ما أنت أهْلُه![1]».

وإنى لكذلك، وإذا قائل يدخل علىَّ ويقول:

هذا «عبد الرحمن بن عمر» و «أبو سروعة» على الباب يَسْتأذنان.

فقلتُ: يدخلان. فدخلا وهما مُنكسران[2].

فقالا: أقم علينا حَدَّ الله! فإنا قد أصبنا البارحة شرابًا فَسكرنا!

قال عمرو: فَزَجرتُهما وطرتُهما!.

فقال عبد الرحمن: إن لم تفعل أخبرتُ أبى إذا قدمتُ إليه!

قال عمرو: فحضرنى رأيى، وعلمتُ أنىِّ إن لم أُقم عليهما الحَدّ غضب علىّ عمر فى ذلك وعزلنى، وخالفه ما صنعت.

فبينما نحن على ما نحن فيه إذ دخل «عبد الله بن عمر» فقمتُ إليه ورَحّبتُ به، وأردتُ أن أُجلسه فى صدر المجلس فأبى علىّ.

وقال:

«أبى نهانى أن أَدْخُلَ عليك، ما لم أجِدْ من ذلك بُدًّا.

إن أخى لا يُحْلَقُ على رءوس الأشهاد، وأمَّا الضّرب فاصنعْ به ما بدا لك!»

قال عمرو: وكانوا يُحلقون مع الحَدِّ، فأخرجتهما إلى صَحْن الدار فضربتها الحَدّ.

---

(١) أى: ما تستحق من العقاب.

(٢) وهما خجلان.

ودخل عبد الله بن عمر بأخيه إلى ناحيةٍ من الدار فحلق رأسه، ورأس أبى سروعة.

فوالله ما كتبتُ إلى عمر بشىء مِمَّا كان حتى إذا تحيّنتُ كتابه إذا هو يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم».

من عبد الله، عمر أمير المؤمنين إلى العاصى بن العاص.

عجبتُ لك يا ابن العاص، ولجُرْأتك علىَّ، وخِلاف عهدى!

أما أنّى قد خالفتُ فيك أصحاب بَدْر ممَّن هو خيرٌ منك.

وأراك تلوَّثتَ بما تلوثت، فما أرانى إلا أننى عازلُك، فمسىءٌ عَزْلك تضرب «عبد الرحمن» فى بيتك، وتحلق رأسه فى بيتك! وقد عرفتَ أن هذا يخالفنى!.

إنما «عبد الرحمن» رجلٌ من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلتَ: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أن لا هوادة لأحدٍ عندى من الناس فى حقٍّ يجب لله عليه!.

فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءةٍ على قَتَبِ بعير(١) حتى يعرف سوء ما صنع!.

قال عمرو: فبعثتُ به كما قال أبوه، وأقرأتُ «عبد الله بن عمر» كتاب أبيه، وكتبتُ إلى عمر كتابًا أعتذر فيه، وأخبره أنى ضربته فى صحن دارى، وحلفتُ له بالله أنّى هكذا أقيم الحدود مع غيره، سواءٌ فى ذلك المسلمُ والذِّمىُّ.

وبعثتُ بالكتاب مع عبد الله بن عمر.

قال أسلم «مولى عمر»:

---

(١) قَتَب البعير: كسرج الحصان؛ أمر عمر ألا يوضع على البعير شيئًا إيذاءً لعبد الرحمن وتأديبًا له.

فقدم بعبد الرحمن إلى أبيه، فدخل عليه، وعليه عباءةٌ، ولا يستطيع المَشْى من مَرْكبه الصَّعْب! . فقال عمر: يا عبد الرحمن فعلت كذا وكذا!

فكلمه ابن عوف[1]، وقال:

يا أمير المؤمنين، قد أقيم عليه الحدُّ مَرَّة.

فلم يلتفت إليه «عمر» وَزَجَره!

فجعل عبد الرحمن بن عمر يصيح: أنا مريضٌ، وأنت قاتلى!

فضربه عمر وحبسه، ثم أطلقه.

قال عبد الله بن عمر: فلبِثَ شهرًا صحيحًا، ثم أصابه قَدرُه فمات!

وتْحسّبُ عامَّة الناس أنه مات من جلد عمر له.

وكان «عبد الرحمن بن عمر، وأبو سروعة»[2]، قد شربا نبيذًا، يظنان أن الشّرب منه لا يُسْكر، فأفرطا فى شرابه، فَسكرا منه فندما، وطلبا التطهير بالحَدِّ.

وذهبا إلى الأمير من أنفسهما ليقيم عليهما حَدّ الله.

قالوا: وقد كان يكفيهما الندم والتوبة على التفريط، حيث كانت نيَّتُهما أنهما لا يشربان حرامًا، وإنما يشربان حلالاً. والنّبيذ لا يُسْكر قليله، والأعمال بالنيات.

غير أنهما غضبا لله -سبحانه- على أنفسهما، فكان أمرُهما ما عرفنا[3].

ورواه البيهقى فى «السنن» (٨/ ٣١٣) مختصرًا، ولفظه:

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

(١) هو: عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-.

(٢) صحابى من أصحاب النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، وكان -رضي الله عنه- ممَّن شهد «بدرًا».

(٣) سيرة عمر (٦٧ - ٧١).

«شرب أخي «عبد الرحمن بن عمر»، وشرب معه «أبو سروعة عقبة بن الحارث» ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فسكرا.

فلما صحا انطلقا إلى «عمرو بن العاص» وهو أمير بمصر فقالا:

طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه.

فقال عبد الله بن عمر: فلم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص، قال:

فذكر لي أخي أنه قد سكر، فقلتُ له:

ادخل الدار أطهرك، قال: إنه قد حدَّث الأمير.

قال عبد الله، فقلتُ: والله لا تُحْلَق اليوم على رءوس الأشهاد، ادخل أحلقك، وكانوا إذ ذاك يُحلقون مع الحد، فدخل معي الدار.

قال عبد الله: فَحلَقتُ أخي بيدي، ثم جلدهما «عمرو بن العاص»، فسمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بذلك فكتب إلى عمرو:

أن ابعث إليّ عبد الرحمن بن عمر على قتب، ففعل ذلك عمرو، فلما قدم عبد الرحمن على عمر -رضي الله عنه- جلده، وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله، فلبث شهرًا صحيحًا، ثم أصابه قدره، فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر، ولم يمت من جلده»(١).

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله تعالى-:

«لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن بن عوف أنه شرب الخمر وإنما شرب النبيذ متأولاً وظن أن ما شرب منه لا يسكر، وكذلك أبو سروعة، وأبو سروعة من أهل بدر، فلما خرج بهما الأمر إلى السُّكر طلبا التطهير بالحدّ، وقد كان يكفيهما مُجرّد الندم على التفريط، وأما كون عمر أعاد الضرب على ولده فليس ذلك حَدًّا، وإنما ضربه غضبًا وتأديبًا» ا.هـ.

٨- عمر مع جَبَلة بن الأيْهم الغسَّاني:

لا يزال الحديث موصولاً عن عدل عمر ومناقبه -رضي الله عنه-:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (٨/ ٣١٣).

قال أهل السِّير:

إن جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة حين رغب فى الإسلام أقبل إلى المدينة فى موكبٍ كبير، عليهم ثياب الوَشْىِ[(١)]، وهو لابسٌ تاجه!

ففرح عمر بقدومهم.

فلما جاء الموسم خرج للحج مع عمر، فبينما هو يطوفُ بالبيت إذْ وطئ على إزاره رجلٌ من فزارة فحلّ الإزار، فلطمه جبلة على أنفه فهشّمه، وسال الدّم!.

فاستعدى الفَزَارىّ عليه عمر.

فقال عمر لجلبة: ما دعاك لأن تلطم هذا الفزارىّ؟

قال: إنه وطئ إزارى فحلَّه.

قال عمر: أما وقد أقررتَ فإما أن ترضيه، وإلاّ فعل بك مثل ما فعلتَ به!

قال جبلة: أيصنع هذا، وأنا ملك، وهو سُوقة؟!

قال عمر: لقد سّوى الإسلام بينك وبينه، فما تفْضُلُهُ بشىء إلا بُحسْنِ العمل!.

قال جبلة: والله لقد رجوتُ أن أكون فى الإسلام أعزّ مِنّى فى الجاهلية!

قال عمر: إنه لكذلك[(٢)].

قال جبلة: أخّرنى إلى غدٍ، حتى أُفكّر فى الأمر يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ذلك لك!.

فلما كان جُنْحُ الليل خرج هو وأصحابه حتى دخلوا القُسطنطينية على «هرقل»، فتنصّر «جبلة» وأقام عنده![(٣)].

---

(١) ثياب مُعلَّمة ومُخَطّطة.

(٢) أى: أنت كذلك عزيز فى الإسلام ما دُمت على الحق. والعدوان على الناس ليس من الحق.

(٣) سيرة عمر (٢٣١ - ٢٣٢).

وفى ذلك يقول «حافظ إبراهيم» -رحمه الله-:

كم خِفْتَ فى الله مضعوفًا دعاك به
وكم أَخَفْتَ قويًّا يَنْثَنى تِيها
وفى حديث فتى غسّان موعظة
لكل ذى نُعْرةٍ يأبَى تناسيها
فما القوى قويًّا رَغْمَ عزّته
عند الخصومة والفاروق قاضيها
وما الضعيف ضعيفًا بعد حُجّته
وإن تخاصم واليها وراعيها!

٩- قصة عثمان بن عفان مع خادمه:

يحكى أهل السِّير:

«أن عثمان -رضي الله عنه- غضب على غلام عنده فَعَرك أُذُنه بأصْبعيه.. فتألّم الغلام.. فتذكر عثمان -رضي الله عنه- قصاص الآخرة، فنادى على الغلام، وجلس له وقال:

اعْرك أذنى أيها الغلام!!

فكَبُر ذلك على الغلام..

فعزم عليه عثمان.. فأمسك الغلام بأُذِن «أمير المؤمنين عثمان» وشدَّ عليها بأصبعيه.. وعثمان -رضي الله عنه- يقول له:

اشْدُدْ على أذن أمير المؤمنين، فإن قصاص الدنيا أهون من قصاص الآخرة!!».

أخى القارئ:

هذا هو عثمان بن عفان، الذى قُتل مظلومًا فى العصر الأول، وشُتم

برئيًا فى العصر الأخير، وما أكثر المهانين من رجالنا الذين ظُلموا أحياءً وأمواتًا! أكذلك نجازى عظماءَنا؟ إلى الله المشتكى..

١٠- عمر بن عبد العزيز وأمانة الحُكم:

عن زياد بن أبى زياد، قال:

أرسلنى مولاى ابن عيّاش بن أبى ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز فى حوائج له فدخلتُ عليه وعنده كاتب له يكتب فقلت:

السلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام.

ثم انتهيتُ فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال: لسنا ننكر الأولى.

قال: والكاتب يقرأ عليه المظالم التى جاءت من البصرة فقال لى:

اجلس، فجلستُ على أسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس الصعداء، فلما فرغ أخرج من كان فى البيت حتى وصيفًا كان فيه، ثم قام يمشى إلىَّ حتى جلس بين يدى ووضع يديه على ركبتى ثم قال:

يا ابن أبى زياد استدفأت فى مرقعتك أو مدرعتك واسترحت مما نحن فيه، ثم سألنى عن صلحاء أهل المدينة وحالهم ونسائهم، وسألنى عن أمور كان أَمَر بها، ثم قال:

ألا ترى ما وقعتُ فيه؟!

قلتُ: يا أمير المؤمنين إنى لأرجو لك خيرًا.

قال: هيهات هيهات ثم بكى حتى جعلتُ أرثى له.

قلت: يا أمير المؤمنين أقل من بعض ما تصنع فإنى لأرجو لك خيرًا.

قال: هيهات هيهات أشتم ولا أشتم، وأضرب ولا أضرب، وأوذى ولا أوذى، ثم بكا حتى جعلت أرثى له(١).

(١) **أثر صحيح**: أخرجه أحمد فى الزهد (ص ٣٦٣)، وانظر: الجليس الصالح والأنيس الناصح للعلامة أبى الفضل سبط الإمام أبى الفرج بن الجوزى ص ١٦٧.

١١- شروط من يُصَاحب الخليفة:

قال رجاء بن حَيْوة -رحمه الله تعالى-:

سمعت عمر بن عبد العزيز يقول:

من صحبنى فليصحبنى بخمس خصال:

يدلنى على العدل إلى مالا أهتدى.

ويكون لى عونًا على الخير.

ويبلغنى حاجة من لا أستطيع إبلاغها.

ولا يغتاب عندى أحدًا.

ويؤدى إلىّ الأمانة التى حملها منى ومن الناس وإلا فهو حرج من صحبتى والدخول علىّ(١).

إنه يختار بطانته.. وينتقى مساعديه.. والسعيد من كانت له بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه.

١٢- عمر بن عبد العزيز وعمَّته:

لقد صار الحق وحده -فى عهد عمر بن عبد العزيز- هو الفيصل والحكم.. فلا صُكوك ولا مواثيق إلا صكوك الحق ومواثيقه.. ولا رحم ولا قرابة إلا رحم الحق وقرابته..

ولا يحول بينه وبين الحق شفاعة، ولا رغبة، ولا رهبة..

كانت عمّته «أم عمرو» بنت مروان، صاحبة دَالَّة على خلفاء بنى مروان وأمرائهم.. وكانت أثيرة لدى «عمر بن عبد العزيز» وموضع حبّه العميق، واحترامه الوثيق.

وحين ألْغى كل مخصصات بنى مروان، ألغى مخصصاتها أيضًا فسارعت إليه.. وفوجئت به جالسًا يتناول طعام عشائه.

---

(١) **أثر حسن**: أخرجه أحمد فى «الزهد» ص ٣٦٥. وانظر الجليس الصالح ص ١٦٨.

وسلَّمت «العمَّة» ثم جلست، وراحت تُحملْق بعينيها لا تكاد تصدق ما تراه..

لقد كان كل ما بَيْن يديه من طعام، خبز جاف، وطبق عدس وملح!!

ودارتْ بها الأرض..!!

أهذا هو «عمر» الذى كان يخوض فى النعيم خوضًا؟؟

الآن -وهو الخليفة المطاع- يصير هذا طعامه..؟!

ولم تتمالك نفسها. فأجهشكت بالبكاء، ثم قالت:

«لقد جئتك فى حاجة لى.. ولكنى لم أكد أراك حتى رأيت أن أبدأ بك قبل نفسى»...!!

قال الخليفة: وما ذاك، يا عمّة؟؟

قالت: لو اتخذت لك طعامًا ألْينَ من هذا؟؟

قال: لا أملك غيره يا عمّة، ولو كان عندى لفعلت..

قالت: إن عمك «عبد الملك»(١) كان يُجرى علىَّ ما تعلم.. ثم كان أخوك «الوليد»(٢) فزادنى.. ثم كان «سليمان»(٣) فزادنى.. ثم وليت أنت فقطعته عنى.

فأجابها: يا عّمة: إن عمى عبد الملك - وأخى -الوليد- وأخى -سليمان- كانوا يعطونك من مال المسلمين وليس ذلك المال لى فأُعطيكه، ولكنى أعطيكى مالى إن شئتِ..

قالت: وما مالك، يا أمير المؤمنين؟

قال: عطائى.. مائتا دينار فى العام..

قالت: وما يبلغ منى عطاؤك؟!!

ثم انصرفت عنه يائسة بائسة، وهى التى كان الخلفاء ينحنون لرغبتها، ويسارعون إلى هواها..!!

---

(١)، (٢)، (٣) من خلفاء بنى أُميّة الذين سبقوه.

أبقَيتْ هناك شفاعة لشافع.. أو مطمع لطامع..؟!

لا.. ففى وَقْدة إخلاصه احترقت كل الأطماع وإن هذا الإخلاص ليحيطه بسياج ترتد عنه كل المحاولات عاجزة مفلسة(١).

يا خالق هذا الإنسان سبحانك..

وَمَنْ فى دنيا الناس اليوم من يحذو حذوهم أو يخطو خطوهم؟!

كتب إليه واليه على «خُراسان» يستأذنه فى أن يُرخَّص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها، قائلاً فى رسالته للخليفة:

«إنهم لا يصلحهم إلا السيف والسوط».

فكان رَدّهُ الحازم:

«كذبت..

بل يصلحهم العدل والحق، فابْسُط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين»!!.

العدل، والحق..!!

بهما وعليهما سيقوم منهجُه.. وعلى طريقهما القويم ستمضى خطاه ولله دَرّ القائل:

يا أيها المظلوم فى بِلاده	**ائت الإمامَ عُمَرا فناده**
خليفة الله على عِباده	**لم يؤثرْ الدنيا على معَاده**
قد أسكن الوعيد فى فؤاده	**خَوْفًا أطار النَّومَ عن وساده**
يحكم بالحق على أولاده	**قد أشبه الفاروق من أَجْداده**

١٣- قصة اليهودى الذى هزّه عَدْلُ شُرَيْح:

مَرّ على بن أبى طالب -رضي الله عنه- بسوق الكوفة يومًا، فإذا به يمرّ أمام

(١) خلفاء الرسول للأستاذ/ خالد محمد خالد -رحمه الله تعالى- (٦٣٩ - ٦٤٠).

يهودىّ يعرض دِرْعًا للبيع، فلما رآها أمير المؤمنين عرف أنها درعه التى فقدها منذ سنين طويلة، وعلامتها مميّزة عليها، فقال لليهودى:

إن هذه الدرع درعى.

فقال اليهودى: بل هى درعى، وأمامك القضاء.

ووقف أمير المؤمنين بجانب اليهودى أمام شُريح «القاضى».

فقال شريح: البيّنة على من ادّعى.

قال علىّ: إن الدرع دِرْعى وعلامتها كَيْت وكَيْت، وهذا هو الحسن بن على شاهدى على ذلك.

فقال شريح يا أمير المؤمنين، إنى أعلم أنك صادق، ولكن ليس عندك بيّنة، وشهادة الحسن لا تنفعك، لأنه ابنك، وقد حكمنا بالدرع لليهودى!.

فهزّ هذا الموقف اليهودى فقال:

والله إن هذا الدين الذى تحتكمون إليه لهو الناموس الذى أنزل على موسى، وإنه لدين حق، ألا إن الدرع درع أمير المؤمنين، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله(١).

فأين ذهب العدل؟:

أين العدل فى حياة الناس اليوم؟! لقد ضاع وصدق فينا قول القائل:

فلتسمعنّ بكل أرض داعيًا
يدعو إلى الكذّاب أو لسجاح(٢)
ولتشهدنّ بكلِّ أَرْضٍ فتنةً
فيها يُباع الدين بيع سماح

(١) كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء: للأستاذ/ محمد فهمى عبد الوهاب ص ٧٦، ٧٧.

(٢) راجع ترجمة الاثنين فى كتابنا «رجال ونساء مبشرون بالنار» ط. المكتبة التوفيقية.

يفتى على ذهب الـمُعزّ وسيفه
وهوى النفوس وحِقدها الملحاح

«والأمل لن يموت»:

ومع هذا.. فالأمل لن يموت.. والنصر قادم.. ودين الله يتجّدد ولا يتبدّد:

عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون مُلْكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[1].

الحق الثالث: الحلم على الرعية والنصح لهم:

ومما يوجب حلمه عن رعيته أن الله تعالى رفعه عليهم فليجعل الحلم شكرًا لرفعه ثم هم فى مقام ولده والحنو على الولد لازم، وينبغى أن يبالغ فى نصحهم وأن يريد لهم ما يريد لنفسه فإن لم يفعل فقد غشّهم عن معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد وغيره وقال الشيخ الألبانى: صحيح. الصحيحة برقم (٥).

«ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حرّم الله عليه الجنة»(١).

فيجب عليه أن يعين فقيرهم، ويؤدّب ظالمهم، ويعلّم جاهلهم.. ويحكم فيهم بحكم الله تعالى.

عن عمرو بن مرّة -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«ما من إمام إو وال، يُغْلق بابه دون ذوى الحاجة والخلَّة والمسكنة، إلا أَغْلق الله أبوابه السمَّاء دونً خُلّته وحاجته ومسكنته»(٢).

فينبغى للسلطان أن يظهر للرعايا فى وقت فإن صعب الظهور أقام أهل الدين يرفعون المظالم فإن تسهيل الإذن أحفظ شيء للحمد له، لأنه إذا علمت الرعية بسهولة الإذن أحجمت عن الظلم والعكس بالعكس.

قال أبو الفضل بن الجوزى -رحمه الله-:

«ومما أهمله كثير من الولاة أنهم يفعلون فعلاً لا تجيزه الشريعة من قتل ما لا يجوز قتله، وقطع من لا يجوز قطعه ويسمون ذلك سياسة وهذا غاية الخطأ لأن معنى قولهم: هذا سياسة، أن الشريعة جاءت ناقصة فاحتاجت إلى أن نتمّها برأينا وهذا عين الزّلل، فإن الشريعة هى السياسة الكاملة»(٣) ا.هـ.

«موعظة»:

«فيا أسفًا للظلمة الفجار، يخطئون على أنفسهم بالليل والنهار، والشهوات تفنى وتبقى الأوزار، كم ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينا هو يقعد عقد الإضرار نزل به الموتُ فحلّ من حلته الأزرار، ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن لو رأيتَه وقد حلّت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تَسَل كيف صار، سال فى القبر صديده وبلى

(١) **صحيح**: متفق عليه.
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد، وقال الشيخ الألبانى: صحيح. الصحيحة رقم (٦٣٠).
(٣) الجليس الصالح (٣١، ٣٢).

-والله- جديده، وتفرّق عنه حشمُه وعبيده وهجر نسيبه ووديده وأعوانه والأنصار.

أين مجالسه العالية؟
أين عيشته الصافية؟!
أين لذاته الحالية؟
كم تسفى على قبره سافية؟

ذهبت العين وخفيت الآثار، تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرباء والأصحاب، وصار فراشه الجندل والتراب، وربما فتح له فى اللّحد باب إلى النار، قارنه عمله من ساعة الحين فهو يتمنى الفرار! وهيهات أين! ويقول: يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين، فهو على فراش الوحدة وَحْده، والعمل ثان اثنين، ولكن لا فى الغار.

كم استغاث مظلومهم على الباب، وقد أخذوا فى الطعام والشراب، وربما منعه البواب!.

الله جار المظلوم ممَّن جار.
كم ضحك الظالمَ، والمظلوم قد بكَا!.
كم نام، وهو يقلق مما اشتكى!
أتراه أما علم إلى مَنْ شكا؟!
لابد للمولى من أخذ الثأر.
ليس بمقيم دعا عليه المظلوم.
لا تحقروا دعاء الأسحار: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾(١)(٢).

روعة الإسلام بين الحاكم والمحكوم:

أسوق إليك أخى المسلم بعض اللقاءات الهامة التى التقى فيها الحاكم مع المحكوم، هذا يعظ، وذاك يستمع.. هذا يُخْلص فى نصيحته، وذاك يسقط الدمع من مُقْلته!!!

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٠.
(٢) الجليس الصالح (٥٩).

١- هارون والفضيل بن عياض:

عن الفضل بن الربيع، قال:

حجّ «هارون الرشيد» فبينما أنا نائم بمكة إذ سمعتُ قَرْع الباب فقلتُ:

من ذا؟

قال: أجب أمير المؤمنين.

فخرجتُ مُسْرعًا فقلت:

يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك.

قال: خلّ ويحك فى نفسى شىء فانظر لى رجلاً أسأله.

قلتُ: ها هنا «سفيان بن عيينة».

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعتُ الباب فقال:

من ذا؟

فقلتُ: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعًا وقال:

لو أرسلت إليّ لأتيتك.

قال: خذ فيما جئناك له يرحمك الله.

فحادثه ساعة ثم قال:

عليك دَيْن؟

قال: نعم. يا أمير المؤمنين.

قال: أبا عباس: اقض دَيْنه.

ثم انصرفنا فقال:

ما أغنى عنى صاحبك شيئًا، انظر لى رجلاً أسأله:

قلتُ: هاهنا «عبد الرزاق الصنعانى».

قال: امض بنا إليه.

فقرعتُ الباب، فقال:

من ذا؟

قلتُ: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعًا، وقال:

لو أرسلت إلىّ لأتيتك.

فحادثه ساعة ثم قال:

عليك دَيْن؟

قال: نعم.

قال: أبا عباس اقض دَيْنه.

ثم انصرفنا، فقال:

ما أغنى صاحبك شيئًا، انظر لى رجلاً أسأله فى هذه الليلة؟

قال: قلتُ: هاهنا «الفضيل بن عياض».

قال: امض بنا إليه.

فمضينا إليه وهو فى غرفةٍ يُصلّى ويُردّد آية من القرآن.

فقال الرشيد: اقرع الباب، فقرعتُ الباب، فقال:

من ذا؟

قلت: أجب أمير الومنين.

قال: مالى ولأمير المؤمنين.

قلتُ: يا سبحان الله أما عليك طاعة؟! أليس قد رُوى عن رسول الله - ﷺ - أنه قال:

«لا ينبغى للمؤمن أن يُذلّ نَفْسَه»(١).

فنزل وفتح الباب ثم ارتقى إلى الغُرْفة فأطفأ السّراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فدخلنا عليه فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفّ «هارون» إليه قبل كفى فقال:

آه، ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله!!

فقلت فى نفسى: ليكلّمنه الليلة بكلام نقىّ من قلبٍ تقىّ.

فقلتُ: خذ فيما جئناك يرحمك الله..

فقال: يا أمير المؤمنين لقد بلغنى أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا سالم بن عبد الله ورجاء بن حَيْوة ومحمد بن كعب القرظى فقال لهم:

إنى قد ابتليتُ بهذا الأمر فأشيروا علىّ، فعدّ الخلافة، بلاء وعددتَّها أنت وأصحابك نعمة!!، فقال له سالم:

إن أردتَ النجاة غدًا من عذاب الله فَصُم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت.

وقال محمد بن كعب: «إن أردتَ النجاة غدًا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مُتْ إذا شئت». والله إننى لا أقول لك هذا وإننى أخاف عليك أشد الخوف يوم القيامة، يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شديدًا حتى غشى عليه.

فقلتُ له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: يا بن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا، ثم أفاق.

فقال: زدنى يرحمك الله؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٤٠٥) بلفظ: «لا ينبغى للمؤمن أن يُذل نفسه» قالوا: وكيف يُذلّ نفسه؟ قال: «يتعرّض من البلاء ما لا يطيقه». انظر: صحيح الجامع الصغير (٧٧٩٧).

فقال: يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر:

«يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك غداً بين يدى الله فيكون آخر العهد بك والسلام».

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر فقال له:

ما أقدمك؟

قال: خلعتَ قلبى بكتابك لا أعُود إلى ولاية أبدًا.

فبكى هارون بكاءً شديدًا حتى خرّ مغشيًّا عليه!، فلمّا أفاق قال:

زدنى يرحمك الله.

قال له: يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله عن هذا الخلق فهل أعددت الجواب؟ وإياك أن تمسى وتصبح وفى قلبك غش لرعيتك فإن النبىّ -ﷺ- قال:

«من أصبح لهم غاشًّا لم يرح رائحة الجنة»(١).

فبكى هارون بكاءً شديدًا ثم قال:

رحمك الله أعليك دَيْن؟

قال: نعم: يا أمير المؤمنين دَيْن لربى يحاسبنى عليه -فالويل لى إن لم يلهمنى حُجّتى.

قال له: رحمك الله! إنما أعنى دَيْن العباد.

قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، أمر ربى أن أوحده وأطيع أمره فقال:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٢).

---

(١) **صحيح**: بلفظ «أيّما راع غَشّ رَعيّته فهو فى النار» رواه ابن عساكر، وقد تقدم قريبًا، وانظر: الصحيحة (١٧٥٧). أما لفظ المصنف فضعيف السند.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٨.

ثم قال:

يا أمير المؤمنين إنه ينادى مناد غدًا فى عرضات القيامة: أين المتعلّلون بالآباء والأمهات والعيال قوموا فلا عًذر لكم عند الله.

فبكى هارون بكاءً شديدًا، ثم قال:

رحمك الله هذه ألف دينار أنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك.

فقال: يا سبحان الله أنا أدلك على النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا؟!

سلّمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يكلّمنا بشىء حتى صرنا إلى الباب، فالتفت إلىّ الرشيد فقال:

أبا عباس، إذا دللتنى على رجل فادللنى على مثل هذا، هذا سيّد المسلمين!.

قال الربيع: بينا نحن كذلك إذ خرجت امرأةٌ من نسائه فقالت:

يا هذا قد ترى ما نحن فيه من سوء الحالة لو قبلت هذا المال فتفرجنا به؟

فقال لها: مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلمّا كبر نحروه وأكلوا لحمه».

فلما أتم كلامه.

قال: ادخل فعساه يقبل المال، فدخلنا فلمّا علم الفضيل بدخولنا خرج فجلس على التراب فى السطح!!

فجاءه هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلّمه ولا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت علينا جارية سوداء، فقالت:

يا هؤلاء قد آذيتم الشيخ منذ الليلة فانصرفوا رحمكم الله فانصرفنا وتركناه!!»(١).

٢- حوار رائع بين الرشيد وشقيق البلخى:

عن الفضل بن الربيع، قال:

(١) الجليس الصالح (٢٠٩ - ٢١١). وصفة الصفوة (٢/٢٤٢ - ٢٤٦).

أُخبر هارون الرشيد أن شقيق البلخى قد قدم بغداد فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه قام «هارون» من مجلس وأجلسه إلى جانبه وقال:

يا شقيق ما أشوقنى إليك وأحبّ أن توصينى.

فقال: يا أمير المؤمنين إن الله أنزلك منزلة أبى بكر الصديق ويطلب منك الصدق، وأنزلك منزلة الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل، وأنزلك منزلة عثمان ويطلب منك الحياء والسخاء، وأنزلك منزلة علىّ ويطلب منك العلم والحلم.

قال: فأطرق هارون ساعة ثم رفع رأسه وقال:

كيف لى أن أعمل بالصّدق؟

قال: تعلم أنك أجير ولست بأمير، وأن تعلم أنك فقير ولستَ بغنىّ، وأن تعلم أنك عبد ولستَ بُحرٍّ.

قال: فأطرق هارون ثم رفع رأسه وقال:

كيف لى أن أُفرق بين الحق والباطل؟

قال: أن تجعل الناس على ثلاثة أصناف:

صنف أكبر منك، وصنف أصغر منك، وصنف مثلك، فاجعل كبير المسلمين عندك والدًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم ولدًا، فوقّر أباك، وانصف أخاك، وتحنّن على ولدك.

قال: فأطرق هارون ساعة ثم رفع رأسه فقال:

كيف أن أعمل بالحياء والسخاء؟

قال: تستحى مِنْ مَوْلاك كما تستحى من جيرانك، وأن تجعل نفسك وكيلاً لجميع الخلائق فى هذا المال الذى عندك.

قال: فأطرق هارون ساعة ثم رفع رأسه وقال:

كيف لى أن أعمل بالعلم والحلم؟

قال: أطع مولاك واعصى هواك.

فقال: زدنى.

قال: اعلم أن الله خلق نارًا فسمّاها جهنم وجعلك بوابها، وأعطاك بيت المال والسيف والسوط، وأمرك أن تعطى من بيت المال من إلى المعصية لأجل الفقر كى لا يدخلها، وأمرك أن تقتل بالسيف مَنْ قتل نفسًا بغير نفس أو بغير حق كيلا يدخلها.

فقال هارون: أحرقتنى يا شقيق، زدنى؟

قال: اعلم يا أمير المؤمنين أنك عين وعمالك الأنهار فإن صَفَت العين صفت الأنهار، وإن تكدَّرت العين تكدرت الأنهار وإن لم يكفك هذا فلا مطمع لى فيك.

قال: فبكى هارون ساعة ثم نزع خاتمه وألقاه إليه وقال:

اعمل فى هذه الأمة بالسنة.

قال شقيق: على أن تقضى لى حاجتى؟

قال: حاجتك مقضية.

قال: لا تَدْعُى حتى آتيك، ولا تعطنى حتى أسألك!

قال: قد قضيتُ حاجتك. وطرح الخاتم، وخرج وقال:

لا آتيك أبدًا ولا أسألك أبدًا(١).

٣- أبو العتاهية وهارون:

دخل أبو العتاهية على الرشيد فقال له:

عِشْ مــــا بَدَا لـك أن تعـــيـش
فى ظـلّ شــاهقــةِ القــصُـور

(١) الجليس الصالح (٢١٦ - ٢١٧).

يسعى عليك بما اشْتهَيْت
لدى الرّواح وفى البكور
فإذا النفوس تَقَعْقَعتْ
فى ضيق حَشْرجة الصدور
فهناك تعلم موقنًا
ما كنت إلا فى غرور

«حسن الختام»:

وفى نهاية المطاف نختم «حق الراعى والرعية» بأبيات من الشّعر تكتب بماء الذهب:

قال الجعفى: حدثنا عبد الملك قال:

حَجّ بعضُ الخلفاء فاستظل بظلٍ فرآه مالك بن دينار فقال:

هَب الدّنيا تواتيك ... أليس الموتُ يَأْتيك
فمَا تصنعُ بالدّنيا ... وظلّ المثل يكفيك
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيك
كما أضحكك الدّهرُ ... كذاك الدّهرُ يبكيك

الحق الحادى والعشرون:

حق غير المسلمين في المجتمع الإسلامى

الحق الحادى والعشرون:

حق غير المسلمين في المجتمع الإسلامى

يتهم البعضُ الإسلامَ بالتعصب الدينى، والحيف على الفئات الأخرى، التى تعيش فى ظل دولته وفى كنف سلطانه!

وهو اتهام ظالم جائر، لا يستقيم على ساق، وليس له أساس من شريعة الإسلام ولا من تاريخه.

والذى تولّى كبر هذا التشويه المتعمّد هم أعداءُ هذا الدين العظيم.. ومن سار فى ركابهم، وغزل بمغزلهم، ودار فى فلكهم(١).

وقبل أن نتحدث عن حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى نقول:

من المعروف شرعًا: أن أصحاب الشرائع المخالفة للإسلام صنفان:

١- صنف هم أصحاب الديانات الوثنية أو الوضعية مثل: المشركين عباد الأوثان، والمجوس عُبّاد النار، والصائبين عباد الكواكب.

٢- وصنف هم أصحاب شرائع سماوية -سابقة(٢)- كاليهود والنصارى، وهم الذين يسميهم القرآن «أهل الكتاب» إيناسًا لهم، وتلطفًا بهم.

وهؤلاء الكتابيون لهم معاملة متميزة فى الإسلام -سيأتى الحديث عنها بعد إن شاء الله تعالى-.

وثمت تقسيم آخر للمخالفين فى الدين، من حيث موقفهم من دولة الإسلام، وأمة الإسلام، فهم:

---

(١) نقصد: أذناب الكفار فى الديار الإسلامية.

(٢) وهى منسوخة بالدين الخاتم.. وطرأ عليها من التحريف والتبديل ما هو معلوم.

إمّا محاربون.

وإمّا مسالمون معاهدون.

فالمحاربون: هم الذين يعادون المسلمين ويقاتلونهم، وهؤلاء لهم أحكامهم التى تنظم العلاقة بهم، وتفرض أخلاقًا وآدابًا معينة فى معاملتهم حتى فى حالة الحرب، فلا غدر، ولا تمثيل بجثة، ولا قطع لشجر، ولا هدم لبناء، ولا قتل لصبى ولا امرأة ولا شيخ، وإنما يقتل من يقاتل(١).

قال حَيْوة بن شريح:

كان عمر إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله، ثم قال عند عقد الألوية:

«بسم الله، وعلى عون الله. امضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر. قاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين. ثم لا تجبُنوا عند اللقاء، ولا تُمثّلوا عند القدرة، ولا تُسْرفوا عند الظهور، ولا تتكلّموا عند الجهاد. ولا تقتلوا امرأة، ولا هَرِمًا، ولا وليدًا، وتوقَّروا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حُمَّة النهضات، وفى شنِّ الغارات. ولا تَغُلُّوا عند المغانَم، ونزهّوا الجهاد عن عرَض الدنيا. وأبشروا بالإرْباح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم!»(٢).

فأين مصاحبة هذه الأخلاق فى حروب اليوم؟!

اسألوا ماذا فعل الملحدون اليوم وقبل اليوم فى «الشيشان»؟!

وماذا فعل الصِّرب فى «البوسنة والهرسك؟».

وماذا فُعل بالمسلمين فى «فلسطين» و«لبنان» و«العراق» و«كشمير» وغيرها من ديارَ المسلمين؟!!

ليعلم الناس، وجميع الناس من المتّهم(٣).

---

(١) الأقليات الدينية والحل الإسلامى. د. يوسف القرضاوى (٢٨ - ٢٩).

(٢) سيرة عمر للأستاذ أحمد التاجى (١٩٨، ١٩٩).

(٣) ومن العجيب أنهم بعد كل هذا يتشدقون بالحريات وحقوق الإنسان!!!. «مخطئ من ظن يومًا أن للثعلب دينًا».

والمسالمون أو المعاهدون، يوفّى لهم بعهدهم، ويعطون حقهم من البر والقسط والصلة.

ومن الخطل والخطأ هنا:

الخلط بين الصنفين على اعتبار أنهم جميعًا كفار، لا يؤمنون برسالة محمد -ﷺ-، ولا يصدّقون بالقرآن آخر كتب الله تعالى.

وقد فرّق القرآن بين الصنفين تفريقًا واضحًا لا لبس فيه، فى آيتين كريمتين تعتبران دستورًا محكمًا فى تحديد العلاقة بغير المسلمين:

قال تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

والبر: هو الخير.

والقسط: هو العدل.

وقد نزلت هاتان الآيتان فى شأن المشركين، كما دلّت على ذلك أسباب نزول السورة، فأهل الكتاب أولى بالبرّ والقسط.

ثم إن المعاهدين صنفان:

(أ) من لهم عهد مؤقت، هؤلاء يتم إليهم عهدهم إلى مُدَّتهم.

(ب) والثانى: من لهم عهد دائم ومؤبد وهم الذين يسميهم المسلمون «أهل الذمة» بمعنى أن لهم ذمّة الله تعالى، وذمة رسول -ﷺ-.

وذمة جماعة المسلمين، وهم الذين قال فيهم الفقه الإسلامى:

«لهم ما لنا، وعليهم ما علينا».

---

(١) سورة الممتحنة: ٨، ٩.

أى فى الجملة إلا ما اقتضته طبيعة الاختلاف الدينى.

وأهل الذِّمة يحملون «جنسية دار الإسلام» وبتعبير آخر:

هم مواطنون فى الدولة الإسلامية.

فليست عبارة «أهل الذمة» عبارة ذم أو تنقيص، بل هى عبارة توحى بوجوب الرعاية والوفاء، تدينًا وامتثالاً لشرع الله.

وعلى الصفحات القادمة نعيش مع حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، لنرى بوضوح مدى ما تتمتع به الأقليات غير الإسلامية من حقوق وواجبات لا نراها للأقليات المسلمة فى المجتمعات غير الإسلامية!

حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى:

شرع الإسلام حقوقًا لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى تكفل لهم الأمن والأمان تحت مظلة هذا الدين الخاتم، من هذه الحقوق:

١- عدم إكراههم للدخول فى الإسلام:

قال الله تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١).

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية -ما مختصره-:

«يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أى لا تكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام، فإنه تَبـيِّن واضح، جلىّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره، ونوّر بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول فى الدين مكرهًا مقسورًا.

وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عامًّا.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

● عن ابن عباس، قال:

كانت المرأة تكون مقلاتًا[١]، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده، فلما أجْليت بنو النَضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا:

لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. وقد رواه أبو داود والنسائي.

● وعن ابن عباس:

قوله ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال:

نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال له «الحصيني» كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلاً مسلمًا، فقال للنبيّ - ﷺ -:

ألا استكرههما، فإنهما أبيا إلاّ النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك. رواه ابن جرير.

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء، أن هذه الآية محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية.

وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه، ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى الإكراه، قال الله تعالى:

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

---

(١) قال أبو داود: والمقلاتُ التي لا يعيش لها ولد. تفسير القرطبي (٣/ ٢٥٦).

(٢) سورة الفتح: ١٦.

(٣) سورة التحريم: ٩.

وفى «الصحيح»: «**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل**» يعنى الأسارى الذين يقدم بهم بلاد المسلمين فى الوثاق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون، وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد: عن حميد عن أنس، أن رسول الله -ﷺ- قال لرجل:

«**أسلم**».

قال: أنى أجدنى كارهًا.

قال: «**وإن كنت كارهًا**»(١).

فإنه ثلاثى صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبى -ﷺ- على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هى كارهة، فقال له:

أسلم وإن كنت كارهًا، فإن الله سيرزقك حسن النية والأخلاص..».

وقال صاحب الظلال -رحمه الله تعالى- فى تفسيره للآية الكريمة:

«إن قضية العقيدة -كما جاء بها هذا الدين- قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغضب وإجبار.

لقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشرى بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنّة. يخاطب الكيان البشرى كلّه، والإدراك البشرى بكل جوانبه، فى غير قهر حتى بالخارقة المادية التى قد تلجئ مشاهدها إلجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعى والإدراك.

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشرى بالخارقة المادية القاهرة، فهو

(١) المسند (٣/ ١٨١).

من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع»(١).

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

وفى هذا المبدأ يتجلّى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال فى الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.. وهذه هى أخصّ خصائص التحرّر الإنسانى..

التحرّر الذى تنكره على الإنسان فى القرن العشرين مذاهب متعسّفة ونظم مذلة، لا تسمح لهذا الكائن الذى كرمه الله -باختيار عقيدته- أن ينطوى ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تملية عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا -وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون- وإمّا أن يتعرّض للموت بشتى الوسائل والأسباب!

إن حرية الاعتقاد هى أول حقوق «الإنسان» التى يثبت له بها وصف «إنسان».

فالذى يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء..

ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة..

وإلا فهى حرية بالاسم لا مدلول لها فى واقع الحياة.

والإسلام -وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنسانى بلا مراء -هو الذى ينادى بأن لا إكراه فى الدين، وهو الذى يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين..

فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهى تفرض فرضًا بسلطان الدولة، ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٥).

والتعبير هنا يرد فى صورة النفى المطلق: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. نفى الجنس كما يقول النحويون.. أى نفى جنس الإكراه. نفى كونه ابتداء. فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع. وليس مُجَرّد نهى عن مزاولته.

والنهى فى صورة النفى -والنفى للجنس- أعمق إيقاعًا وآكد دلالة.

ولا يزيد السياق على أن يلمس الضمير البشرى لمسة توقظه، وتشوّقه إلى الهدى، وتهديه إلى الطريق، وتبين حقيقة الإيمان التى أعلن أنها أصبحت واضحة وهو يقول:

﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١) ا.هـ.

هذا هو منهج دين الإسلام بشأن الاعتقاد.

٢- الإحسان إليهم وبرّهم:

ويجب التنبيه على أن هناك فرقًا بين الولاء والمعاملة بالحسنى فالولاء شىء والمعاملة بالحسنى شىء آخر(٢) والأصل فى هذا:

قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٣).

وقد اختلف أهل العلم فى تفسيرها فقال بعضهم:

إن المَعْنى بها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا فأذن الله للمؤمنين برّهم والإحسان إليهم وإلى هذا ذهب مجاهد.

وقال آخرون: عنى بها من غير أهل مكة من لم يهاجر.

---

(١) الظلال (١/ ٢٩١) بتصرف.

(٢) فلا تعنى معاملة أهل الكتاب بالحسنى إضاعة تميز المسلم وانصهار شخصيته فى تيار الدعوات المشبوهة باسم زمالة الأديان!! فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

(٣) سورة الممتحنة: ٨.

وقال آخرون: بل عنى بها من مشركى مكّة من لم يقاتل المؤمنين ولم يخرجونهم من ديارهم ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم.

ويُروى هذا عن قتادة.

ورجّح ابن جرير(1): أن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال:

عنى بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرّوهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم. لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله:

﴿**الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ**﴾. جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصّص به بعضًا دون بعضٍ، ولا معنى لقول من قال:

ذلك منسوخ. لأن برّ المؤمن أحدًا من أهل الحرب ممَّن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممَّن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم، ولَا منهى عنه إذا لم يكن فى ذلكَ دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

ويبيّن ذلك الخبر المروى عن ابن الزبير فى قصة أسماء مع أُمها» ا.هـ

والإسلام يفعله هذا -حتى فى حالة الخصومة- يستبقى الود فى النفوس بنظافة السلوك، وعدالة المعاملة انتظارًا لليوم الذى يقتنع فيه خصومه بأن الخير فى أن ينضووا تحت لوائه الرفيع.

روى البخارى ومسلم عن أسماء -رضي الله عنها-(2) قالت:

قدمتْ علىّ أُمَّى وهى مشركة فى عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستفتيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قلتُ:

إن أمى قَدِمتْ علىَّ وهى راغبة أفأصل أُمِّى؟

قال: «**نعم صلى أُمّك**».

---

(1) الطبرى (28/66).

(2) هى: أسماء بنت أبى بكر -رضي الله عنها-.

قال الخطابى:

«فيه -أى الحديث- أن الرحم الكفارة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأمّ الكافرة وإن كان الولد مسلمًا»[١] ا.هـ.

قال ابن حجر:

«البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهى عنه فى قوله تعالى:

﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[٢].

فإنها عامة فى حق مَنْ قاتل ومن لم يقاتل»[٣] ا.هـ.

وقال ابن القيم:

«الذى يقوم عليه الدليل وجوب الإنفاق، وإن اختلف الدينان لقوله تعالى:

﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾[٤].

وليس من الإحسان ولا من المعروف ترك أبيه وأمّه فى غاية الضرورة والفاقة وهو فى غاية الغنى. وقد ذم الله قاطعى الرحم وعظم قطيعتها وأوجب حقها وإن كانت كافرة لقوله تعالى:

﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾[٥].

---

(١) فتح البارى (٥/ ٢٣٤).

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) فتح البارى (٥/ ٢٣٣).

(٤) سورة لقمان: ١٤، ١٥.

(٥) سورة النساء: ١.

وفى الحديث: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»(١).

وصلة الرحم واجبة، وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه. وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد. فإن الميراث مبناه على النصرة والموالاة بخلاف النفقة فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة.

وقد جعل الله للقرابة حقًا -وإن كانت كافرة- فالكفر لا يسقط حقوقها فى الدنيا.

قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٢).

وكل مَنْ ذكر فى هذه الآية فحقه واجب وإن كان كافرًا، فما بال ذى القربى وحده يخرج من جملة من وَصَّى الله بالإحسان إليه؟»(٣) ا.هـ.

لقطات من تاريخنا العظيم:

وهذه لقطات وومضات من تاريخنا الإسلامى تدلّل بكل وضوح على حسن تعامل المسلمين مع غيرهم من أهل الملل الأخرى:

● حدث أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مَرّ بباب قوم وعليه سائل يسأل: «شيخ كبير ضرير البصر».

فسأله عمر: من أى أهل الكتاب أنت؟

فقال: يهودى.

فسأله: ما ألجاك إلى ما أرى؟

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/ ٤١٧ - ٤١٨)، وانظر «الولاء والبراء للشيخ/ محمد سعيد القحطانى (٣٥٠ - ٣٥٣)».

قال: «أُسأل الجزية والحالة والسّن».

فأخذه عمر بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له:

«انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم!!!»(١).

● كذلك جاء فى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة:

«جعلتُ لهم -أى لأهل الذِّمة- أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفه من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحتُ جزيته وعيل من بيت المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة»(٢).

● يحكى لنا الحبر اليهودى «زيد بن سعنه» قصة إسلامه، فيقول:

«ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفته فى وجه محمد -ﷺ- حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه وهما:

١- يسبق حلمه جهله.

٢- ولا تزيده شدة الجهل إلا حلْما.

وذات يوم حانت الفرصة ليعلم اتصافه -ﷺ- بهما:

شاهد رجلاً بدويًا يقول:

يا رسول الله لى نفر فى قرية «بنى فلان» حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدًا. فأسلموا.

وقد أصابتهم سنة «جدب» وأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوه طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشىء «فعلت».

فنظر -ﷺ- إلى رجل جانبه -أراه عليًا- فقال:

---

(١)، (٢) من سماحة الإسلام ص ٢٨، ٢٩، ط. وزارة الأوقاف المكتب الفنى لنشر الدعوة الإسلامية.

يا رسول الله ما بقى منه شىء.

وكانت فرصة لزيد بن سعنة الذى قال:

فدنوتُ منه وقلتُ:

يا محمد، هل لك أن تبيعنى تمرًا معلومًا إلى أجل معلوم؟

قال: فباعنى. فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب. فى تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا. فأخذ -ﷺ- هذا الذهب. وأعطاه للرجل وقال له:

«اعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة.. خرج رسول الله -ﷺ- ومعه أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- فى نفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة، ودنا إلى الجدار ليجلس إليه. أتيته فأخذتُه بمجامع قميصه وردائه. ونظرتُ إليه بوجه غليظ. وقلتُ له:

يا محمد.. ألا تقضينى حقى؟ فوالله ما علمتُ بنى عبد المطلب إلا مطلا.

ولقد كانت لى بمخالطتكم علم.

ونظرتُ إلى عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير، ثم رمانى ببصره وقال:

يا عدوّ الله: أتقول لرسول الله -ﷺ- ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟ فو الذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته لضربتُ بسيفى رأسك!.

ورسول الله -ﷺ- ينظر إلىّ فى سكون وتؤدة، فقال:

«يا عمر: أنا وهو كنا فى حاجة إلى غير هذا، أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن الطلب.. اذهب به يا عمر فأعطه وَزِدْه عشرين صاعًا من تمر مكان ما رَوْعته!!».

قال زيد: فذهب بى «عمر» فأعطانى حَقّى، وزادنى عشرين صاعًا من تمر.

فقلتُ: ما هذه الزيادة يا عمر؟

قال: أمرنى رسول الله -ﷺ- أن أزيدك مكان ما روعتك.

قال: أو تعرفنى يا عمر؟

قال: لا.

قلتُ: أنا زيد بن سعنة.

قال: الحبر؟

قلتُ: الحبر!! وقد خبرت فيه علامتين ووجدتُهما، فأشهدك يا عمر أنى قد رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وأشهدك أن شطر مالى صدقة على بعض أمة محمد!!

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله -ﷺ-، فقال زيد:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله».

وشاهد «زيد» بعد ذلك المشاهد مع رسول الله -ﷺ-!!(١).

● **«مشهد مؤثر»:**

وهذا مشهد آخر -يدلّ على سماحة أهل الإسلام بغيرهم-:

عن «وَسْقٍ الرّومىّ» قال:

«كنتُ عبدًا مملوكًا لعمر بن الخطاب، وكان يقول لى:

أسْلِم! فإن أسلمتَ استعنتُ بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغى لى أن استعينَ على أمانتهم بمن ليس منهم.

قال وَسْقٌ: فأبيتُ.

فقال عمر: لا إكراه فى الدين.

فلمّا حضرت عمر الوفاةُ أعتقنى، وقال:

---

(١) من الذى يغير المنكر وكيف؟ د. محمود عمارة (١٧٨، ١٧٩).

«اذْهب حيث شئت!»(١).

● وهذا موقف آخر:

عن مجاهد: أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-:

ذُبحت له شاة فى أهله، فلما جاء قال:

أَهْديتم لجارنا اليهودىِّ، أَهْديتم لجارنا اليهودىِّ؟ سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«ما زال جبريلُ يوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه»(٢).

● وهذا موقف آخر:

«عندما طعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يتأهب لصلاة الفجر علم وعلم الناس معه أنه ميت لا محالة. فإن الطعنات كانت نافذة مزّقت الأمعاء فإذا تناول شرابًا خرج من البطن!.

ورأى أمير المؤمنين قبل أن يُودِّع الحياة أن يوصى الخليفة بعده بأمور ذات بال! إنه لا يعرف مَنْ سيختار المسلمون! ولكنه يعرف ما يجب أن يفعله الرجل الذى يليه فى حكم الأمّة!

فذكر طوائف من المسلمين لها منزلتها، ثم قال للخليفة المرتقب:

«... وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله -يعنى ما يُسَمَّى فى عصرنا بالأقليات الدينية- أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم»!!.

يقول الشيخ/ محمد الغزالى -رحمه الله تعالى- مُعلِّقًا- على هذه الوصية:

---

(١) قال الأستاذ/ أحمد التاجى -معلقًا- على هذه الرواية: «ترى عمر فى هذا المثل نموذجًا للعدالة الشاملة للمسلم وغيره، فهو لا يكره عبده ومولاه على الإسلام فى حياته، وحين احتفظ بدينه فى خدمته لم يبغضه، فلما حضرت عمر الوفاة حَرّره قبل أن يموت وفاء لخدمته» سيرة عمر (١٥٠).

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى (١٥٨٥).

«تريثت طويلاً وأنا أقرأ هذه الوصاة! خليفة نبيٍّ كريم يوصى وهو يموت بمخالفيه فى الدين ومعارضيه فى المعتقد، فيصفهم أولاً بأنهم ذمة الله ورسوله متناسيًا الخلاف القائم فى أصل الإيمان، ثم يطلب من الحاكم المُقبل ثلاثة أمور محددة:

١- الوفاء بعهودهم.

٢- إقامة سياج يمنع كل عدوّ عليهم، وفى سبيل ذلك يقاتل دونهم أو كما جاء فى النص «يقاتل من ورائهم».

٣- لا يكلّفون إلا بما يطيقون.

هل وعى تاريخ العالم إلى يوم الناس هنا أشرف من هذه المعاملة؟

وهنا أطرح سؤالاً:

بماذا قوبل هذا المسلك النبيل؟

فتحتُ التليفزيون الجزائرى فإذا أمامى صور متتابعة لمقبرة جماعية احتوت على هياكل عظمية لأكثر من مائة شهيد، قال المذيع:

هذا الهيكل مُشوَّهٌ من التعذيب، وهذا قُطعت يده قبل الموت، وهذا الهيكل الكبير المنحنى على آخر صغير هو لأمٍّ تحتضن ابنها! والجميع عرايا لا ملابس ولا أكفان، وأدوات التعذيب مبعثرة هنا وهناك.

إن هذه المقبرة أصغر من سابقتها التى تحدثتُ عنها من قبل والتى ضمّت ألفين من المسلمين.

وعندما أشحتُ بوجهى عن المنظر الكئيب لم ألبث طويلاً حتى سمعتُ أخبار لبنان، وكيف يتعاون الانعزاليون -كما سمّوهم- مع المغيرين فى إفناء اللاجئين، وإخلاءِ الأرض منهم...

إن أعداء الإسلام يتنادَوْن من قريب ومن بعيد: الويل للمغلوب!

خُيِّل إلىَّ أننى أسمع نداءَ وحوش فى البرارى تطلب دمنا..!

ترى هل أيقظتنا الأحداث؟ أما يجب أن نحذر الأفاعى وأولاد الأفاعى؟؟[١].

٣- الكفّ عن ظلمهم:

حذر الإسلام من ظلم أهل الكتاب فى المجتمع الإسلامى:

قال تعالى:

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢].

وأوجب الإسلام المحافظة على دمائهم وأعراضهم وأموالهم ومعابدهم وجميع حرماتهم، والدفاع عنهم تجاه كل عدوان من الخارج وتجنب كل ما يوغر صدورهم، أو يؤذيهم فى أنفسهم أو أهليهم وذراريهم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»[٣].

والمعاهد يشمل مَن له عهد بأمان ونحوه وهو المستأمن، ومَن له عهد مؤبد وهو الذى عهده أوثق وأوكد، وهو الذمّى

وروى أبو داود عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«من ظلم معاهداً أو انتقصه حقًا أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة».

وروى الطبرانى فى «الأوسط» عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«من آذى ذميًا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله».

---

(١) الحق المر (ص ٥٢ - ٥٣).

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) رواه البخارى.

صفحات مضيئة من تاريخنا الإسلامى:

وهذه صفحات مضيئة تكتب بأحرف من نور، تكشف عن اهتمام الإسلام بإقامة العدل بين الناس جميعًا:

• عمرو بن العاص والرجل المصرى:

قصة عظيمة يتلألأ نورُها فى جبين التاريخ.. وشاهد صدق على عظمة هذا الدين وخلود مبادئه:

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

كنا عند عمر بن الخطاب، إذ جاءه رجلٌ من أهل «مصر» فقال:

يا أمير المؤمنين، هذا مقامُ العائذ بك.

قال عمر: وما لك؟

قال: أجْرى «عمرو بن العاص» بمصر الخيل، فأقبلتْ فرَسَى.

فلمّا رآها الناس قام «محمد بن عمرو» فقال: فرسى وربِّ الكعبة!.

فلما دنا منى عرفتُه، فقلتُ:

فرسى وربِّ الكعبة هى السابقة.

فقام إلىّ محمد بن عمرو بن العاص يضربنى بالسَّوْط، ويقول: «خُذْها وأنا ابنْ الأكرمَيْن!».

قال أنس: فو الله ما زاد عمر على أن قال له:

اجْلس.

ثم كتب إلى «عمرو بن العاص».

«إذا جاءك كتابى هذا فأقبلْ، وليُقْبل معك ابنُك محمد!»

قال أنس: فدعا عمرو ابْنه، فقال:

أأحدثت حَدَثًا؟ أجَنَيْتَ جناية؟

قال: لا.

قال أبوه: فما بال عمر يكتبُ فيك؟

قال أنس: فَقَدما على عمر، وكنتُ ساعتئذٍ عنده، وقد أقبل عمرو فى إزارٍ ورداءٍ.

فجعل عمر يلتفت: هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه.

فقال عمر: أين المصريُّ؟

قال: هأنذا.

قال عمر: دُونك الدِّرَّة(١)، فاضربْ بها ابْنَ الأكرمَيْن!

قال أنس: فضربه حتى أثخنه!

ثم قال له عمر: أَجِلْها على صَلْعة «عمرو» فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه!!

فقال المصريُّ: يا أمير المؤمنين، قد ضربتُ مَنْ ضربنى.

فقال عمر: فأما والله لو ضربته ما حُلْنا بينك وبَيْنه، حتى تكون أنت الذى تدعه.

ثم قال: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتُهم أحرارًا؟».

والتفت «عمر» إلى المصريّ، فقال:

«انصرف راشدًا، فإن رابك شىءٌ فاكتبْ إلىَّ!!».

ثم قال لأصحابه:

«يعجبنى الرجل إذا سيمَ خُطَّةَ خَسْفٍ أن يقول: لا، بملء فيه».

أى: يعجبنى الرجل الذى يأبى الهوانَ إذا أُريدَ به الظلم من أى إنسان.

وهكذا، نرى الرجل الكريم، لا يرضى إلاّ عن أحرار الرجال، الذى يواجهون الظالم بظُلْمه، ولا يخشون إلا الله!

(١) أى: خُذ العصا.

هذا هو «عمر»!

فمن يُبارى أبا حَفْصٍ وسيرته
أو من يحاول للفاروق تَشْبيها
هذى مناقبُه فى عهد دولته
للشاهدين وللأعقاب أَحْكِيها
فى كل واحدة منهن نابلة
من الطبائع تغزو نَفْس راعيها
لعلّ فى أمَّةِ الإسلام نابتة
تَجْلو لى ضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ما شادَتْ أوائلها
من الصُّروح وما عاناهُ بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر
حتى يُنبه منها عَيْن غافيها

قال بشر -رحمه الله تعالى-:

«حسبك أن أقوامًا موتى تحيى القلوب بذكرهم وأن قومًا أحياء تعمى الأبصارُ بالنظر إليهم».

● ابن طولون والراهب:

وهذا موقف فذّ سجّله لنا التاريخ، نتحدّى به دُعَاةَ حقوق الإنسان فى الدنيا كلها:

«يذكر أن ابن طولون أرسل أحد قوّاده ليجمع الخراج، فاغتصب القائد خمسمائة دينار من أحد الرّهبان، حيث أخبرأن هذا الراهب يملك كنزًا ولم يجد الراهب ملجأ سوى الحزن والبكاء، ولما أبصر به من يعرفه وما اعتراه من الحزن أشار عليه أن يذهب إلى الفسطاط ويقدم مظلمته مكتوبة لابن طولون

لأنه أمير منصف عادل، فأخذ الراهب بالنصيحة وتوجه إلى الفسطاط، وأبصر به حاجب ابن طولون الذى كان صديقًا للقائد، ولما عرف قصّته بعد أن سأله عنها أشفق على صاحبه من عقاب ابن طولون، فترضى الراهب ودفع له الخمسمائة دينار بدلاً عن القائد، وعاد الراهب إلى بلده راضيًا.

ولكن الخبر وصل إلى ابن طولون من بعض الناس فاستدعى الحاجب والراهب والقائد، ثم قال للراهب:

كان سَبَبٌ لك -ويلك- أن تدعى عليه بثلاثة آلاف دينار حتى آخذها لك منه، وأجعل ذلك تأديبًا له ولغيره.

ثم قال للحاجب: والله لولا أنها مكرمة سارعت إليها، وجميل رغبت فيه، وقد قال الله عزّ وجلّ:

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(١). لعمرّتُ بك المطبق «يعنى السجن»، ولكن احذر أن تعاود مثلها، ولا تستْبدنّ بأمر تأتيه دون أن تعرفنا به، ولا تَطْوِ عنا خبرًا ولا سِرًّا ولا قصة ترفع.

فقال له الحاجب: أقضى أيها الأمير أقالك الله، فوالله لا أعود لمثلها أبدًا.

قال: فانْصَرِف إلى مَوْضعِك.

ثم التفت إلى القائد وقال له:

أفى رزقك تقصير عن مؤنتك؟

قال: لا.

قال: فأُخّر عنك استحقاقك تأخيرًا يضطرك إلى ما أتيته؟.

قال: لا.

قال: فبأى حال استحللتَ أن تأخذ من هذا البائس الضعيف ما تقطع به قلبه، وتبكى عينه، وتفقره وأهله؟.

---

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

ألك حاجة أَوْجَبَتْ ذلك عليك، أو ضرورة دعتك إليه؟.

المطبق[١]، وأمره بسجنه!!!

ولم يَحْمِ القائد الكبير المسلم إسلامه من أن يُحبْس بسبب ظلم أوقعه على قبطى مظلوم[٢].

«أين هذا التسامح من التعصب الذى يقوم به المبشرون من النصارى حتى أن أحدهم لم يتورّع أن يدخل الجامع الأزهر يدعو فيه إلى النصرانية.

أين ذلك من محاكم التفتيش ومما أقدم عليه رجال الحروب الصليبية من وحشية مع ما واجههم به صلاح الدين من تسامح ورحمة»[٣].

• عامر بن عبد الله والذِّمى:

كان عامر بن عبد الله من العُبَّاد الزُّهاد، وأدرك بعض الصحابة.

قال مالك بن دينار -رحمه الله-:

«بلغنا أن كعبًا رأى «عامر بن عبد الله» فقال:

من هذا؟

فقال: هذا عامر.

فقال: هذا راهب هذه الأمة».

وكان لعامر -رحمه الله- قصة مع ذمىٍّ من أهل الكتاب:

عن عبد الله بن عياش، مولى بنى جشم، عن أبيه، عن شيخ قد سمّاه، وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن عبد الله، قال:

مَرّ برجل من أعوان السلطان وهو يجرّ ذمّيًّا، والذّمى يستغيث فأقبل -أى عامر- على الذّمى فقال:

---

(١) المطبق: السّجن.

(٢) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. للشيخ الغزالى (١٩٦ - ٢٠٤).

(٣) التسامح فى الإسلام للدكتور: محمد إبراهيم الجيوشى (ص٦٩) سلسلة: قضايا إسلامية التى تصدرها «وزارة الأوقاف المصرية» العدد (١٨).

أدّيت جزيتك؟

قال: نعم.

فأقبل عليه فقال: ما تريد منه؟

قال: أذهب به يكْسَح[(١)] دار الأمير.

قال: فأقبل على الذّمى فقال: تطيب نفْسُك له بهذا؟

قال: يشغلنى عن صنعتى.

قال: دعْه.

قال: لا أدعه.

قال له: دَعْه.

قال: لا أدعه.

قال: فوضع كساءه فقال:

«لا يُخْفر ذمَّة محمد -ﷺ- وأنا حَىّ».

قال: ثم خلّصه منه.

قال: فتراقى[(٢)] ذلك حتى كان سبب تسييره»[(٣)].

٤- الوفاء بالعهد:

انقضى عهد النبى -ﷺ-، والمسلمون يعلمون حدودهم فى كل علاقة تعرض لهم مع جيرانهم!

علاقة حسن الجوار، والوئام، وعلاقة الحرب والتعاهد، وعلاقة الموادعة والمهادنة، وعلاقة الـزمان والاستئمان. . . ، وهذه العناية بإقـامة الحدود وبيان واجباتهـا هى وحدها حجة قائمـة للإسلام على خصومه الذين يتـهمونه بأنه

---

(١) يكسح الدار: يكنسها.

(٢) تراقى: عَظُم.

(٣) صفة الصفوة (٣/ ١٣٦، ١٣٧).

دين التعصب والإكراه الذى لا يعرف غير شريعة القوة أو شريعة السيف، فمن كان لا يعرف غير شريعة السيف فما حاجته إلى بيان لكل حالة من حالات السلم والحرب بأحكامها وواجباتها والوفاء بعهودها(١).

ومن أجمل ما ورد فى هذا الشأن، عهد «بيت القدس» الذى كتبه الخليفة «عمر بن الخطاب» لأهل «إيلياء» وهو أشهر العهود فى صدر الإسلام بعد عهد «الحديبية»، وفيه يقول الخليفة العظيم:

«إنه أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود...، ومن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام معهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء... ومن أحبه من أهل «إيلياء» أن يسير بنفسه وماله مع الدوم ويخلى بينه وبين صلبهم فإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم...»(٢).

ومن صور الوفاء بالعهد: أن الإسلام لايبيح للجيش المسلم أن يفاجئ المعاهد قبل انقضاء عهده وإعلانه بذلك ما دام لم يشرع فى الخيانة -فإذا أدى اجتهاد أمير مسلم إلى مخالفة هذه القاعدة وجب تنبيهه لما هو مقدم عليه من خطأ.

فعن سالم بن عامر -رحمه الله-، قال:

«كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس- أو برذون- وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر. فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله.

فقال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص ٢٤٥) بتصرف.
(٢) نفس المرجع ص ٢٤٢ بتصرف.

«**من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضى أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء**»، فرجع معاوية(١).

وجاء فى معاهدة «عمرو بن العاص» لأهل مصر:

«هذا ما أعطى «عمرو بن العاص» لأهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينقص»(٢).

وبعد هذا العرض لعهود المسلمين مع غيرهم. نرى أن الإسلام ينظر إلى من عاهدهم من أهل الكتاب على أنهم أصبحوا من الناحية السياسية أو الجنسية مسلمين، فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وإن بقوا من الناحية الشخصية على عقائدهم، وعباداتهم وأحوالهم الخاصة(٣).

٥- عصمة دمائهم:

قدس الإسلامُ الحياة البشرية وصان حُرْمة النفوس وجعل الاعتداء عليها من أكبر الجرائم عند الله.

ذلك أن النوع الإنسانى كله أسرة واحدة والعدوان على نفس من أنفسه هو فى الحقيقة عدوان على الإنسانية كلها.

ولقد عنيت «النصوص القرآنية والنبوية» بالتحذير من قتل المسلم وقتاله لأنها جاءت تشريعًا وإرشادًا للمسلمين فى مجتمع إسلامى وليس معنى هذا أن غير المسلم دمه حلال، فإن النفس البشرية معصومة الدم حرمها الله وصانها بحكم بشريتها، ما لم يكن غير المسلم محاربًا للمسلمين فعند ذلك قد أحل هو دم نفسه، أما إذا كان معاهدًا أو ذمّيًّا من أهل الكتاب فإن دمه مصون لا يحل لمسلم الاعتداء عليه(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى.

(٢) حقوق الإنسان فى الإسلام د. زكريا البرّى ص ٢٦. منبر الإسلام ١٤٠١هـ.

(٣) التعصب والتسامح للشيخ الغزالى ص٤٥.

(٤) الحلال والحرام د. يوسف القرضاوى ص٢٣٧ بتصرف.

وفى ذلك يقول -ﷺ-:

«من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة (أى لم يشمّها)، **وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»**(١).

وهؤلاء بالتعبير الحديث «مواطنون» فى الدولة الإسلامية أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون.

وقد جرى خلفاء الرسول -ﷺ- على رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين فحفظوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات لأنهم فى جوارنا وذمتنا وذمة الله ورسوله ودين الإسلام(٢).

٦- حُرْمة أعراضهم:

لقد صان الإسلام بتعاليمه الأعراض ووصل برعايته للأعراض إلى حدّ الحرمة، فقد نظر ابن عمر -رضي الله عنهما- يومًا إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك»، فحرمة المؤمن تتمثل فى حُرْمة عرضه حتى عد من قتل دفاعًا عن عرضه فهو شهيد.

وأشد أنواع الاعتداء على الأعراض هو رمى المؤمنات بالفاحشة لما فيه من ضرر بالغ بسمعتهن وخطر على مستقبلهن فضلاً عمّا فيه من حب إشاعة الفاحشة فى المجتمع ولذا عدّ من الكبائر وأوعد القرآن عليه بأشد أنواع الوعيد(٣).

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

---

(١) رواه البخارى، وقد تقدم.

(٢) الحلال والحرام. د. يوسف القرضاوى ص ٢٤٦ بتصرف.

(٣) الحلال والحرام (٢٣٤).

(٤) سورة النور: ٢٣.

وقال تعالى:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾(١).

وإذا كان هذا حرمة عرض المسلم فإن غير المسلم لعرضه نفس الحرمة لأنه إنسان والله كرّمه نلمس هذا من فعل الرسول -ﷺ-. حيث نهانا -ﷺ- من دخول بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، وكذا نهانا عن ضرب نسائهم.

قال العرباض بن سارية:

نزلنا مع رسول الله -ﷺ- قلعة خيبر، ومعه مَنْ معه من المسلمين.

وكان صاحب «خيبر» رجلاً ماردًا متكبرًا. فأقبل إلى النبى -ﷺ- فقال:

يا محمد لكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا؟

فغضب رسول الله -ﷺ- لما حدث - وقال:

«يا ابن عوف اركب فرسك، ثم ناد: أن الجنة لا تحلّ إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة».

فاجتمعوا ثم صلّى بهم، ثم قام فقال:

«أيحسب أحدكم متكئًا على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئًا إلا ما فى القرآن ألا وإنى والله لقد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر وأن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذى عليهم»(٢).

٧- حرمة أموالهم:

حرم الإسلام العدوان على المال وجعل العدوان عليه من سرقة وإتلاف جريمة يعاقب عليها.

---

(١) سورة النور: ١٩.

(٢) التعصب والتسامح للشيخ الغزالى (ص ٤٣).

وحين أقر الإسلام ملكية الفرد المشروعة للمال فإنه حمى هذه الملكية بتشريعه القانونى، وتوجيهه الأخلاقى.

قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1).

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(2).

وجعل رسول الله -ﷺ- السرقة منافية لما يوجبه الإيمان.

فقال -ﷺ-:

«... ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»(3).

وكذا غير المسلم لا حرج عليه فى أن يجمع من المال ما يشاء ما دام يجمعه وينميه بالطرق المشروعة التى أحلها الله، ففى هذه الحالة لغير المسلم على الدولة حق الحماية لماله. حتى قال على -رضي الله عنه-:

«من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا»(4).

ولنا المثل الكامل من عمل الرسول -ﷺ- وعمل الخلفاء الراشدين فى المحافظة على مال أهل الكتاب:

جاء من شروط «عمرو بن العاص» -رضي الله عنه- التى أعطاها لأهل مصر أنهم لا يخرجون من كنوزهم ولا أراضيهم.

قال عبيد الله بن أبى جعفر:

---

(١) سورة المائدة: ٣٨.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) متفق عليه.

(٤) الأقباط والإسلام د/ محمد سليم العوا ص ٤٥ بتصرف.

سألتُ شيخًا من القدماء عن فتح مصر، فقلت له:

فهل كان لهم كتاب؟

فقال: نعم كتب ثلاثة.

قلت له: أفتعلم ما كان من الشروط؟

قال: نعم، ستة شروط:

«لا يخرجون... ولا كنوزهم ولا أراضيهم...»(١).

هذا هو منهج الإسلام فى تعامله مع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى وهذه هى حقوقهم فى الإسلام فماذا قدم أعداؤه؟!

«شهادة غير المسلمين للإسلام»

● قال السير توماس أرنولد:

«لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح فى القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام قد اعتنقه عن اختيار وإرادة حُرّة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»(٢) ا.هـ.

● وقال الحبر ميشون:

«مما يؤسف له أن المسلمين هم الذين كانوا يبدءون المسيحيين بالمسالمة وحسن المعاملة، مع أن المسالمة هى مبلغ الخير بين الأمم بعضها وبعض»(٣) ا.هـ

إذن فقد تبين أن سماحة الإسلام وتسامح المسلمين من العوامل القوية

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين الأتباكى. وراجع «من سماحة الإسلام» الصادر عن وزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٨٩م.

(٢) الدعوة إلى الإسلام (٥١) توماس أرنولد.

(٣) الإسلام (٤٨) الكونت هنرى دى كاسترى.

الفعالة فى انتصارهم السريع وفتحهم الخاطف، إذ لم يجدوا مقاومة عنيفة من الشعوب.

تحدّث مندوبو المقوقس عظيم القبط فى «مصر» بعد أن قابلوا «عمرو بن العاص» فقالوا:

«رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة، جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون فى صلاتهم»(١).

«عقد الذمة وشروطه»

«لما كانت الأمور عادة تنشأ ثم يوضع لها إطار بعد أن تكتمل عبر القرون لهذا كان حال هذه الشروط التى حوتها عهود الأمان، فقد أعيدت صياغتها من قبل فقهاء المسلمين وأصبحت شروطًا واجبة وضعت فى قالب قانونى صاغه الفقهاء فى مرحلة لاحقه ومنهم القاضى أبو يوسف الذى قدّم نصائحه للرشيد فى هذا الشأن فيما ينبغى أن يكون عليه أهل الذمّه فيما يميّزهم عن المسلمين فى الزّى وما يجب اتباعه فى بناء الكنائس وما إلى ذلك، وإذا كان أبو يوسف قد عاش فى القرن الثانى الهجرى، فالماوردى الذى عاش خلال القرن الخامس الهجرى قد وضع الإطار النهائى لمعاملة غير المسلمين ضمنها كتابه: «الأحكام السلطانية» شروط مستحقة وشروط مستحبة على أهل الذمّة.

أما المستحقة فستة شروط:

١- ألا يذكروا كتاب الله بطعن فيه ولا تخريف.

٢- ألا يذكروا رسول الله -ﷺ- بتكذيب له ولا ازدراء.

٣- ألا يذكروا دين الإسلام بذمّ ولا قَدْح فيه.

---

(١) سماحة الإسلام. د. أحمد محمد الحوفى (ص ٨٥). ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤- أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح.

٥- ألا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنياءهم.

٦- ألا يفتنوا مسلمًا عن دينه أو يتعرّضوا لماله أو دمه.

وهذه الشروط ملزمة فإذا نقضوها انتقض عهدهم.

وأما المستحبة فهى، أيضًا ستة شروط:

١- لبس الغيار وشدّ الزنّار.

٢- ألا تعلوا أصواتُ نواقيسهم وتلاوة كتبهم.

٣- ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين، ويكونوا إن لم ينقصوا مساوين لهم.

٤- ألا يجاهروهم بشرب خمورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.

٥- أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.

٦- أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقًا وهجانًا ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.

وهذه الشروط الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمّة ولا يكون ارتكابها بعد الشروط نقضًا للعهد، لكن يؤخذون بها إجبارًا ويؤدّبون عليها زجرًا، ولا يؤدّبون إن لم يشترط ذلك عليهم(١).

«تذييل مهم»

الولاء والبراء فى الإسلام

قلنا قبل قليل إن الولاء شىء والمعاملة بالحسنى شىء آخر.

فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالى أهلها ويعادى أعداءها.

قال تعالى:

---

(١) معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية. د. ناريمان عبد الكريم ص ٦٣، ٦٤. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٢).

بل لقد حرّم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣).

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم.

وكما أن الله سبحانه حرّم موالاة الكفار فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٤).

فالمؤمنون إخوة فى الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم.

(١) سورة الممتحنة: ٤.
(٢) سورة الممتحنة: ١.
(٣) سورة التوبة: ٢٣.
(٤) سورة المائدة: ٥٥، ٥٦.

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(١).

فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدى آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما:

فمن مظاهر موالاة الكفار:

١- التشبه بهم:

قال رسول الله -ﷺ-:

«من تشبه بقوم فهو منهم»(٢).

فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم من عاداتهم، وعباداتهم، وسمتهم وأخلاقهم، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفى هيئة اللباس، والأكل والشرب، وغير ذلك.

٢- الإقامة فى بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين:

لأن الإقامة فى بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين، ومن هنا جاء تحريمُ إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة:

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

---

(١) سورة الحشر: ١٠.

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد فى «المسند» (٢/ ٩٢) وغيره، وجوّد إسناده ابن تيمية فى «الاقتضاء» (٨٢). وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. المسند (٥١١٤).

مَصيرًا ﴿٩٧﴾ إلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١].

فلم يعذر الله فى الإقامة فى بلاد الكفر إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة. وكذلك من كان فى إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام فى بلادهم.

٣- اتخاذهم بطانة:

وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٢].

«وبطانة الرجل: خاصته الذين يستبطنون أمره، وأصله من البطن الذى هو خلاف الظهر»[٣].

«واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم: لبست فلانًا، إذا اختصصته»[٤].

فالمقصود بالبطانة إذن: المقربون لدى الشخص، فالمسلمون لا يجوز لهم اتخاذ الكافر -سواء أكان فردًا، أم جماعة، أم دولة -بمنزلة صاحب السِّر، بحيث يقرب ويعظم، ويرجع إليه فى عظائم الأمور ومهامها، ويُفْضى إليه بأسرار المسلمين»[٥].

٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذّب عنهم:

وهذا -من نواقض الإسلام وأسباب الرِّدة- نعوذ بالله من ذلك[٦].

---

(١) سورة النساء: ٩٧ - ٩٩.

(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

(٣) تفسير القرطبى (٤/ ١٧٨).

(٤) تفسير الخازن (١/ ٢٧٥).

(٥) أحكام القرآن، لابن العربى (٤/ ١٧٨٣).

(٦) الولاء والبراء فى الإسلام للشيخ صالح بن فوزان الفوزان (ص ٩).

٥- مشاركتهم في أعيادهم:

فمشاركتهم في أعمالهم الدينية: مثل صلواتهم، وتشييع جنائزهم، واحتفالات الأعياد ونحو ذلك فيها موالاة بلا جدال، لأنه ربما تأثر بهم، أو كان قدوة سيئة لغيره، بل إن فعله ذلك تحسين لأعمالهم وإقرار لهم عليها مع بطلانها[١]، وقد قال الله تعالى في وصف المؤمنين:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾[٢].

قال غير واحد من السلف:

الزور: أعياد المشركين[٣].

وقال الإمام «النسفي» في تفسيره لهذه الآية:

«يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها، تنزهًا عن مخالطة الشّر وأهله، إذ مشاهدة الباطل شركة فيه، وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعلية في الآثام، لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه»[٤].

إلا أن يستثنى في تشييع الجنازة كون الميت ذا قرابة، أو كان يشهدها المسلم من أجل الاعتبار والعظة، أما إن كان بدافع المجاملة والمداهنة فذلك محظور[٥].

وعلى المُشيِّع أن يكون على علم بأمور الاعتقاد خشية صدور لفظ منه قد يضر عقيدته ويُذْهب بدينه، والله تعالى يقول:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٦]. فإن كان المرء جاهلاً بأمور الاعتقاد فلا يشارك في ذلك.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٨٠ وما بعدها.

(٢) سورة الفرقان: ٧٢.

(٣) «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/ ١٠٩). وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٨).

(٤) مدارك التنزيل (٣/ ٣٥٦) بهامش (تفسير الخازن).

(٥) أحكام أهل الذمة لابن القيم ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٦) سورة آل عمران: ٨٥.

٦- التسمّى بأسمائهم:

بحيث يسمى بعض المسلمين أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية ويتركون أسماء آبائهم، وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة فى مجتمعهم.

وقد قال النبى -ﷺ-:

«**خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن**» رواه مسلم وغيره.

وبسبب تغيير الأسماء فقد وُجد جيل يحمل أسماء غريبة، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة ويقطع التعارف بين الأُسَر التى كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

٧- الاستغفار لهم والترحم عليهم:

وقد حرّم الله ذلك:

قال تعالى:

﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾(١). لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

والله تعالى يقول:

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾(٢). ويتأكد النهى فى حق الكافر الميت، أما الدعاء للحى منهم بالهداية فمشروع، فقد دعا النبى -ﷺ- «لثقيف» حين عودته من حصار «الطائف». كما دعا ربه سبحانه أن يهدى أحبّ العُمَرَيْن إليه.

٨- مداهنتهم:

المداهنة: المصانعة والملاينة والمدارة، وتكون مذمومة إذا كانت على

(١) سورة التوبة: ١١٣.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

حساب الدين، كفعل محظور عند الكفار، مجاملة لهم، أو ترك واجب، أو السكوت على باطل، هذا يُعدّ هزيمة نفسية فى المسلم، وهو ذنب عظيم.

تنبيه: تحريم موالاة الكفار لا تعنى تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم.. فأما إن باعهم أو باع غيرهم ما يعينهم على المحرمات فهذا لا يجوز.

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

١- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكفر والإلحاد:

والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٢).

قال ابن القاسم:

سمعت مالكًا يقول: «لا يحلّ لأحد أن يقيم بأرض يُسبّ فيها السلف!!»(٣).

---

(١) سورة النساء: ٩٧ - ٩٩.

(٢) سورة النساء: ١٤٠.

(٣) إيضاح المعانى الخفية فى شرح الأربعين النووية لمحمد تاتاى (ص٢٣).

٢- مناصرة المسلمين وتأييدهم:

بالنفس، والمال، واللسان، وفيما يحتاجون إليه فى دينهم ودنياهم.

قال تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(١).

٣- احترامهم وتوقيرهم، كفّ اللسان عنهم:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

٤- النصح لهم:

وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة.

قال -ﷺ- فى الحديث «الصحيح»:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٥- تفقد أحوالهم وزيارتهم:

وقد تقدم فى «حق المسلم على المسلم» أحاديث كثيرة، منها:

قوله -ﷺ-:

«أن رجلاً زار أخًا له فى الله فأرصد الله على مدرجته مَلَكًا -فسأله أين تريد؟ قال:

أزور أخًا لى فى الله.

---

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) سورة الحجرات: ١١، ١٢.

قال: هل لك عليه من نعمة تربّها عليه؟

قال: لا، غير أنى أحببتهُ فى الله.

قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه»[(١)].

٦- احترام حقوقهم:

قال -ﷺ-:

«ألا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يَخْطُب على خِطبته».

٧- احترام كبيرهم والرفق بصغيرهم:

قال -ﷺ- فى الحديث المشهور:

«ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

٨- مشاركتهم فى السّراء والضرّاء:

قال -ﷺ- فى الحديث الصحيح:

«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسّهر».

٩- الدعاء والاستغفار للأحياء منهم والأموات:

قال تعالى:

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[(٢)].

وقال تعالى:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾[(٣)].

وبعد:

فهذا ما يسّر الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة محمد: ١٩.

(٣) سورة الحشر: ١٠.

الحق الثانى والعشرون:

حق أهل البيت

الحق الثانى والعشرون:

حق أهل البيت

من هم أهل البيت؟

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[١].

قال أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده -رحمه الله-[٢]:

الرِّجس: القذر.

قال ابن دُرَيْد:

رجل مَرْجوس ورجْسٌ: نَجِسٌ.

والرجس: العذابَ، كالرِّجز.

ورجسُ الشيطان: وسوسته.

وقال الإمام الطبرى -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية:

«يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾. أى السوء، والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدّنس الذى يكون فى أهل معاصى الله تطهيراً.

وذكر بسنده عن سعيد عن قتادة -رحمه الله- قوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. فهم أهل بيتٍ طهرهم الله من السوء، وخصَّهم برحمته منه.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) إمام كبير من أئمة اللغة، وهو صاحب كتاب «المحكم» و«المخصص».

وعن ابن وهب قال نقلاً عن ابن زيد، قال:

الرجس هاهنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك».

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله:

﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾.

فقال بعضهم: عنُى به رسولُ الله -ﷺ-، وعلىٌّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، -رضي الله عنهم-.

فعن عمر بن أبى سلمة ربيب النبىّ -ﷺ- قال:

نزلت هذه الآية على النبى -ﷺ-:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(١).

فى بيت أم سلمة، فدعا النبىّ -ﷺ- فاطمة، وحسنًا، وحسينًا، فجللهم بكساء، وعلىّ خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة:

وأنا معهم يا رسول الله؟

قال: **«أنتِ على مكانك وأَنْتِ عَلَى خَيْر»**(٢).

وقال الإمام ابن عطية -رحمه الله تعالى- فى تفسيره «المحرر الوجيز»:

«واختلف الناس فى أهل البيت مَنْ هم؟

فقال عكرمة، ومقاتل، وابن عباس -رضي الله عنهم-:

هم زوجاته خاصة لا يدخل معهن رجل، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى -ﷺ-، والذى عليه الجمهور أن أهل البيت:

علىٌّ وفاطمة والحسن والحسين وفى هذا أحاديث نبوية:

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى برقم (٢٥٦٢).

قال أبو سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**نزلت هذه الآية فى خمسة:**

فىّ، وفى علىّ، وفاطمة، والحسن، والحسين»(١).

ومن حجة الجمهور قوله:

﴿**عَنكُمُ**﴾ و﴿**يُطَهِّرَكُمْ**﴾ بالميم، ولو كان للنساء خاصة لكان «عنكنّ».

قال ابن عطية -رحمه الله-:

«والذى يظهر لى: أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبته، فأهل البيت: زوجاته، وبنته وبنوها وزوجها، وهذه الآية تقتضى أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن».

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- فى تفسيره لهذه الآية:

«وقوله تعالى:

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. نصّ فى دخول أزواج النبىّ -صلى الله عليه وسلم- فى أهل البيت هاهنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً إمّا وحده على قول أو مع غيره على الصحيح.

وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى فى السوق:

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. نزلت فى نساء النبىّ -صلى الله عليه وسلم- خاصة.

وهكذا روى ابن أبى حاتم... عن ابن عباس -رضي الله عنهما- فى قوله تعالى:

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾. قال:

نزلت فى نساء النبىّ -صلى الله عليه وسلم- خاصة.

(١) قال الهيثمى: رواه البزار، وفيه: بكر بن يحيى بن زبّان، وهو ضعيف. المجمع برقم (١٤٩٧٦).

وقال عكرمة -رحمه الله-:

من شاء باهلته إنها نزلت فى شأن نساء النبى -ﷺ-.

فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:

-وساق -رحمه الله- عدة أحاديث منها-:

١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

إن رسول الله -ﷺ- كان يمر بباب فاطمة -رضي الله عنها- ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول:

«الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»(١).

٢- وعن الأوزاعى عن شداد بن عمار، قال:

دخلتُ على واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه-. وعنده قوم، فذكروا عليًّا -رضي الله عنه- فشتموه، فشتمتُه معهم، فلما قاموا قال لى:

شتمتَ هذا الرجل؟

قلتُ: شتموه فشتمتُه معهم!.

قال: ألا أخبرك بما رأيتُ من رسول الله -ﷺ-؟

قلتُ: بلى.

قال: أتيتُ فاطمة -رضي الله عنها- أسألها عن علىّ -رضي الله عنه-، فقالت: توجّه إلى رسول الله -ﷺ-.

فجلستُ أنتظره حتى جاء رسول الله -ﷺ- ومعه علىّ وحسن وحسين -رضي الله عنهم-، آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدْنى عليًّا وفاطمة -رضي الله عنهما-،

(١) أخرجه أحمد، والترمذى، وقال: حسن غريب. تحفة الأحوذى (٩/ ٦٧).

وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وَحُسَيْنًا -رضي الله عنهما- كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه أو قال كساءه، ثم تلا -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية:

﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾. وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتى، وأهل بيتى أحق**»(١).

ورواه ابن جرير عن الأوزاعى بسنده نحوه، زاد فى آخره:

قال واثلة -رضي الله عنه-:

فقلتُ: وأنا -يا رسول الله صلى الله عليكَ- مِنْ أهلك؟

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**وأنت من أهلى**».

قال واثلة -رضي الله عنه-:

«وإنها من أرْجى ما أَرْتجى».

وفى رواية:

قلت: يا رسول الله وأنا؟

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**وأنت**».

قال: «فوالله إنها لأوثق عمل عندى».

٣- عن عطية الطفاوى، عن أبيه، قال:

إن أم سلمة -رضي الله عنها- حدّثته قالت:

بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى بيتى يومًا إذ قالت الخادمة:

إن فاطمة وعليًا -رضي الله عنهما- بالسّدة، قالت:

فقال لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**قومى فتنحّى عن أهل بيتى**».

فقمتُ فتنحّيتُ فى البيت قريبًا، فدخل علىٌّ وفاطمة ومعهما الحسن

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/١٠٧).

والحسين -رضي الله عنهما-، وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضعهما فى حجْره فقبلهما، واعتنق عليًّا -رضي الله عنه- بإحدى يديه، وفاطمة -رضي الله عنها- باليد الأخرَى، وقبّل فاطمة وقبّل عليًّا: وأغدق(١) عليهم خميصة سوداء، وقال:

«اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتى».

قالت: فقلتُ: وأنا يا رسول الله؟

قال: **«وأنت»**(٢).

٤- عن يزيد بن حبان، قال:

انطلقتُ أنا و«حصين بن سبرة» و «عمر بن سلمة» إلى زيد بن أرقم -رضي الله عنه-، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيتَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسمعتَ حديثه، وغزوت معه، وصليتَ خلفه، لقد لقيتَ يا زيد خيرًا كثيرًا، حدِّثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال:

يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى، وقدم عهدى، ونسيتُ بعض الذى كنتُ أعى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفوا فيه، ثم قال:

قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا خطيبًا بماء يدعى «خما»، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال:

«أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به».

فحث على كتاب الله عزّ وجلّ ورغّب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى» ثلاثًا.

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

---

(١) فى «المسند» [أغدف] بالفاء: والمعنى: أسبل.

(٢) **ضعيف**: لجهالة الطفاوى، وانظر الحديث فى «المسند» برقم (٢٦٤١٩).

قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟

قال: هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس -رضي الله عنهم-.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟

قال: نعم(١).

ثم قال ابن كثير -رحمه الله- بعد سرد هذه الأحاديث.

«ثم الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبى -صلى الله عليه وسلم- داخلات فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله:

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾(٢). أى واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التى خصصتن بها من بين الناس، أن الوحى ينزل فى بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة -رضي الله عنها- أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصّهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الوحى فى فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك -صلوات الله وسلامه عليه-.

تناسب أن تخصص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبة العليا، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية، كما تقدم فى الحديث **«وأهل بيتى أحق»**.

وروى ابن أبى حاتم عن حصين بن عبد الرحمن عن أبى جميلة قال:

«إن الحسن بن على -رضي الله عنهما- استخلف حين قُتل علىّ -رضي الله عنه- قال:

---

(١) رواه مسلم فى «صحيحه».

(٢) سورة الأحزاب: ٣٤.

فبينما هو يُصلّي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره، وزعم حُصَين أنه بلغه أن الذى طعنه رجل من بنى أسد، وحسن -رضي الله عنه- ساجد.

قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت فى وركه، فمرض منها شهراً ثم برأ، فقعد على المنبر فقال:

«يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذى قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

قال: فما زال يقولها حتى ما بقى أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاءه»[(١)].

وقال الإمام القرطبى:

«والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت وغيرهم. وإنما قال: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعليًّا وحسنًا وحُسَيْنًا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلب المُذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهنَّ، يدلّ عليه سياق الكلام والله أعلم»[(٢)] ا،هـ.

قلت: وهذا هو الرأى الراجح مع قول زيد بن أرقم. المتقدم. والذى أضاف إليهن: آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس والله أعلم.

«فضل أهل البيت -رضي الله عنهم-»

ورد فى فضائل أهل البيت -رضي الله عنهم- أحاديث كثيرة ننتقى منها:

١- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتُه يقول:

---

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» برقم (١٥٠١٠) بنحو، وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) تفسير القرطبى (١٤/١٦٦).

«يا أيها الناس إنى تركتُ فيكم مَنْ ما إنْ أخذْتُمْ به لن تضلوا كتاب الله وعِتْرتى أهل بَيْتى»(١).

٢- وعن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدُهما أعظمُ من الآخر، كتاب الله حَبْلٌ ممدودٌ منْ السماء إلى الأرض، وعتْرتى أهلُ بيتى، ولن يتفرّقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما»(٢).

٣- وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت:

جاءت فاطمة بنت النبىّ -صلى الله عليه وسلم- إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُتَوِّكةً الحسن والحُسَيْنْ فى يدها بُرْمةٌ(٣) للحسن، فيها سَخينٌ(٤)، حتى أتت بها النبىّ -صلى الله عليه وسلم-، فلما وضعتها قُدَّامه قال لها:

«أين أبو الحسن؟».

قالت: فى البيت.

فدعاه، فجلس النبىّ -صلى الله عليه وسلم- وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين يأكلون قالت أم سلمة:

وما سَامَنى النبىّ -صلى الله عليه وسلم- وما أكل طعامًا قطُّ إلاّ وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم -تعنى سامنى: دعانى إليه- فلما فرغ الْتفّ عليهم بثوبه، ثم قال:

«اللهمّ عادِ مَنْ عاداهم ووالِ مَنْ والاهم»(٥).

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٧٨). المشكاة (٦١٤٣).

(٢) **صحيح**: انظر صحيح سنن الترمذى (٢٩٨٠). الصحيحة (٤/ ٣٥٦-٣٥٧).

(٣) البُرْمة: القدر.

(٤) السخين: الطعام الحار.

(٥) قال الهيثمى: رواه أبو يعلى وإسناده جيد. المجمع برقم (١٤٩٧١).

٤- عن عليّ -رضي الله عنه- أنه دخل على النبى -صلى الله عليه وسلم- وقد بسط شمْلة[١]، فجلس عليها، هو وعلى وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ النبى -صلى الله عليه وسلم- بمجامعه، فعقد عليهم ثم قال:

«اللهمّ ارْضَ عنهم كما أنا عنهم راضٍ»[٢].

٥- وعن حذيفة بن أَسِيد الغفارى، قال:

لما صدر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من حَجّة الوداع نهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهنّ، فَقُمْ ما تحتهن من الشَّوك، وعمد إليهن فصلّى عندهن، ثم قام فقال:

«يا أيها الناس إنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يُعَمَّر نبيٌّ إلا نصْف عُمْر الذى يليه من قبله، وإنى لأظن أنّى يوشِك أن أُدْعى فأُجيب، وإنى مسئول، فماذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً.

قال: **«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جَنَّتَه حقٌ ونارَه حقّ، وأن الموت حقّ، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا رَيْب فيها، وأن الله يبعث مَنْ فى القبور؟»**.

قالوا: بلى نشهدك بذلك.

قال: **«اللهمَّ اشهد»**.

ثم قال: **«يا أيها الناس إن الله مولاى، وأنا مَوْلى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مَوْلاه فهذا مَوْلاه»** يعنى: عليًّا -رضي الله عنه- **«اللهم وال من والاه وعاد مَنْ عاداه»**.

ثم قال: **«يا أيها الناس إنّى فَرَطٌ وأنتم واردون علىِ الحَوْض، حوض أعْرَضُ ما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عددُ النجوم قِدْ حَانُ مِنْ فضّة، وإنى**

---

(١) الشّملة: كساء يتغطّى ويتلفف فيه.

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح غير «عبيد بن طفيل» وهو ثقة كنيته أبو سيدان. المجمع (١٤٩٨٨).

سائلكم حين تَرِدُون علىَّ عن الثَّقَلَيْن، فانظروا كيف تَخْلُفونى فيهما الثِّقَلُ الأكبرُ: كتابُ الله -عز وجل- سببٌ طرفه بيد الله -عز وجل- وطرفه بأيديكم فاسْتَمْسكوا به، لا تضلُّوا، ولا تُبَدِّلُوا. وعِتْرَتى أهْلُ بَيْتى، فإنه قد نبأنى اللطيفُ الَخبير أنهما لن يتفرَّقا حتى يَرِدا علىَّ الحَوْض»[(١)].

أخى القارئ:

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله تعالى، وعند رسوله -ﷺ- ينبغى لكل مسلم مؤمن بالله، وبما أنزله أن يعرف لأهل البيت حقهم فيجلّهم ويحترمهم ويُعْلى من شأنهم... فهم بمثابة العلامات الواضحات.. والشارات النيِّرات.. التى تكشف للناس الطريق إلى الله تعالى على مَرّ العصور وكرّ الدهور. والقارئ «المنصف» للتاريخ يعرف ذلك بلا رَيْب.

حق أهل البيت:

وبعد أن تبيّن لنا بوضوح منزلة أهل البيت فينبغى علينا:

١- احترامهم ومحبتهم:

وذلك لمكانتهم من النبى -ﷺ-، وإجلالاً لمحبته -ﷺ- إياهم، فإذا كان من البرّ بعد الموت «**أن يصل الرجلُ وُدَّ أبيه**» كما فى «الحديث الصحيح» فإن من أعلى أنواع البر أن نصل أهل بيت النبىّ بمحبتنا إياهم، وإجلال مقامهم، واحترام مكانهم، والاستغفار لهم، والترضّى عليهم.

وإذا كان ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول بعد موت عمر -رضي الله عنه-:

«لو أن عمر أحبَّ كلبًا، كان أحب الكلاب إلىَّ»[(٢)]. فهل يُعْقل أن يكره مسلمٌ أحدًا من أهل بيت النبى وهم أتقى الناس وأبرهم قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأخشاهم لله؟!!

«اللهم ارزقنا حبَّك وحبّ من ينفعنا حبُّه عندك».

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى، وفيه: زيد بن الحسن الأنماطى، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات، المجمع (١٤٩٦٦).

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى «الكبير» برقم (٨٨١٥).

مواقف من أحوال الصالحين مع أهل البيت:

• أبو هريرة -رضي الله عنه- يبكي!:

قال ابن إسحاق:

حدثني مساور السعديُّ، قال:

رأيتُ أبا هريرة قائمًا على مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم مات الحسن، يبكي، وينادي بأعلى صوته:

يا أيها الناس! مات اليوم حِبُّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فابكوا(١).

• عمر يقول للحُسَين: «وهل أنْبت على رءوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم!!».

عن الحسين -رضي الله عنه- قال:

صعدتُ المنبر إلى عمر، فقلت:

انْزِلْ عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك(٢)!!

فقال: إن أبي لم يكن له منبر!

فأقعدني معه، فلما نزل، قال:

أي بُني! من علّمك هذا؟

قلتُ: ما علّمنيه أحد.

قال: أي بنيّ! وهل أنبت على رءوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم!

ووضع يده على رأسه، وقال:

أي بنيّ! لو جعلتَ تأتينا وتغشانا(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٧).

(٢) يقصد بأبيه -هنا- النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان الحسين غلامًا صغيرًا.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١/ ١٤١)، وذكره الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٣٣) وصحح إسناده، وقال الذهبي: إسناده صحيح. السير (٣/ ٢٨٥).

● مكانتهم المتميّزة:

عن الزهرى: أن عُمر -رضي الله عنه- كسا أبناء الصحابة، ولم يكن فى ذلك ما يصلُحُ للحسن والحُسَيْن، فبعث إلى اليمن، فأُتى بكسوةٍ لهما، فقال:

«الآن طابت نفسى!»(١).

إن إجلال أهل البيت ومحبتهم يُعَدُّ إجلالاً لمقام النبوة الكريم:

عن زر، عن عبد الله -رضي الله عنه-:

رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَخَذَ بيد الحسن والحسين، ويقول:

«**هذان ابناى، فمن أحبَّهما فقد أحبَّنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى**»(٢).

● أبو هريرة -رضي الله عنه- يقول للحسن -رضي الله عنه- «يا سيدى!»:

عن المقبُرى، قال:

كنا مع أبى هريرة فجاء الحسن بن على -رضي الله عنهما- فسلّم فرد عليه القوم ومضى ومعنا أبو هريرة لا يعلم، فقيل له:

هذا حسن بن علىّ يُسَلِّم!، فلحقه فقال:

وعليك يا سيدى!

فقيل له: تقول: يا سيدى؟

فقال: أشهد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**إنه سيِّدٌ**». رواه الطبرانى، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥٠):

«ورجاله ثقات».

● هذا -والله- هو المُلْك!:

يقول الإمام الذهبىّ -رحمه الله تعالى- فى ترجمة «زين العابدين علىّ ابن الحسين»:

---

(١) السير (٣/ ٢٨٥).

(٢) **حسن**: قال الهيثمى: رواه البزار، وإسناده حسن. المجمع (٩/ ١٨٠)، وحسنه الأرنؤوط. السير (٣/ ٢٥٤).

«قيل: كان عليّ بن الحسين إذا سار في المدينة على بغلته، لم يقلْ لأحد:

الطريق.. ويقول: هو مُشْتركٌ ليس لي أن أُنحِّيَ عنه أحدًا.

وكان له جلالةٌ عجيبة، وحُقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العُظمى لشرفه وسؤدُده وعِلْمه وتألُّهه وكمال عقله.

قد اشتهرت قصيدةُ الفرزدق -وهي سماعُنا- أن هشام بن عبد الملك -الخليفة- حَجَّ قُبيل ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحَجَر زُوحم عليه، وإذا دنا عليٌّ بن الحُسَيْن من الحَجَر تفرَّقوا عنه إجلالاً له، فوجم لها هشام وقال:

من هذا؟ فما أعرفه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرفُ البَطْحاءُ وطأَتَهُ
والبيتُ يَعْرفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خَيْرِ عبادَ الله كلِّهم
هذا التّقيُّ النقيُّ الطاهر العَلَمُ
إذا رَأَتهُ قُريشٌ قال قائلُها
إلى مكارِم هذا يَنْتهي الكَرَمُ
يكادُ يُمسِكُه عِرْفانُ راحته
رُكْنَ الحَطِيم إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضَى مَهابته
فما يُكلَّم إلا حين يَبْتَسِمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كُنْتَ جاهلهُ
بِجدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِمُوا(١)

وهي قصيدة طويلة، قال:

---

(١) ديوان الفرزدق (٢/٨٤٨، ٨٤٩).

فأمر هشامٌ بحبس الفرزدق، فحُبس بُعسْفان، وبعث إليه علىٌّ بن الحسين باثْنَىْ عشر ألف درهم وقال:

اعْذِرْ أبا فراس.

فردَّها وقال:

ما قلتُ ذلك إلا غضبًا لله ولرسوله.

فردَّها إليه وقال:

بحقّى عليك لما قَبلْتها، فقد علم الله نيّتك ورأى مكانك. فقبلها.

وقال فى هشام:

أيَحْبِسُنى بين المدينة والتى ... إليها قلوبُ الناس يَهْوِى مُنيبها
يُقلِّب رأسًا لم يكن رأسَ سيدٍ ... وعَيْنَنْ حَوْلاويْن بادٍ عيوبُها

٢- متابعتهم:

فالمحبة توجب الاتباع.. ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٢).

الاقتداء بهم فى هديهم، وإخلاصهم:

يقول الشيخ/ محمد الغزالى:

«أعرف موظفًا كبيرًا يظهر حب آل البيت، ويمسك السبحة بيده ليُحصى عليها ما يريد من أسماء وصلوات، إنه يحسب نفسه من الواصلين بإدمانه هذا اللون من العبادة، وتلك عنده مظاهر التقى الشديد، إلى جانب -طبعًا- أدائه للفروض المكتوبة فهو -فيما اعتقد- لا يقصر فى أدائها.

وحدث يومًا أن أقيم حفلٌ تبارى فيه الخطباء، وذكرت الصحف أسماء المتحدِّثين ونسيت أن تذكر اسم العاشق لآل البيت، وكاد الرجل يجن لما فاته من أسباب الرياء...!! وانكشفت خبيئته، وانكشفت معه خبيثة هذا النوع من التدين الذى لا يستكمل عناصر الإيمان الحق، ولا يحسن فطام النفس من

(١) السير (٤/٣٩٨ - ٣٩٩).

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

أخبث عللها، بل يدارى هذا النقص بتلاوة أذكار، أو إحصاء صلوات على رسول الله -ﷺ-.

ولو أنه قرأ القرآن كله، وهو يستبطن تلك العِلل ما أفاده شيئًا أن يتلو القرآن والسيرة معًا(١).

إن الله جل شأنه جعل الصراط المستقيم هو المَعْبر الفذّ لمن يبتغيه.

وكل تقصير أو قصور فى فهم هذا المنهج واستبانة مراحله -لا يدل على خير-.

وكل عوض يشتغل المرء به عن المعالم التى وضعها الله لا يزيد صاحبه إلاّ خبالاً.

وأى عاطفة لا يصحبها تفصيل صحيح لأصول الإسلام وفروعه، وعمل تام بها فليس لها عند الله وزن.

وصدق العاطفة ليس عذرًا للخلط العلمى، ولا للقول فى دين الله بالهوى والرأى، فإن للإسلام ينابيع معروفة محصورة تؤخذ أحكامه منها وحدها، ولا يؤذن لبشر بالتزيد عليها أو الانتقاص منها.

وقد توفر العلماء بعد جيل على خدمة هذه المصادر واحترام حدودها»(٢).

فمتابعة أهل البيت فى خَطْوهم نحو الله على صراطه المستقيم هو الحب الصادق المقبول عند الله -عز وجل- أما حب الادعاء.. مع ارتكاب المعاصى والبدع باسم حب أهل البيت فجريمة عظمى!!.

٣- الدفاع عنهم والذود عن حمامهم:

وهذا مقام كريم.. يؤجر المسلم عليه.. ويثاب فاعله:

---

(١) لذا ثبت فى «الصحيح» عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: كنا أطفالاً على عهد رسول الله -ﷺ- أوتينا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا».

(٢) الجانب العاطفى من الإسلام (ص ٨، ٩).

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

لما أتى «عبيد الله بن زياد» برأس الحسين -رضي الله عنه- جعل -أى زياد- ينكت بالقضيب ثناياه!! ويقول:

لقد كان -أحسبه قال- جميلاً!!!

فقلتُ: والله لأسوءنك، إنى رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَلْثم حيثُ يقع قضيبك.

قال: فانقبض(١).

هذا، وما يحدث اليوم من بدع وآثام حول قبور الأولياء باسم «الموالد» أو «محبة أهل البيت» يُعدّ «مَعَرَّة» و «مضرّة».. ولا يليق باحترام «أهل البيت» ولا بأولياء الله الصالحين.. فمتى تزول هذه الآثام من حياة الناس؟!

ومن الذى خرج من هذه «الموالد» أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً؟!

يقول الشيخ/ محمد الغزالى -رحمه الله تعالى-:

«وأول من أحدث الاحتفال بمولد النبىّ -صلى الله عليه وسلم- الملك المظفر أبو سعيد فى القرن السابع بمدينة «اربل»، ثم فشت هذه الموالد، فى شتى الأقطار وكثر قُصّادها.

وافتنوا فى تنميقها وإبرازها وملئها بما تهوى الأنفس، حتى صارت كلمة «مولد» رمزًا على الفوضى والزياط والمساخر.

والتقرب إلى الله بإقامة هذه الموالد، عبادة لا أصل لها.

بل إن من العصيان لله ورسوله اتخاذ مقابر الصالحين محوراً لهذه الحشود، ومثابة لهذه الأحفال، حتى ولو كانت مبنية على القربات المحصنة.

فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عيدًا، وصلوا علىّ أينما كنتم، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

(١) قال الهيثمى: رواه البزار والطبرانى بأسانيد ورجاله وثقوا. المجمع برقم (١٥١٥٠).

وفى رواية عن سهيل بن أبى سهيل قال:

رآنى الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر. فنادانى -وهو فى بيت فاطمة يتعشّى- فقال:

هلم إلى العشاء.

فقلتُ: لا أريد!

فقال: مالى رأيتك عند القبر؟

فقلت: سلمتُ على النبىّ -ﷺ-.

فقال: لذا دخلت المسجد؟

ثم قال: إن رسول الله -ﷺ- قال:

«لا تتخذوا بيتى عيداً ولا بيوتكم مقابر، وصلوا علىّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

فإذا كان رسول الله -ﷺ- كره أن يتخذ الناس قبره ساحة للأحفال، ومجمعًا للقصّاد، فكيف بقبور غيره مِمَّن نعرف ولا نعرف؟

على أن المساجد التى تشدّ إليها الرّحال وتبذل فى بلوغها النفقات معروفة.

وهى -كما أحصاها رسول الله -ﷺ- المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى.

ومكانة هذه المساجد لم تجئها من إحياء مولد بها، أو من تكريم مقبور فيها، بل جاءتها لمعان خاصة، لا مجال لشرحها هنا.

فأولئك الذين يحسبون أنهم يرضون الله بإقامة موالد، لكبار الأولياء أو صغارهم، يرتكبون بدعًا سيئة، ويهيئون الفرصة لمعاص منكرة والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة.

ففى ساحتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل، ويختلط النساء بالرجال فى المأكل والمنام، وكثيراً ما تقع جرائم الزنا واللواط. ويدخن الحشيش،

وتسمع الأغانى والموسيقى الخليعة، وتختفى روح الجد وتقدير الأمور. لتحل مكانها قلة الاكتراث، وقبول الدنايا. . .

كما تختفى النظافة من المساجد، وتضطرب الأوقات والجماعات. .

ودعك من أن الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبة، فربما ضن أحدُهم على أمّه بقروش يبرها بها، فى الوقت الذى يبسط يده بالنفقة هنا، إكرامًا لصاحب المولد، الذى لا يخيب قاصدًا، ولا يرد طالبًا. . . !!.

وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات للذكر ودروسًا للعلم وتلاوة للقرآن، وإطعامًا للفقراء والمساكين. . .

ولو خلت الموالد من الآثام التى سقناها آنفًا، لوجب تعطيلها أيضًا، لمظاهر التدين الفاسد التى تسودها.

فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان الرقص الذى يَسْوَد له وجه الدين.

أما القرآن المتلو فى هذه الساحات فما ينتفع به تال ولا سامع.

إنه غناء مملوك النغم، يتصنع له بعض السامعين شيئًا من الإقبال، ريثما يفرغ منه.

وكذلك الوعظ فى دروس الوعظ والإرشاد التى ينظمها الأزهر الآن يبغى بها تعليم الجماهير المحتشدة فى هذه الموالد. تلك كلها محاولات عابثة وإهدار لقيمة الذّكر الحكيم والحديث الشريف.

ولو افترضنا بعض الخير فى هذه الأعمال، فإنها لا تُعد مبررًا لإقامة الموالد بعدما أوضحنا الشرور التى تكتنفها.

وقانون الشريعة فى هذا، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح قال ابن حجر:

«ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر؟ وفطم عن جميع أنواع الشّر حيث قال رسول الله -ﷺ-:

«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»؟.

أي أن الشر -وإن قل- لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفي منه بما أمكن..!

فكيف نفتح باب شرّ متيقن لخير موهوم؟

ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم.

عمل لم يفعلْه الرسول -ﷺ-، ولا صحابته، ولا التابعون لهم بإحسان قرونًا طويلة.

وقد انتهى شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ «محمد مصطفى المراغي» إلى هذا الحكم، أو إلى قريب منه. حيث قال:

«وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة، وألا تكون بدعة.

مثلاً الاحتفال بمولد النبيّ -ﷺ-، وبيوم الهجرة، وبالمحمل إذا فعلت هذه الأشياء على أنها عبادة وتدين، كانت بدعة بلا شبهة، لأنها إحداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها.

أما إذا فعلت على سبيل العادة، وعلى أن الاحتفال بالهجرة وبمولده -ﷺ- إحياء لذكريات عزيزة، كانت سببًا للخير، وموجبة للشكر لتنبعث نفس المؤدى إلى التمسك بالهدى وبالخلق الكريم، لم تكن بدعة، لأنه لم يقصد بها التدين، ولم يرد إحداث شيء في الدين.

لكن إذا حفت هذه المحدثات -التي ليست بدعًا- بما هو بدعة وبما هو مخالف للشريعة حرمت، لما هو ملابس لها من البدع، ولما هو ملابس لها من المعاصي.

وكل معصية فشت لا تسمى بدعة.

فجميع ما يقع في الأسواق والمجتمعات والمساجد، وكل ما أطلق الناس لأنفسهم فيه العنان، مما هو مخالف لقواعد الشريعة لا يسمى بدعة، وإنما هو معاص ومحرّمات.

وملاحظة ضوابط البدعة يساعد كثيرًا على معرفتها.

وقد قلنا: إن أهم الميزات والخواص أن يحدث الشيء على أنه دين يتعبد به، وعلى أن يقصد فاعله التعبد والتدين والتقرب به إلى الله سبحانه» ا.هـ.

نقول: ولا شك أن الذين يحتفلون بالموالد المختلفة، وينفقون فيها كرائم أموالهم، ويتجشمون مشاق السّفر إلى العواصم البعيدة، للمشاركة فى إحيائها إنما يفعلون ذلك على أنه قُرْبى إلى الله، وتكفير للسيئات، ورفعة فى الدرجات.

ومن ثم فنحن نميل إلى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعًا، ووصفها بأنها مبتدعات تُرْفض ولا يعتذر لها.

ومن الوسائل التى يلجأ إليها حكام الجور، لصرف الناس عن ملاحقتهم بالنقد، تضخيم الأحداث التافهة وحوك الأساطير حَوْلها، ثم إشاعتها بين العوام وأشباههم، ليتلهوا بها زمنًا. فإذا فرغوا منها لوحقوا بغيرها، وهكذا دواليك، حتى يستقرللحكام أمرهم دون نكير...

ولعل هذا هو السّر فى تطويل قصة «عنترة بن شداد» قديمًا، فبلغت أجزاؤها نيفًا وستين كتابًا..

وكذلك «ألف ليلة وليلة» وما شاكل هذه الموسوعات الخرافية.

والصحف فى عصرنا هذا، حين توجه إلى إماتة بعض القضايا الكبرى تبرز بدلاً منها بعض مآسى الغرام الحرام، وتفتن فى سرد فصوله الدقيقة.

وأحسب أن تنقيل الجماهير المغفلة من مزار إلى مزار، وإخراجهم من حفل لإدخالهم فى حفل، وجعل حياة الأمة سلسلة من هذه الملاهى الموصولة -أحسب أن ذلك كان غاية منشودة لبعض الحكام السابقين وأن بدعة الموالد كانت وسيلة ناجحة لبلوغ هذا الهدف.

وهل يبقى لأمة ما وقت أو جهد للحق والعلا بعدما استهلكت المساخر وقتها وجهدها؟

إن إلغاء الموالد ضرورة دينية ودنيوية.

وإلى جانب الموالد المبتدعة، والمواسم المبتدعة أيضًا، فهذه من تلك، تكملة لحلقة المخترعات الدينية التى يقبل عليها العوام وينفسون فيها عن أهوائهم.

والإسلام لم يشرع إلا أعيادًا ثلاثة:

عيدى الفطر والأضحى، ويوم الجمعة من كل أسبوع..!

أما اليوم فقد اختلقت أعياد ومواسم شتى، وربطت بها تقاليد كثيرة..

من ذلك «يوم عاشوراء» والمسلمون فيه قسمان:

الشيعة، وشغلهم يومئذٍ أن يضربوا أنفسهم بما يصل إلى أيديهم، حزنًا على مقتل الحسين.

وأهل السنة، والأمر بينهم بالعكس، فهم يصنعون الولائم ويكثرون الأطعمة والحلوى.

وصنيع هؤلاء وأولئك -على ما ينطق به من فرقة وهوس- لا أصل له فى الإسلام.

وهكذا انتظم الاحتفال بليلة المولد النبوى، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، ورأس السنة الهجرية.

وقد حددت لهذه الاحتفالات تواريخ كيفا اتفق، وجعل البذل فيها من مظاهر التدين..!!

وأحياها العوام والخواص بمزيد من الكلام والطعام.

وهكذا تكون نصرة الإسلام..!!

ثم زادت أحوال المسلمين اضطرابًا وغلبت التقاليد الصليبية على أعيادهم فحلّ يوم الأحد مكان الجمعة..!!

والعواصم الكبرى التى زرتُها تعطل المتاجر والمصانع يوم الأحد، وتمنح عمالها فيه الفرصة المفروضة فى الأسبوع للراحة والتجمل والفراغ.

مع أن رسول الله -ﷺ- يقول:

«**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة**»(١).

وثبت أن رسول الله -ﷺ- ذكر يوم الجمعة فقال:

«**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى، يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**» وأشار بيده يقلل تلك الساعة(٢).

إن المدن الكبرى -فى هذه الأيام- تكاد تختفى حركتها يوم الأحد لما يسود محال العمل من عطل.

أما يوم الجمعة فلا مكان فيه لتعطل عامل، أو فراغ كاسب، أو راحة لاغب.

وغلبة العادات الفرنجية، وما يصاحبها من تقاليد. أخذت فى الظهور.

وانخلاع المسلمين عن مقومات دينهم ودنياهم أمام الغزو التبشيرى مما تحذر عواقبه.

وخصوصًا أن بعض المائعين يحسب مرونة الإسلام فى معاملة المخالفين له تعنى احترام أباطيلهم والمشاركة فى الاحتفال بها -ولو بالصمت- مع أن ذاك منهى عنه.

ففى الحديث: «**لا تعلموا رطانة الأعاجم**» أى تعلم التقليد والذوبان وهذا المنهى عنه، لا يعنى ألا نتعلم اللغات الأخرى، فإن تعلمها ثابت بالنص.

ولا يعنى أن نجرح مشاعر أهل الذّمة.

فالفرق واضح بين المشاركة فى الباطل وترك الناس فى حرياتهم، يعتقدون ما يشاءون.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم. الترغيب (١٠٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وغيرهما. الترغيب (١٠٥٢).

إنما المقصود أن تبقى شخصيتنا واضحة وشاراتنا بارزة، ودلائل إسلامنا شائعة فى مجالى حياتنا العامة والخاصة.

أما تقليد الميوعة والانحلال، وتشبه التبعية والعجز فهو أول الكفر.. والانهيار» ا.هـ(١).

ويقول الشيخ/ محمد زكى إبراهيم -رحمه الله-(٢):

«أما ما يحيط بالموالد من منكرات جعلتها مجالاً خصبًا للمرتزقة والنصابين فقد قررنا أن الموالد بوضعها الحالى فيها المشروع والممنوع، وقد أصبح الممنوع فيها غالبًا على المشروع للأسف الشديد فمثلاً قراءة القرآن ومجالس العبادة وحلق العلم وانتشار الصدقات وما يكون بين الناس من التعارف والتآلف والتعاطف... كل ذلك لا ينكرها عقل ولا دين...

ولكن بجوار هذا الخير شرّ موبق عبادة مُحرّفة وتجمعات منكرة ولصوصية أعراض ولصوصية أموال ومراتع فسوق وبؤرات مِيْسر ومستنقعات تخريف وتحريف وشعوذة وتفاخر وتكاثر بالاتباع والأموال، والمظاهر، وضياع أى ضياع للأموال والأوقات والأخلاق والطاعات!!!.

إن هذه الموالد يمكن أن تصبح أسواقًا للثقافة الربانية... أما والحال على هذا المنوال فخسارة ووبال وليس بعد الحق إلا الضلال»(٣).

وسئل -رحمه الله- عن حكم المواكب الصوفية، وما يكون فيها من الرقص والدفوف والصاجات؟

فأجاب:

«أما الطبل والزمر والرقص وما يليه من الدفوف والصاجات فقد أوضحنا فيما قدمنا حكم تحريمه باتفاق كعبادة فهو لَهْوٌ باطل وعبث ليس من الدين ولا هو من شأن الرجال»(٤).

---

(١) ليس من الإسلام للشيخ الغزالى (٢٤٠ - ٢٤٦).

(٢) رائد العشيرة المحمدية.

(٣) التصوف الإسلامى بعض ما له، وما عليه لفضيلته (ص ٤٩، ٥٠) بتصرف.

(٤) نفس المرجع ص ٥١.

وسئل -رحمه الله- عن استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء -فيما يسمى حلقات الذكر-؟:

فأجاب:

«فأما استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء -فيما يسمى حلقات الذكر- فليس من دين الله (قولاً واحدًا) سواء عند أئمة الصوفية أو غير الصوفية وإنما هو من الدخيل والدسيس الذى يتسلل إلى التصوف فأفسده وأساء إليه.

ينقل الشيخ «ابن الحاج» فى «مدخل الشرع الشريف» قلنا:

وقد عاب الله نحو ذلك على المشركين من قبل فقال:

﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾(١).

يعنى تصفيرًا وتصفيقًا!!

وهما من لوازم الطبل والزمر!! والرقص!!.

إن الرقص والطبل والزمر لاشك هو لهو ولعب فإذا اتخذناه دينًا كان افتراء على الله وهو تعالى يقول:

﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا** ﴾(٢).

والله لا يأمر بترك شىء هو قربة إليه فإذا كرر الأمر(٣) كان معنى هذا أنه شىء نغضب له غضبًا مضاعفًا لما فيه من تعد عن حدوده تعالى وعلى حدوده.

يقول شاعر الصوفية:

يا عصبة ما ضر أمة أحمد ... وسعى على إفسادها إلاّهى

طار ومزمار ونغمة شادن ... أتكون قطّ عبادة بملاهى؟!

---

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام: ٧٠.

(٣) كرر الأمر فى سورة الأعراف: ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا** ﴾ [سورة الأعراف: ٥١].

وإنما يعبد الله بما شرع وفيما شرع سعة وكفاية ومتعة روحية بغير حدود والعبادة جدّ كلها وهو تعالى يقول:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(١).

ومن شاء لهوًا مباحًا فليبتعد به عن العبادة وعن التصوف»(٢) ا.هـ.

هذا هو قول أحد أئمة التصوف المعاصرين، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

«من بدع المقابر»:

نشير هنا إلى ما ابتدع للأموات من بدع لم يعرفها السلف الأول.. واتخذها الجهال دينًا يتقربون بها إلى الله تعالى!!!.

من هذه البدع:

١- اتخاذ القبور عيدًا وموسمًا ومبيتًا وملعبًا للأطفال وسوقًا للبيع والشراء فى عطلات الأسبوع (الجمعة) وفى المواسم، كطلعة رجب والأعياد، بل نجد عند أضرحة أهل بيت رسول الله -ﷺ- (إذا صح وجودهم بها) تجد الناس وقد أسموها حرمًا، وقد جعلوا لكل ولىّ ليلة فيها تقام حضرته، أضف إلى ذلك تبرج النسوة والصخب والشرك بسؤال الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله. وقد قال بعض الصالحين:

«إذا رأيتم أحدًا يأكل عند المقابر أو يضحك فاعلموا أنه مطموس القلب بعيد عن رحمة الله، لأنه عبث فى موطن الخوف».

وفى الأثر: «إن الله يكره لكم ثلاثة:

العبث فى الصلاة، والرفث فى الصيام، والضحك عند المقابر».

٢- النذر للمخلوق -وليًا كان أو غير ولى- وهو حرام لعلل ثلاث:

---

(١) سورة الأنبياء: ١٧، ١٨.

(٢) التصوف بعض ما له، وما عليه (٣٧، ٣٨).

(أ) أن النذر عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

(ب) أن الميت لا يملك شيئًا إلا ما قدم، فلا يصح أن يوجه إليه نذر يملكه بعد وفاته.

(جـ) اعتقاد الناذر أن للميت قدرة على التصرف فى الكون من دون الله، فهذا كفر.

٣- الطواف حولها وتسميتها حرمًا.

وعلى المسلم أن يعلم أن الطواف وقف على بيت الله الحرام فقط.

قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١).

ولا يصح الطواف حول غيره من الأضرحة تشبيهًا منهم لهذه الأضرحة بقبلة الله رب العالمين.

٤- التقبيل والاستلام لها وتقبيل أعتابها.

وهذا كله من الشرك والتعلّق بالماديات على حساب الروحانيات، وقد يحتج من يفعل ذلك باستلام رسول الله -ﷺ- للحَجَر الأسود، وفى هذا أيضًا نقول:

إن هذه خصوصية للحجر الأسود فقط، وقد قال عمر بن الخطاب:

«والله إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيتُ رسول الله -ﷺ- يقبلك ما قبّلتك».

أترى هؤلاء الذين يقبلون الأضرحة والأعتاب أهدى من عمر بن الخطاب أشدّ تحققًا منه فى دين الله ودرجات الإيمان، وما هو إلا الشيطان أراد أن يصدهم عن توحيد الله وإفراده بالعبادة. وإنى لأعجب من هؤلاء الذين يقبلون الأعتاب والأخشاب ويظنون أنهم على الهدى، بل وتراهم من أشد المتحمسين لأفعالهم. وما أرى ذلك إلا من حمية الشيطان للدفاع عن عادات وثنية هدمها الإسلام ويحييها هؤلاء(٢).

---

(١) سورة الحج: ٢٩.

(٢) **قال الإمام الغزالى** -رحمه الله-: «إن المَسّ والتقبيل للمَشَاهد عادة النصارى واليهود!!». الإحياء (١/ ٢٧١).

وإنى أسأل أحدهم: هل ثبت أن أبا بكر -رضي الله عنه- قَبّل قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو هل قبّل عمر قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقبر أبى بكر؟

فإنه إذا كان التمسح محموداً والتقبيل يورث البركة فلا شك فى أن تقبيل قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه أعظم البركات، ولكن هل يجدى هذا فى عقول قد تبدلت وران على قلوب أصحابها عادات مبتدعة وقيم هدمها الإسلام، ولكنا لا نملك إلا أن نسأل الله لهم الهداية، فاللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أمر بقطع شجرة الرضوان (التى بويع الرسول تحتها) حتى لا يفتن الناس بها، وذلك لما رأى الناس يقصدونها للتبرك تعظيمًا لها، وهى الشجرة المذكورة فى سورة الفتح:

﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾[1].

٥- الكتابة عليها وتجصيصها ورفعها أعلى من شبر ووضع القباب عليها كل ذلك منهى عنه شرعًا.

٦- غرس الأشجار فى القبور أو نصب الخيام عليها.

وقد رأى عمر خيمة على قبر، فسأل:

لِمَ؟

قالو: نظلله.

فقالوا: دعوه يظلله عمله.

٧- وضع الستور والكساوى والعمائم على الأضرحة، وهو فضلاً عن أنه إسراف ينهى عنه الشرع وزينة فى مواطن العبرة فإنه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء، والأحياء الفقراء أولى ألف مرة من تجميد هذا المال.

٨- تقديم العرائض والشكاوى للأولياء، والله يعلم أن من مات فهو فى شغل شاغل بآخرته، حيث قال تعالى:

---

(١) سورة الفتح: ١٨.

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى:

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾(٣).

٩- وضع الأضرحة والمقابر فى المسجد، ورسول الله -ﷺ- يقول: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(٤).

وبناء المساجد على الأضرحة ألعن وأضل وأجرم، فكأنها لم تبن لله، بل لأجل من بداخل الضريح(٥).

١٠- السفر إليها:

فعن أبى بصرة الغفارى أنه لقى أبا هريرة وهو جاءٍ، فقال:

من أين أقبلت؟

قال: أقبلت من الطور، وصليت فيه، قال:

أما إنى لو أدركتك لم تذهب، إنى سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول:

---

(١) سورة فاطر: ١٣، ١٤.
(٢) سورة الأحقاف: ٥.
(٣) سورة الإسراء: ٥٦.
(٤) رواه البخارى ومسلم.
(٥) راجع «هذه دعوتنا» للشيخ/ عبد اللطيف مشتهرى -رحمه الله-.

«لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»(١).

١١- كسر عظامها:

والدليل قوله -ﷺ-:

«إن كسر عظم المؤمن ميتًا، مثل كسره حيًّا»(٢).

والحديث دليل على تحريم كسر عظم الميت المؤمن، ولهذا جاء فى كتب الحنابلة:

«ويحرم قطع شىء من أطراف الميت، وإتلاف ذاته، وإحراقه، ولو أوصى به». كذا فى «كشف القناع» (٢/ ١٢٧)، ونحو ذلك فى سائر المذاهب.

والخلاصة: فحُبّ أهل البيت يوجب احترامهم، واقتفاء أثرهم، ومتابعتهم، والترضىّ عنهم، وتعظيم شأنهم دون مغالاة. وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) تلخيص أحكام الجنائز للشيخ الألبانى -رحمه الله- ص ٨٩.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وغيره وقال الألبانى: وبعض طرقه صحيح على شرط مسلم. أحكام الجنائز (٢٣٣) وقال ابن القطان: «سنده حسن» كما فى «المرقاة» (٢/ ٣٨٠).

«حسن الختام»

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

«أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بأعرابى وهو يدعو فى صلاته وهو يقول:

«يا مَنْ لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيّره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أَظْلَم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وما توارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا بحر ما فى قعره، ولا جبل ما فى وعره، اجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتيمه، وخير أيامى يوم ألقاك فيه.

فوكّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأعرابى رجلاً، فقال:

«إذا صلّى فائتنى به».

فلمّا صلى أتاه، وقد أُهْدِىَ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذَهَبٌ من بعض المعادن، فلمّا أتاه الأعرابى وهب له الذهب، وقال:

«ممّن أنت يا أعرابى؟».

قال: من بنى عامر بن صعصعة يا رسول الله.

قال: **«هل تدرى لم وهبتُ لك الذهب؟»**.

قال: للرحم بيننا وبينك يا رسول الله.

قال: **«إن للرحم حقًّا، ولكن وهبت لك الذهب بُحسن ثنائك على الله عزّ وجل»**(١).

---

(١) قال الذهبى فى المجمع (١٠/١٥٨): «رواه الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمى وهو ثقة». قال الشيخ/ حسن على السقاف: قلت: وهو صحيح، وقد صححه الدميرى فى حياة الحيوان (٢/٩٥). صحيح صفة صلاة النبى -صلى الله عليه وسلم- (٢٣٦).

● فاللهم إنى أُنْزل بك حاجتى وإن قَصُر رأيى (أى عجز عن الإدراك)، وضعفُ عملى افتقرتُ إلى رحمتك، فأسألك يا قاضى الأمور، ويا شافى الصدور كما تُجيرُ بين البحور أن تُجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور.

● اللهم ما قَصُر عنه رأْيى، ولم تبلُغْه نيّتى، ولم تبلُغْه مسألتى من خير وعَدْتَه أحداً من خلقك أو خير أنت مُعطيه أحداً من عبادك، فإنّى أرغبُ إليك فيه وأسألك برحمتك يا رب العالمين.

● اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمْرى، وما أنت أعلم به منى.

● اللهم اغفر لى خطئى وعمدى وهزلى وجدّى وكلٌّ ذلك عندى.

● اللهم اغفرلى ما قدَّمتُ، وما أخرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر وأنت على كل شىء قدير.

● اللهم انفعنى بما علَّمتنى، وعلِّمنى ما ينفعنى، وزدنى علمًا. الحمد لله على كل حال، وأعوذ بك من حال أهل النار.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

سعد يوسف محمود أبو عزيز

غمرين -منوف- منوفية

٢٢/٨/٢٠٠٠م

٢٢ جمادى الأولى ١٤٢١هـ

أهم المراجع

١ - جامع البيان فى تأويل القرآن. للإمام الطبرى
٢ - الجامع لأحكام القرآن. للإمام القرطبى
٣ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. للإمام الفخر الرازى
٤ - الدر المنثور. للإمام السيوطى
٥ - زاد المسير فى علم التفسير. للإمام ابن الجوزى
٦ - روح المعانى. للإمام الألوسى
٧ - تفسير القرآن العظيم. للإمام ابن كثير
٨ - محاسن التأويل. لمحمد جمال الدين القاسمى
٩ - مدارك التنزيل. للنسفى
١٠- لطائف الإشارات. للإمام القشيرى
١١- القواعد الحسان لتفسير القرآن. لابن سعدى
١٢- تفسير الخازن. للإمام الخازن
١٣- فى ظلال القرآن. للأستاذ/ سيد قطب
١٤- أحكام القرآن. للجصاص
١٥- أحكام القرآن. لابن العربى
١٦- فتح البارى بشرح صحيح البخارى. لابن حجر العسقلانى
١٧- صحيح مسلم بشرح النووى. للإمام النووى
١٨- مجمع الزوائد. للإمام الهيثمى
١٩- الترغيب والترهيب. للإمام المنذرى

٢٠- مسند الإمام أحمد. تحقيق الشيخ أحمد شاكر، وأحمد الزين

٢١- مشكاة المصابيح. للتبريزى - تحقيق الألبانى

٢٢- شعب الإيمان. للبيهقى

٢٣- جامع العلوم والحكم. لابن رجب الحنبلى، تحقيق: عبد الله المنشاوى

٢٤- إتحاف الجماعة. للشيخ حمود التويجرى

٢٥- الأدب المفرد. للبخارى. تحقيق الألبانى

٢٦- سنن ابن ماجه.

٢٧- سنن الترمذى.

٢٨- فيض القدير. للإمام المناوى

٢٩- السنن. للإمام البيهقى

٣٠- المصنف. لابن أبى شيبة

٣١- نيل الأوطار. للإمام الشوكانى

٣٢- فقه السنة. للشيخ/ السيد سابق

٣٣- الفقه الواضح. د. محمد بكر إسماعيل

٣٤- تحفة الذاكرين. للإمام الشوكانى

٣٥- الأذكار. للإمام النووى

٣٦- صحيح الكلم الطيب. للإمام ابن تيمية - تحقيق الألبانى

٣٧- مجموع الفتاوى. للإمام ابن تيمية

٣٨- اقتضاء الصراط المستقيم. للإمام ابن تيمية

٣٩- السنن والمبتدعات. للشقيرى

٤٠- سير أعلام النبلاء. للإمام الذهبى

٤١- الكبائر. للإمام الذهبى

٤٢- المنتظم. للإمام الجوزى

٤٣- الزواجر. لابن حجر الهيثمى

٤٤- المحلى. للإمام ابن حزم

٤٥- منهاج المسلم. لأبى بكر الجزائرى

٤٦- عقيدة المؤمن. لأبى بكر الجزائرى

٤٧- التذكرة. للإمام القرطبى - تحقيق/ محمد بيومى

٤٨- الطبقات. لابن سعد

٤٩- الإصابة. لابن حجر

٥٠- السيرة النبوية. لابن هشام

٥١- الإبانة. لابن بطة

٥٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول. لابن تيمية

٥٣- صفة الصفوة. للإمام ابن الجوزى

٥٤- الصمت. لابن أبى الدنيا

٥٥- مجابو الدعوة. لابن أبى الدنيا

٥٦- من عاش بعد الموت. لابن أبى الدنيا

٥٧- لسان العرب. لابن منظور

٥٨- تهذيب مكاشفة القلوب. للإمام الغزالى بتحقيقى

٥٩- حياة محمد. لهيكل

٦٠- حياة الصحابة. للكاندهلوى. تحقيق/ كمال الجمل - بيومى

٦١- الاستيعاب. لابن عبد البر

٦٢- العقد الفريد. لابن عبد ربه

٦٣- خلفاء الرسول. للأستاذ/ خالد محمد خالد

٦٤- أحكام أهل الذمة. لابن القيم
٦٥- الولاء والبراء. محمد سعيد بن وهف القحطانى
٦٦- الولاء والبراء فى الإسلام. د. صالح بن فوزان الفوزان
٦٧- إيضاح المعانى الخفية فى شرح الأربعين النووية. محمد تاتاى
٦٨- معرفة القراء الكبار للإمام الذهبى
٦٩- العواصم بن القواصم. لابن العربى
٧٠- لطائف المعارف. لابن رجب الحنبلى
٧١- التبيان فى آداب حملة القرآن. للإمام النووى
٧٢- الزهد. للحسن البصرى
٧٣- البر والصلة. لابن الجوزى
٧٤- الجليس الصالح والأنيس الناصح. لأبى الفضل سبط بن الجوزى
٧٥- من الذى يغير المنكر وكيف؟. د. محمود محمد عمارة
٧٦- المواعظ والمجالس. لابن الجوزى
٧٧- حب النبى -ﷺ- وعلاماته. د. فضل إلهى
٧٨- تربية الأولاد. د. محمود عمارة
٧٩- السلوك الاجتماعى. للشيخ/ حسن أيوب
٨٠- الإعجاز الطبى للقرآن. د. السيد الجميلى
٨١- مدخل إلى الطب الإسلامى. د. على محمد مطاوع
٨٢- أخلاق إسلامية. د. الحسينى أبو فرحة
٨٣- عناية الإسلام بالصحة البدنية. كاملة الأنوار محمد صابر حجاب
٨٤- منهج السنة النبوية فى رعاية الصحة. د. بدير محمد بدير
٨٥- إيقاظ أولى الهمم العالية. لعبد العزيز السلمان

٨٦- الله والعلم الحديث. عبد الرزاق نوفل
٨٧- ولا تقربوا الزنا. للمؤلف
٨٨- هجر المبتدع. د. بكر بن عبد الله أبو زيد
٨٩- الإسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات.
للشيخ/ محمد زكى إبراهيم
٩٠- التصوف الإسلامى بعض ماله، وما عليه.
للشيخ/ محمد زكى إبراهيم
٩١- طبيبك الخاص «مجلة».
٩٢- «مجلة الأزهر».
٩٣- «مجلة التوحيد».
٩٤- «مجلة منبر الإسلام».
٩٥- ولا تقربوا الفواحش. جمال عبد الرحمن إسماعيل
٩٦- تحريم الخلوة والاختلاط. محمد إسماعيل المقدم
٩٧- رحلة إلى الدار الآخرة. للشيخ/ كشك
٩٨- رياض الجنة. للشيخ/ كشك
٩٩- الداء والدواء. للإمام ابن القيم
١٠٠- الوابل الصيب. « « «
١٠١- زاد المعاد. « « « تحقيق الأرنؤوط
١٠٢- روضة المحبين. « « «
١٠٣- الفوائد. « « «
١٠٤- حلية الأولياء. للحافظ أبى نعيم
١٠٥- أركان الإيمان. **للشيخ محمد بن صالح العثيمين**

١٠٦- الحكم العطائية   لابن عطاء الله السكندرى

١٠٧- عقيدة المسلم.   للشيخ محمد الغزالى

١٠٨- خلق المسلم.   » » »

١٠٩- من كنوز السنة.   » » »

١١٠- هذا ديننا.   » » »

١١١- الجانب العاطفى من الإسلام.   » » »

١١٢- هموم داعية.   » » »

١١٣- الحق المر.   » » »

١١٤- ليس من الإسلام.   » » »

١١٥- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.   » » »

١١٦- البداية والنهاية.   للحافظ ابن كثير

١١٧- النهاية فى الفتن والملاحم.   » » »

١١٨- تاريخ الطبرى.

١١٩- الدين الخالص.   للشيخ/ محمود خطاب السبكى

١٢٠- العبودية.   لابن تيمية

١٢١- رفع الملام عن الأئمة الأعلام.   لابن تيمية

١٢٢- إحياء علوم الدين.   للإمام الغزالى

١٢٣- شرح العقيدة الطحاوية.   تحقيق الألبانى

١٢٤- صحيح سنن الترمذى.   للشيخ الألبانى

١٢٥- صحيح سنن ابن ماجه.   » »

١٢٦- صحيح سنن أبى داود.   » »

١٢٧- صحيح سنن النسائى.   » »

١٢٨- صحيح ابن خزيمة. للشيخ الألبانى
١٢٩- السلسلة الصحيحة. » »
١٣٠- صحيح الجامع. » »
١٣١- جلباب المرأة المسلمة. » »
١٣٢- القيام. » »
١٣٣- ضعيف سنن الترمذى. » »
١٣٤- أحكام الجنائز. » »
١٣٥- ظلال الجنة. » »
١٣٦- السلسلة الضعيفة. » »
١٣٧- تحريم آلات الطرب. » »
١٣٨- العقيدة الصحيحة. للشيخ عبد العزيز بن باز
١٣٩- الشهادتان. للشيخ عبد الله بن جبرين
١٤٠- من فقه الدعاء. للشيخ/ مصطفى العدوى
١٤١- الدعاء - مفهومه - أحكامه. محمد بن إبراهيم الحمد
١٤٢- صلاح الأمة فى علو الهمة. د. سيد العفانى
١٤٣- عيون الأخبار. لابن قتيبة
١٤٤- الفوائد المنتقاة من شرح العثيمين لكتاب التوحيد. إسماعيل الرميح
١٤٥- دلائل معجزات النبىّ -ﷺ-. لابن كثير
١٤٦- الدعاء. لحسين العوايشة
١٤٧- الذكر والدعاء. محمد بن سعيد القحطانى
١٤٨- كتاب التوحيد. د. صالح الفوزان
١٤٩- تنبيه الغافلين. للسمرقندى

١٥٠- بر الوالدين. للطرطوشى

١٥١- مختصر بر الوالدين. عبد الرءوف الحناوى

١٥٢- تسمية المولود. د. بكر بن عبد الله أبو زيد

١٥٣- التقصير فى تربية الأولاد. محمد بن إبراهيم الحمد

١٥٤- العقيدة فى الله. د. عمر سليمان الأشقر

١٥٥- القضاء والقدر. « « «

١٥٦- الرسل والرسالات. « « «

١٥٧- القيامة الصغرى. « « «

١٥٨- القول المبين فى حكم تكفير المؤمنين. لأبى بكر الجزائرى

١٥٩- غرقى فمن ينقذهم. عبد المحسن عبد الرحمن

١٦٠- آداب طالب العلم. د. محمد سعيد رسلان

١٦١- لحوم العلماء مسمومة. د. ناصر العمر

١٦٢- السلفيون والأئمة الأربعة. للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق

١٦٣- التعالم وأثره على الفكر والكتاب. بكر بن عبد الله أبو زيد

١٦٤- مواقف تاريخية لعلماء الإسلام. د. محمد رجب بيومى

١٦٥- حقوق الراعى والرعية. محمد بن صالح العثيمين

١٦٦- سير عمر بن الخطاب. أحمد التاجى

١٦٧- أقباس روحانية. اللواء محمود شيت خطاب

١٦٨- كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء.

محمد فهمى عبد الوهاب

١٦٩- الأقليات الدينية والحل الإسلامى. د. يوسف القرضاوى

١٧٠- الحلال والحرام. « «

١٧١- من سماحة الإسلام. وزارة الأوقاف المصرية
١٧٢- أحكام أهل الذمة. لابن القيم
١٧٣- التسامح فى الإسلام. د. محمد إبراهيم الجيوشى. وزارة الأوقاف
١٧٤- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. عباس العقاد
١٧٥- حقوق الإنسان فى الإسلام. د. زكريا البرى
١٧٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين الأتباكى
١٧٧- سماحة الإسلام. أحمد محمد الحوفى
١٧٨- معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية. د. ناريمان عبد الكريم

الفهرس العام

الموضوع الصفحة

● مقدمة ٣
١- الحق الأول: ١٣
حق الله على العباد ١٥
٢- الحق الثاني: حق العباد على الله ١١٣
٣- الحق الثالث: حق الآباء على الأبناء ١١٩
٤- الحق الرابع: حق الأبناء على الآباء ١٤٤
٥- الحق الخامس: حقوق الجوار ١٦٧
٦- الحق السادس: حق اليتيم ١٨٩
٧- الحق السابع: حق الزوج على الزوجة ٢١٥
٨- الحق الثامن: حق الزوجة على الزوج ٢٣٥
٩- الحق التاسع: حق المسلم على المسلم ٢٤٩
١٠- الحق العاشر: حق الجسد ٢٨١
١١- الحق الحادى عشر: حق الطريق ٣٢٧
١٢- الحق الثاني عشر: حق الإخوة ٣٦١
١٣- الحق الثالث عشر: حق الحياء ٣٨٩
● مقدمة الجزء الثاني ٤٦٩
١٤- الحق الرابع عشر: حق الأنبياء والمرسلين ٤٧١
١٥- الحق الخامس عشر: حق القرآن ٥١٩

الموضوع الصفحة

١٦- الحق السادس عشر: حق الصحابة ٥٨٣
١٧- الحق السابع عشر: حق العلماء ٦٣٩
١٨- الحق الثامن عشر: حق السائل والمحروم ٦٩١
١٩- الحق التاسع عشر: حق الراعى ٧٢٩
٢٠- الحق العشرون: حق الرعية ٧٥٣
٢١- الحق الحادى والعشرون: حق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ٨٠١
٢٢- الحق الثانى والعشرون: حق أهل البيت ٨٤٣
● حسن الختام ٨٧٥
● أهم المراجع ٨٧٧
● الفهرس العام ٨٨٧

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠